

مجلة

الأندلس

10

للعلوم الاجتماعية و التطبيقية
علمية محكمة دورية

البحوث باللغة العربية :

- 1- القيادة التحويلية لدى رؤساء الأقسام في بعض الجامعات السعودية دراسة ميدانية
د/احمد محمد برقعان ، د/صلاح عبد الله محمد حسن ، د/عبد الحكيم رضوان سعيد
- 2- العقيدة الإسلامية ودورها في بناء الحضارة الإنسانية
د/ماجد محمد علي أحمد شبانتي
- 3- دلالات المفهوم عند الزيدية
د/عزيز محمد علي الخطري
- 4- جهود المحدثين في تقرير عقيدة السلف والدفاع عنها
د/يحيى بن عبد الله الأسدي
- 5- ظواهر صوتية في العامية العمانية
د/عبد العزيز الصيغ
- 6- الاتجاهات والمعتقدات نحو المرض النفسي
د/عمر مبارك بامير
- 7- آثار انضمام المملكة العربية السعودية لمنظمة التجارة العالمية على قطاع الخدمات
د/محمد عمر باطويح ، د/حمد صالح الطاسان ، د/فضل عبد الكريم محمد
- 8- بلاغة القرآن وأدابه الرفيعة في حديثه عن الخصوصيات الزوجية
د/رشيد منصور الصباحي
- 9- دور التعليم العالي في خدمة المجتمع في الجمهورية اليمنية
د/ شرف أحمد الشهاري ، د/زيد علي الغيلي
- 10- الاستثمار في رأس المال البشري من منظور مالي
د/عبد الله علي القرشي
- 11- تعلق القبور بشفاعة الأولياء من الأموات (عرض ونقد)
أ/غالب بن غازي الحربي



جامعة الأندلس
للعلوم والتكنولوجيا
Alandalus University For Science & Technology

AUST

www.andalusuniv.net

مجلة الأندلس للعلوم الاجتماعية والتطبيقية

العدد العاشر - المجلد الخامس - نوفمبر ٢٠١٣م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



جامعة الأندلس
للعلوم والتقنية
Alandalus University For Science & Technology

AUST

مجلة الأندلس

للعلوم الاجتماعية والتطبيقية

علمية محكمة دورية

العدد العاشر - المجلد الخامس - نوفمبر ٢٠١٣م

عناوين المجلة

جامعة الأندلس للعلوم والتقنية

الجمهورية اليمنية - صنعاء

ص.ب: ٣٧٤٤٤ هاتف: ٠٠٩٦٧١٦٧٥٥٦٧ فاكس: ٠٠٩٦٧١٦٧٥٨٨٥

بريد الكتروني:

magazine@andalusuniv.net

على الإنترنت:

www.andalusuniv.net

هيئة تحرير المجلة :

رئيس التحرير:

أ.د. أحمد محمد برقعان

مدير التحرير:

أ.ك. عبد القادر أحمد الحوثري

سكرتير المجلة :

أ.فيصل محمد الدعيس

أعضاء هيئة التحرير :

د. عبدالله عبدالرحمن بكير

د. فكري محمد الحميدي

د. علي مقبول الأهدل

التصميم والإخراج :

م. بكار يحي مصفر

القواعد العامة وإجراءات النشر

أولاً: القواعد العامة:

- تنشر البحوث باللغتين العربية والإنجليزية، في مختلف فروع المعرفة الإنسانية والتي تتوافر فيها الشروط الآتية:
 - (١) أن يكون البحث أصيلاً وتتوافر فيه شروط البحث العلمي المعتمد على المنهجية المتعارف عليها في كتابة البحوث العلمية.
 - (٢) أن يكون البحث مكتوباً بلغة سليمة مراعيًا دقة الحروف والأشكال - إن وجدت - ومطبوعاً على نظام (IBM) ببنت (١٦) وبخط (Traditional Arabic) وألا يزيد عدد صفحات البحث عن ٣٠ صفحة متضمنة الهوامش والمراجع.
 - (٣) أن يكون البحث ملتزماً بدقة التوثيق وحسن استخدام المصادر والمراجع وتبويبها كالاتي: تكتب كنية المؤلف (اسم العائلة) ثم الأسماء الأخرى للمؤلف ويمكن الاكتفاء بالحروف التي تشير إلى أسمائه، ثم يكتب أسماء المؤلفين المشتركين معه - إن وجدوا - يلي ذلك سنة النشر (ثم عنوان البحث واسم المجلة ومكان النشر، المجلد وعدد الصفحات).
 - (٤) ألا يكون البحث قد سبق نشره أو قدم للنشر في أي جهة أخرى.

ثانياً: إجراءات النشر:

- ترسل نسختان من البحث على ورق A4 على أن تكون المادة مطبوعة بمسافات مزدوجة بين الأسطر وعلى وجه واحد، ومحفوظة على CD متوافق مع أجهزة (IBM) وذلك إلى عنوان المجلة بحيث يظهر في غلاف البحث اسم الباحث ولقبه العلمي ومكان عمله.
- يرفق بالبحث ملخص للبحث في حدود (100 - 150 كلمة) باللغة العربية أو باللغة الإنجليزية.
- يخطر الباحث بقرار صلاحية البحث من عدمه خلال شهرين على الأكثر من تاريخ استلام البحث، وبموعد النشر، ورقم العدد الذي سينشر فيه البحث.
- في حالة ورود ملاحظات من المحكمين ترسل الملاحظات إلى الباحث لإجراء التعديلات اللازمة، على أن تعاد خلال مدة أقصاها شهر.
- للمجلة الحق في إعادة البحث إلى صاحبه إن وجدت حاجة لبعض التعديلات عليه.
- تحتفظ المجلة بحقها في إخراج البحث وإبراز عناوينه بما يتناسب وأسلوبها في النشر.
- يعلم صاحب البحث بقبول عمله للنشر.
- تلتزم المجلة بإرسال نسخة من العدد إلى صاحب البحث المنشور بعد طبع العدد.
- تؤول جميع حقوق النشر للمجلة.

الفهرس

الافتتاحية ٨

البحوث باللغة العربية :

- ١- القيادة التحويلية لدى رؤساء الأقسام في بعض الجامعات السعودية دراسة ميدانية د. أحمد محمد برقعان ، د. صلاح عبدالله محمد حسن ، د. عبد الحكيم رضوان سعيد ١٠
- ٢- العقيدة الإسلامية ودورها في بناء الحضارة الإنسانية د. ماجد محمد علي احمد شباله ٨١
- ٣- دلالة المفهوم عند الزيدية د. عزيز محمد علي الخطري ١٢٨
- ٤- جهود المحدثين في تقرير عقيدة السلف والدفاع عنها د. يحي بن عبدالله الاسدي ١٩٥
- ٥- ظواهر صوتية في العامية العمانية د. عبدالعزيز الصيغ ٢٣٨
- ٦- الاتجاهات والمعتقدات نحو المرض النفسي د. عمر مبارك بامير ٢٨٨
- ٧- آثار انضمام المملكة العربية السعودية لمنظمة التجارة العالمية على قطاع الخدمات د. محمد عمر باطويح ، د. حمد صالح الطاسان ، د. فضل عبدالكريم محمد ٣٢٧
- ٨- بلاغة القرآن وأدابه الرفيعة في حديثه عن الخصوصيات الزوجية والممارسات الجنسية د. رشيد منصور الصباحي ٤٠٢
- ٩- دور التعليم العالي في خدمة المجتمع في الجمهورية اليمنية د. شرف أحمد الشهاري ، د. زيد علي الغيلي ٤٤٠
- ١٠- الاستثمار في رأس المال البشري من منظور مالي د. عبدالله علي القرشي ٤٦٨
- ١١- تعلق القبورية بشفاعة الاولياء من الاموات (عرض ونقد) .. ا. غالب بن غازي الحربي ٤٩١

البحوث باللغة الإنجليزية :

- ١- Breast cancer in Hadhramout Sector – Yemen Ahmed M. Badheeb, MD
Abdulla S. Alyamani, MD, PhD
Abubakir A. Ba-amir, MD 5

الافتتاحية

بقلم أ.د. أحمد محمد يرقان

رئيس التحرير- رئيس جامعة الأندلس

يأتي إصدارنا لهذا العدد ولوطن مثقل بالعديد من المستجدات التي رمت بظلالها على العديد من المجالات السياسية والاقتصادية والتعليمية سلباً وإيجاباً ، لعل من أبرز سلبياتها ذلك التراجع الكبير الذي شهده الجانب الخدمي وتجلي في معاناة الناس في الحصول على كثير من الخدمات الأساسية التي فيها قوام معاشهم كترار انقطاعات التيار الكهربائي وعدم استمرار توفر المحروقات ، فضلاً عن التدهور الذي يشهده الوضع الأمني في الوطن عموماً وفي العاصمة صنعاء على وجه الخصوص ، وكل ذلك يعكس نفسه سلباً على مختلف الأنشطة الحياتية للمواطنين ومن بينها المؤسسات التعليمية ومن أبرزها الجامعات بما ألحق أضراراً معنوية ومادية بكافة منتسبيها وعلى رأسهم الطلاب وتعطيل النشاط العلمي والبحثي بها .

لكن لعل في ذلك درساً يكون مصدر إلهامنا آليات التغيير المشروع والسعي الجاد لحل مشكلاتنا الهيكلية في كافة المجالات ، ولاسيما مع حضور الاهتمام الدولي والإقليمي لما يعتمل في الوطن والمتمثل في المبادرة الخليجية وما تمحض عنها من مؤتمر عام للحوار الوطني ، باعتبار هذين الحدثين يكونان شريان الحياة للوطن، ولعل هذه هي الإيجابيات التي يمكن استنباطها في ظل هذه الأحداث والمتغيرات التي مر بها وطننا في هذه المرحلة المشرفة على متغيرات قادمة في كل الأصعدة على مستوى الساحة الوطنية .

لكن ما نريد هنا أن نؤكد به باستمرار هو أن المؤسسات التعليمية وعلى رأسها الجامعات الوطنية حكومية منها أو أهلية ستظل هي العقل المفكر والأداة العلمية والملاذ الآمن لإعادة دراسة وتحليل كل المشكلات التي نواجهها في مختلف الأصعدة ، ثم الخروج برؤية علمية وعملية لحلها بما يحقق أهداف التنمية ويحقق الرفاهية للإنسان باعتباره أداة التنمية وغايتها .

إننا نأمل من صنّاع القرار أن يستمعوا لما يرفع لهم من نداء من أجل أن يعيدوا للجامعات وللمراكز البحثية مكانتها المرموقة ورسالتها المنشودة كي تؤدي دورها الذي هيئت له بكل كفاءة واقتدار، خصوصاً عند حلول الشدائد والأزمات حيث الحاجة ماسة للاستضاءة بعلوم ورؤى رجال العلم والفكر، إذ إن العلماء والمفكرين هم الأقدار على حل مثل هذه المعضلات بعيداً عن أي حسابات تغلب مصلحة الأفراد على مصلحة الوطن والأمة .

وستظل جامعتنا جامعة الأندلس للعلوم والتقنية واحدة من الجامعات التي تحمل على كاهلها مثل هذه القيم والمعاني النبيلة، وهي من خلال منبرها العلمي والبحثي (مجلة الأندلس للعلوم الاجتماعية والتطبيقية) تسعى إلى توسيع فرصة قراءتها وتداول محتوياتها من خلال اعتماد نظام النشر الإلكتروني الموسّع للإصدارات المتتالية على الموقع الإلكتروني للجامعة، لكي يسهل على الأكاديميين وجميع المهتمين بالمجال البحثي متابعة جديد الأبحاث المنشورة عبر هذه النافذة، وقد جرى اعتماد آلية التواصل بالمجال البحثي متابعة جديد الأبحاث المنشورة عبر هذه النافذة، وقد جرى اعتماد آلية التواصل والتراسل وتحكيم الأبحاث إلكترونياً بما يبسط الإجراءات ويختصر الزمن من أجل إتاحة الفرصة لنشر أكبر قدر من الأبحاث والدراسات العلمية، والجامعة تطمح في إصدار المجلة بصورة تخصصية مستقلة بحيث يغطي عدد أبحاث ودراسات في المجال العلمي والتطبيقي وعدد دراسات وأبحاث العلوم في المجال الأدبي والاجتماعي بما يحقق توسعاً أفقياً ورأسياً في مجال نشر الأبحاث والدراسات . ويشمل هذا العدد باقية من القضايا الحيوية والبحوث والدراسات المتخصصة من المجالين العلمي التطبيقي والأدبي الاجتماعي، والجامعة من خلال مجلتها تحرص دوماً على استقطاب الباحثين المتميزين وتوفير منبر علمي لهم يشجعهم على المزيد من الإنتاج العلمي والبحثي باعتباره إحدى المؤشرات الاستراتيجية لنهضة الأمة وتقدمها .

ولايسعنا إلا أن نشكر كل تلك الأقسام والأيدى التي لم تأل جهداً حتى ظهر هذا العدد إلى النور ..

متمنين لوطننا ولكل مؤسساتنا التعليمية مزيداً من التقدم والازدهار .

القيادة التحويلية لدى رؤساء الأقسام في بعض الجامعات السعودية دراسة ميدانية

الدكتور/ أحمد محمد برقعان

أستاذ مشارك بقسم التربية - جامعة حضرموت

الدكتور/ صلاح عبدالله محمد حسن

أستاذ مساعد بقسم أصول التربية - كلية التربية - جامعة أسيوط

الدكتور/ عبد الحكيم رضوان سعيد

أستاذ مساعد بقسم أصول التربية - كلية التربية - جامعة قناة السويس



جامعة الأندلس
للعلوم والتقنية

Alandalus University For Science & Technology

(AUST)

القيادة التحويلية لدى رؤساء الأقسام في بعض الجامعات السعودية دراسة ميدانية

مقدمة:

إن نجاح الجامعة في تحقيق أهدافها يتوقف على وضوح رؤيتها لفلسفة التعليم وأهدافه وتطوير مناهجه وأساليبه، وما يحتاجه من إمكانات مادية وبشرية، ويقف على ربوة ذلك كله توفر القيادة الواعية لإدارة العملية التعليمية وحسن التخطيط لها وتنفيذ خططها بدءاً من رئيس القسم حتى رئيس الجامعة.

ويُعد رئيس القسم أحد أهم القيادات الجامعية الذي يمارس دوراً فعالاً في تطوير الأقسام الأكاديمية على مستوى مؤسسات التعليم العالي، كما أنه يتحمل عبء الإشراف على القسم ويتولى مهامه العلمية والبحثية والتدريسية، ويعتبر رئيس القسم ممثلاً للقسم في مختلف المسؤوليات والمهام الإدارية والمالية. وتشير بعض الدراسات إلى أن واقع تكوين رؤساء الأقسام يكتنفه العديد من المشكلات، منها ما يلي:-

١. عدم وجود ارتباطات بين أداء رؤساء الأقسام لمسئولياتهم المختلفة والإنتاجية الأكاديمية لأعضاء هيئة التدريس.^(١)
٢. تدني ممارسة القيادات الأكاديمية (عمداء الكليات ورؤساء الأقسام) في الجامعات السعودية للقيادة التحويلية، وكذلك عدم تمتعهم بخصائص القائد التحويلي بدرجة مرضية.^(٢)
٣. أن رؤساء الأقسام يقصرون في أداء مسئولياتهم العلمية والتعليمية وكذلك في أداء مسئولياتهم في مجال خدمة المجتمع.^(٣)

(١) (شيجة، ١٩٩٤)

(٢) (الغامدي، ١٤٢١هـ)

(٣) (الدهشان: السيسي، ٢٠٠٥)

٤. تدني مستوي العلاقات الإنسانية بين رؤساء الأقسام وبين أعضاء القسم، فقد أوضح (Seedorf, 1992) أنه عندما يتولى رئيس القسم يفاجأ بحجم الوقت المطلوب قضاؤه مع الأعضاء أو العاملين بالقسم، فهؤلاء بحاجة لقضاء وقت مع الرئيس والحديث معه، إضافة إلى دوره في الإشراف على العاملين بالقسم الذي يستغرق وقتاً.
٥. عدم القدرة على إرضاء كل الأطراف المعنية بمهام القسم، وصعوبة التعامل مع الإدارة المركزية، وصعوبة توفير الموارد الخاصة للقسم. (Gmelch, 1999)
٦. الاستغراق في النواحي الإدارية للقسم في نظير تجاهل تطوير مستوي الأداء التدريسي والتعليمي وخدمة المجتمع لأعضاء القسم.
٧. قلة الإنتاجية البحثية للأعضاء؛ حيث إن قيام رؤساء الأقسام بطرح مجموعة من الأبحاث العلمية على أعضاء الأقسام يعد من الضروريات الأساسية في الجامعات، إلا أن الكثير من رؤساء الأقسام لا يستطيعون تحقيق التوافق بين أعمالهم الإدارية، وطرح الأبحاث، وخاصة الأبحاث التي تحل قضايا ومشكلات المجتمع.
٨. وأشار كل من (Jenkins, 2005)، (Boice, 1990) إلى أن أكثر الصعوبات التي يعانيها رؤساء الأقسام في العلاقات الإنسانية وجود بعض الزملاء ذوي التعامل الصعب في القسم، حيث إن سمات هؤلاء الأعضاء الزملاء تتمثل في أنهم يجادلون بحدة في الاجتماعات، وغير متعاونين ومنعزلون اجتماعياً عن باقي الأعضاء ويشيرون الخلافات مع الطلبة والزملاء ومهما فعلت معهم لا يحبونك.
٩. افتقاد رؤساء الأقسام للأدوار القيادية التحويلية التي ينبغي أن تتمثل في مراعاتهم للاحتياجات الفردية للعاملين معهم والعمل على تلبيتها، وبناء رؤية عامة وثقافة مشتركة للأقسام ونمذجة السلوك القيادي التعاوني المرن،

والتحفيز الذهني أو الاستشارة العقلية، وتوقعاتهم لمستويات عليا من الأداء، وفهمهم لعملية التغير وآلياته.

ومن الأساليب الحديثة التي تسهم في تطوير أداء رئيس القسم على نحو يساعد فيه كل من الرئيس والمرؤوسين للوصول إلى أعلى مستوى من المبادئ والتحفيز، أسلوب القيادة التحويلية transformational leadership.

ويقوم هذا الأسلوب على أساس وجود علاقة مشتركة لكل من رئيس القسم وأعضاء هيئة التدريس والعاملين في القسم، فالقائد التحويلي المتمثل في رئيس القسم له دور تعليمي مهم ولديه قدرة على توحيد الأعضاء والعاملين ذوي الاهتمامات العلمية والبحثية والإدارية من خلال العمل على تحقيق أهداف عليا تؤدي إلى إحداث تغيرات مؤثرة وذو مغزى ولها طابع تحويلي في القسم. وقد تتمثل هذه التغيرات في التعاون المشترك في صنع القرار بما يخص القسم، "كما يمكن أن تتمثل في تطوير أداء عضو هيئة التدريس وتوجيهه على البحث والاطلاع والجودة في التدريس والتعليم والمتابعة والتحسين المستمر" (Fertino, 1996).

وفي دراسة قام بها (سعادة، ٢٠٠٣م) أكد فيها على أهمية دور رئيس القسم في تنمية الأعضاء وبيّن ذلك الدور من خلال قيام رئيس القسم بمساعدة الأعضاء في حل مشكلاتهم وتقليل الصراعات بينهم وإحاطة الأعضاء بنوعية من المؤتمرات العربية والدولية وما يتعلق بها، وأشار إلى أن هذا الدور التنموي للأعضاء يرتبط بالإنتاجية الأكاديمية لهؤلاء الأعضاء سواء عدد البحوث أو المنشورات والإسهامات المختلفة لهم.

ومن ثم فإن القيادة التحويلية لرئيس القسم تشكل محورا مهماً في إدارته للقسم حيث تتمركز هذه القيادة في مختلف النشاطات من "توجيه الجهود نحو تحقيق أهداف محددة في القسم إلى هيكلية تنظيمية ورؤية ثقافية مشتركة

بين أعضاء القسم^(٤)، وكل هذه النشاطات التحويلية تتوقف على مقدرة ومهارة من يدير أو يقود القسم^(٥) مع مراعاته للاحتياجات الفردية للعاملين معه والعمل على تلبيتها، والتحفيز الذهني أو الاستثارة العقلية، وتوقعاته لمستويات عليا من الأداء، وفهمه لعملية التغير وآلياته.

مشكلة الدراسة وأسئلتها:

في ضوء ما سبق نلاحظ أن هناك تدني في الكفاءة الإدارية لرؤساء الأقسام، وافتقارهم للإعداد والخبرة الإدارية؛ على المستوى العربي والسعودي أيضاً؛ حيث إن كثيراً ممن يتولى هذا العمل يبدأون عملهم دون رؤية واضحة لمجال الإدارة ودون إعداد مسبق أو خبرة إدارية بهذا المنصب الجديد، ناهيك عن قلة إلمامهم بالأساليب الإدارية الحديثة، والتي منها أسلوب القيادة التحويلية، وما تتطلبه من مهارات وأدوار ينبغي على رؤساء الأقسام القيام بها؛ حتى يسهموا في تطوير أقسامهم الأكاديمية.

وحيث إن تطوير القسم الأكاديمي يرتبط إيجابياً بأداء رئيس القسم كقائد تحويلي لأعضائه وكذلك بأداء الأعضاء والتزامهم بتوجيهات رئيسهم وتعاونهم على تحقيق أهداف القسم، فإن هذا الأداء يرتبط سلبياً بالغياب عن العمل؛ لذلك فمن اللازم دراسة هذه الأنماط من القيادة ومدى توافر سماتها لدى رؤساء الأقسام في بعض الجامعات السعودية؛ وهذا ما ستقوم به هذه الدراسة.

وتأسيساً على ما سبق يمكن صياغة مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي:

- ما مدى توافر مهارات القيادة التحويلية عند رؤساء الأقسام في بعض الجامعات السعودية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس؟
- ويتفرع هذا السؤال إلى الأسئلة الفرعية التالية:-

(٤) (Cray, 1996)

(٥) (Yair, 2000, 602)

- ١) ما طبيعة القيادة التحويلية؟
- ٢) ما أهم سمات وأدوار رؤساء الأقسام كقادة تحويليين؟
- ٣) إلى أي مدى يستخدم رؤساء الأقسام في بعض الجامعات السعودية مهارات القيادة التحويلية في إدارة أقسامهم؟
- ٤) ما متطلبات تطبيق رئيس القسم لأدواره القيادية التحويلية في بعض الجامعات السعودية، فيما يرتبط ببناء رؤية عامة وثقافة مشتركة للقسم؟
- ٥) ما متطلبات تطبيق رئيس القسم لأدواره القيادية التحويلية في بعض الجامعات السعودية، فيما يرتبط بنمذجة السلوك؟
- ٦) ما متطلبات تطبيق رئيس القسم لأدواره القيادية التحويلية في بعض الجامعات السعودية، فيما يرتبط بمراعاة الاحتياجات الفردية للعاملين معه والعمل على تلبيتها؟
- ٧) ما متطلبات تطبيق رئيس القسم لأدواره القيادية التحويلية في بعض الجامعات السعودية، فيما يرتبط بالتحفيز الذهني أو الاستثارة العقلية للعاملين بالقسم؟
- ٨) ما متطلبات تطبيق رئيس القسم لأدواره القيادية التحويلية في بعض الجامعات السعودية، فيما يرتبط بتوقع مستويات عليا من الأداء؟
- ٩) ما متطلبات تطبيق رئيس القسم لأدواره القيادية التحويلية في بعض الجامعات السعودية، فيما يرتبط بفهم رئيس القسم لعملية التغيير وآلياته؟
- ١٠) ما متطلبات تطبيق رئيس القسم لأدواره القيادية التحويلية في بعض الجامعات السعودية، فيما يرتبط بالقيم التنظيمية المرتبطة بقيادة التغيير؟
- ١١) ما التصور المقترح لتطوير أداء رؤساء الأقسام في بعض الجامعات السعودية باستخدام أسلوب القيادة التحويلية ومن خلال نتائج الدراسة؟

أهداف الدراسة:-

سعت الدراسة تحقيق الأهداف الآتية:-

- (١) تعرف طبيعة القيادة التحويلية ومفهومها، وأهدافها، وأنماطها، وأبعادها واستراتيجيتها.
- (٢) تعرف أهم سمات وأدوار رؤساء الأقسام كقادة تحويليين.
- (٣) تعرف آراء أعضاء هيئة التدريس في مدى استخدام رؤساء الأقسام في بعض الجامعات السعودية لمهارات القيادة التحويلية في إدارة أقسامهم.
- (٤) تعرف متطلبات تطبيق رؤساء الأقسام لأدوارهم القيادية التحويلية في بعض الجامعات السعودية فيما يرتبط بأبعاد القيادة التحويلية.
- (٥) تقديم تصور مقترح لتطوير أداء رؤساء الأقسام في بعض الجامعات السعودية في ضوء أبعاد القيادة التحويلية ومن خلال نتائج لدراسة.

أهمية الدراسة:-

- (١) يمكن أن تسهم الدراسة في إثراء المكتبة العربية بما تتضمنه من معلومات وبيانات عن استخدام أحد الأساليب الجديدة للقيادة في المجال التربوي.
- (٢) قد تفيد الدراسة في الارتقاء بمهارات رئيس القسم وتطوير ذاته وحل الكثير من مشكلات قسمه.
- (٣) يمكن أن تفيد هذه الدراسة في الوقوف على المهارات الفعلية التي ينبغي لرؤساء الأقسام الإلمام بها ومراعاتها لقيادة أقسامهم على نحو علمي يرتقي بالأعضاء ويحقق أهدافهم.
- (٤) كما يمكن أن تفيد الدراسة في تحديد بعض المهارات القيادية التي تفيد في إعداد حقيبة تدريبية لرؤساء الأقسام أو المرشحين لرئاسة الأقسام بالجامعات العربية والسعودية.

٥) تقدم الدراسة معلومات دقيقة عن واقع ومستوى رؤساء الأقسام في بعض الجامعات السعودية إلى المستويات العليا لاتخاذ قرارات مناسبة حيال النهوض بهذا المستوى وتطويره.

مصطلحات الدراسة :

- **القيادة التحويلية** : تعرف بأنها "القدرة على التأثير في قيم واتجاهات ومعتقدات وسلوكيات الآخرين من خلال العمل معهم وبهم لإنجاز مهمة وغرض للكلية"^(٦).
- ويعرفها الباحثون إجرائياً بأنها ممارسات رئيس القسم القائمة على بناء رؤية عامة وثقافة مشتركة للقسم، ونمذجة السلوك (قوة الشخصية)، ومراعاته للاحتياجات الفردية للعاملين معه والعمل على تلبيتها، وتحفيزه الذهني أو الاستثارة العقلية للعاملين بالقسم، وتوقعه لمستويات عليا من الأداء، وفهمه لعمليات التغيير وآلياته، ومدى إمكاناته في تحقيق القيم المرتبطة بقيادة التغيير ورفع المستوى العلمي للقسم والعاملين معه.
- **رئيس القسم** : الشخص المتخصص في جانب من جوانب المعرفة الإنسانية ويغلب عليه الاستقلال والفردية، وهو قائد تربوي يعمل بطريقة ديمقراطية مع جماعة صغيرة من الأعضاء ويحرص على تنمية ولائه للقسم وزيادة إنتاجيته الأكاديمية^(٧).
- ويعرفه الباحثون إجرائياً بأنه: الشخص المتخصص في جانب من جوانب المعرفة الإنسانية بإحدى الجامعات السعودية والذي يقود جماعة من أعضاء هيئة التدريس ويحرص على ولائه للقسم الأكاديمي وزيادة إنتاجيته الأكاديمية.

(٦) (Rouèche et al., 1989, 11)

(٧) (clark,1987)

دراسات سابقة:-**أولاً: دراسات ترتبط بالقيادة التحويلية:****١. دراسة (الهاللي، ٢٠٠١):-**

هدفت الدراسة تعرف معنى القيادة التحويلية والقيادة الإجرائية وكيفية توظيفهما في المجال التربوي، وقد استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي، واستخدم استبانة لدراسة سلوكيات القيادة الإجرائية والقيادة التحويلية لدى عمداء ورؤساء الأقسام في بعض الكليات الجامعية بجامعة المنصورة وطنطا وعين شمس.

وقد اتضح من خلال الدراسة أن عمداء الكليات كانوا تحويليين في أنماطهم القيادية وأن إدراكاتهم في معظم الأحيان تشير إلى أنهم يتصرفون بطرق تسعى إلى نقل وتحويل بينات العمل للتوفيق بين المثل والطموحات والأهداف الخاصة بهم وبأتباعهم، كما أوضحت الدراسة أن سبل العمداء ورؤساء الأقسام وأعضاء هيئة التدريس في تحقيق ذلك كانت سلوكيات القيادة التحويلية.

واتضح من خلال الدراسة الميدانية أن العمداء ورؤساء الأقسام وأعضاء هيئة التدريس كانوا ديمقراطيين من حيث نمط القيادة الذي يتبعونه في المواقف التي تتطلب قرارات حساسة، كما أوضحت الدراسة أن رؤساء الأقسام العلمية الذين شملتهم الدراسة كانوا تحويليين أكثر من كونهم إجرائيين في أنماطهم القيادية، وكان السلوك التحويلي الذي استفادوا منه بدرجة كبيرة هو "الدافعية المستوحاة".

٢. دراسة (مصطفى، ٢٠٠٢):-

هدفت الدراسة تعرف المتطلبات اللازمة لأسلوب القيادة التحويلية المدرسية باعتبارها مدخلا للتغيير، والتوصل لتصور مقترح لتطوير أداء مدير المدرسة في مصر على ضوء أسلوب القيادة التحويلية.

واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي للتوصل إلى التصور المقترح لتطوير أداء مدير المدرسة في مصر على ضوء أسلوب القيادة التحويلية، والذي تضمن خمسة محاور تناولت: الاعتبارات والمتطلبات الخاصة بالسمات والقيم المهمة التي يجب أن يحظى بها مديرو المدرسة اليوم كقادة تحويليين لكي يقودوا التغيير، والمتطلبات الخاصة باعتبار المديرين كعملاء للتغيير، وكذلك المتطلبات الخاصة باعتبار المديرين كإداريين، ثم الاعتبارات والمتطلبات الخاصة بمسئوليات المديرين في تأكيد التعليم الشامل للمجتمع المدرسي، إضافة إلى الاعتبارات الخاصة بسلوكيات المديرين كقادة تحويليين.

٣. دراسة (Bolkan; Goodboy, 2009) :

هدفت الدراسة بحث العلاقات بين أبعاد القيادة التحويلية (كالكاريزما، والاعتبار الفردي، والاستثارة العقلية) ومخرجات التعليم الجامعي (كالتعلم العقلي، والتعلم العاطفي، وحالة الدافعية، وإشباع الاتصال)، ومشاركة الطالب، وإدراكات الطالب لمصداقية المعلم (كالكفاءة، والجدارة بالثقة، وحسن النية). وتشير النتائج إلى أن المكونات الثلاثة للقيادة التحويلية التدريسية كلها ارتبطت بدرجة متوسطة إلى قوية بمخرجات التعليم الجامعي للطلاب.

٤. دراسة (CHUNG-KAI; CHIA-HUNG, 2009) :

هدفت الدراسة توظيف الهوية الاجتماعية Social-identity ونظرية التغيير الاجتماعي social-exchange theory في بحث دور علاقات القائد وعلاقات زميل العمل leader-member relationships في تفسير العلاقة بين القيادة التحويلية وبين أداء المهمة/ سلوك المواطنة التنظيمية، وتم تجميع بيانات من ١٠٤٠ معلم في ٥٢ مدرسة ابتدائية في تايوان.

وأظهرت النتائج أن أربعة أبعاد من القيادة التحويلية لها آثار إيجابية على علاقات القائد، غير أن الاعتبار الفردي والدافعية المهمة فقط يؤثران بصورة إيجابية على علاقات زميل العمل. كما وجد أن علاقات القائد تعد متنبأً فعالاً

لأداء المهمة عن علاقات زميل العمل ، بينما تعد علاقات زميل العمل متنبهاً أفضل- عن علاقات القائد- لسلوك المواطنة التنظيمية.
 ٥. دراسة (Munir; Nielsen; Gomes, 2010):

هدفت الدراسة تعرف العلاقة بين القيادة التحويلية وبين الأعراض الاكتئابية لدى الموظفين في الرعاية الصحية. وتم قياس القيادة التحويلية باستخدام مقياس القيادة التحويلية العالمي ، كما تم قياس الاكتئاب باستخدام قائمة الاكتئاب الأساسية.

وأظهرت النتائج ارتباط القيادة التحويلية بصورة سلبية بالأعراض الاكتئابية عند مستوى دلالة أقل من ٠.٠١، وكذلك بمسح المتابعة عند مستوى دلالة أقل من ٠.٠١ أيضاً، ومن المتوقع ارتباطها بالأعراض الاكتئابية عند مستوى دلالة أقل من ٠.٠٥؛ مما يعكس احتمالية إسهام قادة التحويليين في حماية موظفيهم من تطوير اكتئاب أساسي.

٦. دراسة (Ali; Baber; Bangash, 2011):

هدفت الدراسة تقويم العلاقة بين أنماط القيادة وانتماء الأفراد للمؤسسة التي يعملون بها، وقد طبق الباحثون استبانة القيادة متعددة العوامل ذات الصيغة القصيرة (Multifactor Leadership Questionnaire- Short Form) على منسوبي شركات أدوية وطنية وعالمية في باكستان وذلك خلال جولتين من التطبيق.

وقد أوضحت معاملات بيرسون ارتباطاً دالاً بين نمطي القيادة (التحويلية والإجرائية) وبين الانتماء للمؤسسة؛ حيث كان تأثير القيادة الإجرائية ٢٣٪، وبلغ تأثير القيادة التحويلية ٤٦٪.

٧. دراسة (Birasnav; Rangnekar; Dalpati, 2011):

هدفت هذه الدراسة بحث العلاقة البيئية بين القيادة التحويلية وإدارة المعرفة knowledge management وبين فوائد او إبداع رأس المال البشري human capital creation or benefits المدرك بواسطة الموظف.

وقد أظهرت النتائج أن القادة التحويليين لديهم احتمال للتأثير على إدراكات موظفيهم لفوائد رأس المال البشري، كما أن لديهم الاحتمال الأكبر لزيادة هذه الفوائد من خلال تضمينها في عملية إدارة المعرفة، وتأسيس ثقافة تنظيمية، وتشجيع التواصل بين الموظفين.

٨. دراسة (Wang; Zhu, 2011):

سعى الباحثان في هذه الدراسة إلى بحث العلاقة بين القيادة التحويلية وبين الهوية المبدعة creative identity وبين الإبداع creativity وذلك من منظور متعدد المستويات (فرد، مجموعة)، وقد وجد الباحثان أن القيادة التحويلية ذات المستوى الفردي قد أثرت بدرجة إيجابية على الإبداع الفردي للموظفين بصورة غير مباشرة من خلال الهوية المبدعة الفردية. وفي المقابل وجد أن الهوية المبدعة للمجموعة قد توسطت العلاقة بين القيادة التحويلية - على مستوى المجموعة - وبين إبداع المجموعة. وكذلك وجد أن الهوية المبدعة للمجموعة توسطت العلاقة بين القيادة التحويلية - على مستوى المجموعة - وبين الهوية المبدعة الفردية.

ثانياً: دراسات ترتبط برئيس القسم وأدواره :

٢. دراسة (الدهشان، السيبي، ٢٠٠٥) :-

هدفت الدراسة تعرف آراء أعضاء هيئة التدريس حول درجة أداء رؤساء الأقسام لوظائفهم ومسئولياتهم المهنية، وعلاقة ذلك بدرجة رضا أعضاء هيئة التدريس عن عملهم.

وطبق الباحثان استبانة على عينة من أعضاء هيئة التدريس بجامعة المنوفية، تحتوي على أربعة مجالات لمسئوليات رئيس القسم هي: المسئوليات العلمية والتعليمية، المسئوليات الإدارية، المسئوليات السياسية والاجتماعية، والمسئوليات الخاصة بخدمة المجتمع. كما تحتوي على مجال خاص برضا أعضاء هيئة التدريس عن عملهم.

وأظهرت نتائج الدراسة وجود علاقة موجبة ذات دلالة إحصائية بين أداء رؤساء الأقسام لجوانب مسئولياتهم المهنية وبين رضا أعضاء هيئة التدريس عن عملهم. كما بينت النتائج أن رؤساء الأقسام يؤدون مسئولياتهم الإدارية، ومسئولياتهم الاجتماعية والسياسية، من وجهة نظر أفراد العينة من أعضاء هيئة التدريس وأنهم يقصرون في أداء مسئولياتهم العلمية والتعليمية وكذلك في أداء مسئولياتهم في مجال خدمة المجتمع.

وقد أوصت الدراسة بضرورة إكساب رؤساء الأقسام المعارف والاتجاهات والمهارات اللازمة لأداء أدوارهم ، وتعريف رؤساء الأقسام بالأساليب الجديدة في مجال التنظيم والإدارة وتقويم الأداء والتنمية المهنية لأعضاء هيئة التدريس. وكذلك إجراء مزيد من الدراسات التي يمكن أن تسهم في ترقية وزيادة فهم رؤساء الأقسام لأدوارهم والوقوف على مدى كفاءتهم في أداء مسئولياتهم ودراسة العلاقة بين أداء هذه المسئوليات ومتغيرات أخرى غير متغير الرضا.

٣. دراسة (الحري، ٢٠٠٧):-

هدفت هذه الدراسة تعرف الاتجاهات الحديثة في مجال التنمية المهنية لإعداد واختيار القيادات التربوية لمدرسة المستقبل بدول الخليج العربي، والتوصل إلى تصور مستقبلي يمكن من خلاله تفعيل التنمية المهنية لإعداد القيادات التربوية لمدرسة المستقبل بدول الخليج العربي في ضوء القيادة التربوية الحديثة. واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي كما استعان بأسلوب دلفي في دراسته، وقدم الباحث نموذجاً للتصور المقترح لتطوير التنمية المهنية للقيادات التربوية المدرسية لقيادة مدرسة المستقبل بدول الأعضاء في ضوء القيادة التحويلية، والذي يعمل ضمن وفق أربعة محاور هي: النية والحوار والحدث والدليل. كما ينبغي أن يراعي الاعتبارات الآتية: الاعتبارات والمتطلبات الخاصة بالسماح والقيم المهمة التي يجب أن يحظى بها مدير مدرسة المستقبل، والاعتبارات والمتطلبات الخاصة باعتبار القائد التربوي كعميل للتغيير، والاعتبارات والمتطلبات الخاصة باعتبار القائد كإداري، والاعتبارات والمتطلبات الخاصة بمسئوليات القائد التربوي، إضافة إلى الاعتبارات الخاصة بسلوكيات المديرين كقادة تحويليين.

تعليق عام على الدراسات السابقة :-

أولاً: محور القيادة التحويلية:-

تتفق الدراسات السابقة مع البحث الحالي في تناولها محور القيادة التحويلية ، حيث تم تناوله في عدة مجالات وذلك كما يلي:-

أولاً: مجال التعليم المدرسي من حيث بحث متطلباته في المدرسة كدراسة (مصطفى، ٢٠٠٢) وسبل تفعيل التنمية المهنية لإعداد القيادات التربوية لمدرسة المستقبل بدول الخليج في ضوء أسلوب القيادة التحويلية مثل دراسة (الحري، ٢٠٠٧) وكذلك بحث العلاقة بين القائد التحويلي وزميله في

العمل وبين سلوك المواطنة التنظيمية في المدارس الابتدائية مثل دراسة (Chung Kia; Chia Hung, 2009).

ثانياً: مجال التعليم الجامعي فقد بحثت دراسة (الهاللي، ٢٠٠١) سبل استخدام القيادة التحويلية في المجال التربوي وذلك في بعض كليات الجامعات المصرية، وتناولت دراسة (Bolkan; Goodboy, 2009) العلاقة بين القيادة التحويلية وبين مخرجات تعلم الطالب.

ثالثاً: المجال الطبي حيث تناولت دراسة (Munir; Nielsen; Gomes, 2010) العلاقة بين القيادة التحويلية وبين الأعراض الاكتئابية لدى الموظفين في الرعاية الصحية. كما تناولت دراسة (Ali; Baber; Bangash, 2011) تقويم العلاقة بين أنماط القيادة التحويلية وانتماء الموظفين لشركات الأدوية التي يعملون بها في باكستان.

رابعاً: مجال الإبداع، حيث تناولت دراسة (Birasnav; Rangnekar; Dalpati, 2011) بحث العلاقة البنينة بين القيادة التحويلية وإدارة المعرفة وبين فوائد أو إبداع رأس المال البشري المدرك بواسطة الموظف، كما تناولت دراسة (Wang; Zhu, 2011) بحث العلاقة بين القيادة التحويلية والهوية المبدعة وبين إبداع الفرد وإبداع الجماعة.

ثانياً: محور رؤساء الأقسام:-

تناولت دراسة (الدهشان، السيسي، ٢٠٠٥) تعرف آراء أعضاء هيئة التدريس حول درجة أداء رؤساء الأقسام لوظائفهم ومسئولياتهم المهنية، وعلاقة ذلك بدرجة رضا أعضاء هيئة التدريس عن عملهم، كما تناولت دراسة (الحربي، ٢٠٠٧) تعرف الاتجاهات الحديثة في مجال التنمية المهنية لإعداد واختيار القيادات التربوية لمدرسة المستقبل بدول الخليج العربي.

وتختلف الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة من حيث الآتي:-

- يتناول البحث الحالي أهم المهارات والممارسات التي ينبغي على رؤساء الأقسام تطبيقها كقيادة تحويليين للنهوض بأداء زملائهم وبأقسامهم.
- يعرض البحث الحالي للمتطلبات اللازمة لتطبيق رؤساء الأقسام لأسلوب القيادة التحويلية في إدارة أقسامهم.
- يسعى هذا البحث لوضع تصور مقترح لتطوير أداء رؤساء الأقسام بالجامعات العربية على نحو عام والجامعات السعودية على نحو خاص وذلك في ضوء أسلوب القيادة التحويلية.
- وقد أفادت الدراسة الحالية من الدراسات السابقة في تعرف بعض جوانب الإطار النظري وكذلك بعض جوانب بناء أداة الدراسة.

خطوات السير في الدراسة:

وتتمثل في المباحث التالية:-

- المبحث الأول: الإطار العام للدراسة، ويتمثل فيما تم عرضه من المقدمة ومشكلة الدراسة وغيرها من نقاط.
- المبحث الثاني: القيادة التحويلية: مفهومها وأهدافها وأنماطها وأبعادها ، وسمات القائد التحويلي.
- المبحث الثالث: رئيس القسم ومتطلبات تطبيقه لأدواره القيادية التحويلية في الجامعات السعودية.
- المبحث الرابع: الإجراءات المنهجية للدراسة (الدراسة الميدانية).
- المبحث الخامس: نتائج الدراسة وتحليلها.
- المبحث السادس: التصور المقترح لتطوير أداء رؤساء الأقسام في بعض الجامعات السعودية باستخدام القيادة التحويلية.

المبحث الثاني: القيادة التحويلية:-

(١) مفهوم القيادة التحويلية:-

باستقراء نظريات القيادة يلاحظ أنها تطورت خلال السبعين عاماً الماضية من القرن العشرين، بدءاً بنظرية الرجل العظيم "Great Man"، والتي تركز على فكرة القادة البطوليين، ثم نظريات السمات "Trait Theories"، ونظريات السلوك "Behaviourist Theories"، والقيادة الموقفية "Situational Leadership"، ونظرية الطوارئ "Contingency Theory"، ثم القيادة الإجرائية والتحويلية "Transactional and Transformational Leadership" (٨).

وقد كان James MacGregor Burns أول من وضع مفهوم القيادة التحويلية transformational leadership، وذلك خلال كتابه "القيادة" "Leadership". ويرى بيرنز أن القيادة التحويلية تعني "علاقة من التسامي والاستشارة المتبادلة التي تحول الأتباع إلى قادة والتي قد تحول القادة إلى عوامل أخلاقية" (٩). وعرف بيرنز القيادة التحويلية على أنها "عملية يسعى من خلالها القائد والأتباع إلى النهوض بكل منهم الآخر للوصول إلى أعلى مستويات من الدافعية والأخلاق" (١٠).

فالقيادة التحويلية من وجهة نظر بيرنز Burns تحدث حينما ينشغل شخص أو أكثر بالآخرين على نحو يسمح للقادة والأتباع بأن يرفع كل منهم الآخر إلى مستويات عليا من الدافعية والأخلاق. ولذلك فإن بيرنز، في كتاباته عن "القيادة التحويلية"، يستقي من الحركة النفسية الإنسانية افتراض أن القادة التحويليين يشكلون دوافع الأتباع وقيمهم وأهدافهم ويغيرونها ويرفعونها

(*) (Bolden, et al, 2003, 2)

(*) (Bolden, et al., 2003, 14)

(*) (Burns, 1978, 20)

لتحقيق تغيير مهم في العملية؛ حيث افترض أن هناك قوة خاصة كامنة في تحويل القيادة مع القادة "المسلحين بالمبادئ" التي قد تحوّل القادة والأتباع في النهاية إلى أشخاص يلتزمون معاً بالقيم الأخلاقية ونهاية القيم^(١١).

٢) أهداف القيادة التحويلية:-

تسعى القيادة التحويلية إلى النهوض بشعور التابعين وذلك من خلال الاحتمام إلى أفكار وقيم أخلاقية مثل الحرية والعدالة والمساواة والسلام والإنسانية، فسلوك القيادة التحويلية يبدأ من القيم والمعتقدات الشخصية للقائد وليس على تبادل مصالح مع المرؤوسين. فالقائد التحويلي يتحرك في عمله من خلال نظم قيمية راسخة كالعدالة والاستقامة، ويسمى بيرنز Burns تلك القيم بالقيم الداخلية. وهي قيم لا يمكن التفاوض حولها أو تبادلها بين الأفراد. ومن خلال التعبير عن تلك المعايير الشخصية يستطيع القائد التحويلي تحويل أتباعه وتغيير معتقداتهم وأهدافهم^(١٢).

وقد اوضح لثوود Leithwood أهداف القيادة التحويلية فيما يلي :-^(١٣)

١. تطوير وتحقيق ثقافة مهنية لدى فريق العمل، وذلك من خلال تعاون رئيس القسم مع الأعضاء في وضع هدف عام يسعون إلى تحقيقه، ودمج الأعضاء في أنشطة جماعية للإسهام في تدعيم التغيرات الثقافية المرغوبة ونشر قيم وأخلاقيات الكلية.
٢. التنبؤ بتطور أعضاء القسم، من خلال التزامهم برسالة الكلية وقيامهم بأدوار في حل المشكلات غير التقليدية بها، والتأكد من وضوح الأهداف وواقعيتها وطموحتها.

(١١) (Bolden, et al., 2003, p. 15).

(١٢) (Bass, 1985)

(١٣) (Liontos, 1992)

٣. مساعدة الأعضاء في حل المشكلات بكفاءة، فسلوك الأعضاء مجتمعين يمكن أن يقدم حلولاً أفضل للمشكلات عما لو فعل المدير بمفرده.

كما أشار (Astin & Astin, 2000) إلى أن استخدام القيادة التحويلية في نظام التعليم الجامعي يستهدف تحقيق الآتي:-

١. تمكين وتشجيع الكلية والطلاب والمديرين والأعضاء الآخرين لتغيير وتحويل المنظمات بحيث يمكن أن يسرّعوا تعليم الطلاب وتطويرهم بفاعلية وكذلك توليد معرفة جديدة إضافة إلى خدمة المجتمع.
٢. تسليح الطلاب ليصبحوا عناصر فعالة في تغيير المجتمع الأكبر خارج الجامعة.

ولذلك فإن استخدام القيادة التحويلية لدى رئيس القسم يستهدف مشاركته لأعضاء القسم في تعزيز التغيير المرغوب لديهم، وحل مشكلاتهم بفاعلية على نحو يحقق تطويرهم في ضوء رسالة ورؤية الكلية والعمل على خدمة مجتمعهم ليس على المستوى الإقليمي فحسب ولكن على المستوى القومي أيضاً.

(٣) أنماط القيادة التحويلية:-

وقد ميز بيرنز Burns بين نمطين رئيسيين من القيادة هما: القيادة الإجرائية والقيادة التحويلية. فالمبدأ الرئيس الذي يتعامل به القادة الإجرائيون مع أتباعهم يكمن في تبادل شيء بشيء آخر. فمثلاً، قد يكافئ القائد المعلم المجتهد بزيادة في علاوة مالية. ومن جانب آخر، فإن القائد التحويلي يبحث عن الدوافع الكامنة في الأتباع، ويسعى لإشباع حاجات عليا لديهم كما أنه يشغل كيان التابع كله. ومن ثم فإن ناتج هذه القيادة هو علاقة تبادلية تحول الأتباع إلى قادة والقادة إلى عوامل أخلاقية. ويقدم مفهوم القيادة الأخلاقية كوسيلة للقادة لتحمل مسؤولية قيادتهم ولأمل إشباع احتياجات أتباعهم. ويكمن موقف بيرنز

Burns في أن القادة لا يولدون ولا يُصنعون؛ بل هم ينشأون من بناء من الدافعية والقيم والأهداف. (١٤) .

وقد أوضح ستيفن كوفي مقارنة بين هذين النوعين من القيادة في كتابه "القيادة المتمركزة حول المبادئ"، وذلك كما هو موضح في الجدول رقم (١) (ملحق رقم ١) (١٥) :-

ويلاحظ من الجدول رقم (١) أن القيادة الإجرائية تسعى لتحقيق اهداف قصيرة المدى من خلال اقتناع القائد بمركز سلطته واستخدامه لمبدأ تبادل المنفعة مع أتباعه، في حين تسعى القيادة التحويلية إلى الوصول إلى استراتيجيات وأهداف بعيدة المدى في ضوء اقتناع القائد بالقيم والمبادئ الإنسانية وإتاحته الفرص للمواهب والفروق الفردية.

٤) أبعاد القيادة التحويلية :

وقد عرّف باص وزملاؤه مكونات القيادة التحويلية والتي تم قياسها أيضاً باستبانة قيادة متعددة العوامل Multifactor Leadership Questionnaire (MLQ) فقد صنفت مائة وإحدى وأربعين عبارة بواسطة محكمين مدربين إما إلى عبارات قيادة تحويلية أو إجرائية. ثم طبقت الاستبانة بعد ذلك على ضباط في جيش الولايات المتحدة، حيث طلب منهم أن يقيموا رؤساءهم الضباط على مقياس من صفر (سلوك غير ملاحظ) إلى أربعة (سلوك ملاحظ كثيراً). وقد أجريت دراسات أخرى عديدة على غرار هذا البحث الأصلي وذلك لتحليل تكرارات السلوكيات التي تم ملاحظتها من قبل مرؤوسين في المجالات الحربية والتجارية والوكالات المختلفة. (١٦)

(١٤) (Stewart, 2006, 8)

(١٥) (Bolden, et al., 2003, 15)

(١٦) (Stewart, 2006, 12)

ويرى باص أن هناك أربعة أبعاد رئيسة لنقل الأتباع إلى النمط التحويلي، وهذه الأبعاد هي كما يلي:-(١٧)

١. القيادة الكاريزمية أو التأثير المثالي idealized influence: فيعد القادة

التحويليون نماذج للسلوك؛ لأنهم محترمون ومحبوبون من قبل أتباعهم الذين يُعرفون بواسطتهم ويريدون أن ينافسوهم. والقادة لديهم رؤية واضحة وحس للهدف ويرغبون في خوض المخاطر. ويرى باص أنه إذا كانت القيادة تحويلية ، فإن تأثيرها المثالي أو الكاريزما تتسم بمعايير أخلاقية عالية، وأن الثقة لكل من القائد والأتباع تبنى على أساس أخلاقي وأدبي متين.

٢. الدافعية الملهمة inspirational motivation: حيث يتصرف القادة

التحويليون بطرق تستثير أتباعهم وتولد لديهم الحماس والتحمي والانشغال برؤية وأهداف مشتركة.

٣. الاستثارة الفكرية intellectual stimulation: فيسلك القادة

التحويليون بفاعلية أفكاراً وطرقاً جديدة لأداء الأشياء وحل المشكلات، ويستحثون أتباعهم لأن يكونوا مبدعين ولا ينتقدونهم أو يصححوا أخطاءهم على الملأ أبداً. وتمثل رؤية القائد منطلقاً لأتباعه يفهمون من خلاله علاقتهم به وبالمنظمة التي يعملون فيها وعلاقة كل منهم بالآخر وكذلك بالهدف الذي يسعون لتحقيقه. وحالما كانت لديهم هذه الرؤية الكبيرة وسمح لهم ببعض التحرر من التقاليد، يمكنهم أن يتغلبوا على أي عائق لتحقيق رسالتهم.

(^{١٧}) (Homrig, 2001, 5) (Stewart, 2006, 12)

٤. الاعتبار الفردي individual consideration: حيث يهتم القادة التحويليون باحتياجات أتباعهم وبإمكانية تطويرهم من خلال التدريب والتوجيه وإتاحة فرص للنمو. كما أنهم يؤسسون مناخاً داعماً وملائماً لاحترام الفروق الفردية. ولا يقتصر هذا المدخل على تربية الجيل التالي من القادة فحسب، بل إنه يحقق احتياجات الأفراد من التمثيل الفعلي والإنجاز والجدارة، كما أنه يدفعهم إلى مزيد من الإنجاز والنمو.

وتركز هذه الأبعاد على اتجاه القادة التحويليين نحو أتباعهم، من حيث كونهم قدوة لهم في سلوكهم، وسعيهم لتلبية احتياجاتهم ودفعهم لتحقيق ذواتهم وتحقيق مزيد من الإنجاز والنمو، وذلك من خلال اشتراكهم في رؤية وأهداف عامة يسعون لتحقيقها في ضوء معايير أخلاقية عالية وثقة متبادلة بينهم.

(٥) سمات القائد التحويلي:-

يتسم القائد التحويلي بالعديد من السمات التي منها ما يلي:-

١. أنه يوظف نمطاً مثالياً وإبداعياً في القيادة يلهم المرؤوسين لاتخاذ قرارات مستقلة بما يسهم في تطوير عملهم.^(١٨)
٢. أنه يؤسس نظرة ورؤية عامة للمستقبل، بحيث تكون هذه الرؤية مستقبلاً واقعياً وموثوقاً وجذاباً للمنظمة التي يعمل بها. كما ينبغي ألا يقتصر على مجرد تأسيس هذه الرؤية بل لابد أن يكتسب مدخلات من المرؤوسين تسهم في تطوير خطة تنفيذ فعالة.
٣. أنه يؤسس توقعات أداء ومعايير عالية؛ ذلك لأنه يعرف الأهداف المنوطة بهم والتي يمكن الحصول عليها وتؤدي إلى إنتاجية أعلى. كما ينبغي عليه أن

(^{١٨}) (Nielsen & Munir, 2009. 313)

يعبر علناً عن الثقة في قدرتهم في تحقيق توقعات أداء أعلى؛ لأنهم يمكن أن يجتهدوا في تحقيق أهداف صعبة عندما يعتقدون بأنه يمكنهم أن ينفذوا ما يُطلب منهم.

٤. أن يكون القائد له كاريزما بما يجعله قدوة في أدواره؛ فمن خلال أفعالهم يجسدوا القيم والسمات والسلوكيات المرغوبة التي يحتاجون إليها لتحقيق رؤيتهم للمستقبل^(١٩).

٥. أن يتمتع بحس عام بتلمس احتياجات مرؤوسيه، فهو يسعى لمعرفة أتباعه على انفراد وفهم احتياجاتهم الفردية كما أنه قادر على تطوير علاقات شخصية مكثفة مع كل منهم، ويفعل ذلك من خلال تشجيع أتباعه على التعبير عن وجهات نظرهم وأنه يمكن الوصول إليهم والاستماع لاهتماماتهم ورعايتهم ومعرفة ما يهمهم^(٢٠).

٦. لديه ثقة في قدراته القيادية ويدرك بأنه قدوة وذو قيم عليا لأتباعه، كما يبدي اهتماما خاصاً بديناميات الكلية التي يمكن أن تؤثر في القيادة^(٢١).

(^{١٩}) (Kreitner & Kinicki, 2007. 442- 443)

(^{٢٠}) (Robbins, nd. 451)

(^{٢١}) (Leftwich, 2001)

المبحث الثالث: رئيس القسم ومتطلبات تطبيقه لأدواره القيادية التحويلية في الجامعات**السعودية :-**

يعد رئيس القسم الأكاديمي من القيادات الجامعية التي يناط بها توجيه الكوادر البشرية التي تعمل معه من أعضاء هيئة التدريس وكذلك الطلاب نحو بلوغ الغايات والأهداف المنشودة في جو من الرضا والتماسك والإحساس بالمسئولية ومشاركة الإدارة الجامعية كعضو نشيط في عملية اتخاذ القرار، وتوفير المناخ الجامعي الملائم لتحفيز العاملين بالجامعة على زيادة الإنتاج.

فدور رئيس القسم الأكاديمي لم يعد يقتصر على نقل المعرفة وتنميتها فحسب، بل يمتد ليشمل نقل القيم الجامعية في الأداء وتنميتها وإرساء تقاليد جامعية أصيلة في أداء الواجبات والمسئوليات الجامعية على نحو سليم أيضاً، وكذلك ممارسة تلك الواجبات والمسئوليات الجامعية على نحو عملي بحيث يتعود عليها لتصبح جزءاً من حياته^(٢٢).

وقيام رئيس القسم، كقائد تحويلي، بهذا الدور المحوري في ترسيخ القيم الجامعية ونقلها وتنميتها لدى أعضاء هيئة التدريس والطلاب والعاملين بالجامعة، يتطلب منه امتلاك العديد من المهارات اللازمة التي تساعد في القيام بهذا الدور، ومن تلك القدرات والمهارات التي يجب عليه امتلاكها ما يلي:-^(٢٣)

- ١) قدرته على استيعاب التحولات الاقتصادية والتحديات المستقبلية.
- ٢) قدرته على المبادرة والابتكار والإبداع.
- ٣) قدرته على مواجهة المواقف المتغيرة وإحداث التطوير الإداري.
- ٤) قدرته على اتخاذ القرارات الموضوعية في بيئة متغيرة.
- ٥) قدرته على تنفيذ تلك القرارات بكفاءة وفاعلية وجودة عالية.

(٢٢) (ناصر، هاشم، ١٩٩٨، ٩)

(٢٣) (القحطاني، ٢٠٠١، ١٣٥)

- ٦) قدرته على المتابعة والتقييم الذاتي له ولأعضاء هيئة التدريس بالقسم.
- ٧) قدرته على وضع الرؤية والرسالة والاستراتيجيات اللازمة للقسم والالتزام بها.

وقد ذكر كاتس Robert Kats ثلاث مهارات رئيسة تساعد رئيس القسم في تفعيل متطلبات دوره في قيادته لقسمه بصورة متميزة، وتم تصنيف هذه المهارات في ثلاثة أنواع كما يلي:-(٢٤)

أولاً: المهارات الفنية:-

وهي القدرات التي تشير إلى معرفة رئيس القسم المتعمقة في علم أو تخصص معين، وتوفر هذه المهارة فهماً ودراية في مجال محدد من النشاطات المتخصصة، كالتى تتعلق بالأساليب والعمليات والإجراءات والتقنيات التعليمية، كما أنها تشير إلى معرفة وفهم لنوع العمل الذي يؤديه رئيس القسم في قسمه وكيسته ومن ثم يصبح مميزاً بهذه المعرفة الخبرة. وتعد هذه القدرات كلها مكتسبة تأتي بالدراسة والخبرة والتدريب عليها، سواء قبل التحاقه برئاسة القسم أو أثناءها من خلال برامج مصممة لذلك.

ثانياً: المهارات الإنسانية:-

وتعرف بقدرة رئيس القسم على التعامل الفعال كعضو في جماعة وقدرته على التفاعل المؤثر في أعضاء القسم وتحفيزهم، وكذلك تعامله مع رئيسه وزملائه والمجتمع المحلي المحيط به، كما أنها تدل على قدرته على تنسيق الجهود داخل قسمه وقيادتها لتحقيق الأهداف وزيادة التعاون وتبادل الأفكار والخبرات بين أفراد قسمه.

(٢٤) (حمادات، ٢٠٠٦، ٢٠ - ٢١)

ومن صفات رئيس القسم الذي لديه المهارات الإنسانية بأنه:-

- إنسان يعرف نفسه
- واثق من قدرته على التعامل مع الأفكار والبدائل
- قادر على إحداث التغيير

ثالثاً: المهارات الإدراكية التصورية:-

وهي مهارات فكرية تحليلية، وتعرف بأنها قدرات لدى رئيس القسم على التصور الذهني والعقلي للأمور والمتغيرات المحيطة بالقسم سواء على المستوى الداخلي للقسم أو الخارجي وما بينهما من علاقات قائمة وتأثيرها على عمله في الكلية.

ويتصف رئيس القسم الذي لديه المهارات الإنسانية بأنه:-

- مبتكراً للأفكار الجديدة
- لديه القدرة على التنبؤ والإحساس بالمشكلات قبل وقوعها
- قادر على وضع الحلول واختيار البدائل

المبحث الرابع: الإجراءات المنهجية للدراسة:-**منهج الدراسة:-**

اتبع الباحثون المنهج الوصفي Descriptive Research لمناسبته طبيعة الدراسة وذلك لوصف ما هو كائن حول مشكلة الدراسة، من خلال البيانات والمعلومات التي تُجمع عن طريق الاستبانة المقدمة لأعضاء هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود ، وجامعة المجمعة، وذلك بغرض تحليلها وتفسيرها ومقارنتها للوصول إلي استنتاجات للمشكلة المطروحة.

حدود الدراسة:-

- حدود موضوعية: وتتمثل في أبعاد القيادة التحويلية السبعة لدي رؤساء الأقسام وهي: بناء رؤية عامة وثقافة مشتركة للقسم، نمذجة السلوك، ومراعاة الاحتياجات الفردية للعاملين معه والعمل علي تلبيتها، التحفيز الذهني او الاستثارة العقلية للعاملين بالقسم، وتوقع مستويات عليا من الأداء، وفهم رئيس القسم لعملية التغيير.
- حدود مكانية: اقتصرت الدراسة على بعض الجامعات السعودية وتمثلت في جامعتي الإمام محمد بن سعود الإسلامية وجامعة المجمعة.
- حدود زمانية: طبقت أداة الدراسة في العام الدراسي ١٤٣١/١٤٣٢هـ.

مجتمع وعينة الدراسة:-**(أ) مجتمع الدراسة:-**

بناء على طبيعة الدراسة وأهدافها فقد تحدد المجتمع المستهدف على أنه يتكون من أعضاء هيئة التدريس بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بالرياض في كليات: العلوم، علوم الحاسب، والدعوة والإعلام)؛ وذلك للأسباب الآتية:- (٢٥)

- أنها جامعة تمثل الأقدمية من حيث النشأة؛ حيث صدر المرسوم الملكي الكريم بإنشائها في عام ١٣٩٤هـ.
- كما أنها تمثل العراقة والتنوع في التخصصات الدينية والشرعية؛ حيث تحوي إحدى عشرة كلية ومعهدين داخل مدينة الرياض، وكذلك لها فروع محلية (فرع الأحساء، وكلية المجتمع بالخرج) وفروع عالمية (المعهد العربي الإسلامي في طوكيو، معهد العلوم الإسلامية والعربية في إندونيسيا، والمعهد الإسلامي في جيبوتي)
- أنها تمثل الحضر في الموقع الجغرافي؛ حيث تمثلت إدارتها في مدينة الرياض. كما تكون مجتمع الدراسة من أعضاء هيئة التدريس بجامعة المجمعة بالمجمعة في كليات: العلوم، والهندسة، والتربية؛ وذلك للأسباب الآتية:- (٢٦)
- أنها جامعة تمثل الحدثة من حيث النشأة؛ حيث صدر المرسوم الملكي الكريم بإنشائها في عام ١٤٣٠هـ.
- أنها تمثل الجودة في التخصصات؛ حيث احتوت على اثنتي عشرة كلية ومن أمثلة الكليات حديثة التخصص: الهندسة الإلكترونية والعلوم الطبية التطبيقية وطب الأسنان.
- أنها تمثل الاقليمية في الموقع الجغرافي.

(٢٥) (<http://www.imam.edu.sa...>,2011)

(٢٦) (<http://www.mu.edu.sa...>,2011)

(ب) عينة الدراسة:-

بلغت العينة الكلية للدراسة (٩٣) عضو هيئة تدريس من درجات علمية مختلفة مثلت عينة كليات جامعة الإمام محمد بن سعود عدد (٤٤) عضو هيئة تدريس، ومثلت عينة كليات جامعة المجمعة (٤٩) عضو هيئة تدريس، وقد روعي التمثيل المتكافئ في العينات بين الأقسام العملية والنوعية، وقد اختيرت العينة من أستاذ مساعد وأستاذ مشارك وأستاذ وذلك من الذكور فقط، وقد تم اختيار أعضاء هيئة التدريس باستخدام أسلوب العينة العشوائية المنتظمة من خلال وجودهم في الكليات، وقد تم التطبيق في ثلاث كليات في جامعة الإمام محمد بن سعود، وثلاث كليات بجامعة المجمعة. والجدول رقم (٢) يوضح وصف العينة الكلية وتوزيعها، (ملحق رقم ٢).

يشير الجدول رقم (٢) إلى توزيع أفراد العينة على بعض الكليات التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بمدينة الرياض، وبعض الكليات التابعة لجامعة المجمعة بمدينة المجمعة، وقد مثلت نسبة العينة العشوائية المختارة (٤١ ٪) بعدد ٩٣ عضو هيئة تدريس من إجمالي ٢٢٦ عضواً وتعتبر هذه النسبة عالية لتمثل أفراد العينة الكلية.

أداة الدراسة:-**١. وصف أداة الدراسة:-**

قام الباحثون بإعداد أداة الدراسة وفق الخطوات الآتية:-

(١) مراجعة الدراسات والأدبيات المرتبطة بشقي موضوع الدراسة سواء رئيس القسم أم القيادة التحويلية.

(٢) وضع استبانة أولية تحوي الأبعاد الرئيسة للدراسة ومفردات كل بعد وعرضها على عدد من المحكمين لإبداء آرائهم فيها من حيث ارتباط كل مفردة من مفرداتها بالبعد الذي تنتمي إليه ومناسبة صياغتها له.

- ٣) تعديل الاستبانة في ضوء آراء المحكمين الذين وزعت عليهم الاستبانة.
- ٤) توزيع الاستبانة- في صورتها النهائية- على عينة الدراسة بعد التأكد من صدقها وثباتها.
- ٥) وقد احتوت الاستبانة في صورتها النهائية على الأبعاد الآتية:-
- بيانات أولية حول أفراد عينة الدراسة من حيث الجامعة والكلية والتخصص والدرجة العلمية.
 - البعد الأول: يحتوي على عشر فقرات من (١ - ١٠) في الاستبانة.
 - البعد الثاني: وقد تضمن البعد عشر فقرات من (١١ - ٢٠).
 - البعد الثالث: وقد تضمن ست فقرات من (٢١ - ٢٦).
 - البعد الرابع: وقد تضمن البعد سبع فقرات (٢٧ - ٣٣).
 - البعد الخامس: تضمن البعد أربع فقرات (٣٤ - ٣٧).
 - البعد السادس: وقد شمل هذا البعد تسع فقرات (٣٨ - ٤٦).
 - البعد السابع: وقد تضمن هذا البعد ثمان فقرات (٤٧ - ٥٤).
 - كما احتوى كل بعد في نهايته سؤالاً مفتوحاً عن بنود أخرى يمكن إضافتها.

٢. صدق الأداة:-

أ- الصدق الظاهري:-

بعد تصميم الأداة الرئيسة للدراسة والتي تمثلت في الاستبانة، باتباع الأسلوب العلمي، تم عرضها على أساتذة متخصصين في مجالات أصول التربية والإدارة التربوية لتحكيمها وابداء رأيهم فيها من حيث مدى مناسبة الفقرات للأبعاد ومناسبتها لما وضعت لقياسه. وقد تم أخذ ما أورده من ملاحظات في الاعتبار، وبناء على ذلك تم تعديل بعض العبارات حتى أخذت الاستبانة صورتها النهائية.

ب- الصدق البنائي:

بعد أن تأكد الباحثون من الصدق الظاهري للاستبانة قاما بتطبيقها علي عينة أولية من مجتمع الدراسة قوامها (١٥) مفردة وذلك لتحديد مدى التجانس الداخلي لأداة الدراسة عن طريق حساب معاملات الارتباط بين درجة كل عبارة والدرجة الكلية لعبارات البعد الذي تنتمي اليه من خلال معاملات ارتباط (بيرسون) كما هو موضح بالجدول التالي رقم (٣)، (ملحق رقم ٣):

ويتضح من الجدول رقم (٣) ما يلي:

١) أن معاملات الارتباط بين درجة كل عبارة من عبارات الاستبانة وبين البعد الذي تنتمي إليه كانت دالة احصائياً عند مستوي (٠.٠١)؛ وذلك لأن:-

- معاملات الارتباط بين درجة كل عبارة من عبارات البعد الاول، ودرجة جميع العبارات الذي تنتمي اليه تراوحت بين (٠.٨١، ٠.٩٣).
- معاملات الارتباط بين درجة كل عبارة من عبارات البعد الثاني، ودرجة جميع العبارات الذي تنتمي اليه تراوحت بين (٠.٧٣، ٠.٩٣).
- معاملات الارتباط بين درجة كل عبارة من عبارات البعد الثالث ودرجة جميع العبارات الذي تنتمي اليه تراوحت بين (٠.٨٧، ٠.٩٣).
- معاملات الارتباط بين درجة كل عبارة من عبارات البعد الرابع، ودرجة جميع العبارات الذي تنتمي اليه تراوحت بين (٠.٨٤، ٠.٩٤).
- معاملات الارتباط بين درجة كل عبارة من عبارات البعد الخامس، ودرجة جميع العبارات الذي تنتمي اليه تراوحت بين (٠.٩٠، ٠.٩٢).
- معاملات الارتباط بين درجة كل عبارة من عبارات البعد السادس، ودرجة جميع العبارات الذي تنتمي اليه تراوحت بين (٠.٧٤، ٠.٩٠).
- معاملات الارتباط بين درجة كل عبارة من عبارات البعد السابع، ودرجة جميع العبارات الذي تنتمي اليه تراوحت بين (٠.٧٥، ٠.٨٨).

٢) ارتفاع معاملات هذه العبارات يدل على انتمائها إلى البعد التابعة له وأن غياب أي عبارة يؤثر على المحور.

وبذلك يتحقق للاستبانة صدقها البنائي وتعد صالحة لما وضعت لقياسه.

٣. ثبات الأداة :

قام الباحثون بالتأكد من ثبات أداة الدراسة بتطبيقها في شكلها النهائي على (٣٠) مفردة من مجتمع الدراسة، ولهم خصائص مجتمع الدراسة نفسها، وبعد أسبوعين من التطبيق الأول تم تطبيقها مرة أخرى وتفريغ بياناتها باستخدام معامل الثبات (ألفا لكرنباخ) (Alpha- Chronbach)، ويوضح الجدول رقم (٤) معامل ثبات أبعاد أداة الدراسة كما يلي (ملحق رقم ٤):-

يتضح من الجدول رقم (٤) أن قيمة الثبات للبعد الأول باستخدام معامل الثبات (ألفا) لكرنباخ بلغ (٠.٩٥٦)، وقيمة الثبات للبعد الثاني هي (٠.٩٦١)، وقيمة الثبات للبعد الثالث هي (٠.٩٤٧)، وقيمة الثبات للمحور الرابع وهي (٠.٩٦٤)، وقيمة الثبات للبعد الخامس وهي (٠.٩٣٨)، وقيمة الثبات للبعد السادس وهي (٠.٩٥٠)، وقيمة الثبات للبعد السابع وهي (٠.٩٤٦)، وهذا يعني أن جميع هذه المعاملات ذات قيمة عالية جداً لأن جمعها أعلى بكثير من (٠.٥٠)، وهي القيمة الدنيا المقبولة لمعامل ثبات (ألفا لكرنباخ).

كما يشير الجدول إلى أن قيمة معامل الثبات الكلي للاستبانة بلغ (٠.٩٧٠)، وتعد هذه القيمة مؤشراً لصلاحية أداة الدراسة للتطبيق بغرض تحقيق أهدافها من خلال الإجابة عن أسئلتها، بما يشير إلى إمكانية ثبات النتائج التي يمكن أن تسفر عنها عند التطبيق.

وتم تصحيح الأداة لتحويل استجابات أفراد العينة على الفقرات بشكل كمي فقد وزعت بعلامات على التدرج الخماسي لمقياس ليكرت (Likert) وأعطيت درجة الموافقة (كبيرة جداً) خمس علامات، ودرجة (كبيرة) أربع علامات، ودرجة (متوسطة) ثلاث علامات، ودرجة (قليلة) علامتين، ودرجة (قليلة جداً) علامة

واحدة. وبالتالي كانت درجات موافقة الأعضاء على عبارات الاستبانة كمايلي:-

● أقل من ١.٨ قليلة جداً

● ١.٨١ – ٢.٦ قليلة

● ٢.٦١ – ٣.٤ متوسطة

● ٣.٤١ – ٤.٢ كبيرة

● ٤.٢١ – ٥.٠ كبيرة جداً

٤. المعالجة الإحصائية:-

اعتمد الباحثون في معالجة البيانات الإحصائية وتحليل نتائج الدراسة على الإحصاء الوصفي باستخدام برنامج الرزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية Statistical Package of The Social Sciences (SPSS)؛ حيث تم استخراج المتوسطات الحسابية، والانحراف المعياري، والعلامة المثوية، واختبار (ت)، لوصف المتغيرات الخاصة بالعينة.

المبحث الخامس: نتائج الدراسة وتحليلها:-

هدفت الدراسة تعرف "مدى توافر مهارات القيادة التحويلية عند رؤساء الأقسام في بعض الجامعات السعودية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس"، ولتحقيق هذه الهدف تم استخراج النتائج التالية والتي من خلال مناقشتها أمكن الوصول إلى الإجابة عن الأسئلة المحددة:

أولاً: بالنسبة للإجابة عن السؤال الثالث وهو: "إلى أي مدى يستخدم رؤساء الأقسام في بعض الجامعات السعودية مهارات القيادة التحويلية في إدارة أقسامهم؟"

يوضح الجدول رقم (٥) استجابات أفراد العينة فيما يرتبط بمدى استخدام رؤساء الأقسام في بعض الجامعات السعودية لمهارات القيادة التحويلية في إدارة أقسامهم وذلك كما يلي (ملحق رقم ٥):-

يلاحظ من الجدول رقم (٥) أن الموافقة على تحقق أبعاد القيادة التحويلية ككل عند رؤساء الأقسام بلغت نسبة إجمالية (٧٢.٩٪) وتراوحت هذه النسبة بين (٧٧٪) كحد أقصى للبعد الثاني وبين (٦٧.٥٪) كحد أدنى للبعد الخامس.

وقد بلغ إجمالي المتوسطات الحسابية لأبعاد الاستبانة ككل (٣.٦٤) مما يعكس اتفاق أفراد العينة ككل على استخدام رؤساء الأقسام في بعض الجامعات السعودية لمهارات القيادة التحويلية في إدارة أقسامهم بدرجة كبيرة؛ حيث تحققت أبعاد الاستبانة ذات الرتب الستة الأولى بدرجة كبيرة فقد انحصرت متوسطاتها الحسابية بين (٣.٤١ - ٤.٢) حسب التوزيع الخماسي لمقياس ليكرت الذي تبنته الدراسة، بينما تحقق البعد الخامس ذات الرتبة السابعة بدرجة متوسطة لانحصار الموافقة عليه بين (٢.٦١ ، ٣.٤)، وذلك بدون فارق دال إحصائي بين مجموعتي العينة في كل أبعاد الاستبانة.

فقد احتل البعد الثاني "نمذجة السلوك" المرتبة الأولى، وتبعه البعد السابع "القيم التنظيمية المرتبطة بقيادة التغيير" في المرتبة الثانية، واحتل البعد الأول "بناء رؤية عامة وثقافة مشتركة للقسم" المرتبة الثالثة، ثم جاء البعد الثالث "مراعاة الاحتياجات الفردية للعاملين معه والعمل على تلبيتها" في المرتبة الرابعة، وجاء البعد الرابع "التحفيز الذهني أو الاستثارة العقلية للعاملين بالقسم" في المرتبة الخامسة، وجاء البعد السادس "فهم رئيس القسم لعملية التغيير وآلياته" في المرتبة السادسة، وكلها تحققت بدرجة كبيرة، بينما جاء البعد الخامس "توقع مستويات عليا من الأداء" في المرتبة السابعة والأخيرة وذلك بدون فارق دال إحصائي بين فئتي العينة.

وتوضح هذه النتائج اتفاق أفراد العينة ككل على توفر سمات القيادة التحويلية بدرجة كبيرة، لدى رؤساء الأقسام بالجامعات السعودية- عينة الدراسة- وذلك في ستة من أبعاد القيادة التحويلية بنسبة بلغت ٨٦٪، وتوفرت ١٤٪ من هذه السمات بدرجة متوسطة؛ وهذا يعكس ارتفاع درجة استخدام رؤساء الأقسام في بعض الجامعات السعودية أسلوب القيادة التحويلية إلى درجة كبيرة.

وقد يرجع ذلك إلى تطوير أساليب تدريب أعضاء هيئة التدريس للقيام بالأعمال الإدارية كرئاسة القسم أو غيرها من الأدوار القيادية في كلياتهم، وكذلك اطلاع هؤلاء الأعضاء على الجديد في مجالات الإدارة والقيادة التربوية. مما يعكس تبني رؤساء الأقسام بهذه الجامعات لأسلوب القيادة التحويلية وتطبيق مهاراته في أقسامهم بصورة كبيرة سعياً لتطوير هذه الأقسام على مستوى الجامعات السعودية.

وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة (الهلال، ٢٠٠١) والتي اوضحت أن رؤساء الأقسام العلمية الذين شملتهم الدراسة كانوا تحويليين أكثر من كونهم إجرائيين في أنماطهم القيادية.

بينما تختلف هذه النتيجة مع ما أسفرت عنه دراسة (عليما، ٢٠٠٣، ١٦٦) في أن غالبية القدرات القيادية التربوية لرؤساء الأقسام في الجامعات الأردنية تقع في المستوى المتوسط وليست كما ينبغي أن تكون عليه.

وبهذا يكون الباحثون قد أجابوا عن السؤال الثالث للدراسة.

يوضح الجدول رقم (٦) استجابات العينة .

ثانياً: بالنسبة للإجابة عن السؤال الرابع والذي ينص على: ما متطلبات تطبيق رئيس القسم لأدواره القيادية التحويلية في بعض الجامعات السعودية، فيما يرتبط ببناء رؤية عامة وثقافة مشتركة للقسم؟

افراد العينة فيما يرتبط بالبعد الأول "بناء رؤية عامة وثقافة مشتركة للقسم"، وذلك كما يلي (ملحق رقم ٦):-

يلاحظ من الجدول رقم (٦) أن الموافقة على تحقق عبارات بعد "بناء رؤية عامة وثقافة مشتركة للقسم" ككل بلغت نسبة (٧٤.٥٪) وتراوحت هذه النسبة بين (٧٧.٥٪) كحد أقصى للعبارة العاشرة وبين (٧٢٪) كحد أدنى للعبارة رقم (٥)، وبلغت المتوسطات الحسابية لعبارات هذا البعد ككل (٣.٨) ومن ثم تحقق بدرجة كبيرة حيث انحصرت متوسطاته بين (٣.٤١ - ٤.٢)، وذلك بدون فارق دال إحصائي بين مجموعتي العينة في كل عبارات البعد عدا العبارتين رقم (٤) ورقم (٦) حيث كان الفارق دالا إحصائيا عند مستوى (٠.٠٥) ولصالح جامعة المجمعة في كليهما.

وتوضح هذه النتيجة اتفاق أفراد عينة الدراسة ككل على توفر متطلبات بناء رؤية عامة وثقافة مشتركة للقسم لدى رؤساء الأقسام بجامعة عينة الدراسة؛ حيث يطبق رؤساء الأقسام مهارات بناء الرؤية والثقافة المشتركة للقسم بدرجة إجمالية كبيرة، وقد يرجع ذلك إلى وعيهم بأهمية الشورى وتبادل وجهات النظر واحترام الرأي الآخر حول تكوين رؤية عامة وثقافة مشتركة لأهداف

القسم وخططه والقضايا المرتبطة به، ولا يتسنى تنفيذ ذلك إلا من خلال امتثال رئيس القسم لثقافة المسؤولية الجماعية لأفراد قسمه وترسيخ قيمة التعاون بينهم وحل ما يطرأ من خلافات وصراعات بينهم.

ولعل رئيس القسم يكون أكثر حرصاً على بناء القيم الإيجابية المشتركة والتأكيد على احترام الرأي والرأي الآخر داخل قسمه لاسيما إن كان قسمه حديث النشأة لرأب الصدع بين أعضائه وبنائه على أساس سليم، وهذا ما اتضح بشكل دال لدى رؤساء الأقسام بجامعة المجمعة في العبارتين رقم (٤) ورقم (٦).

ويؤكد على هذه النتيجة الصاطوح في دراسته (الساطوح، ١٩٩٦) في أنه لكي يتم رفع الروح المعنوية لدى أعضاء هيئة التدريس بالأقسام العلمية، فإنه ينبغي توجيه رؤساء الأقسام إلى زيادة العناية بالعلاقات الإنسانية مع هؤلاء الأعضاء وتعزيز العلاقات الموجبة بينهم.

كما تتفق هذه النتيجة مع ما أوصت به دراسة (الكندري، ٢٠٠٦، ٢٥٣) من ضرورة إعداد دورات تدريبية للراغبين في تولي منصب رئاسة القسم بحيث تتضمن مواضيع ذات صلة بكيفية التغلب على الصعوبات والتحديات التي قد يواجهها الرؤساء؛ وذلك لمساعدتهم على كيفية ممارسة أدوارهم بفاعلية وتحقيق النجاح في إنجاز أهداف القسم العلمي.

وتتفق هذه النتيجة أيضاً مع دراسة (الحري، ٢٠٠٧، ١٥٨) في أنه لكي يتم تطوير مدير المدرسة كقائد تحويلي فإنه ينبغي خلق رؤية مشتركة يشارك فيها جميع فريق العمل.

وبهذا يكون الباحثون قد أجابوا عن السؤال الرابع للدراسة.

ثالثاً: بالنسبة للإجابة عن السؤال الخامس والذي ينص على: ما متطلبات تطبيق رئيس القسم لأدواره القيادية التحويلية في بعض الجامعات السعودية، فيما يرتبط بنمذجة السلوك؟

يوضح الجدول رقم (٧) استجابات أفراد العينة فيما يرتبط بالبعد الثاني، وذلك كما يلي (ملحق رقم ٧):-

يلاحظ من الجدول رقم (٧) أن الموافقة على تحقق عبارات بعد "نمذجة السلوك" ككل بلغت نسبة (٧٧٪) وتراوح هذه النسبة بين (٨٦٪) كحد أقصى للعبارة (١٢) وبين (٦٩٪) كحد أدنى للعبارة (١٨)، وبلغت المتوسطات الحسابية لعبارات هذا البعد ككل (٣.٨) ومن ثم تحقق بدرجة كبيرة حيث انحصرت متوسطاته بين (٣.٤١ - ٤.٢)، في كل عباراته، عدا العبارة (١٢) والتي جاءت الموافقة عليها بدرجة كبيرة جداً؛ حيث انحصرت درجة الموافقة عليها بين (٤.٢١ - ٥.٠) وذلك بدون فارق دال إحصائي بين مجموعتي العينة في كل عبارات البعد عدا العبارتين (١٣) و(١٩) حيث كان الفارق دالاً إحصائياً عند مستوى (٠.٠٥) ولصالح جامعة المجمعة في كليهما.

وتشير هذه النتيجة إلى اتفاق أفراد عينة الدراسة ككل على توفر متطلبات نمذجة السلوك لدى رؤساء الأقسام بجامعة عينة الدراسة بدرجة كبيرة، وقد يرجع ذلك إلى إيمان رؤساء الأقسام بما تبنيه من قيادة تشاركية ومبدأ للشورى في العمل مع أعضاء القسم وتقبل آرائهم باحترام وسعة صدر وإبداء استعدادهم لتغيير ممارساتهم القيادية في ضوء ما يصل إليهم من تغذية مرتدة منهم وحثهم على العمل الجماعي والتعاوني فيما بينهم؛ سعياً لتنميتهم مهنيًا وتطوير قسمهم بصورة عملية.

وقد تجلت مهارتنا العمل بحماس لدى رؤساء الأقسام بجامعة المجمعة وكذلك قيادة القسم بشكل عملي، بصورة دالة إحصائياً لصالحهم؛ ذلك لأن الرؤساء في الأقسام حديثة النشأة عادة ما يسعون لإظهار مهاراتهم القيادية

وإبراز إنجازات أقسامهم بصورة أوضح والعمل على تطوير أقسامهم على نحو سريع وفعال.

وتتفق هذه النتيجة مع ما أوصت به دراسة (شرف، ٢٠٠٦، ٤٣٧) من ضرورة أن تتضمن برامج تدريب وتنمية رؤساء الأقسام القضايا الأساسية المتعلقة بدورهم في تنمية الأعضاء مثل تنمية القدرة على العمل بروح الفريق.

كما تتفق هذه النتيجة مع دراسة (Li & Hung, 2009, 1141) والتي أوضحت أن القادة الذين يتصرفون بسلوك تحويلي يبدو أن لديهم تأثيراً في بناء العلاقات الاجتماعية والاحتفاظ بها والمحافظة عليها في بيئة العمل؛ مما يسهل على الموظفين مستويات أعلى من أداء المهمة والمشاركة الفعالة في سلوك المواطنين. وبهذا يكون الباحثون قد أجابا عن السؤال الخامس للدراسة.

رابعاً: بالنسبة للإجابة عن السؤال السادس والذي ينص على: ما متطلبات تطبيق رئيس القسم لأدواره القيادية التحويلية في بعض الجامعات السعودية، فيما يرتبط بمراعاة الاحتياجات الفردية للعاملين معه والعمل على تلبيتها؟

يوضح الجدول رقم (٨) استجابات أفراد العينة فيما يرتبط بالبعد الثالث، وذلك كما يلي (ملحق رقم ٨) :-

يلاحظ من الجدول رقم (٨) أن الموافقة على تحقق عبارات بعد "مراعاة الاحتياجات الفردية للعاملين معه والعمل على تلبيتها" ككل بلغت نسبة (٧٢.٥%) وتراوحت هذه النسبة بين (٧٤%) كحد أقصى للعبارة (٢٥) وبين (٧١.٥%) كحد أدنى للعبارة (٢٢)، وبلغت المتوسطات الحسابية لعبارات هذا البعد ككل (٣.٦) ومن ثم تحقق بدرجة كبيرة حيث انحصرت متوسطاته بين (٣.٤١ ٤.٢)، في كل عباراته، وذلك بدون فارق دال إحصائي بين مجموعتي العينة في كل عبارات البعد.

وتوضح هذه النتيجة إجماع أفراد عينة الدراسة ككل بدرجة كبيرة على توفر متطلبات تطبيق رئيس القسم لأدواره القيادية التحويلية فيما يرتبط بمراعاة الاحتياجات الفردية للعاملين معه والعمل على تلبيتها. وقد يرجع ذلك إلى إيمان رؤساء الأقسام بقيمة العدل في معاملة أعضاء أقسامهم ومراعاة الشفافية والحرية في هذه المعاملة، ناهيك عن إشراكهم في تطبيق الأساليب التربوية الجديدة واستثمار مواهبهم ومختلف مهاراتهم في صنع واتخاذ القرارات الخاصة بأقسامهم فضلاً عن مشاركتهم في ذلك، مما يشعرهم بالثقة في أنفسهم وقيمة آرائهم في تطوير هذه الأقسام.

وتتفق هذه النتيجة مع ما تمخضت عنه دراسة (Conger, Kanung, Menon, 2000) من أن القادة التحويليين يدركون أنهم أكثر فاعلية وانهم يصنفون على أنهم أحسن أداءً من غيرهم غير التحويليين، كما أن أتباعهم لديهم تبجيلاً أكثر وحساً أقوى لهوية المجموعة وإدراكاً أعلى لأداء المهمة مقارنة بالقادة غير التحويليين.

ولذلك يرى الحربي في دراسته (الحربي، ٢٠٠٧، ١٥٧) أنه لكي يتم تطوير مدير المدرسة كقائد تحويلي، فإنه ينبغي مراعاة الحاجات الشخصية والمهنية لهم من خلال تشجيعهم على تجريب تطبيقات جديدة تتفق واهتماماتهم، وكذلك تشجيع المبادرات الجديدة، إضافة إلى التعامل مع الجميع بعين المساواة وعدم التفضيل لأحد الأفراد أو الجماعات. وبهذا يكون الباحثون قد أجابوا عن السؤال السادس للدراسة.

خامساً: بالنسبة للإجابة عن السؤال السابع والذي ينص على: ما متطلبات تطبيق رئيس القسم لأدواره القيادية التحويلية في بعض الجامعات السعودية، فيما يرتبط بالتحفيز الذهني أو الاستثارة العقلية للعاملين بالقسم؟

يوضح الجدول رقم (٩) استجابات أفراد العينة فيما يرتبط بالبعد الرابع، وذلك كما يلي (ملحق رقم ٩):-

يلاحظ من الجدول رقم (٩) أن الموافقة على تحقق عبارات بعد التحفيز الذهني أو الاستثارة العقلية للعاملين بالقسم ككل بلغت نسبة (٧٢ %) وتراوحت هذه النسبة بين (٧٥%) كحد أقصى للعبارة (٣٠) وبين (٦٦.٥%) كحد أدنى للعبارة (٣٣)، وبلغت المتوسطات الحسابية لعبارات هذا البعد ككل (٣.٦) ومن ثم تحقق بدرجة كبيرة حيث انحصرت متوسطات عباراته بين (٣.٤١ - ٤.٢)، في كل عباراته، وذلك بدون فارق دال إحصائي بين مجموعتي العينة في كل عبارات البعد عدا العبارة (٣٣) حيث كان الفارق دالا إحصائيا عند مستوى (٠.٠٥) ولصالح جامعة المجمعة.

وتشير هذه النتيجة إلى اتفاق افراد العينة ككل بدرجة كبيرة على توفر متطلبات تطبيق رئيس القسم لأدواره القيادية التحويلية فيما يرتبط بالتحفيز الذهني أو الاستثارة العقلية للعاملين بالقسم، وما دام أن رؤساء الأقسام يطبقون مبدأ الحوار والشورى واحترام الرأي والرأي الآخر، فإنهم حتما سيشجعون أعضاء أقسامهم على طرح أي أفكار أو أساليب أو خبرات جديدة ومفيدة دون خوف من إحراج أو قمع أو حجر على آرائهم، وكذلك حثهم على الاطلاع على أي تجارب أو تجديسات مفيدة وتعميمها بينهم مراعين في ذلك الأسلوب العلمي في التفكير وتقييم الذات سعياً للتطوير.

ولعل رؤساء الأقسام- في الجامعات حديثة النشأة- أكثر ميلاً للمخاطرة والتجريب عن غيرهم في الجامعات العريقة، وفي الوقت ذاته أكثر حرصاً على

التقويم لأعضاء أقسامهم؛ حتى يضمنوا السير وفق ما رسموه من خطط واستراتيجيات لتطوير هذه الأقسام.

ويؤكد على هذه النتيجة شرف في دراسته (شرف، ٢٠٠٦، ٤٣٧)؛ حيث يرى أنه لكي يساهم رئيس القسم في تنمية أعضاء قسمه، فإنه ينبغي أن تتضمن برامج تدريب وتنمية رؤساء الأقسام القضايا الأساسية المتعلقة بدورهم في تنمية الأعضاء مثل أساليب زيادة دافعية الأعضاء كالزيارات وتبادل الزيارات مع الاساتذة. وبهذا يكون الباحثون قد أجابوا عن السؤال السابع للدراسة.

سادساً: بالنسبة للإجابة عن السؤال الثامن والذي ينص على: ما متطلبات تطبيق رئيس القسم لأدواره القيادية التحويلية في بعض الجامعات السعودية، فيما يرتبط بتوقع مستويات عليا من الأداء؟

يوضح الجدول (١٠) استجابات أفراد العينة فيما يرتبط بالبعد الخامس، وذلك كما يلي (ملحق ١٠):-

يلاحظ من الجدول (١٠) أن الموافقة على تحقق عبارات بعد "توقع مستويات عليا من الأداء" ككل بلغت نسبة (٦٧.٥%) وتراوحت هذه النسبة بين (٦٨.٥%) كحد أقصى للعبارة (٣٥) وبين (٦٥.٥%) كحد أدنى للعبارة (٣٦)، وبلغت المتوسطات الحسابية لعبارات هذا البعد ككل (٣.٤) ومن ثم تحقق بدرجة متوسطة حيث انحصرت متوسطات عباراته بين (٢.٦١ - ٣.٤)، في كل عباراته، عدا العبارة (٣٥) والتي جاءت الموافقة عليها بدرجة كبيرة؛ حيث انحصرت درجة الموافقة عليها بين (٣.٤١ - ٤.٢) وذلك بدون فارق دال إحصائي بين مجموعتي العينة في كل عبارات البعد.

وتوضح هذه النتيجة إجماع أفراد عينة الدراسة ككل بدرجة متوسطة على توفر متطلبات تطبيق رئيس القسم لأدواره القيادية التحويلية فيما يرتبط بتوقع مستويات عليا من الأداء، ومن ثم فهم غير متأكدين من مدى توافر هذه

المتطلبات وغير راضين عن أداء رئيس القسم فيما يرتبط بتوقع مستويات عليا من الأداء، وقد يرجع ذلك إلى أن عدداً كبيراً منهم ليست لديه فكرة واضحة عن مشاركة رئيس القسم لهم في وضع معايير الأداء المستخدمة في تقييم أدائهم، على الرغم من اتباعه لأساليب تتسم بالعدل والشفافية في تقويمه لهم وفي معاملته لهم، غير أن عملية وضع معايير تقييم الأداء كثيراً ما يغلب عليها طابع الكتمان والسرية. كما أنهم غير متأكدين من استخدامه لأساليب مختلفة لتحفيزهم وتوفير التغذية الراجعة لأدائهم لأدوارهم في القسم.

ويؤكد على هذه النتيجة Wang & Howell في دراستهما (Wang&Howell,2010) في أنه كلما تركز سلوك القائد التحويلي حول الأتباع ومراعاته لظروفهم واحتياجاتهم المتنوعة، كلما كان أداؤهم لمهامهم أكثر فاعلية وإيجابية وكانت مبادراتهم للمشاركة والمساعدة أكثر إيجابية. وبهذا يكون الباحثون قد أجابوا عن السؤال الثامن للدراسة.

سابعاً: بالنسبة للإجابة عن السؤال التاسع والذي ينص على: ما متطلبات تطبيق رئيس القسم لأدواره القيادية التحويلية في بعض الجامعات السعودية، فيما يرتبط فهم رئيس القسم لعملية التغيير وآلياته؟

يوضح الجدول (١١) استجابات أفراد العينة فيما يرتبط بالبعد السادس، وذلك كما يلي (ملحق ١١):-

يلاحظ من الجدول (١١) أن الموافقة على تحقق عبارات بعد "فهم رئيس القسم لعملية التغيير وآلياته" ككل بلغت نسبة (٧١.٥%) وتراوحت هذه النسبة بين (٧٤%) كحد أقصى للعبارة (٤٦) وبين (٦٩%) كحد أدنى للعبارة (٣٩)، وبلغت المتوسطات الحسابية لعبارات هذا البعد ككل (٣.٦) ومن ثم تحقق بدرجة كبيرة حيث انحصرت متوسطاته بين (٣.٤١ - ٤.٢)، في كل عباراته، وذلك بدون فارق دال إحصائي بين مجموعتي العينة في كل عبارات البعد عدا

العبارة (٤٣) حيث كان الفارق دالا إحصائيا عند مستوى (٠.٠٥) ولصالح جامعة الجمعة.

وتوضح هذه النتيجة إجماع أفراد عينة الدراسة ككل بدرجة كبيرة على توفر متطلبات تطبيق رئيس القسم لأدواره القيادية التحويلية فيما يرتبط بفهم رئيس القسم لعملية التغيير وآلياته، وقد يرجع ذلك إلى امتلاك رؤساء الأقسام لقيم التغيير والدافعية الذاتية نحوه وتدريبهم عليها على نحو يساعدهم على توضيح الحاجة إليه لدى أعضاء أقسامهم، وتهيئة البيئة الملائمة لهم لإحداث التغيير وتعزيزه لديهم إضافة إلى توزيع الأدوار والمهام القيادية بينهم على نحو حيادي وتشاركي. وقد برزت قيمة الدافعية الذاتية نحو التغيير بصورة دالة لدى عينة جامعة الجمعة، وقد يرجع ذلك إلى حماسهم الزائد وحرصهم على تحقيق تغيير ملموس في قيادتهم لأقسامهم بصورة تنمي هذه الأقسام وتطورها.

وتتفق هذه النتيجة مع ما أوصت به دراسة (عليقات، ٢٠٠٣، ١٦٧) من أنه ينبغي أن يمارس المرشح لرئاسة القسم العمل الإداري كمساعد لرئيس القسم ويمضي فترة مناسبة في هذا العمل، وعندما تثبت جدارته تسند إليه مهمة رئاسة القسم، ولذلك يرى (الغامدي، ٢٠٠٤، ٧٨) أنه ينبغي إلحاق رؤساء الأقسام قبل تولي مواقعهم- بدورة تدريبية متخصصة لسد حاجاتهم التدريبية في المجالات الإدارية والتربوية. وبهذا يكون الباحثون قد أجابوا عن السؤال التاسع للدراسة.

ثامناً: بالنسبة للإجابة عن السؤال العاشر والذي ينص على: ما متطلبات تطبيق رئيس القسم لأدواره القيادية التحويلية في بعض الجامعات السعودية، فيما يرتبط بالقيم التنظيمية المرتبطة بقيادة التغيير؟

يوضح الجدول (١٢) استجابات أفراد العينة فيما يرتبط بالبعد السابع، وذلك كما يلي (ملحق ١٢):-

يلاحظ من الجدول (١٢) أن الموافقة على تحقق عبارات بعد "القيم التنظيمية المرتبطة بقيادة التغيير" ككل بلغت نسبة (٧٥%) وتراوحت هذه النسبة بين (٧٨%) كحد أقصى للعبارة (٤٧) وبين (٧١.٥%) كحد أدنى للعبارة (٤٩)، وبلغت المتوسطات الحسابية لعبارات هذا البعد ككل (٣.٧) ومن ثم تحقق بدرجة كبيرة حيث انحصرت متوسطاته بين (٣.٤١ - ٤.٢)، في كل عباراته، وذلك بدون فارق دال إحصائي بين مجموعتي العينة في كل عبارات البعد عدا العبارة (٥٤) حيث كان الفارق دالا إحصائيا عند مستوى (٠.٠٥) ولصالح جامعة المجمعة.

أي أن هناك اتفاق عام بين أفراد عينتي الدراسة حول توفر القيم التنظيمية المرتبطة بقيادة التغيير لدى رؤساء الأقسام بدرجة كبيرة، ولاشك أن تأكيد رؤساء الأقسام على قيم ومبادئ الشورى والحوار والشفافية وكذلك الثقة والعدل في تعاملهم مع أعضاء هيئة التدريس في أقسامهم يساهم في تنمية الالتزام الوظيفي وكذلك الانتماء والولاء للقسم ومن ثم الايمان بالتغيير والتطوير المستمر. ولاشك أن سعي رؤساء الأقسام لإحداث هذا التغيير والتطوير المستمر يصبغ الأقسام الجديدة على نحو أخص، وهذا ما أشارت إليه دلالة العبارة (٥٤).

ولذا يرى الحربي في دراسته (الحربي، ٢٠٠٧، ١٥٧) انه لكي يتم تطوير مدير المدرسة كقائد تحويلي فإنه ينبغي غرس الشعور بالانتماء للمدرسة في قلوب أعضاء فريق العمل. كما أشار (Leftwich, 2001, 4) إلى أن من الجوانب المهمة للقائد التحويلي امتلاكه لقيمة التغيير وحسن استخدامه لها، غير أنه ليس بالضرورة أن يرى نفسه مبادئاً لتغيير المنظمة التي يعمل بها.

كما اتفقت هذه النتيجة مع دراسة (سعادة، ٢٠٠٣، ٥) في أنه ينبغي على رئيس القسم تفويض جزء من صلاحياته لبعض أعضاء القسم كلاً حسب

مجال تخصصه من جهة أو ميدان اهتمامه من جهة ثانية وذلك في الأمور المختلفة بالقسم. وبهذا يكون الباحثون قد أجابوا عن السؤال العاشر للدراسة.

المبحث السادس: التصور المقترح لتطوير أداء رؤساء الأقسام في بعض الجامعات السعودية في ضوء أبعاد القيادة التحويلية من خلال نتائج الدراسة:

مقدمة:-

هدفت هذه الدراسة الوقوف على واقع ممارسة رؤساء الأقسام في بعض الجامعات السعودية لمهارات القيادة التحويلية وذلك من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بهذه الجامعات، ومن ثم تقديم تصور لما ينبغي أن يكون عليه دور هؤلاء الرؤساء في ضوء نتائج الدراسة، ويمكن وضع هذا التصور وفق المحاور الآتية:-

أولاً: منطلقات التصور المقترح.

ثانياً: أهداف التصور المقترح.

ثالثاً: إجراءات التصور المقترح ومتطلبات تنفيذه.

رابعاً: ضمانات تحقيق التصور المقترح.

ويمكن توضيح هذه المحاور كما يلي:-

أولاً: منطلقات التصور المقترح:

ينطلق هذا التصور المترج من المرتكزات التالية:-

- (١) حرص الجامعات العربية على نحو عام، والسعودية على نحو خاص، على تطوير كوادرها البشرية وقياداتها على نحو دائم، وذلك من خلال تهيئة البيئة الملائمة لاكتساب الخبرات الجديدة باستمرار، وأن تصبح ثقافة التعليم والتجديد ثقافة سائدة في المجتمع الجامعي^(٢٧).

(٢٧) (حمادات، ٢٠٠٦، ٤٢)

٢) أهمية رؤساء الأقسام في تطوير الأقسام الأكاديمية وكذلك في التنمية المهنية لأعضاء هيئة التدريس العاملين معهم.

٣) ضرورة مواكبة الأساليب الحديثة في الإدارة والتي تسهم في تطوير أداء رؤساء الأقسام على نحو فاعل وبناء؛ بحيث يمكن أن يحدثوا تغييرات مؤثرة وذي مغزى ولها طابع تحويلي في أقسامهم^(٢٨).

٤) أهمية الوقوف على المهارات والقدرات الفعلية التي ينبغي على رؤساء الأقسام الإلمام بها ومراعاتها لقيادة أقسامهم على نحو يسهم في الارتقاء بها وبأعضائها وتحقيق أهداف محددة في هذه الأقسام وتحويلها إلى هيكلية تنظيمية ورؤية ثقافية مشتركة بين أعضائها^(٢٩).

ثانياً: أهداف التصور المقترح :

في ضوء منطلقات التصور المقترح، يمكن استخلاص الأهداف التالية:-

١) الوقوف على بعض الأساليب الجديدة لقيادة الأقسام الأكاديمية في الجامعات.

٢) الكشف عن مدى استخدام رؤساء الأقسام- في بعض الجامعات السعودية- لأسلوب القيادة التحويلية كأحد الأساليب الحديثة، في إدارة أقسامهم.

٣) الوقوف على المهارات والقدرات اللازمة لقيام رؤساء الأقسام بأدوار تحويلية في إدارة أقسامهم.

٤) تقديم مجموعة من المقترحات والتوجيهات يمكن أن تسهم في معالجة نواحي القصور في إدارة رؤساء الأقسام في بعض الجامعات السعودية لأقسامهم في ضوء أسلوب القيادة التحويلية.

(^{٢٨}) (Fertino, 1996)

(^{٢٩}) (Cray, 1996)

ثالثاً: إجراءات التصور المقترح ومتطلبات تنفيذه :-

هناك مجموعة من الإجراءات الخاصة بالتصور المقترح، يمكن إيجازها فيما يلي:-

(١) التعريف بالأساليب الحديثة المستخدمة في إدارة الأقسام الأكاديمية، ومنها القيادة التحويلية، وقد أسفرت الدراسة عن الجوانب الآتية:-

أ- توضيح مفهوم القيادة التحويلية عند العلماء وتطورها واستخداماتها في المجالات الخدمية والإنتاجية المختلفة في المجتمع.

ب- توضيح أهداف القيادة التحويلية وكيفية توظيفها في الأقسام الأكاديمية.

ج- توضيح أنماط القيادة التحويلية والفارق بين كل منها والنمط المناسب لاستخدامه في البيئة الجامعية.

د- توضيح ما تقوم عليه القيادة التحويلية من أبعاد وسبل تكييفها لتلائم رؤساء الأقسام في إدارتهم لأقسامهم.

هـ- توضيح ما ينبغي ان يتسم به القادة التحويليون من سمات وما يمتلكونه من مهارات وقدرات تساعدهم في القيام بأدوارهم التحويلية في إدارة أقسامهم.

(٢) الكشف عن واقع ممارسة رؤساء الأقسام لمهارات القيادة التحويلية في إدارة أقسامهم، وقد تم تحقيق ذلك من خلال الدراسة الميدانية وأسفرت عن النتائج الآتية:-

أ- موافقة أفراد عينة الدراسة ككل على تحقق أبعاد القيادة التحويلية لدى رؤساء الأقسام بدرجة كبيرة، حيث بلغت نسبة الموافقة الإجمالية (٧٢.٩٪).

ب- تحققت أبعاد الاستبانة ذات الرتب الستة الأولى بدرجة كبيرة، وهذه الأبعاد مرتبة تنازلياً هي:-

- البعد الثاني "نمذجة السلوك"
- البعد السابع "القيم التنظيمية المرتبطة بقيادة التغيير"
- البعد الأول "بناء رؤية عامة وثقافة مشتركة للقسم"
- البعد الثالث "مراعاة الاحتياجات الفردية للعاملين معه والعمل علي تلبيتها"

● البعد الرابع "التحفيز الذهني أو الاستثارة العقلية للعاملين بالقسم"

● البعد السادس "فهم رئيس القسم لعملية التغيير وآلياته"

ج- بينما تحقق البعد الخامس "توقع مستويات عليا من الأداء" بدرجة متوسطة، حيث جاء في المرتبة السابعة والأخيرة وذلك بدون فارق دال إحصائي بين فئتي العينة.

٣) توضيح متطلبات تطبيق رؤساء الأقسام لأدوارهم القيادية التحويلية في الجامعات السعودية، وقد أسفرت نتائج الدراسة الميدانية عن الآتي:-

أ- تضمن البعد الأول ضرورة تمتع رؤساء الأقسام بعشر مهارات لازمة لوضع رؤية عامة لبناء ثقافة مشتركة لإدارة الأقسام.

ب- وتضمن البعد الثاني عشر متطلبات لقياس السلوك الإداري (نمذجة السلوك) لرؤساء الأقسام من حيث استعدادهم لقيادة التغيير وقدرتهم على العمل التعاوني وحماسهم الحقيقي لتطوير القسم علمياً وتنموياً.

ج- واحتوى البعد الثالث ست مهارات تسهم في قياس سلوك رؤساء الأقسام حول مراعاتهم للاحتياجات الفردية لفرق العمل المكون من الأعضاء

والباحثين في الأقسام، ومدى استجابتهم لتلبية هذه الاحتياجات التي تمثلت في تطبيق الممارسات التربوية، واستثمار المواهب منهم في صنع القرارات، وعدالتهم دون تمييز أو محاباة.

د- أما البعد الرابع فقد تضمن سبع مهارات لقياس السلوك القيادي لرؤساء الأقسام حول تحفيز العاملين معهم وقدرتهم على استثارة عقولهم حول طرح أفكار علمية جديدة، والعمل في فريق من خلال تبادل وجهات النظر والخبرات والمقترحات البناءة.

هـ- واحتوى البعد الخامس على أربع مهارات لقياس السلوك القيادي لرؤساء الأقسام حول توقعاتهم لمستويات عليا من أداء الأعضاء من خلال تحفيز الأعضاء وتشجيعهم لتحسين أدائهم والحكم عليه من خلال معايير مقننة.

و- وتضمن البعد السادس تسع مهارات لمعرفة فهم رؤساء الأقسام لآليات التغيير من حيث رؤيتهم المشتركة مع الأعضاء حول الهدف من التغيير ودورهم كقادة له ومدى فهمهم للمواقف وقبولهم للتحدي وامتلاك الجرأة.

ز- وتضمن البعد السابع ثمان مهارات لقياس السلوك القيادي التحويلي لرؤساء الأقسام حول إدراكهم للقيم التنظيمية التي تنظم العمل وتقوده حول التغيير التحويلي من حيث الوضوح والشفافية، والتحفيز والتمكين والعدالة والولاء للمقسم والعمل على استثماره وتسويق أبحاثه.

(٤) اقتراح سبل معالجة نواحي القصور في إدارة رؤساء الأقسام لأقسامهم في ضوء أسلوب القيادة التحويلية، وهذا يتطلب الأخذ بالتوصيات والمقترحات الآتية:-

- أ- ضرورة الاهتمام بتوضيح ما يستجد من أساليب الإدارة وإدراجها ضمن برامج تدريب القيادات الجامعية.
- ب- عقد دورات تدريبية وورش عمل لأعضاء هيئة التدريس عامة وللكوادر القيادية خاصة تتناول المهارات القيادية الواجب توافرها لدى القيادات الجامعية، على ضوء أسلوب القيادة التحويلية، وذلك على مختلف المستويات القيادية بالجامعة.
- ج- التأكيد على غرس مهارات بعد "توقع مستويات عليا من الأداء" لدى رؤساء الأقسام في برامج التدريب؛ نظراً لانخفاض نسبة الموافقة على توافرها لديهم من قبل أعضاء هيئة التدريس.
- د- مراعاة الشفافية في عملية تقويم رؤساء الأقسام للأعضاء وإشراكهم معهم في تصميم معايير الأداء ومناقشة نتائجها معهم.
- هـ- ربط حضور أعضاء هيئة التدريس والقيادات الجامعية لبرامج التدريب وورش العمل بمعززات عملية، سواء مادية أم معنوية.

رابعاً: ضمانات تحقيق التصور المقترح:

في ضوء نتائج الدراسة، يمكن وضع بعض الضوابط التي تفيد في تطبيق هذا التصور المقترح على الجامعات العربية عامة والسعودية خاصة، وذلك كما يلي:-

أ) نشر الوعي بالأساليب الحديثة في الإدارة وأهميتها في تفاعل الافراد والجماعات من خلال الندوات والمطبوعات التي توزع على الطلاب والعاملين في الجامعة.

- (ب) إدراج بعض المفردات الثقافية الخاصة بالمستجدات في أساليب الإدارة، خاصة أسلوب القيادة التحويلية، وذلك ضمن مقررات ثقافية على مختلف التخصصات الجامعية.
- (ج) حث أعضاء هيئة التدريس بالجامعات على الاطلاع على الجديد في مجالات الإدارة في الدول المتقدمة وبحث سبل تطبيقها في البيئات العربية.
- (د) تدريب أعضاء هيئة التدريس ومعاونيهم على الجديد في أساليب الإدارة، لاسيما أسلوب القيادة التحويلية.
- (هـ) حث أعضاء هيئة التدريس على تطبيق هذا الأسلوب القيادي مع طلابهم في المرحلة الجامعية ومرحلة الدراسات العليا.
- وبهذا يكون الباحثون قد أجابوا عن السؤال الحادي عشر للدراسة.

مراجع الدراسة :-

- (١) الحري، قاسم بن عائل. "التنمية المهنية للقيادات التربوية لإدارة مدرسة المستقبل بدول الخليج العربي في ضوء القيادة التحويلية". مجلة دراسات في التعليم الجامعي. العدد الخامس عشر، أغسطس ٢٠٠٧، ص ص ٨٦ - ١٦٧.
- (٢) الدهشان، جمال علي؛ السيسي، جمال أحمد. أداء رؤساء الأقسام الأكاديمية لمسئولياتهم المهنية وعلاقته برضا أعضاء هيئة التدريس عن عملهم. المؤتمر القومي السنوي الثاني عشر (العربي الرابع): تطوير أداء الجامعات العربية في ضوء معايير الجودة الشاملة (١٨ - ١٩ ديسمبر) القاهرة، ٢٠٠٥. ص ص ٧٨ - ١٢٥.
- (٣) الغامدي، سعيد بن محمد صالح. القيادة التحويلية في الجامعات السعودية: مدى ممارستها وامتلاك خصائصها من قبل القيادات الأكاديمية - دراسة ميدانية. بحث مكمل لنيل درجة الدكتوراه. جامعة أم القرى. كلية التربية بمكة المكرمة. ١٤٢١هـ.
- (٤) القحطاني، سالم. القيادة الإدارية: التحول نحو النموذج القيادي العالمي. الرياض. (د.ن)، ٢٠٠١م.
- (٥) الكندري، نبيلة. دراسة تحليلية لرؤساء الأقسام العلمية في مؤسسات التعليم العالي. مجلة كلية التربية. (تصدر عن كلية التربية بجامعة المنصورة). ع ٦٠، يناير ٢٠٠٦. ص ص ٢١٠ - ٢٥٦.
- (٦) الصاطوح، محمد راشد بداح. النمط القيادي لرؤساء الأقسام وعلاقته بالروح المعنوية لأعضاء هيئة التدريس بكليات إعداد المعلمين في المملكة العربية السعودية. رسالة ماجستير. جامعة الملك سعود. كلية التربية، ١٩٩٦.

- (٧) الهاللي، الشرييني الهاللي. "استخدام نظريتي القيادة التحويلية والإجرائية في بعض الكليات الجامعية- دراسة ميدانية". مستقبل التربية العربية. مج ٧، ٢١٤، ٢٠٠١، ص ص ٩ - ٧٢.
- (٨) حمدات، محمد حسن. القيادة التربوية في القرن الجديد. عمان. دار ومكتبة الحامد، ٢٠٠٦.
- (٩) سعادة، جودة أحمد، تطوير الدور الإداري والقيادي لرئيس القسم الأكاديمي في جامعة النجاح الوطنية، مؤتمر جامعة النجاح الوطنية تاريخ وتطور (٨ يونيه). كلية العلوم التربوية، جامعة النجاح الوطنية، ٢٠٠٣. ص ١ - ١٤.
- (١٠) شرف ، صبحي شعبان. دور رئيس القسم الأكاديمي في تنمية قدرات أعضاء هيئة التدريس وعلاقته بانتاجيتهم الأكاديمية- دراسة حالة بجامعة المنوفية. المؤتمر القومي السنوي الثالث عشر (العربي الخامس)، (٢٦ - ٢٧ نوفمبر). جامعة عين شمس. مركز تطوير التعليم الجامعي، ٢٠٠٦. ص ص ٤٠٨ - ٤٤٠.
- (١١) شيحة، عبد المجيد عبد التواب؛ المسند، شيخة، كفاءة رئيس القسم الأكاديمي، دراسة لأراء أعضاء هيئة التدريس بجامعة قطر، حولية كلية التربية، جامعة قطر، ع ١١، ١٩٩٤. ص ص ١٧ - ٤٤.
- (١٢) مصطفى، يوسف عبد المعطي. "أسلوب القيادة التحويلية كمدخل لتحسين أداء مدير المدرسة في مصر". التربية. العدد السابع، يوليو ٢٠٠٢. ص ص ١٣٩ - ٢٠٢.
- (١٣) عليمات، صالح ناصر. القدرات القيادية لرؤساء الأقسام في الجامعات الأردنية. مجلة مركز البحوث التربوية. (تصدر عن جامعة قطر). السنة الثانية عشر. ع ٢٣، يناير ٢٠٠٣. ص ص ١٤٣ - ١٧٠.

١٤) ناصف، مرفت صالح؛ هاشم، نهلة عبد القادر. "توصيف وظيفة رئيس القسم الأكاديمي بالجامعات المصرية- نموذج مقترح". مستقبل التربية العربية. (تصدر عن المركز العربي للتربية والتنمية). مج ٤. ع ١٥، ١٩٩٨. ص ص ٩ - ٧٠.

- 15) Ali, Nazim; Baber, Muhammad Atiq Ali; Bangash, Sudhair Abbas. Relationship between Leadership Styles and Organizational Commitment amongst Medical Representatives of National and Multinational Pharmaceuticals Companies, Pakistan (An Empirical Study). Journal of Contemporary Research in Business. Belleville: Feb 2011. Vol. 2. Iss. 10.
- 16) Astin, Alexander W. & Astin, Helen S. Leadership Reconsidered Engaging Higher Education in Social Change. W. K. Kellogg Foundation, 2000.
- 17) Bass, B. M. Leadership and Performance beyond Expectation. New York. Free Press, 1985.
- 18) Birasnav, M.; Rangnekar, S.; Dalpati, A. Transformational Leadership and Human capital Benefits: the Role of Knowledge Management. Leadership & Organization Development Journal. Bradford: 2011. Vol. 32. Iss. 2.
- 19) Boice, R., Coping with Difficult Colleagues, In j., Bennett & D. Figuli (Eds.), Enhancing Departmental Leadership: The roles of the Chairperson , New York: McMillan Publishing, 1992. Pp. 132- 138
- 20) Bolden, R., Gosling, J., Marturano, A., and Dennison, P. A Review of Leadership Theory and Competency Frameworks. University of Exeter. Centre for Leadership Studies, 2003.

- 21) Bolkan, San; Goodboy, Alan K. Transformational Leadership in the Classroom: Fostering Student Learning, Student Participation, and Teacher Credibility. Journal of Instructional Psychology. Vol. 36. issue 4, Dec 2009. Pp. 296-306.
- 22) Burns, J. M. Leadership. New York. Harper & Row, 1978.
- 23) Chung-Kal, LI; Chia-Hung, Hung. The Influence of Transformational Leadership on Workplace Relationships and Job Performance. Social Behavior & Personality: An International Journal. Vol. 37 Issue 8, 2009. Pp. 1129-1142.
- 24) Clark, B., The Academic Profession, University of California press (A) 1987.
- 25) Conger, J. A.; Kanungo, R. N.; Menon, S. T. "Charismatic Leadership and Follower Effects". Journal of Organizational Behavior. 21, 2000. Pp. 747- 767.
- 26) Cray Sohns, Organizational Behavior: Understanding and Managing Life work, 4 the Edition, (New York: Harper Collins College Publishers, inc.,1996).
- 27) Fertino Carol, Ann, Mentoring Experiences as professional Development for leaders in Environmental Education: the cascade of influence "PhD Dissertation Queensland university of technology, Australia, 1996.
- 28) Gmelch, W, & Parkey, F. Becoming a Department Chair: Negotiating the Transition from scholar Administrator, (ERIC.ED: 30493), 1999.
- 29) Homrig, Colonel Mark A. Transformational Leadership. Available at: <http://leadership.au.af.mil/documents/homrig.htm>, 21 Dec 2001).

- 30) Jenkins, P. H, Getting the chair. Chronicle of Higher Education, 52 (16), C2, 9 December, 2005.
- 31) Kreitner, Robert; Kinicki, Angelo. Organizational Behavior.3rd. . Chicago. IRWIN, 2007. Pp.442-443.
- 32) Leftwich, Philip Robbins. Transformational Leadership at The Department Chair Level in North Carolina Community Colleges. Ed. D. Dissertation, North Carolina State University. Doctoral Dissertation, 2001.
- 33) Li, Chung- Kai; Hung, Chia- Hung. "The Influence of Transformational Leadership on Workplace Relationships and Job Performance". Social Behavior and Personality. Vol. 37. No.8, 2009. Pp. 1129-1142.
- 34) Lontos, Lynn Balster. Transformational Leadership. ERIC Clearing House on Educational Management Eugene OR. 1992. Available at: <http://www.vtaide.com/png/ERIC/Transformational-Leadership.htm>, Dec. 2010
- 35) Munir, Fehmidah; Nielsen, Karina; Gomes Carneiro, Isabella. Transformational leadership and depressive symptoms: A prospective study. Journal of Affective Disorders . Vol. 120 Issue 1-3, Jan 2010. Pp235-239.
- 36) Nielsen, Karina; Munir, Fehmidah. How do transformational leaders influence followers' affective well-being? Exploring the mediating role of self-efficacy. Work & Stress. Vol. 23 Issue 4, Oct-Dec 2009. Pp313-329.
- 37) Robbins, Stephen P. Organizational Behavior: Concepts-Controversies- Applications . Prentice- Hall International, Inc, (nd.).

- 38) Roueche, J. e.; Baker, G.A. & Rose, R. R. Shared Vision: Transformation Leadership in American Community Colleges. Washington, DC: The Community College Press. 1989.
- 39) Seedorf, R. G , The Problem Solving Role of the University Department Chair. (ERIC Document Production Service No. 345 636, 1992).
- 40) Stewart, Han. Transformational Leadership: An Evolving Concept Examined through the Works of Burns, Bass, Avolio, and Leithwood. Canadian Journal of Educational Administration and Policy. Issue 54, June 26, 2006. Pp. 1-29.
- 41) Wang, Xiao-Hua (Frank); Howell, Jane M. Exploring the Dual- Level Effects of Transformational Leadership on Followers. Journal of Applied Psychology. Washington. Nov. 2010. Vol. 95. Iss. 6.
- 42) Wang, Peng; Zhu, Weichun. Mediating Role of Creative Identity in the Influence of Transformational Leadership on Creativity: Is There a Multilevel Effect? Journal of Leadership & Organizational Studies. Flint: Feb 2011. Vol. 18, Iss. 1.
- 43) Yair, Amichai Hamburger: Mathematical Leadership Vision, Journal of Psychology, Vol. 134, Issue 6, Nov.2000.
- 44) <http://www.imam.edu.sa/Pages/default.aspx>, 2011.
- 45) <http://www.mu.edu.sa/mu1/ar>, 2011.

ملحق رقم (١) جدول رقم (١)

مقارنة بين القيادة الإجرائية والقيادة التحويلية

م	القيادة الإجرائية	القيادة التحويلية
١	تقوم على احتياج الإنسان للحصول على وظيفة يشغلها ليكسب عيشه	تقوم على احتياج الإنسان للمعنى
٢	تُشغل بالقوة والمنصب والسياسة والغرسة/ الخرائط	تُشغل بالأهداف والقيم والأخلاق والمبادئ
٣	مملوءة بالأحوال اليومية	تتجاوز الشؤون اليومية
٤	قصيرة المدى ويصعب توجيه بياناتها	توجه نحو الأهداف الطويلة المدى دون المساومة على القيم والمبادئ الإنسانية
٥	تركز على قضايا تكتيكية / متدرجة	تركز أكثر على الاستراتيجيات والرؤى
٦	تعتمد على علاقات إنسانية لتسهيل التفاعلات الإنسانية	تطلق العنان للمواهب الجديدة المحتمل تحديدها وتطويرها
٧	تتبع وتنجز توقعات الدور من خلال الدأب على العمل بكفاءة داخل الأنظمة القائمة	تصمم وتعيد تصميم الوظائف لجعلها ذات معنى وأكثر تحدياً
٨	تساند الأنظمة والهياكل التي تعزز خط القاعدة وتعظم الكفاءة وتضمن الفوائد قصيرة الأجل	تحاذي الأنظمة والهياكل الداخلية لتعزيز الأهداف والقيم الشاملة

ملحق رقم (٢) ، جدول رقم (٢)

توزيع افراد العينة بحسب الجامعات والكليات

الجامعة	نوعية كلية	إجمالي العينة	%	عمالية كلية	إجمالي	العينة	%	إجمالي العينة المسحوبة	
								إجمالي	العينة
الإمام	الدعوة والإعلام	٤٥	٢٠	العلوم	٥٠	٢٢	٤٤	٩٣	٤١
				علوم الحاسوب	٤٥	١٣	٢٩		
الجمعة	التربية	٢١	٦٢	العلوم	٣٠	١٧	٥٧	٩٣	٤١
				الهندسة	٣٥	١٩	٥٤		
إجمالي		٦٦	٣٣		١٦٠	٧١	٤٤		

ملحق رقم (٣)، جدول رقم (٣)

معاملات الارتباط بين درجة كل عبارة من عبارات الأبعاد والدرجة الكلية
للبعد الذي تنتمي إليه

البعد السابع		البعد السادس		البعد الخامس		البعد الرابع		البعد الثالث		البعد الثاني		البعد الاول	
معامل الارتباط	م	معامل الارتباط	م										
0.84	1	0.87	1	0.92	1	0.92	1	0.87	1	0.85	1	0.86	1
0.85	2	0.90	2	0.91	2	0.93	2	0.87	2	0.73	2	0.93	2
0.83	3	0.74	3	0.90	3	0.94	3	0.87	3	0.84	3	0.85	3
0.84	4	0.81	4	0.92	4	0.89	4	0.93	4	0.85	4	0.92	4
0.75	5	0.88	5	-		0.91	5	0.90	5	0.86	5	0.92	5
0.88		0.87	6	-		0.91	6	0.88	6	0.92	6	0.84	6
0.86	7	0.87	7	-		0.84	7	-		0.88	7	0.83	7
0.88	8	0.88	8	-		-		-		0.80	8	0.81	8
-		0.75	9	-		-		-		0.91	9	0.83	9
-		-		-		-		-		0.93	10	0.79	10

❖ دالة إحصائياً عند مستوى (0.01).

ملحق رقم (٤) ، جدول رقم (٤)

معامل الثبات (ألفا) لكرونباخ لأبعاد الاستبانة

معامل الثبات (ألفا) لكرونباخ	عدد الحالات	عدد العبارات	الأبعاد
٠.٩٥٦	٣٠	١٠	البعد الأول: بناء رؤية عامة وثقافة مشتركة للقسم.
٠.٩٦١	٣٠	١٠	البعد الثاني: نمذجة السلوك.
٠.٩٤٧	٣٠	٦	البعد الثالث: مراعاة الاحتياجات الفردية للعاملين معه والعمل على تلبيةها.
٠.٩٦٤	٣٠	٧	البعد الرابع: التحفيز الذهني أو الاستثارة العقلية للعاملين بالقسم.
٠.٩٣٨	٣٠	٤	البعد الخامس: توقع مستويات عليا من الأداء.
٠.٩٥٠	٣٠	٩	البعد السادس: فهم رئيس القسم لعملية التغيير وآلياته.
٠.٩٤٦	٣٠	٨	البعد السابع: القيم التنظيمية المرتبطة بقيادة التغيير.
٠.٩٧٠	معامل الثبات الكلي		

ملحق رقم (٥) ، جدول رقم (٥)

المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية والنسب المئوية واختبار (ت) ودلالة الفروق لمجموعتي العينة وذلك لوجهات نظر أعضاء هيئة التدريس حول أبعاد القيادة التحويلية عند رؤساء الأقسام

م	الأبعاد	الجامعة	المتوسط الحسابي	الكلبي الحسابي المتوسط	الانحراف المعياري	%	% الكلية	اختبارات	الرتبة
١	بناء رؤية عامة وثقافة مشتركة للقسم.	الإمام	٣.٧	٣.٨	٩.١٨	٧٣	٧٤.٥	١.٣٠	٣
		المجمعة	٣.٨		٨.٣٦	٧٦			
٢	نمذجة السلوك.	الإمام	٣.٧	٣.٨	٩.١٨	٧٥	٧٧	١.٢١	١
		المجمعة	٣.٩		٨.٣٣	٧٩			
٣	مراعاة الاحتياجات الفردية للعاملين معه والعمل على تلبيتها.	الإمام	٣.٦	٣.٦	٥.٩٦	٧٢	٧٢.٥	٠.٥٧	٤
		المجمعة	٣.٧		٥.٦٠	٧٣			
٤	التحفيز الذهني أو الاستشارة العقلية للعاملين بالقسم.	الإمام	٣.٥	٣.٦	٧.٠٧	٧٠	٧٢	١.٢١	٥
		المجمعة	٣.٧		٧.٥٨	٧٤			
٥	توقع مستويات عليا من الأداء	الإمام	٣.٣	٣.٤	٤.٣٠	٦٥	٦٧.٥	١.٢٢	٧
		المجمعة	٣.٥		٣.٩٢	٧٠			
٦	فهم رئيس القسم لعملية التغيير وآلياته.	الإمام	٣.٥	٣.٦	٩.٤٤	٧٠	٧١.٥	٠.٩٣	٦
		المجمعة	٣.٧		٧.٠١	٧٣			
٧	القيم التنظيمية المرتبطة بقيادة التغيير.	الإمام	٣.٦	٣.٧	٧.٤٤	٧٢	٧٥	-	٢
		المجمعة	٣.٩		٦.١٥	٧٨			
إجمالي			٣.٦٤			٧٢.٩%			

❖ المتوسط الحسابي العام من ٥

ملحق رقم (٦) ، جدول رقم (٦)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لمتطلبات تطبيق رئيس القسم لأدواره
القيادية التحويلية في بعض الجامعات السعودية، فيما يرتبط ببناء رؤية عامة
وثقافة مشتركة للقسم

م	الفقرات	الجامعة	المتوسط الحسابي الكلي	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	%	% الكلية	اختبارات	الرتبة
١	يطبق رئيس القسم الأساليب المختلفة اللازمة لإشراك العاملين معه في تكوين رؤية عامة وثقافة مشتركة للقسم.	الإمام	٣.٨	٣.٨	١.١٢	٧٥	٧٥.٥	٠.٤٠	٣
		المجمعة	٣.٨	٣.٨	٠.٦٦	٧٦			
٢	يوضح رئيس القسم الأهداف العامة التي يسعى القسم إلى تحقيقها لجميع العاملين معه.	الإمام	٣.٥	٣.٧	١.١٥	٧٠	٧٣.٥	١.٤٨	٦
		المجمعة	٣.٩	٣.٧	٠.٨٩	٧٧			
٣	يحرص رئيس القسم على التعرف على وجهات النظر المختلفة حول خطط القسم وبرامجه.	الإمام	٣.٨	٣.٨	١.٠٨	٧٥	٧٥	٠.٧٨	٥
		المجمعة	٣.٨	٣.٨	١.٠٠	٧٥			
٤	يسعى رئيس القسم إلى بناء مجموعة من القيم الايجابية المشتركة وتعزيزها داخل القسم ولا سيما ما يتصل بالعملية التعليمية.	الإمام	٣.٥	٣.٧	١.١٣	٧٠	٧٣.٥	٢.٣٣	٦
		المجمعة	٣.٩	٣.٧	٠.٧٣	٧٧			
٥	يراعي رئيس القسم الخطط السابقة والحالية أثناء التخطيط المستقبلي للقسم وبرامجه.	الإمام	٣.٥	٣.٦	١.١٥	٧١	٧٢	٠.٥٤	١
		المجمعة	٣.٦	٣.٦	١.٠٦	٧٣			
٦	يعطي رئيس القسم أولوية لترسيخ ثقافة مشتركة تؤكد على التعاون والاحترام المتبادل بين العاملين داخل القسم.	الإمام	٣.٦	٣.٨	١.١٢	٧٣	٧٧	٢.١٣	٢
		المجمعة	٤.٠	٣.٨	٠.٨٥	٨١			
٧	يقوم رئيس القسم بحل النزاعات والصراعات داخل القسم باستخدام أساليب تشاركيه مختلفة.	الإمام	٣.٦	٣.٦	١.٠٦	٧٢	٧٢.٥	٠.٣٥	٨
		المجمعة	٣.٦	٣.٦	١.٢٤	٧٣			
٨	يهيئ رئيس القسم أعضاء لنقاشات مفيدة حول القضايا المرتبطة بطبيعة القسم.	الإمام	٣.٦	٣.٧	١.١٨	٧٢	٧٢.٥	٠.٩٢	٨
		المجمعة	٣.٧	٣.٧	٠.٨٣	٧٤			

٣	١.٦٠	٧٥.٥	٧٢	١.١٠	٤.٠	٤.٠	الإمام	٩ يدرك رئيس القسم أن توفير أجواء الرؤية المشتركة وتعزيزها هو عمل ذو أهمية حيوية.
			٧٩	٠.٩٩		٤.٠	المجمعة	
١	٠.٢٧	٧٧.٥	٧٧	١.٠٤	٣.٩	٣.٩	الإمام	١٠ يتمتع رئيس القسم بثقافة المسؤولية الجماعية.
			٧٨	٠.٨٤		٣.٩	المجمعة	
		٪٧٤.٥			٣.٨			إجمالي

❖ دالة عند مستوى (٠.٠٥)

ملحق رقم (٧) ، جدول رقم (٧)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لمتطلبات تطبيق رئيس القسم لأدواره

القيادية التحويلية في الجامعات السعودية فيما يرتبط بنمذجة السلوك

م	الفقرات	الجامعة	المتوسط الحسابي	المتوسط الحسابي الكلي	الانحراف المعياري	%	% الكلية	اختبارات	الرتبة
١١	يؤدي رئيس القسم مهامه الإدارية والأكاديمية بكفاءة.	الإمام	٤.١	٤.١	٠.٨٩	٨٢	٨١	٠.٦٩-	٢
		الجمعة	٤.٠		٠.٨٧	٨٠			
١٢	يعامل رئيس القسم الأعضاء باحترام.	الإمام	٤.٣	٤.٤	٠.٨٤	٨٥	٨٦	١.٠٦	١
		الجمعة	٤.٤		٠.٧١	٨٧			
١٣	يمارس رئيس القسم قيادة التغيير عمليا وليس نظريا.	الإمام	٣.٦	٣.٨	١.١٦	٧٢	٧٦.٥	٢.٢٢	٥
		الجمعة	٤.٠		٠.٧١	٨١			
١٤	يتصف سلوك رئيس القسم بالمرونة.	الإمام	٣.٩	٤.٠	٠.٩٩	٧٩	٧٩	٠.٨٠	٤
		الجمعة	٤.٠		٠.٨٨	٧٩			
١٥	يسعى رئيس القسم إلى حث أعضائه على العمل الجماعي والتعاوني.	الإمام	٣.٨	٤.٠	١.٠٨	٧٦	٧٩.٥	١.٨٨	٣
		الجمعة	٤.٢		٠.٩٤	٨٣			
١٦	يظهر رئيس القسم استعدادا حقيقيا إلى تغيير ممارساته القيادية وتعديلها في ضوء التغذية المرتدة من أعضاء القسم والعاملين معه.	الإمام	٣.٥	٣.٦	١.٢٨	٧١	٧٣	٠.٨٦	٨
		الجمعة	٣.٧		٠.٩٠	٧٥			
١٧	يتبع رئيس القسم نمط القيادة التشاركية في أداء عمله.	الإمام	٣.٥	٣.٦	١.٠٦	٧٠	٧٢.٥	٠.٩٦	٩
		الجمعة	٣.٧		١.١١	٧٥			
١٨	يسعى رئيس القسم إلى توفير فرص التنمية المهنية لأعضائه.	الإمام	٣.٢	٣.٥	١.٠٣	٦٤	٦٩	١.٨٥	١٠
		الجمعة	٣.٧		٠.٧٩	٧٤			
١٩	يظهر رئيس القسم حماساً حقيقياً أثناء عمله بالقسم.	الإمام	٣.٧	٣.٨	١.٢٥	٧٤	٧٦	٢.٥٢	٦
		الجمعة	٣.٩		٠.٩٢	٧٨			
٢٠	يقدم رئيس القسم نموذجا يحتذي به للقيادات الفعال ويظهر بوضوح في سلوكياته وممارساته.	الإمام	٣.٦	٣.٧	١.٢٦	٧٢	٧٣.٥	٠.٥٣	٧
		الجمعة	٣.٧		١.١١	٧٥			
إجمالي			٣.٨	٧٧%					ي

❖ دالة عند مستوى (٠.٠٥)

ملحق رقم (٨) ، جدول رقم (٨)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لمتطلبات تطبيق رئيس القسم لأدواره
القيادية التحويلية في الجامعات السعودية فيما يرتبط بمراعاة الاحتياجات
الفردية للعاملين معه والعمل على تلبيتها

م	الفقرات	الجامعة	المتوسط الحسابي	المتوسط الحسابي الكلي	الانحراف المعياري	%	% الكلية	اختبارات	الرتبة
٢١	يستجيب رئيس القسم لمطالب وحاجات العاملين معه.	الإمام	٣.٦	٣.٧	١.١٠	٧١	٧٣	٠.٣٤	٢
		المجمعة	٣.٧		١.١٤	٧٥			
٢٢	يشارك رئيس القسم العاملين معه في تطبيق الأساليب والممارسات التربوية الجديدة.	الإمام	٣.٥	٣.٦	١.١٣	٧٠	٧١.٥	٠.٧٠	٦
		المجمعة	٣.٦		٠.٨٥	٧٣			
٢٣	يؤمن رئيس القسم بالحرية في إدارة العملية التعليمية.	الإمام	٣.٦	٣.٦	١.١٢	٧٣	٧٢	-	٥
		المجمعة	٣.٦		١.٠٧	٧١			
٢٤	يستثمر رئيس القسم المهارات والمواهب التي يتمتع بها كل فرد من العاملين معه في صنع واتخاذ القرارات المختلفة.	الإمام	٣.٥	٣.٧	١.١٧	٧٠	٧٢.٥	١.٣٨	٤
		المجمعة	٣.٨		١.٠٧	٧٥			
٢٥	يشارك رئيس القسم العاملين معه في صنع القرارات المختلفة.	الإمام	٣.٧	٣.٧	١.١١	٧٤	٧٤	٠.٧٠	١
		المجمعة	٣.٧		٠.٩١	٧٤			
٢٦	يسعى رئيس القسم إلى معاملة جميع العاملين معه بشفاافية وعدالة دون تمييز أو محاباة لأحد.	الإمام	٣.٧	٣.٧	١.٢٣	٧٤	٧٣	٠.٢٢	٢
		المجمعة	٣.٦		٠.٨٩	٧٢			
إجمالي									٣.٦
							٧٢.٥%		

ملحق رقم (٩)

جدول رقم (٩)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لمتطلبات تطبيق رئيس القسم لأدواره
القيادية التحولية في الجامعات السعودية فيما يرتبط بالتحفيز الذهني أو
الاستشارة العقلية للعاملين بالقسم.

م	الفقرات	الجامعة	المتوسط الحسابي	المتوسط الحسابي الكلي	الانحراف المعياري	%	% الكمية	اختبارات	الرتبة
٢٨	يشجع العاملين معه على تقييم ممارساتهم وتطويرها.	الإمام	٣.٤	٣.٦	١.١٦	٦٩	٧٢	١.٥٢	٣
		المجمعة	٣.٨		١.١٠	٧٥			
٢٩	يشجع العاملين معه على طرح أفكار وأساليب جديدة.	الإمام	٣.٦	٣.٧	١.١٢	٧٣	٧٣.٥	١.١٠	٢
		المجمعة	٣.٧		١.٠٥	٧٤			
٣٠	يسمح بتبادل وجهات النظر والخبرات والمقترحات البناءة.	الإمام	٣.٨	٣.٨	٠.٩١	٧٥	٧٥	٠.٨٦	١
		المجمعة	٣.٧		٠.٩٨	٧٥			
٣١	يسعى إلى تنمية أسلوب التفكير العلمي ومنهجية حل المشكلات للعاملين معه.	الإمام	٣.٦	٣.٦	١.١٢	٧٢	٧٢	٠.١٢	٣
		المجمعة	٣.٦		٠.٩٦	٧٢			
٣٢	يحث العاملين معه على الاطلاع على التجارب والتجديدات التربوية وتعميمها.	الإمام	٣.٥	٣.٦	١.٢١	٧٠	٧١.٥	٠.٩٢	٥
		المجمعة	٣.٦		٠.٨٨	٧٣			
٣٣	يشجع العاملين معه على التجريب والتقييم والتأمل.	الإمام	٣.٠	٣.٣	١.٢١	٦١	٦٦.٥	٢.٥٨	٦
		المجمعة	٣.٦		٠.٨٥	٧٢			
	إجمالي		٣.٦				٪٧٢		

❖ دالة عند مستوى (٠.٠٥)

ملحق (١٠) ، جدول (١٠)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لمتطلبات تطبيق رئيس القسم لأدواره
القيادية التحويلية في الجامعات السعودية فيما يرتبط بتوقع مستويات عليا من
الأداء.

م	الفقرات	الجامعة	الحسابي المتوسط	الحسابي الكلي المتوسط	الانحراف المعياري	%	% الكلية	اختبارات	الرتبة
٣٤	يشارك رئيس القسم العاملين معه في وضع معايير الأداء المستخدمة في تقويم أدائهم.	الإمام	٣.٢	٣.٤	١.٢٨	٦٤	٦٦.٥	١.٥٤	٣
		الجمعة	٣.٥		٠.٩٧	٦٩			
٣٥	يستخدم رئيس القسم أساليب موضوعية تتسم بالشفافية في تقويمه لأداء العاملين معه.	الإمام	٣.٣	٣.٥	١.٢٢	٦٥	٦٨.٥	١.١٣	١
		الجمعة	٣.٦		١.٠٣	٧٢			
٣٦	يوفر التغذية الراجعة الضرورية فيما يتصل بأدائهم.	الإمام	٣.٢	٣.٣	١.١٠	٦٤	٦٥.٥	١.٠٠	٤
		الجمعة	٣.٤		٠.٩٩	٦٧			
٣٧	يستخدم أساليب مختلفة لتحفيز العاملين معه وتشجيعهم لتحسين أدائهم والوصول بها إلي مستوى عال النوعية.	الإمام	٣.٣	٣.٤	١.١٥	٦٦	٦٧.٥	٠.٧٦	٢
		الجمعة	٣.٥		١.١٠	٦٩			
	إجمالي			٣.٤			٪٦٧.٥		

ملحق (١١) ، جدول (١١)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لمتطلبات تطبيق رئيس القسم لأدواره
القيادية التحويلية في الجامعات السعودية فيما يرتبط بهم رئيس القسم
لعملية التغيير وآلياته.

م	الفقرات	الجامعة	المتوسط الحسابي	المتوسط الحسابي الكلي	الانحراف المعياري	%	% الكلية	اختبارات	الرتبة	
٣٨	يسعى رئيس القسم إلى تنمية الرؤية المشتركة حول الهدف من التغيير.	الإمام	٣.٥	٣.٧	١.٢٠	٦٩	٧٢	٠.٧١	٤	
		الجمعة	٣.٨		٠.٩٣	٧٥				
٣٩	يعمل رئيس القسم على تعزيز التغيير لدى أفراد القسم.	الإمام	٣.٥	٣.٥	١.٢٢	٦٩	٦٩	٠.١١	٩	
		الجمعة	٣.٥		١.١٩	٦٩				
٤٠	يوضح رئيس القسم الحاجة إلى التغيير والتركيز على الأهداف الطويلة المدى وابتكار رؤى جديدة.	الإمام	٣.٤	٣.٥	١.٢٨	٦٨	٦٩	٠.٥٩	٨	
		الجمعة	٣.٦		١.٠٧	٧١				
٤١	يوزع رئيس القسم الأدوار والمهام القيادية بين العاملين وينتج أسلوباً حياً تشاورياً في عمله.	الإمام	٣.٦	٣.٧	١.١٦	٧١	٧٣	١.٥١	٢	
		الجمعة	٣.٧		١.٠٤	٧٥				
٤٢	رئيس القسم مدرب للقيام بدوره كقائد للتغيير.	الإمام	٣.٤	٣.٦	١.١٦	٦٩	٧١	١.٣٦	٥	
		الجمعة	٣.٧		٠.٩٥	٧٤				
٤٣	يملك رئيس القسم الدافعية الذاتية نحو التغيير والقدرة على نقل هذه الدافعية للآخرين (التمكين).	الإمام	٣.٤	٣.٧	١.٢٤	٦٨	٧٣	٢.٠٦	٢	
		الجمعة	٣.٩		٠.٩٢	٧٨				
٤٤	يتمتع رئيس القسم بالقدرة على قراءة وفهم المواقف التي يحاول تغييرها.	الإمام	٣.٦	٣.٦	١.١٢	٧٢	٧١	-	٥	
		الجمعة	٣.٦		٠.٨٩	٧١				
٤٥	يهتم بالآخرين ويساعدهم على توفير البيئة الملائمة التي تمكنهم من التغيير والتكيف معه.	الإمام	٣.٥	٣.٦	١.١٩	٧٠	٧١	١.٠٠	٥	
		الجمعة	٣.٧		٠.٩٩	٧٣				
٤٦	يتمتع رئيس القسم بقبول التحدي وامتلاك الجرأة.	الإمام	٣.٧	٣.٧	١.١٨	٧٤	٧٤	٠.١٢	١	
		الجمعة	٣.٧		٠.٨٧	٧٤				
إجمالي										
						٣.٦	٧١.٥%			

❖ دالة عند مستوى (٠.٠٥)

ملحق (١٢) ، جدول (١٢)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري لمتطلبات تطبيق رئيس القسم لأدواره
القيادية التحويلية في الجامعات السعودية فيما يرتبط بالقيم التنظيمية
المرتبطة بقيادة التغيير.

م	الفقرات	الجامعة	المتوسط الحسابي	المتوسط الحسابي الكلي	الانحراف المعياري	%	% الكلية	اختبارات	الرتبة
٤٧	يؤكد رئيس القسم علي قيم الوضوح والشفافية في العمليات الإدارية داخل القسم.	الإمام	٣.٨	٣.٩	١.٠٨	٧٥	٧٨	٠.٧٢	١
		الجمعة	٤.٠		١.١٢	٨١			
٤٨	يسعى رئيس القسم إلى ترسيخ قيم ومبادئ التشاورية لدعم فريق العمل وتوسيع فرص ومجالات الحوار بين أفراد القسم.	الإمام	٣.٧	٣.٩	١.٠٨	٧٤	٧٧	١.٣٥	٢
		الجمعة	٤.٠		١.٠١	٨٠			
٤٩	يسعى رئيس القسم إلى تأكيد قيم التحفيز والتمكين والتفويض لتحقيق أهداف التغيير.	الإمام	٣.٤	٣.٦	١.٠٦	٦٩	٧١.٥	١٢٠	٨
		الجمعة	٣.٧		١.٠٥	٧٤			
٥٠	يسعى رئيس القسم إلى التأكيد على الثقة والعدالة والمساءلة.	الإمام	٣.٥	٣.٧	١.١٣	٦٩	٧٢	١.٢٨	٧
		الجمعة	٣.٨		٠.٨٩	٧٥			
٥١	يسعى رئيس القسم إلى تحقيق قيم الإدارة بالغايات والأهداف.	الإمام	٣.٥	٣.٧	١.٠٤	٧٠	٧٢.٥	١.٦١	٦
		الجمعة	٣.٨		٠.٨٩	٧٥			
٥٢	ينمي رئيس القسم الالتزام الوظيفي لدى العاملين معه وتدعيم شعورهم بالانتماء والولاء للقسم.	الإمام	٣.٥	٣.٦	١.١٩	٧١	٧٣	٠.٩٢	٥
		الجمعة	٣.٧		١.١١	٧٥			
٥٣	يدرك أهمية قيمة الوقت في العمل واستثماره.	الإمام	٣.٧	٣.٩	١.١٩	٧٤	٧٧	٠.٨٧	٢
		الجمعة	٤.٠		٠.٨٧	٨٠			
٥٤	يؤمن رئيس القسم بالتغيير والتطوير والتحسين المستمر.	الإمام	٣.٥	٣.٨	١.٢٤	٧٠	٧٥.٥	٢.٢٦	٤
		الجمعة	٤.١		٠.٩٤	٨١			
							٪٧٥		
			٣.٧						
إجمالي									

❖ دالة عند مستوى (٠.٠٥)

العقيدة الإسلامية ودورها في بناء الحضارة الإنسانية

الدكتور / ماجد محمد علي احمد شبالة

أستاذ العقيدة والاديان والفرق (المساعد)
كلية الآداب - جامعة اب



(AUST)

العقيدة الإسلامية ودورها في بناء الحضارة الإنسانية

ملخص البحث :

العالم اليوم بحاجة إلى حضارة قائمة على أساس صحيح ، لأن الحضارة الغربية اليوم قائمة على إهمال كرامة الإنسان وقيمه ، واعتبار المادية النفعية هي الغاية الأساس ، والبشرية اليوم في حاجة إلى حضارة تعيد إليها إيمانها بالله وبرسالاته ، وبالقيم العليا التي لا يكون الإنسان إنساناً بغيرها ، ولا يكون للحياة مذاق ولا معنى بسواها .

حضارة تعطيها الدين ولا تفقدها العلم ، تعطيها الإيمان ولا تسلبها العقل ، تعطيها الروح ولا تحرمها المادة ، تعطيها الآخرة ، ولا تحرم عليها الدنيا ، تعطيها الحق ولا تمنعها القوة ، تعطيها الأخلاق ولا تسلبها الحرية .

غير أن ما يمتاز به حضارة عن حضارة هو قوة الأسس التي تقوم عليها ، والتأثير الذي تحدثه في الحياة ، والخير العميم الذي يصيب الإنسانية من قيامها . وكلما كانت الحضارة رابنية في مصدر قيمها ، عالمية في رسالتها ، إنسانية في نزعتها ، أخلاقية في اتجاهاتها ، واقعية في مبادئها ، كانت أخلد في التاريخ ، وأضع للبشرية ، وأجدر بالتكريم .

والعقيدة الإسلامية الصحيحة ، هي وحدها القادرة على بعث الحضارة الإسلامية من جديد ، لأنها وحدها القائمة على أساس التوحيد المطلق الذي يصحح العلاقة بين المخلوقات والإله الحق سبحانه ، ويصحح العلاقة بين المخلوقات وبعضها على أساس من التكريم ، والقيم الأخلاقية ، وعلى العالمية في رسالتها ، والواقعية في مبادئها ، والإنسانية في نزعتها ، فظل العقيدة الصحيحة يكون البناء الحضاري مشعباً بروح القيام بحق الاستخلاف ، وإعلاء كلمة الله في الأرض ، وتهيئة الظروف المناسب لأداء الرسالة ، وتحقيق فاعلية الإنسان في الكون وفق منهج العبودية لله سبحانه وتعالى في كل جوانب الحياة .

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام محمد رسوله الامين الذي أرسله الله إلى الناس كافة ليهديهم سبيل الرشاد ، ويحذرهم سبل الغي والفساد ، ورضوان الله على صحابته أجمعين ، والتابعين الذين اهتدوا بهديه وساروا على نهجه ، فكانوا نجوم هداية ، وبناء حضارة للناس أجمعين ، وبعد :

فإنه من المؤكد أن حجر الأساس لبناء الحضارة في أي مجتمع إنما يرتبط بال قاعدة الفكرية التي يؤمن بها المجتمع ، سواء كانت عقيدة دينية ، أو تصوراً فلسفياً ، أو غير ذلك ، حيث ترتبط أنظمة الحياة ومعايير السلوك البشري وانماطه وعلاقات البشر ، بالمفاهيم الأساسية عن الآلة والكون والحياة والإنسان ، وعلاقتها ببعضها البعض ، وبما أن صلاح الفرد يكون بصلاح عقيدته ، فلكذلك المجتمع يسمو ويرتفع ، أو يهبط إلى وهدة الانحطاط تبعاً للعقيدة التي يقوم عليها .

ومن هنا فإن علاقة العقيدة بالحضارة الإنسانية قضية تستحق البحث والنظر ، خاصة والمجتمع المسلم اليوم يعيش حالة من التخلف الحضاري في مواجهة موجة الحضارة الغربية المادية التي انخدع ببريقها كثير من الناس .

ومع تنامي مد الصحوه الإسلامية المباركة ، وتعالى أصوات المصلحين الداعين إلى تصحيح مسار الحياة الإسلامية ، وبعث الحضارة الإسلامية من جديد ، تظهر لنا أهمية البحث في أسس ومقومات الحضارة الحقّة ، وسبل بعثها .

وهذا البحث محاولة لبيان العلاقة بين العقيدة الصحيحة والحضارة الإنسانية الحقّة ، التي تنشدها البشرية اليوم ، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في أربعة مطالب وخاتمة :

المطلب الأول : التعريف بالعقيدة والحضارة والعلاقة بينهما .

المطلب الثاني : خصائص العقيدة الإسلامية وأثرها في بناء الحضارة .

المطلب الثالث : أسس ومقومات الحضارة وأثر العقيدة فيها .

المطلب الرابع : آثار الانفصام بين العقيدة الصحيحة والحضارة .

الخاتمة : النموذج الحضاري المطلوب .

أسأل الله تعالى أن ينفع به ، والله من وراء القصد .

المطلب الأول : التعريف بمصطلحات البحث .**أولاً : تعريف العقيدة الإسلامية :**

(١) **تعريف العقيدة لغة :** العقيدة في اللغة تدل على كل شيء أشد وصلب ، كما تطلق على كل ما ثبت وقوي ، وعلى كل أمرٍ مستيقن يطمئن إليه القلب ، وعلى كل ما اتصل بغيره واستحكم .

وهذه عبارات أصحاب القواميس والمعاجم في هذا الصدد :

- يقول الجوهري : (اعتقد الشيء ، أشد وصلب)^(١) .
- ويقول الفيروز آبادي : (عقد الحبل والبيع والعهد يعقده أي يشده)^(٢)
- ويقول ابن منظور: (العقيدة من الشد والربط، وعقدة كل شيء إبرامه ، وتعقد الإخاء أي استحكم)^(٣)
- ويقول الزبيدي : (العقيدة : تدل على التصميم ... ثم استعمل في التصميم والاعتقاد الجازم)^(٤)
- وفي المعجم الوجيز : (عقد السائل عقداً غلظاً أو جمداً بالتبريد أو التسخين ، وعقد الزهر : تضاف أجزاؤه فصار ثمرًا ، وعقد البناء : ألصق بعض حجراته ببعض بما يمسكها فأحكم إلصاقها ، وعقد البيع ، واليمين ، والعهد : أكدها ، وفي القرآن ﴿ لَأُؤَاخِذُكُمْ بِاللَّغُوفِ أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْأَيْمَانَ ﴾ {المائدة:٨٩} . واعتقد فلان الأمر : صدقه وعقد عليه قلبه وضميره ، ... والعقدة : ما يمسك الشيء ويوثقه ، والعقيدة : ما لا يشك معتقده فيه...)^(٥) .

(١) الصحاح ، لإسماعيل بن حماد الجوهري، دار الحديث، القاهرة ، ط١ ، عام ٢٠٠٩م، ص٧٩١

(٢) القاموس المحيط ، للفيروز آبادي ، دار الفكر ، بيروت ، ط ١٩٧٨م ، ٣١٥/١ .

(٣) لسان العرب ، لابن منظور ، دار صادر ، بيروت ، ٢٩٨/١٣ - ٢٩٩ .

(٤) تاج العروس ، مرتضى الزبيدي ، دار الجبل ، لبنان ، ط ١٩٧٠م ، ٣٩٤/٨ .

(٥) مجمع اللغة العربية ، المعجم الوجيز ، المركز العربي للثقافة ببيروت ، ص ٤٢٦ - ٤٢٧ .

فمن هذه النقولات عن أصحاب القواميس والمعاجم اللغوية ، نخلص إلى أن العقيدة في اللغة تدل على : الشد والصلابة ، والربط والتوثيق ، والجمع بين أطراف الشيء ، سواءً كان مادياً أو معنوياً ، حيث تستعمل في الأشياء الحسية كعقد الحبل والخيط والبناء ، وتستعمل في الأشياء المعنوية كعقد البيع والنكاح ، والمعتقدات الفكرية القائمة على التصديق وعقد القلب على الشيء بحيث لا يقبل الشك .

(٢) **تعريف العقيدة في الاصطلاح** : يختلف مفهوم العقيدة عند المسلمين عنه عند غير المسلمين ، لذلك لا بد من عرض مفهوم العقيدة عند الطرفين لمعرفة الاختلاف في تحديد المفهوم وذلك على النحو الآتي :

(أ) **تعريف العقيدة عند المسلمين** : لفظ العقيدة في الاصطلاح العام عند المسلمين لا يبعد كثيراً عن المعنى اللغوي ، بل للجذر اللغوي نوع علاقة بالمعنى الاصطلاحي ، وهذا بين في كل المصطلحات الشرعية .

وقد تعددت التعريفات للعقيدة عند المسلمين ، ويمكن حصرها في اتجاهين : **الأول** : يقصر مفهوم العقيدة على التصديق القلبي والقناعة الفكرية ، فالعقيدة عندهم تعني : " التصورات الفكرية اليقينية التي يؤمن بها الإنسان ، عن الإله والكون والحياة والنفس والعلاقة بينها " (٦) .

الثاني : يرى أن مفهوم العقيدة يشمل التصديق القلبي والتصور الفكري مضافاً إليه العمل ، فالعقيدة عندهم تعني : " التصورات الفكرية اليقينية التي يؤمن بها الفرد وتوجه سلوكه في الحياة " ، وذلك على اعتبار أن العقيدة لفظ

(٦) ينظر في ذلك :

- ✦ تقي الدين النبهاني ، نظام الإسلام ، ط ٥ ، عام ١٩٥٣ م ، ص ٢٢ ،
- ✦ يوسف القرضاوي ، الإيمان والحياة ، مؤسسة الرسالة ، ط ٤ ، ١٣٩٩ هـ ، ص ١٧٩
- ✦ محمد أبو يحيى ، الثقافة الإسلامية ، دار المناهج ، عمان ، ط ٢٠٠٠ م ، ص ٤٨٧ .

مرادف للإيمان ، والإيمان يشمل في حقيقته الاعتقاد والعمل بناءً على ذلك الاعتقاد^(٧) .

والتعريف الثاني هو الراجع ، نظراً لارتباط العقيدة بالإيمان في الاصطلاح الشرعي ، فكل منهما ينوب عن الآخر ، والإيمان ما صدقه القلب ونطق به اللسان وعملت به الجوارح وانعقد عليه الضمير بوعي وعلم ، وكذلك العقيدة .

(ب) **تعريف العقيدة عند غير المسلمين :** اقتصر معنى العقيدة عند غير المسلمين وخاصة الغربيين على الجانب الانفعالي ، فهو عبارة عن شعور داخلي يخضع لمؤثر خارجي، يدفع الإنسان إلى التصديق بقضية من القضايا، واصحاب هذا الاتجاه على قسمين :

الأول : يعتبر هذا الشعور مبنياً على الوهم والعاطفة ولا علاقة للعقل به ، ومنهم :

١. (غوستاف لوبون) حيث يعرف العقيدة بأنها : إيمان ناشئ عن مصدر لا شعوري ، يكره الإنسان على التصديق بقضية من القضايا من غير دليل^(٨) .
٢. (باسكال) حيث يقول : " إن الاعتقاد مبني على العاطفة لا العقل"^(٩) .

ويلاحظ عند أصحاب هذا الاتجاه أنه لا علاقة للعقل بالاعتقاد ، بل يربطون العقيدة بالعواطف والميول، ويجعلون العقيدة في جانب ، والعلم المبني على العقل في جانب آخر ، وهو منهج متبع عندهم منذ القرن الثامن عشر الذي تم فيه الفصل بين الدين والعلم ، والموقف في مجمله كان رداً على الكنيسة التي حاربت العلم ، وحجرت على العقول ، فقامت الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩م وكانت

(٧) ينظر في ذلك :

❖ الإيمان كما يصوغه الكتاب والسنة ، علي عبد المنعم ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ١٩٧٨م ، ص ١٩ .

❖ عقيدة المسلم ، خالد العك ، دار الإيمان ، ١٩٨٨م ، ص ٨١ .

(٨) نقلاً عن لمحات في وسائل التربية د. محمد أمين المصري ، ص ٧٦ .

(٩) المصدر السابق ، ص ٧٦ .

النتيجة الحجر على الكنيسة ، وإبعادها عن العلم والحضارة وقطع صلتها بالسلطة والحكم .

الثاني: يرى أن العقيدة مبنية على العقل والإرادة، بل يعتبر الرأي والمذهب أياً كان عقيدة، ومنهم (ديكارت) حيث يقول: "العقيدة هي الرأي المعترف به بين أفراد مذهب واحد كالعقيدة الماركسية" (١٠)

ومما سبق يتبين لنا : أن العقيدة في المفهوم الإسلامي هي التصورات الفكرية القائمة على الوعي والتدبر، التي يؤمن بها الفرد وتوجه سلوكه في حياته العملية .

أما العقيدة في غير المفهوم الإسلامي فهي : إما قاصرة على أوهام ، أو مبنية على عاطفة، أو رأي مجمع عليه بين البعض ، ولا علاقة لها بالحياة العلمية والعملية .

ثانياً : مفهوم الحضارة :

أ) تعريف الحضارة في اللغة : لفظ " الحضارة " في بنيته المعجمية العربية مشتق من مادة (حضر) ، وبالرجوع إلى هذه المادة نجدتها تتعلق بمعانٍ أرجعها ابن فارس إلى أصل واحد هو : (شهود الشيء ، وإيراده ، ومشاهدته) (١١) .

وهذا هو الأصل المستخدم في كل آيات القرآن الكريم للجذر (حضر) كما في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ ﴾ {البقرة: ١٨٠} ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ ﴾ {النساء: ٨} ، وقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾ {آل عمران: ٣٠} .

وعلى هذا أصل الكلمة ، فيقال : حضر، يحضر، حضوراً ، وحضارة ، من الحضور أي : المشاهدة ضد الغيب والغيبة ، والحاضر : هو الشاهد ، خلاف

(١٠) المعجم الفلسفي ، د. جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، ط ١٩٧٩م ، ٩٢/٢ .

(١١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، ت : هارون دار الجيل ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٩٩م ، ٧٥/٢ ، وما بعدها .

البادي ، أي : الغائب ، والحضارة : شهود الحضرة والإقامة فيه ، والحضارة خلاف البداوة ، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ، ومساكن الديار التي يكون بها قرار^(١٢) .

ب) تعريف الحضارة في الاصطلاح : تعددت تعريفات الحضارة عند العلماء والمفكرين ، واختلفت نظرتهم إلى الحضارة تبعاً لاختلاف أفكارهم ومبادئهم وثقافتهم ، وتنوعت تبعاً لذلك دلالات الحضارة بتنوع تعريفاتها ، ومجمل تعريفات الحضارة تدور حول ستة مظاهر هي :

١) المظهر المادي : فالحضارة تعني عند أصحاب هذا الاتجاه : " ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته سواءً كان الجهد مقصوداً أو غير مقصود"^(١٣) .

أي أنها: مدى ما وصلت إليه أمة من الأمم في نواحي نشاطها من عمران وعلوم وفنون ونحوها والترقي بها في مدارج الحياة حتى تصل إلى الغاية .

٢) المظهر الثقافي والعلمي : ويظهر هذا جلياً في تعريف مجمع اللغة العربية للحضارة بأنها : " جملة مظاهر الرقي العلمي والفني والأدبي ، التي تنتقل من جيل إلى جيل ، في مجتمع واحد أو مجتمعات متشابهة"^(١٤) .

وكذا في تعريف بعض الغربيين (توماس مان - كسير لنج) للحضارة بأنها : " المظاهر الفكرية التي تسود أي مجتمع " .
وأصحاب هذا الاتجاه يرون أن الحضارة مرادف للثقافة ، ومقتصرة على الجانب الفكري أو المعنوي فقط .

(١٢) ينظر في ذلك لسان العرب، لابن منظور: ٣/٢١٤ والقاموس المحيط للفيروزآبادي، ص ٤٨٢ .

(١٣) الحضارة : د. حسين مؤنس ، عالم المعرفة الكويت ، ط ٢ ، ١٩٩٨ م ، ص ١٥ .

(١٤) المعجم الوجيز ، مصدر سابق ، ص ١٥٧ .

(٣) المظهر الحيواني: وأصحاب هذا الاتجاه هم الذين لا يؤمنون بالقيم والأخلاق والدين، يقول (نيتشه) : " إن الحضارة هي القضاء على العدل والأخلاق ، وترك العنان لطبيعتنا الحرة السافرة لتفعل ما تشاء ، ولو أدى ذلك إلى أن نسير على الجماعم في سبيل تحقيق ذلك " (١٥) .
وهذا المفهوم للحضارة يظهر عبر التاريخ المعاصر في المجازر الوحشية التي قام بها أصحابه في كثير من مناطق العالم .

(٤) المظهر الروحي : وأصحاب هذا الاتجاه يرون أن الحضارة تعني : " التصور السليم للحياة الدنيا وغايتها في نظام اجتماعي يقود الإنسان إلى الرقي " (١٦) .

(٥) المظهر الجمالي : ويمثل هذا الاتجاه ابن خلدون ، حيث ينظر إلى الحضارة على أنها " تفتن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه ، من المطابخ والملابس والمباني ، والفرش وسائر العوائد " (١٧) .
فالحضارة عند ابن خلدون مقتصرة على الجانب العمراني المترف في النشاط البشري فلا يدخل فيه النشاط الديني والعقلي والخلقي ، وهو مفهوم ضيق لمصطلح الحضارة .

(٦) المظهر العام : وأصحاب هذا الاتجاه يرون أن مفهوم الحضارة أعم ، يشمل الجوانب والمظاهر السابقة، فالحضارة تعني : " كل ما ينشئه الإنسان في كل ما يتصل بمختلف جوانب نشاطه ونواحيه ، عقلاً وخلقاً ، مادة وروحاً ، ديناً ودنياً ، فهي في إطلاقها وعمومها - قصة الإنسان في كل ما أنجزه على اختلاف العصور وتقلب الأزمان ، وما صورت به علاقته بالكون وما وراءه " (١٨) .

(١٥) الحضارة الإسلامية مقارنة بالحضارة الغربية ، د. توفيق الواعي ، دار الوفاء مصر، ط١ ، عام ١٩٨٨م ، ص ٢٩ .

(١٦) المصدر السابق .

(١٧) مقدمة ابن خلدون ، دار القلم ، بيروت ، ط٦ ، ١٩٨٦م ، ص ١٧٢ .

(١٨) الإسلام والحضارة الغربية ، د. محمد محمد حسين ، المكتب الإسلامي بيروت ، ط١ ، ١٩٧٩م ، ص ٤ .

أو بتعبير سيد قطب : " ما يعطى للبشرية من تصورات ومفاهيم ومبادئ وقيم، تصلح لقيادة البشرية، وتسمح لها بالنمو والترقي الحقيقيين.. النمو والترقي للعنصر الإنساني، وللقيم الإنسانية، وللحياة (الإنسانية) " (١٩) .

وبناء على ما سبق ، نستطيع القول بأن مصطلح الحضارة يتضمن جانبين :

الأول : الجانب المعنوي ، ويتمثل في المبادئ والقيم والتصورات الفكرية والروحية، وهي الأمور التي تخدم الروح لتحقيق السعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة .

والثاني : الجانب المادي ، ويتمثل في ثمرة الجهد البشري في جميع جوانب الحياة من مخترعات تخدم الجسد الإنساني ، وتحقق له المتعة والرفاهية ، وتخدم المجتمع الإنساني بتحقيق الإخاء والتعاون وحفظ الحقوق من خلال النظم الإدارية وطرق المعاملات بين البشر ، فما يميز أي حضارة ، ليس هو جملة المعارف والصناعات التي تحدثها ، في أثناء تحركها للحياة ، بقدر ما هو جملة المعايير والقيم التي تحيط بهذه المعارف والصناعات وتوجهها .

فالحضارة بهذه الاعتبار تطلق ويراد بها : كل حضور يحرك الواقع نحو معياره ، بكل مكوناته كما يحرك المعيار ليؤصل التزام الواقع به " (٢٠) .

وبهذا يصبح لكل حضارة تعريفها الخاص بها ، بناءً على نموذجها المعرفي الكائن فيها ، وقيمها التي أبدعتها ، ومذاقها الخاص الذي يميزها، ومن هذا التمايز في " القيم " يأتي " التدافع الحضاري " الذي هو من سنن الحياة .

ثالثاً : العلاقة بين العقيدة والحضارة :

من خلال تعريف الحضارة ، تبين لنا أن الأفكار والمعتقدات تشكل جزءاً من مفهوم الحضارة ، وبالتالي فأغلب الباحثين والعلماء والمفكرين يعتبرون الدين والعقيدة عنصراً من عناصر تكوين الحضارات ، بل العقيدة تمثل المفاعل الذي

(١٩) المستقبل لهذا الدين ، سيد قطب ، دار الشروق ، ص ٥٦ .

(٢٠) ينظر : مشكلة الثقافة ، مالك بن نبي ، دار الفكر ، دمشق ، ط٤ ، ص ٢١ وما بعدها .

يدمج عوامل تشكيل الحضارة ، وقد صاغ المفكر مالك بن نبي ، العوامل التي تشكل الحضارة بالمعادلة الآتية :

إنسان + مادة + وقت ← الفكرة الدينية ناتج حضاري .

وأشار إلى أن هذه المعادلة لا تعطي ثمارها إلا بمفاعل أو مركب أسماه (الفكرة الدينية) ، سواءً كانت عقيدة سماوية صحيحة كالإسلام ، أو مبدأً يبلغ عند أصحابه مبلغ العقيدة كالشيوعية ، أو الرأسمالية ونحوهما^(٢١) .

وفكرة المفاعل هذه قال بها أيضا (كسرلنج) حيث يرى أن حضارة أوروبا ترتكز على روحها الدينية^(٢٢) .

بل ذهب (هنتنجتون) إلى اعتبار الدين عنصراً أساسياً في أي حضارة ، مؤكداً على عنصر التمايز بين الحضارات ، والمتجسد في الدين، حيث يقول: "إن الفروق بين الحضارات ليست فروقاً حقيقية فحسب، بل هي فروق أساسية، فالحضارات تتمايز الواحدة عن الأخرى بالتاريخ واللغة والثقافة والتقاليد والاهم الدين"^(٢٣) وكان المؤرخ (ول ديورانت) أكثر دقة حين ذكر أن من عناصر الحضارة ، الإيمان بما هو كائن وراء الطبيعة ، أو بما هو بمثابة المثل الأعلى المنشود^(٢٤) .

وفي دراسة توثيقية (لأرنولد توينبي) أكد فيها العلاقة المتينة بين الدين والحضارة ، واعتبر هذه العلاقة بمثابة العلاقة بين المقدمة ونتائجها^(٢٥) . والدارسون للحضارات السابقة وآثارها ، يقضون على مكانة الدين والاعتقاد من تلك الحضارات .

(٢١) الصراع الفكري في البلاد المستعمرة ، مالك بن نبي ، ص ٥٣ .

(٢٢) دروب النهضة ، محمد العبدية ، دار الإعلام ، الأردن ، ط١ ، ٢٠٠٣ م ، ص ٢٤ .

(٢٣) صدام الحضارات ، صامويل هنتنجتون ، ترجمة طلعة الشايب ، دار سطور القاهرة ، ١٩٩٨ م ، ص ٢٠ .

(٢٤) قصة الحضارة ، ول ديورانت ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١، عام ٢٠٠٢ م ، ٢٠/١ .

(٢٥) نقلاً عن العلاقات الحضارية د . محمد ادريس ، دار القلم دمشق ، ٢٠٠٣ م ، ص ٣٢ .

وقد حدد الدكتور / محمود زقزوق الأبعاد الأساسية للحضارة، وجعل الدين أحد العناصر الفعالة والمقومات الأساسية في كل حضارة، ومن ثم لا يجوز تجاهله أو تهمله، بأي شكل من الأشكال، فهو مغروس في الفطرة الإنسانية^(٢٦). وبالتالي فإن الدين والعقيدة لها تأثيرها في الحضارة، سلباً وإيجاباً، بناءً على نوع العقيدة التي تقوم عليها، فإذا كانت العقيدة صحيحة المبدأ، صافية المشرب، كانت الحضارة أرقى وأنفع للبشرية، وكلما كانت العقيدة فاسدة المبدأ كدرة المشرب، كان ناتجها الحضاري غير نافع للبشرية.

وما دمنا نؤمن أن هناك دين صحيح هو الإسلام، وديانات باطلة هي ما سواه، واتفقنا مع من يقول " إنه لا توجد حضارة إلا وللدين أثر فيها " فإننا نصل إلى أنه: " لا توجد حضارة حقيقية إلا وللدين الإسلامي أثر فيها، ولا توجد حضارة مزيفة إلا وللديانات المحرفة والباطلة أثر فيها". وتصبح المعادلة كالآتي :

إنسان + مادة + وقت ← دين باطل = حضارة مزيفة .

إنسان + تراب + وقت ← دين صحيح = حضارة حقيقية .

إذن : لا خلاف في رأينا على المكانة التي يحتلها الدين والعقيدة في بناء أي حضارة، قديماً وحديثاً، بل إن بعض الباحثين والمفكرين يربطون بين الحضارة وبين الدين الحق فقط، فيجعلون مصطلح الإسلام مساوياً لمصطلح الحضارة، ومن هؤلاء : (برنارد لويس)، حيث يرى أن الإسلام هو الحضارة الوحيدة التي جعلت بقاء الغرب موضع شك^(٢٧).

وقد عقد سيد قطب -رحمه الله - فصلاً في كتابه القيم " معالم في الطريق" بعنوان : " الإسلام هو الحضارة " أوضح فيه أن المجتمع الذي يقوم على تعاليم الإسلام هو " المجتمع المتحضر " وأن المجتمعات الجاهلية بكل صورها مجتمعات متخلفة .

(٢٦) الحضارة فريضة إسلامية د. محمود زقزوق، مكتبة الشروق القاهرة، ٢٠٠١م، ص ٢٩ .

(٢٧) صدام الحضارات، مرجع سابق، ص ٣٣٩ .

يقول رحمه الله : " كنت قد أعلنتُ مرة عن كتاب لي تحت الطبع بعنوان : " نحو مجتمع إسلامي متحضر " ثم عدت في الإعلان التالي عنه فحذفت كلمة " متحضر" مكتفياً بأن يكون عنوان البحث - كما هو موضوعه - " نحو مجتمع إسلامي " ، ولفت هذا التعديل نظر كاتب جزائري (يكتبه بالفرنسية) ففسره على أنه ناشئ من " عملية دفاع نفسية داخلية عن الإسلام " وأسف لأن هذه العملية - غير الواقعية - تحرمني مواجهة " المشكلة " على حقيقتها !

أنا أعذر هذا الكاتب . . لقد كنت مثله من قبل . . كنت أفكر على النحو الذي يفكر هو عليه الآن . . عندما فكرت في الكتابة عن هذا الموضوع لأول مرة ! . . وكانت المشكلة عندي - كما هي عنده اليوم - هي مشكلة : " تعريف الحضارة " !

لم أكن قد تخلصت بعد من ضغط الرواسب الثقافية في تكويني العقلي والنفسي ، وهي رواسب آتية من مصادر أجنبية . . غريبة على حسي الإسلامي . . وعلى الرغم من اتجاهي الإسلامي الواضح في ذلك الحين ، إلا أن هذه الرواسب كانت تغبش تصوري وتطمسه ! كان تصور " الحضارة " - كما هو الفكر الأوربي - يخال لي ، ويغبش تصوري ، ويحرمني الرؤية الواضحة الأصلية .

ثم انجلت الصورة . . " المجتمع المسلم " هو " المجتمع المتحضر " . فكلمة " المتحضر " إذن لغو ، لا يضيف شيئاً جديداً . . على العكس تنقل هذه الكلمة إلى حس القارئ تلك الظلال الأجنبية الغربية التي كانت تغبش تصوري ، وتحرمني الرؤية الواضحة الأصلية^(٢٨) .

وجمهور العلماء والمفكرين المتتبعين للمسألة الحضارية ، يربطون بين الدين الحق وبين الحضارة الصحيحة ، الأمر الذي يجعلنا نعجب مما ذهب إليه بعض الكتاب كأمثال (رفعت السيد) من رفض الاعتراف بوجود ما يسمى " حضارة إسلامية " لأن الإسلام ومعطيات مجتمع ما لا يساوي الإسلام ومعطيات مجتمع

(٢٨) معالم في الطريق ، سيد قطب ، دار القدس ، ٢٠٠٩م ، ص ٩٢ - ٩٤ ، بتصرف .

آخر، وبالتالي دعا إلى الاستعاضة عن " الحضارة الإسلامية " بالحضارة العربية".

وفي رأينا أن هذه المعطيات التي يزعم أنها متباينة بين المجتمعات لا تكفي كي تكون عنصراً حاسماً في الفصل بين مجتمع وآخر، لأننا بنفس المنطق لن نجد حضارة عربية متطابقة، لاختلاف معطيات البلدان العربية. فالتنوع داخل الحضارة الواحدة إذاً أمر طبيعي ولا شائبة فيه، فهي بمثابة روافد تصب في مصب واحد. (٢٩)

والخلاصة: أن علاقة العقيدة والدين بالحضارة علاقة وطيدة، فإن كانت العقيدة صحيحة، كانت عنصر بناء حضاري سليم، وإن كانت العقيدة باطلة كانت عامل هدم حضاري.

فالعقيدة السائدة في أمة من الأمم، سواء كان مصدرها دين سماوي أم كانت من وضع البشر، هي التي تحدد انطلاقة الحضارة في هذه الأمة، ذلك أن العقيدة هي التي تحدد الأهداف العامة للحضارة، وترسم معالمها الرئيسية وتصبغها، فتبرز في الحضارة الخصائص الأساسية لهذه العقيدة أو تلك.

المطلب الثاني: خصائص العقيدة الإسلامية وأثرها في بناء الحضارة:

تنفرد العقيدة الإسلامية بعدة خصائص ومميزات، كان لها أثرها في بناء الحضارة الإنسانية، ويمكن استعراض هذه الخصائص وأثرها في بناء الحضارة فيما يأتي:

أولاً: التوحيد:

طبيعة هذا الدين وعقيدته تقوم على الإلهوية الواحدة، وهذا هو الأصل الذي ترجع إليه كل التنظيمات والتشريعات الأخرى، فعقيدة التوحيد هي محور كل شيء في حياة الفرد المسلم، والأمة الإسلامية، وغاية الوجود الإنساني هي

(٢٩) العلاقات الحضارية، مرجع سابق، ص ٣٢.

تحقيق التوحيد لله عز وجل الذي حدده قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ {الذاريات:٥٦} .

وتحقيق غاية الوجود الإنساني هو الذي تنشأ عنه الحضارة في الواقع البشري، وهو المعيار الذي تقوّم به صعوداً أو هبوطاً ، واستقامة أو انحرافاً، وحين تختلف النظرة إلى غاية الوجود الإنساني ، تختلف النظرة إلى الحضارة .

فحين تكون غاية الوجود الإنساني هي عبادة الله ، بالمعنى الواسع للعبادة ، والذي يشمل كل نشاط يقوم به الإنسان في جميع مجالات حياته ما دام يتوجه به إلى الله تعالى ، ويستمد فيه من منهج الله ، يكون هذا النشاط الهادف نشاطاً حضارياً ينشئ الحضارة ، فما الحضارة إلا منجزات النشاط البشري الهادف ، لتحقيق غاية الوجود الإنساني في مختلف المجالات .

ومن هنا نستطيع القول – واثقين – أن ما تنتجه الجاهليات من منجزات مادية، أو عقلية ، وإن بدأ ضخماً ليس حضارة حقيقية ، لأنه يفقد الشرط الأساسي الذي يجعل هذا النشاط والمنجزات البشرية حضارة ، وهو أن يكون هدفها متجهاً إلى تحقيق غاية الوجود الإنساني ، وليس معاكساً لهذا الاتجاه .

فتحقيق الجانب الروحي للإنسان وحده على حساب الجانب المادي لا يحقق غاية الوجود الإنساني كاملة ، والعكس كذلك ، كما أن اجتماع الجانبين معاً ، ولكن على غير قاعدة صحيحة – هي قاعدة التوحيد الخالص – لا يشكل حضارة بالمفهوم الصحيح ، كما حدث في الجاهلية الفرعونية التي شملت عالم الروح والمادة ، لكن على قاعدة تأليه الفرعون والعبودية له من دون الله .

إنما الحضارة الصحيحة هي التحقيق السوي لغاية الوجود الإنساني في الأرض التي حدودها قوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ {الذاريات:٥٦} .

وفسرها قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، لَا شَرِيكَ لَهُ
وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ { الأنعام: ١٦٣- ١٦٢ } (٣٠) .

إن قاعدة التوحيد في العقيدة الإسلامية تقوم على أساس التوجه إلى الله تعالى
بكل ألوان النشاط البشري والاستمداد منه في كل جوانب الحياة البشرية ،
وحينما تقوم الحضارة على هذين الأصلين تكون حضارة صحيحة .

يقول سيد قطب : " حين تكون الحاكمية العليا في مجتمع لله وحده -
متمثلة في سيادة الشريعة الإلهية - تكون هذه هي الصورة الوحيدة التي يتحرر
فيها البشر تحرراً كاملاً من العبودية للبشر . وتكون هذه هي " الحضارة
الإنسانية " لأن حضارة الإنسان تقتضي قاعدة أساسية من التحرر الحقيقي
الكامل للإنسان ، ومن الكرامة المطلقة لكل فرد في المجتمع . ولا حرية - في
الحقيقة - ولا كرامة للإنسان - ممثلاً في كل فرد من أفرادها - في مجتمع
بعضه أرباب يشرعون ، وبعضه عبيد يطيعون ! (٣١)

فلئن كان الإنسان مخلوقاً لعبادة الله ، فإن عمارة الأرض هي جانب من مفهوم
العبادة الواسع الشامل ، الذي يحقق خلافة الإنسان في الأرض لعمارتها ، كما
قال سبحانه وتعالى ﴿ وَإِلَىٰ شُؤْمِ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ
أَشْرَأُكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَغْرَمُكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ { هود: ٦١ } .

فالأرض لا تعمر حقاً إلا تحت المظلة الإيمانية القائمة على إقامة التوحيد في
الأرض وإزالة مظاهر الشرك والوثنية فيها ، وهذا أهم ما تميزت به الحضارة
الإسلامية التي انطلقت من منطلق الإيمان والتوحيد ، واستظلت بظل العقيدة
الصحيحة ، وهي تعمر الأرض وتحقق مقتضيات الاستخلاف الإلهي للإنسان في
الأرض .

(٣٠) مفاهيم ينبغي أن تصحح ، محمد قطب ، دار الشروق ، ط ٦ ، ١٤١١ هـ ، ص ٣٣٨ - ٣٤٢

(٣١) معالم في الطريق ، سيد قطب ، مرجع سابق ، ص ٩٤ .

ثانياً : الشمول والتوازن :

من خصائص العقيدة الإسلامية ، الشمول والتوازن ، شمولها للكيان الإنساني كله روحاً وعقلاً وجسداً ، وشمولها في عرض حقائق الوجود ورد كل ما فيه إلى الإله الواحد ، وتقدير عبودية ما سواه له سبحانه ، وتوازنها في علاقة الوحي بالعقل ، وكذا فاعلية الإنسان في الكون وفاعلية الكون في الإنسان ، وعبودية الإنسان لله وسيادته على الكون بأمر الله ، وأخيراً التوازن بين عالم الغيب وعالم الشهادة في حس المسلم^(٣٢) .

هذه الخاصية جعلت العقيدة الإسلامية تتسع فتشمل كل نشاط الإنسان في كل حقول الحياة ، فلا تقتصر مهمتها على حقل دون حقل ، ولا على اتجاه دون اتجاه . إنها لا تدع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله ، فما لقيصر وقيصر ذاته في العقيدة الإسلامية كله لله ، كما أنها لا تتولى روح الفرد وتهمل عقله وجسده ، أو تتولى شعائره ، وتهمل شرائعه ، أو تتولى ضميره ، وتهمل سلوكه ، ولا تتولاه فرداً وتهمله جماعة ، ولا تتولى حياته الشخصية ، وتهمل نظام حكمه أو علاقات دولته " (٣٣) .

بهذا الشمول والتوازن ، أصبحت الشعائر الدينية التي أوجبها الله سبحانه وتعالى على العباد جزءاً من المفهوم الإسلامي للحضارة ، وإقامة شريعة الله في الأرض والحكم بما أنزل الله وهو المقتضى المباشر لـ " لا إله إلا الله " جزءاً من المفهوم الإسلامي للحضارة ، وإقامة العدل الرباني في الأرض كما أراد الله أن يكون جزءاً من المفهوم الإسلامي للحضارة ، بل إن إقامة الحياة كلها بكل ألوان النشاط فيها على قاعدة الأخلاق الفاضلة ، والقيم السامية جزء من المفهوم الإسلامي للحضارة .

(٣٢) ينظر : تفاصيل خاصة الشمول والتوازن في العقيدة الإسلامية ، كتاب خصائص التصور الإسلامي ، سيد قطب ، دار الشروق ، ص ٩٥ ، وما بعدها .

(٣٣) السلام العالمي والإسلام ، سيد قطب ، دار الشروق ، ص ٧ ، ١٩٨٣ م ، ص ٨ .

وإن طلب العلم بدين الله وأحكامه وبالسنة الإلهية في الكون والمادة الذي يعين على الاستفادة من كل ما سخره الله للإنسان في الكون واستخدامه في عمارة الأرض جزء من المفهوم الإسلامي للحضارة .

بهذا الشمول والتوازن يظهر لنا المفهوم الشامل للحضارة في ظل العقيدة الإسلامية ، حضارة الإنسان الخليفة في الأرض ، الذي يقيم حضارته المادية في توازن مع القيم الروحية والأخلاقية .^(٣٤)

وإذا كانت حضارات سابقة للإسلام أو معاصرة له قد ركزت على الجانب الروحي ، وأهملت الحياة الدنيا وعمارة الأرض بوصفها أموراً ألصق بالحس وأقرب إلى متاع الجسد - والجسد عندها ملعون ومحتقر - .

وحضارات أخرى ركزت على الجانب المادي للحضارة ، وأهملت عالم الروح والآخرة بوصفها أموراً شخصية بل ومعوقات لانطلاق الحضارة ، وأكبت على عالم الحس والمادة ، تبتدع فيهما كل عبقريتها ، وتصب فيهما كل طاقتها ، بصرف النظر عن القيم والمثل والمبادئ . فإن الإسلام بعقيدته الصافية وهو المنهج الشامل الذي لا يهمل جانباً من جوانب الإنسان ، ولا يلبي جانباً منه على حساب جانب آخر ، وهنا تكمن عظمة الحضارة القائمة على العقيدة الإسلامية وميزتها على كل حضارة قامت في معزل عن تلك العقيدة .

ثالثاً : العالمية والإنسانية :

اتسمت العقيدة الإسلامية بسمة العالمية والإنسانية ، فهي عقيدة بني الإنسان من كل جنس ولون ، فليست عقيدة للسلالة دون الضعفاء ، وليست للبيض دون السود ، بل هي عقيدة للبشر جميعاً ، قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ {سبأ: ٢٨} .

(٣٤) مفاهيم ينبغي أن تصحح ، محمد قطب ، مرجع سابق ، ص ٣٤٢ وما بعدها بتصريف .

يقول سيد قطب - رحمه الله - : " إنها الرسالة الأخيرة ، فهي الرسالة الشاملة التي لا تختص بقوم ولا أرض ولا جيل، ولقد كانت الرسائل قبلها رسالات محلية قومية محدودة بفترة من الزمان - ما بين عهدي رسولين - وكانت البشرية تخطو على هدى هذه الرسائل خطوات محدودة ، تأهيلاً للرسالة الأخيرة " (٣٥) .

إن الناظر في العقيدة الإسلامية يجد أنها تحريراً شاملاً للإنسان من داخله، بتحريره من نزعاته وأهوائه ، وإبراز إنسانيته بإحياء المعاني الروحية والقيم السامية فيه ، ومن خارجه بتحريره من الخضوع والتعبد لغير الله وحده ، وبذلك بعث الركام الإنساني وعادت له الحياة الحقة ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ أَمْ مَنْ كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ { الأنعام: ١٢٢ } .

ولخاصية عالمية العقيدة الإسلامية وإنسانيته عدة مظاهر لها أثرها في بناء الحضارة الإنسانية الحقة وهي :

(١) قيامها على الألوهية الواحدة ، وعبودية ما سوى الله له : فالعقيدة الإسلامية تقوم على أساس إفراد الله سبحانه وتعالى بالألوهية ، وتعامل الإنسان مع ربه، ومع الكون ونواميسه ، ومع الأحياء ، تعاملًا تتمثل فيه حقيقة العبودية لله وحده .

يقول سيد قطب - رحمه الله - : " حين تكون الحاكمة العليا في مجتمع لله وحده ، متمثلة في سيادة الشريعة الإلهية تكون هذه هي الصورة الوحيدة التي يتحرر فيها البشر تحرراً كاملاً وحقيقياً من العبودية للبشر ، وتكون هذه هي الحضارة الإنسانية ، لأن حضارة الإنسان تقتضي قاعدة أساسية من التحرر الحقيقي الكامل للإنسان ، ومن الكرامة المطلقة لكل فرد في المجتمع ،

(٣٥) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، دار الشروق ، ١٣٧٩/٣ .

ولا حرية - في الحقيقة - ولا كرامة للإنسان - ممثلاً في كل فرد من أفراد - في مجتمع بعضه أرباب يشرعون، وبعضه عبيد يطيعون ! .. والمجتمع الإسلامي هو الذي يهيمن عليه إله واحد ، ويخرج فيه الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، وبذلك يتحررون التحرر الحقيقي الكامل، الذي تركز إليه حضارة الإنسان ، وتمثل في كرامته ، كما قدرها الله له ، ويعلن خلافته في الأرض عنه ، ويعلن كذلك تكريمه في الملا الأعلى ... " (٣٦) .

(٢) ربط البشر برابط العقيدة والمنهج : فالرابط بين البشر في التصور الإسلامي هو أصرة العقيدة والفكرة ومنهج الحياة ، وبذلك يكون التجمع الإنساني على هذا الرابط ممثلاً لأعلى ما في الإنسان من خصائص الروح والفكر ... أما حين تكون أصرة التجمع بين البشر هي الجنس واللون والقوم والوطن ، وما إلى ذلك من الروابط فإنها لا تمثل الخصائص العليا للإنسان ، فالإنسان يبقى إنساناً بعد الجنس واللون والقوم والأرض ، ولكنه لا يبقى إنساناً بعد الروح والفكر ...

والمجتمع الإسلامي وحده هو المجتمع الذي تمثل فيه العقيدة رابطة التجمع الأساسية والذي تعتبر فيه العقيدة هي الجنسية التي تجمع بين أجناس الأرض في أمة واحدة، ربها الله ، وعبوديتها له وحده .

وهذا المظهر من مظاهر إنسانية العقيدة الإسلامية ، له أثره الواضح في بناء الحضارة الحقنة من خلال ترسيخ مبدأ المساواة بين البشر ، فلا يستعلي في ظل الحضارة الحقنة عرق على عرق ، ولا لون على لون ، بل تسعد الإنسانية جميعها ، بخلاف الحضارة التي تقوم على غير العقيدة الحقنة في هذا الباب ، حيث يعلو الأبيض فيها ويمتهن الأسود " . (٣٧) .

(٣٦) معالم في الطريق ، سيد قطب ، مرجع سابق ، ص ٩٤ - ٩٥ ، بتصرف

(٣٧) من روائع حضارتنا ، د. مصطفى السباعي ، ص ٧٢ ، بتصرف .

٣) ترسيخ مبدأ (إنسانية الإنسان) كقيمة عليا في الحياة : فالإنسان في نظر العقيدة مخلوق مكرم ، اختصه الله تعالى عن غيره من المخلوقات بخصائص، ومميزات لا يشاركه فيها غيره من الكائنات ، وقد وردت آيات كثيرة تشير إلى تمييز الإنسان عن غيره من حيث التكريم ، والتكليف ، والخلقة ، والوظيفة ، منها:

- قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ {الإسراء:٧٠} .
- وقول تعالى: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ {التين:٤} .
- وقوله تعالى ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ {الجاثية:١٣} .

ويربط القرآن الكريم بين إنسانية الإنسان وتكريمه ، وبين الإيمان وحسن الالتزام بالتكاليف الربانية ، في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ، إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ {البينة: ٦-٧} .

فالإنسان مكلف بالإيمان وبضبط سلوكه وتنظيم حياته وعلاقاته كلها بمقتضى إيمانه ليتم له التكريم .

وأثر ترسيخ العقيدة الإسلامية لمبدأ (إنسانية الإنسان) يبدأ من نقطة تصحيح مركز الإنسان في الوجود وتعيين مكانه ودوره ووظيفته وحقوقه وواجباته .

إنه - الإنسان - ليس إلهاً ينازع الآلهة وتنازعه ، وليس كذلك حيواناً جاءت سيادته على الأرض مصادفة ، وقد يقوم مقامه في هذه السيادة غداً

قطُّ أو فأرٌ، وليس آلة تحسب قيمته بقوة الأحصنة التي يساويها في قوة التحريك والإرادة .

وليس عبداً للمادة، ولا هو لوحة تطبع فيها المادة (أو الطبيعة) ما تريد، وليس عبداً للآلة، تصرف حياته وأفكاره وأوضاعه كما تتصرف هي وتقلب، كلا... إنما الإنسان إنسان وليس إلهاً، هو سيد هذه الأرض وهو عبد لله في آن، ومسخر له كل ما فيها، وعليه أن يخلف الله سبحانه وتعالى فيها، وينمي فيها ويرقى، وهو معانٍ بما وهبه الله من قوى وطاقات، وبما في نواميس هذا الكون من عون له .

هو إنسان وليس حيواناً - فهو مخلوق فذ .. ولخلقته حكمة، ومزود بطبيعة خاصة، وخصائصه معينة فوق طبائع الحيوان وخصائصه لأداء ووظيفة معينة في الأرض لا يؤديها الحيوان، وله - من ثم - مقام كريم، يعادل وظيفته الكريمة، كان كذلك يوم نشأ، وهو كذلك اليوم، وسيكون كذلك غداً، والذين خالفوا عن هذه الحقيقة يعودون إليها راغمين الآن. وهو إنسان وليس آلة ولا عبداً للآلة، ولا من صنع المادة، ومن التخبط أن نعامله كما نعامل الآلة .

وهو (إنسان) يشترك مع إخوانه في خصائص إنسانية عامة، ويتميز كل فرد منهم بخصائص ذاتية إلى جانب الخصائص الإنسانية، ومن ثم ينبغي أن تكون أنظمة الحياة ومناهجها مبنية على أساس ملاحظة الخصائص الإنسانية، العامة أولاً، والخصائص الفردية ثانياً، فلا يسحق الإنسان ولا يسحق الفرد، في عمل أو نظام^(٣٨) .

وحين تحترم خصائص الإنسان العامة والخاصة تكون إنسانية الإنسان هي القيمة العليا في المجتمع، وتكون الخصائص الإنسانية فيه موضع التكريم والرعاية، يكون هذا المجتمع متحضر متقدماً... وتكون هذه هي الصورة

(٣٨) الإسلام ومشكلات الحضارة، سيد قطب، دار الشروق، ط١٢، ٢٠٠١م، ص ١٧٥-١٧٧، بتصرف .

الوحيدة .. للحضارة - كما هي في ميزان الله - لأن الحضارة التي يريدها الله للناس تقوم على قاعدة أساسية من الكرامة والتحرر لكل فرد^(٣٩) .

فالإبداع المادي - بكل مدلولاته - يجب أن يكون في خدمة الإنسان ، فهكذا أراد له خالقه .. وأن يكون ملحوظاً في هذا الإبداع وفي بناء الحضارة التي تقوم عليه تنمية خصائص الإنسان .

وإلا يكون في هذا الإبداع المادي ولا في الحضارة التي تقوم عليه ما يناقض هذه الخصائص أو يدفنها أو يحطمها أو يهينها ويحقرها ، ولا أن يجعل دور الإنسان في هذه الأرض دوراً ثانوياً أو تابعاً للإبداع المادي ، في أي حال من الأحوال .

وليس هناك تعارض إطلاقاً بين أن يظل "الإنسان" سيد هذه الأرض، وأن تنمى خصائصه العامة والفردية ، وبين أن ينمو الإبداع المادي ويترقى .. بل هناك تناسق بين هذا وذلك ، حين تستقيم النظرة إلى الإنسان ، ومركزه في الوجود ، ودوره في الأرض ، وخصائصه التي زود بها من خالقه ، وواجبه الذي خلق من أجله .."^(٤٠) .

وهذا ما أغفلته الحضارة المادية كما سيأتي بيانه عند الحديث عن مصير الحضارات بدون العقيدة .

(٤) تقرير القيم والأخلاق الفاضلة : نقصد بالقيم الأخلاقية : " المعايير والموازن الموجهة لحركة الإنسان ، والضابطة للفعل الحضاري ، بكل تنوعاته وامتداده ، وفق رؤية الإسلام ومقاصده ، تحصيلاً للمعية الإلهية ، وترسيخاً للذات الإنسانية ، واستقامة التعامل مع الكون ومن فيه"^(٤١) .

(٥) وترتبط القيم الأخلاقية ارتباطاً وثيقاً بالعقيدة الإسلامية ، فالمسلم يؤمن بوجود الألوهية وراء كل شيء ، فحيثما توجه وجد ربه ، مراعيماً أمره ونهيه ،

(٣٩) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مرجع سابق ، ١٢٥٧/٣ .

(٤٠) الإسلام ومشكلات الحضارة ، مرجع سابق ، ص ١٠٩ - ١١٠ بتصرف .

(٤١) قيم الإسلام الحضارية ، د. محمد الخطيب ، كتاب الأمة ، العدد ١٣٩ عام ١٤٣١هـ ص ٢٣

لأنه يعلم أن رؤية الله لا تنقطع ، ومن ثم فهو في كل أعماله مطالب بأن يراقب نفسه ، ويراقب ربه ، فهو دائر بين تلقي الخطاب من الله في كل شؤون حياته ، وتحمل الرؤية في كل أعماله .

(٦) ويتأسس على ذلك أن مرجع كل القيم في التصور الإسلامي ليس الرأي والهوى ، ولا العقل البشري بلا قاعدة ولا ضابط ، وليس هو المصلحة كما يتصورها الناس ، غير محكومة بأصل من دين الله ، وليس عرف البيئة أو أي اعتبار آخر هو الذي يحدد القيم الأخلاقية ، إنما المرجع وراء ذلك كله هو الميزان الثابت المعصوم " الوحي " بما يصنعه من ضوابط ، وهذا ما يمنح القيم الأخلاقية في ظل العقيدة الإسلامية صفة الرسوخ والثبات ، والقدرة على العمل في كل زمان ومكان ، ومن ثم يرفض الإسلام أي قيمة تستلب إنسانية الإنسان ، أو لا تجسد إنسانيته ، بل إن الأحكام الشرعية لا تنفك عن القيم الأخلاقية ، فجانبها الأخلاقي يؤسس الجانب الفقهي ، كما أن جانبها الفقهي يوجه الجانب الأخلاقي .

وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم : " إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " (٤٢) ، إشارة طريفة إلى أن رسالة الإسلام القيمية رسالة استئناف واستصحاب ومواصلة لا رسالة ابتداء وانقطاع ، فهي تنظر إلى ما أبدعه الإنسان من قيم عظيمة ، وأخلاق تحقق المقاصد الإنسانية ، فتضمها إلى منظومتها ، ثم تواصل سيرها ، في هذه الكون الفسيح بحثاً عن قيم حضارية تحقق بها إنسانية الإنسان وكرامته ..

يؤكد ذلك قوله صلى الله عليه وسلم ، وقد حضر حلفاً في الجاهلية في دار بن جدعان لنصرة المظلوم ، ومحاربة الظلم : " لو دعيت إلى مثله في الإسلام لأجبت " (٤٣).

(٤٢) رواه أحمد والبيهقي والحاكم ، وقال صحيح على شرط مسلم وصححه الألباني : ينظر السلسلة الصحيحة ، للألباني ،

مكتبة المعارف ، الرياض ، طبعة عام ١٤١٥هـ ، ١ / ١١٢ .

(٤٣) رواه أحمد ، وصححه الحاكم في المستدرک ، برقم ٢٨٧٠ .

ما يدل على أن كل قيمة أخلاقية لا تصادم حقائق العقيدة وأحكام الشرع ومقاصده معتبرة شرعاً^(٤٤).

والغاية من تقرير الإسلام للقيم الأخلاقية هي تنمية الجوانب الإنسانية في الإنسان، والتي تميزه عن الحيوان، فحين تكون "القيم الإنسانية"، والأخلاق الإنسانية"، التي تقوم عليها هي السائدة في المجتمع، يكون هذا المجتمع متحضراً، لأنه لا يحتقر المادة لا في الصورة النظرية باعتبارها هي التي يتألف منها الكون الذي نعيش فيه ونتأثر ونؤثر فيه، ولا في صورة الإنتاج المادي باعتباره من مقومات الخلافة في الأرض، لكنه لا يعتبرها - أي المادة - هي القيمة العليا التي تهدر في سبيلها خصائص الإنسان ومقوماته، وتهدر من أجلها حرية الفرد وكرامته، وتهدر فيها قاعدة الأسرة ومقوماتها، وتهدر فيها أخلاق المجتمع وحرماته، ... إلى آخر ما تهدره المجتمعات الجاهلية من القيم والفضائل والحرمان لتحقيق الوفرة في الإنتاج المادي.

فالحضارة الحقنة هي التي تصعد بالخصائص الإنسانية وتحرسها من الانتكاس إلى الحيوانية لأن الخط الصاعد في القيم والاعتبارات يمضي من الدرك الحيواني إلى المرتفع الإنساني.

فإذا انتكس هذا الخط - مع حضارة المادة - فلن يكون ذلك حضارة، إنما هو التخلف أو "الجاهلية".

فالمجتمعات التي تسود النزعات الحيوانية لا يمكن أن تكون مجتمعات متحضرة مهما تبلغ من التفوق الصناعي والعلمي، لأن المفهوم الأخلاقي فيها ينحسر إلى أن يتخلى عن كل ماله علاقة بالتميز الإنساني عن الطابع الحيواني، ويكاد ينحصر المفهوم الأخلاقي فيها على بعض المعاملات الاقتصادية والسياسية أحياناً وفي حدود المصلحة الخاصة^(٤٥).

(٤٤) قيم الإسلام الحضارية، د. محمد الخطيب، مرجع سابق، ص ٢٨- ٣٢ بتصرف.

(٤٥) معالم في الطريق، سيد قطب، مرجع سابق، ص ٩٦- ٩٨ بتصرف.

فالقِيم الأخلاقية السامية لها بعداً إيمانياً في بناء الحضارة الإنسانية الحقّة، وهذا ما يعطي المفهوم الإسلامي للحضارة بعداً خاصاً عن سائر أنماط الحضار الأخرى .

رابعاً: الواقعية الحركية :

" إن العقيدة والتصور الإسلامي للإلوهية والوجود الكوني وللحياة والإنسان تصور واقعي إيجابي، وهو يكره . بطبيعته . أن يتمثل في مجرد تصور ذهني معرّف ، لأن هذا يخالف طبيعته وغايته ، ويجب أن يتمثل في أناسي ، وفي تنظيم حي ، وفي حركة واقعية " .^(٤٦)

ومن مظاهر الواقعية في العقيدة والتصور الإسلامي :

١. التعامل الواقعي مع الوجود الحقيقي القائم وخصائصه الموضوعية (الإله . الكون . الإنسان)
٢. الواقعية في تحقيق المنهج الإسلامي من خلال التكاليف الواقعية التي تقوم على مراعاة القدرة البشرية ، والحالات المختلفة للإنسان والظروف التي يصادفها في جميع البيئات والأحوال .
٣. الاعتراف بالإنسان إنساناً لا حيواناً ولا حجراً ولا شيطاناً، حيث تعترف به كما هو بما فيه من ضعف وقوة ، وتأخذه وحدة شاملة من جسد ذي نوازع ، وعقل ذي تقدير ، وروح ذي إشراق ، وتفرض عليه من التكاليف ما يطبق ، وتراعي التنسيق بين التكاليف والطاقة بلا مشقة ولا إعنات، وتلبي حاجات الجسد والعقل والروح في تناسب يمثل الفطرة ، ثم تحمل الإنسان بعد ذلك تبعه اختياره للطريق الذي يختار.^(٤٧)

(٤٦) في ظلال القرآن ، سيد قطب ، مرجع سابق ، ٢ / ١٠١٣ .

(٤٧) المصدر السابق ٣٤٤/١ ، وخصائص التصور الإسلامي ، ص ١٦٩ - ١٨٧ بتصرف .

هذا التصور الواقعي بمظاهره هو الذي يدفع الإنسان إلى الحركة في الحياة البشرية ، يتم من خلال هذه الحركة ترجمة هذا التصور في الواقع ، والمضي قدماً في بناء الحضارة الحقّة .

المطلب الثالث : أسس ومقومات الحضارة وأثر العقيدة فيها

إن أي حضارة صحيحة لا بد أن تقوم على أساسين هما :

(١) الأساس النظري المعرفي العلمي: والذي يشمل منظومة المفاهيم العقائد والتصورات والقيم التي توجه السلوك البشري في الحياة .

(٢) الأساس المادي التطبيقي: والذي يتمثل في الإنجازات المادية في حياة البشر في مختلف مجالات الحياة الإنسانية .

ولا شك أن للعقيدة أثرها سلباً وإيجاباً على هذين الجانبين المكونين للحضارة بناءً على نوعية العقيدة ومدى صحتها ويتضح ذلك من خلال الآتي :

أولاً: أثر العقيدة في الجانب النظري من الحضارة :

تمثل العقيدة حجر الزاوية في بناء أي حضارة فإذا كانت العقيدة ريانية صحيحة فإنها تعطي الإنسان تصوراً صحيحاً عن إلهه ونفسه، وعن الكون والحياة حوله، وعن علاقة كل واحد منها بالبقية، وهذا التصور الصحيح يثمر حركة في الحياة وفق رؤية صحيحة من خلال نموذج معرفي قائم على وصل الإنسان بربه ، ووصله بأخيه الإنسان ، والاستقامة في التعامل مع مفردات الكون انتفاعاً واستثماراً . تحصيلاً للمعية الإلهية ، وترسيخاً للكرامة الإنسانية ، وعمراناً للكون والحياة بعيداً عن ألوان التضليل والبغي الحضاري وأخلاقياته في تحريك الحياة بدون التصور الصحيح ، ولن يكون ذلك التحريك الحضاري للحياة إلا من خلال العلم النافع ، والذي يتمثل في كل علم يبعث على العمل وفق منهج الله في أمره ونهيه ، ولهذا نجد النصوص الشرعية ، تحث على العلم وتربط بينه وبين العقيدة والإيمان كما في قوله تعالى :

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾﴾ {آل عمران: ٧} .

حيث يظهر الرباط القوي بين العلم والعقيدة في هذه الآية ، فالعلم هو الطريق إلى المعرفة الصحيحة ، فكلما كان العلم أعمق وأكثر رسوخاً كان أكثر دلالة على العقيدة الحقة .

" فالعلم السطحي يحول بين القلب وبين المعرفة الصحيحة ، ونحن نشهد هذا في كل زمان ، والذين تعمقوا في العلم يجدون أنفسهم أمام دلائل الإيمان الكونية، أو على الأقل يجدون أنفسهم أمام علامات استفهام كونية كثيرة ، لا يجب عليها إلا الاعتقاد بأن لهذا الكون إلهاً واحداً مسيطراً مدبراً متصرفاً .. فتَهفُوا قُلُوبَهُمْ لِلْإِيمَانِ" (٤٨) .

وتأكيد العقيدة الإسلامية على العلم والبحث وتوجيه الإنسان نحو أسرار الطبيعة والاستفادة مما في الكون لعمارة الحياة له أثره الإيجابي في سعي الإنسان لبناء حضارة يرتبط فيها الجانب المادي والجانب الروحي والقيمي، تثمر سعادة للبشر .

كما يظهر أثر العقيدة في الأساس النظري للحضارة في تصحيح المفاهيم والتصورات والقيم الإنسانية ، ابتداءً من نظرة الإنسان إلى نفسه ، وتصوره الصحيح لوجوده وغايته ومركزه في الكون والحياة . ومروراً بتعميق القيم الأخلاقية في تعامل الإنسان مع إلهه، ومع المخلوقات من حوله ، ومع الكون بما فيه ومن فيه، من خلال منظومة القيم المنبثقة من العقيدة الإسلامية، والقائمة على العدل والأمانة والتعاون وحفظ الكرامة والحقوق ، وتوفير الضمانات

(٤٨) في ظلال القرآن ٢/ ٩٠٤ بتصرف .

الوقائية المانعة من حدوث الظلم والبغي والفساد من البشر في كل جوانب الحياة الإنسانية .

كما يظهر أثر العقيدة أيضاً في تصحيح مفهوم الاستخلاف السياسي ، وطريقة الحكم والسياسة .

فالعقيدة الصحيحة تصبغ الحكم والعمران بالصبغة الإلهية ، وتضبط الخلافة الإنسانية بالشرع الرباني ، وهذا ما نجده في منهج الإسلام الشامل ، بخلاف المناهج التي تعزل الدين والعقيدة عن الحكم والاستخلاف ، والتي تقوم على النظرة الدنيوية الخالصة للإنسان وسياسة العمران البشري، وتستبعد معايير الدين والاعتقاد من كل شئون الحياة حيث تكون مقاصدها دنيوية تحكم سياسة عمران دنيوية فقط .

ولا شك أن للعقيدة أثرها سلباً وإيجاباً أيضاً فيما يتعلق بمساءلة الحكم والسياسة والاستخلاف على الفرد والمجتمع ، بل على سير الحضارة ومضمونها وجوهرها .

" ذلك هو جوهر ومنطلق الخلاف بين مضمون السياسة في الحضارة الإسلامية القائمة على العقيدة الصحيحة ومضمون السياسة في الحضارات الأخرى التي تستبعد الدين والعقيدة من مكوناتها .

يبدأ الخلاف حول تصور كل حضارة للإنسان ، أخليفة هو عن الله سبحانه وتعالى فتكون دنياه معبراً إلى الآخرة التي هي خير وأبقى ، فيسوس عمران الدنيا بشريعة الله ، قياماً بتكاليف عقد وعهد الاستخلاف على النحو الذي يجعل هذه السياسة سياسة شرعية ؟

أم هذا الإنسان هو سيد هذا الكون الذي تقف معارفه وعلومه عند ظاهر الحياة الدنيا ، وتكون غاية سياسته للعمران تحقيق المقاصد الدنيوية ولا شيء وراءها

حتى يفصل الدين عن العمران كله ، وليس فقط عن الدولة والحكم والسياسة^(٤٩).

وبمعنى أكثر وضوحاً نقول : إن الحضارة الإسلامية تحكمها قواعد لا نجد لها نظيراً في أية حضارة أخرى ، لأنها تقوم على مفهوم عقدي للخلافة ، بينما تنشأ الحضارات الأخرى مقطوعة الصلة بالله تعالى ، وهذا يوصلنا إلى أن التحضر الإسلامي يختص في نشوئه وديمومته بفقته يهتم بالقوانين المنهجية التي تحكم بناءه وحركته مستمدة من المعاني العقدية التي تقوم بها حقيقة الخلافة ، وهذا الفقه هو أساس الحركة للإحياء والنهضة من خلال مبدئين هما :

١ . مبدأ الارتقاء بالفرد لتحقيق الاستخلاف الحضاري ، من خلال تنمية الجوانب الروحية بالعبادات والقيم الأخلاقية ، وتنمية الجوانب العقلية بالعلم والمفاهيم والمعارف ، واستخراج القدرات الكامنة في الإنسان وتوجيهها إلى اكتشاف القوانين العمرانية وربطها بالإيمان والعبادة لتحقيق الخير للبشرية.

٢ . مبدأ الارتقاء بالجماعة من خلال تحقيق رقي الأفراد حضارياً ، باعتبارهم لبنات في الارتقاء الجماعي للأمة ، ثم جمع الأفراد على فقه الخلافة الجماعية المشتق من العقيدة والمعبر عنه في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ {الحجرات:١٣} .

فالتعارف بين البشر هو قوام الحياة الجماعية ، لتحقيق أغراضها في سياق العبودية لله بطاعة أوامره وتشريعاته وتلك هي التقوى في الآية ذاتها .^(٥٠)

(٤٩) الإسلام والسياسة ، د. محمد عماره ، دار التوزيع القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٣م ، ص ١٦ بتصرف.

(٥٠) الاستخلاف في فقه التحضر الإسلامي ، د. عبد المجيد النجار ، مجلة الجامعة الإسلامية ، ماليزيا ، العدد الأول ، يناير ١٩٩٧م ، ص ٨٩ وما بعدها بتصرف .

ثانياً: أثر العقيدة في الجانب المادي للحضارة :

إذا كان للعقيدة أثرها في الجانب النظري لأي حضارة ، باعتبارها الموجه لحركة الإنسان في الحياة ، وفق التصور الذي تقدمه العقيدة للإنسان ، فإن للعقيدة أثرها أيضاً في الجانب المادي للحضارة سلباً وإيجاباً كذلك بناء على نوع العقيدة، فالعقيدة الصحيحة تجعل " الاستعمار الإيماني للأرض " هو القيمة الحضارية الكبرى التي تؤطر حركة تعامل الإنسان مع الأشياء ، بحيث يصبح المقصد العام لسعي الإنسان وحركته هو إصلاح الأرض وعمارته ، وتحقيق التمكين فيها ، وتعبيد الفعل البشري لله سبحانه ، بحيث تكون جميع فعاليات الكون متجهة إلى الله عبادة كما شرع ، وعمارة الأرض كما أمر ، من خلال التعمير المادي للأرض ، واستغلال منافعها ، وتسخير مرافقها ، واستثمار خيراتها ، وفق منهج الله في غير سرف ولا عبث ، وكل حركة في الأرض لا تكون وفق منهج الله لا تكون استعماراً للأرض بل هي إفساد لها ، ولذلك ارتبطت وظيفة العمران المادي للأرض بالعبادة ، وفق المبدأ الإسلامي " كل تصرف للعبد تحت قانون الشرع فهو عبادة " ^(٥١) . مما يجعل الله سبحانه هدفاً وغاية للتحرك الحضاري الصالح على الأرض وفق قيم الاستخلاف الإلهي للإنسان في الكون ، وهذا يعني أن الفعل المادي للإنسان في الحياة في ظل العقيدة الصحيحة يختلف عن الفعل المادي في ظل عقيدة فاسدة أو بدون عقيدة .

ففي ظل العقيدة الصحيحة لا تقف غاية الاستعمار الإيماني في الأرض عند إطار الدنيا فقط ، كما هو الحال في الفلسفة المادية التي تقوم في مجملها على انتفاء الغائية في الوجود بأكمله ، بل هي في عمومها تقوم على اعتبار أن هذه الحياة الدنيا غاية في ذاتها ، لا يمتد منها أثر إلى ما وراءها ، بل هي عند بعضهم عبثية في وجودها و في سيرورتها !! مما أدى إلى إطلاق العنان للفعل الإنساني منفصلاً عن أية قيمة أو غائية ، وبعيداً عن أي قيد أخلاقي يمكن محاكمته

(٥١) الموافقات للإمام الشاطبي ، دار المعرفة بيروت ، ١٩٤/١ .

إليه، مما أدى إلى فقدان التوازن في التعامل مع الأشياء في الكون، نظراً لأن التقدم المادي المنقطع عن القيمة والغائية يؤثر سلباً في الكون ومفرداته واستمرارها، بل وفي الإنسان نفسه.

أما غاية الفعل المادي في ظل العقيدة الصحيحة فهي محكومة بقيم الوحي الإلهي، التي تجمع بين الدنيا والآخرة، وبين مقتضيات الروح وحاجيات المادة.

فالمسلم في سعيه الحضاري لتعمير الحياة واستثمار مواردها، ينطلق من إيمانه بالله الذي سخر له كل ما في الكون من موارد، وأمره باستثمارها سعياً لعبادته، وتحقيقاً لخلافته، مما يعطيه قوة دفع في تحريك الحياة، مقترنة بتوفيق الله ومعونته، وسعادة وسكينة في حياته تمكنه من السعي في الأرض وتعميرها، وفي الوقت نفسه يصبح هذا الإيمان بالله ضماناً لعدم تحول الطاقة الإنسانية من طاقة بناءٍ وتعميرٍ واستخلافٍ إلى طاقة استغلالٍ وكفرٍ بالله، وأداة للتنافس المحموم على نهب موارد الأرض وتدمير مقدراتها، والتفرد بالتمتع بخيراتها واستعباد الخلق، فكل حركة في الحياة تأتي بعيداً عن الوحي والقيم المعصومة التي تحدد الهدف وتوجه المسيرة وتشد الإنسان إلى السماء، تؤدي في النهاية إلى تدمير الحياة واستغلال الخلق وإفساد الأرض^(٥٢).

ولا ريب في أن انعكاس مبادئ العقيدة الصحيحة على النشاط الحضاري المادي يمنح الحضارة خصائصها النوعية المتميزة التي يمكن أن تساهم في سعادة البشرية، وذلك لأن هدف العقيدة الصحيحة هو تكوين الإنسان المؤمن المتوازن، وبالتالي يصبح النشاط الحضاري المادي الصادر عن هذا الإنسان منضبطاً بالرؤية الإيمانية مما يساعد على تحقيق هدف العقيدة، ويتضح أثر ذلك في النظر إلى ما فعلته الحضارات المادية اللادينية بالإنسان والجماعة البشرية على مر التاريخ البشري.

(٥٢) قيم الإسلام الحضارية، د. محمد الخطيب، مرجع سابق، ص ١١٩ وما بعدها بتصريف.

المطلب الرابع: أثار الانفصام بين العقيدة الصحيحة والحضارة

استخلف الله عز وجل الإنسان في الله ليعمرها وفق منهجه سبحانه ، قال تعالى :
﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْعَمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَّابًا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ {هود: ٦١} . أي جعلكم لتعمروها ، ولن تكون عمارة الأرض وتحقيق الخلافة فيها إلا بأربعة أمور هي :

- ١ - إخلاص العبودية لله تعالى وحده .
- ٢ - تحكيم شريعته سبحانه في كل شؤون الحياة .
- ٣ - العيش وفق القيم الأخلاقية التي قررتها الشريعة .
- ٤ - تعرف الإنسان على نواميس الكون المادي ، واستخدام خامات الأرض وخيراتها في ترقية الحياة ، والاستفادة مما وهبه الله له من وسائل المعرفة لبلوغ قمة الحضارة التي تجمع بين الرقي الروحي والإبداع المادي .

أما إذا قامت الحضارة على الإبداع المادي فقط فإنها حضارة عرجاء تسير برجل واحدة ، وترى بعين واحدة ، لأن الإبداع المادي وحدة لا يسمى حضارة ، بل قد يكون وتكون معه الجاهلية ، فقد أخبر الله تعالى عن حضارات عدة ، خلدت آثاراً ومصانع وآيات عجيبة ، إلا أن هذه الحضارات قامت على غير عقيدة صحيحة ، فاهتمت بالمادة وتفننت في الإبداع العمراني ، فتحولت إلى رمز للطغيان وفساد الحياة ، وكانت النتيجة لمثل هذه الحضارات الدمار الشامل، ومن شواهد تلك الحضارات التي أشار إليها القرآن الكريم ما يأتي :

- (١) حضارة قوم عاد : قال تعالى مصوراً ما بلغه قوم عاد من حضارة ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ، إِرِمَّ ذَاتَ الْعِمَادِ ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴾ {الفجر: ٦-٨} ، ذات العمد : أي الشدة أو الأبنية الرفيعة المحكمة بالعمد .^(٥٣)

(٥٣) فتح القدير، للإمام الشوكاني، دار الخير، دمشق، ط١، عام ١٩٩١م/٥٠٨٠٠.

ويستعرض القرآن صوراً من الإبداع المادي لتلك الحضارة فيقول على لسان نبيهم هود -عليه السلام - : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ، وَتَخْدُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ، وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ، وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ ، أَمَدُّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ ، وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، إِنْ أَيْخَانٌ عَلَيْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ، قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴾ {الشعراء: ١٢٨- ١٣٦} .

فماذا كانت نتيجة تلك الحضارة المادية ؟

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ، فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحْسَاتٍ لِنَدَّبَنَّهُمْ عَذَابَ الْحَزْنِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ {فصلت: ١٥- ١٦} .

(٢) حضارة قوم هود : ذكر الله تعالى ما عند قوم هود من صور الحضارة على

لسان هود عليه السلام بقوله ﴿ أَتُرْكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ، فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ، وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ ﴾ {الشعراء: ١٤٦- ١٤٩} .

فماذا كانت نتيجة تلك الحضارة المادية ؟

قال تعالى ﴿ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ {الشعراء: ١٥٨} .

(٣) حضارة قوم فرعون : أشار القرآن الكريم إلى ما بلغه فرعون وقومه من

مظاهر الحضارة في عدة مواضع منها:

• قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ {يونس: ٨٨} .

• قوله تعالى ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانَ ابْنِ لِي صِرْحًا لَعَلِّي أُلْبِغُ الْأَسْبَابَ ، أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ فَاطَّلِعْ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لِأَطْنَهُ كَأَدْبَابٍ وَكَذَلِكَ زَيْنُ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنْ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴾ {غافر: ٣٦- ٣٧} .

• قوله تعالى: ﴿ وَتَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ {الزخرف: ٥١} .

• فماذا كانت نتيجة تلك الحضارة المادية التي تقم على عقيدة صحيحة ، قال تعالى: ﴿ وَفِرْعَوْنُ ذِي الْأَوْتَادِ ، الَّذِينَ طَعَفُوا فِي الْبِلَادِ ، فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ، فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ، إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ ﴾ {الضجر: ١٠- ١٤} .

(٤) حضارة قوم سبأ : قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ، فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلِ حَمْطٍ وَأُتْلُ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ، ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نَجَازِي إِلَّا الْكُفُورَ ﴾ {سبأ: ١٥- ١٧} .

وقد ذكر أهل التفسير مظاهر الحضارة التي كانت لقوم سبأ ، والمتمثلة في السدود ومصارف المياه، والجنتان وانعدام الآفات وتيسر سبل العيش والتواصل والمتاع الجميل.^(٥٤)

(٥٤) المصدر السابق، ٤/٣٦٦ . وفي ظلال القرآن ، سيد قطب ، ٥/٢٩٠٠ .

والقرآن الكريم وهو يحكي لنا آثار هذه الحضارات ، يدعونا للتعاضد والاعتبار بها ، قال سبحانه ﴿ أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ {الرُّوم: ٩} .

إن الإبداع المادي وحده لا يسمى حضارة ، فقد يكون وتكون معه الجاهلية ، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَحَنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ، فَطُغِعَ ذَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ {الأنعام: ٤٤- ٤٥} .

والناظر في الواقع التاريخي قديماً وحديثاً يجد أن أي حضارة قامت على الاهتمام بالجانب المادي للإنسان فقط ، وأهملت الجانب الروحي والديني تتحول إلى حضارة وثنية ، عبّدت البشر للمادة ، وزادت من شقائهم ، وهذا ما تؤكده شهادات المفكرين وتقارير الإعلام صباحا ومساء .

إن الحضارة الغربية المعاصرة قامت على استبعاد الدين من الحياة ، وأخلصت للمادة وجعلت الرقي المادي هو هدفها الوحيد ، وليس ذلك وليد القرون المتأخرة كما يتوهم البعض ، فالحضارة الغربية المعاصرة سليلة الحضارتين اليونانية والرومانية ، وقد خلفتهما في تراثهما السياسي والعقلي والحضاري ، وانطبعت فيها خصائصهما ، وهما حضارتان ماديتان وثنيتان في كل ما كان لهما من علم وثقافة وفلسفة ، وقد تصورا الله سبحانه في آلهة شتى ، وأقاموا لها التماثيل والمعابد ، ونسبوا إليها كل ما يختص بالجسم المادي ، كما تصورا المعاني المجردة في أجسام وأشكال فجعلوا للحب إلها ، وللجمال إلها... الخ ، وقد أخلوا ديانتهم من الروحانية المعنوية .^(٥٥)

(٥٥) الشباب المسلم والحضارة الغربية، حسن سليمان ، دار الشروق ، جده ، ١٤٠٥هـ ، ص ٢٤ .

" وعلى كلٍ فقد انصرف الغرب إلى المادية بكل معانيها ، وبكل ما تتضمنه هذه الكلمة من عقيدة ووجهة نظر نفسية وعقلية ، وقام علماء وفلاسفة ينظرون للكون تنظيراً مؤسساً على أنه لا خالق ولا أمر ولا مدبر وليس هناك قوة وراء الطبيعة ، والمادة تتصرف في العالم وتحكمه ، وصاروا يفسرون هذه العالم الطبيعي ويعللون ظواهر وآثاره بطريق ميكانيكي بحث .. وانتهى بهم بحثهم إلى أن جحدوا كل شي وراء المادة"^(٥٦) .

وقد أدعى علماء الغرب أن المجتمع الإنساني المتحضر يجب أن يقوم على أساس العلم وما يفرزه من مخترعات وآلات بعيداً عن أساس الإيمان وتعاليم الأديان والقيم الخلقية التي جاءت بها الرسالات السماوية ، وبالتالي أصبحت حياة الغربيين والمتأثرين بهذه النظرة للحضارة حياة مادية بحتة ، لا مجال فيها للخوف من إله السماء ، ولا مجال فيها لتعاليم الأنبياء ، ولا مكان فيها لمقصد أو غاية أسمى من المقاصد الحيوانية لحياة الإنسان .^(٥٧)

وذلك أن العقيدة المدركة الواعية ركيزة من ركائز الإنسان ، تميز بها عن الحيوان فالغاؤها أو إهمالها ارتداد عن خاصية إنسانية بحتة ، ورجعة إلى الوراء وقد ظهرت آثار ذلك في حياة أبناء هذه الحضارة الغربية في هذا الجيل من البشرية .

فقد أنتجت أول ما أنتجت ذلك التمزق في نفس الإنسان ، التمزق بين حاجة النفس الفطرية إلى خالقها ، وحاجتها إلى الأمن الاجتماعي والسياسي والحضاري الذي يأبى الغرب في موجته المادية اليوم أن يربطه بالعقيدة في الله . وأنتجت فيما أنتجت ذلك القلق النفسي والروحي الذي يفسد أعصاب الناس وهم يصارعون الحياة دون أن يجدوا قوة ثابتة يركنوا إليها ، فالفرد تنهات

(٥٦) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، لأبي الحسن الندوي ، ص ١٩٦ .

(٥٧) نحن والحضارة الغربية ، ابو الاعلى المودودي، مؤسسة الرسالة ببيروت ، ط ٢ ، ص ٢١ .

الحضارة المادية من أن يلجأ إلى الله في شؤون حياته ، باستثناء دقائق في الكنيسة ثم يعيش حياته كلها في جو يضاد العقيدة ، فيتمزق ويضطرب ويحتار .
وليس هذا وحده ، فحين لا يؤمن الناس بالله الإيمان الحق ، ولا يؤمنوا باليوم الآخر فليس في حسبهم إذن إلا الحياة الدنيا ، ينتهبون لذائذها في الفرصة المتاحة التي لن تتكرر ولن تعود، ويتكالب الناس على متاع الأرض والجنس والقوة والسلطان فتقلب حياتهم إلى عذاب

ويهبط الناس إلى مستوى أدنى من الحيوان في غرائزهم فالحيوان يملك ضوابط فطرية غريزية تقف به قبل نقطة الهلاك ... والإنسان بلا عقيدة يرتد أسوأ من ذلك الحيوان ، لأنه يصبح دون ضوابط أو أهداف ، قال سبحانه :
﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْإِطْمَارِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ {الأعراف: ١٧٩} (٥٨)

إن الإنجاز المادي الغربي المنشق عن الإيمان والعقيدة الصحيحة ، قد أندفع باتجاه إغراءات القوة والتسلط ، ونداء الأنانية العرقية ، ومضى أبعد من هذا باتجاه كل ما هو لا أخلاقي في السلوك البشري لكي يحول المنجزات والكشوفات المعرفية إلى سلاح يشهر بوجه الإنسان وليس لصالح الإنسان .

وهذا ما أشار إليه بعض الباحثين والمفكرين الغربيين كأمثال رجل القانون الفرنسي (بوازار) حيث يقرر أن التقدم العلمي المادي لا يكفي وحده ، ما لم تضبطه القيم الخلقية ، فتوجهه بالتالي لصالح الإنسان ، كما يقرر أننا بحاجة إلى إيمان يجعلنا نفهم بطلان الرقي المادي وحده ، إيمان يبين لنا كيف نقيم توازناً بين حاجتنا الروحية والجسدية وبذلك ينقذنا من الهلاك الذي نندفع إليه برعونة وتهور (٥٩) .

(٥٨) التطور والثبات في حياة البشر ، محمد قطب ، دار الشروق ، ص ٢٥٥ . بتصرف .

(٥٩) إنسانية الإسلام ، لبوازار ، ترجمة د/عفيف دمشقية ، دار الآداب ، بيروت ، ١٩٨٠م ، ص ٣٢٤ - ٣٦٩ بتصرف .

لقد اندفعت الحضارة الغربية بعين واحدة ، وبمرور الوقت أخذت تفقد قدرتها على إبصار كل ما هو روحي وأخلاقي وبما أن هاتين القيمتين ترتبطان بالوجود البشري ارتباطاً قوياً، وتميزانه عن بقية الخلائق والموجودات، فإن التقدم المادي الذي يمضي بعيداً عنهما لن يخدم الإنسان في نهاية الأمر، ولن يؤمن عواقب الاندفاع الذي لا تضبطه قيم، ولا توجهه معايير، ولسوف تكون النتائج في المستقبل اشد خطراً، لأن التراكم المادي يتزايد بحسابات مذهلة ويبعد أكثر فأكثر عن أي كايح أخلاقي أو استبصار روحي، لمغزى الحركة ومعناها، ومن ثم فإن أحدا لا يمكن أن يتهم مفكراً ك(جورج سارتون) غرق في دراسة تأريخ العلوم حتى شحمة أذنيه، وهو يحكم على التقدم المادي الخاص، بأنه أمر مدمر وأنه ليس تقدماً على الإطلاق بل تأخر، وذلك لأن التقدم الصحيح يعني تحسين صحيح لأحوال الحياة، وهو أمر لا يمكن أن يبني على وثنية الآلات ولكن يجب أن يقوم على الدين، والعلم الخالص، وعلى محبة الله، ومحبة الحقيقة والجمال والعدل، إن المدنية ليست مرضاً ولكن من الممكن أن تتقلب شراً وفساداً بمجرد أن تفقد بطانتها الروحية وضوابطها الأخلاقية".^(١٠)

ويمكن الإشارة إلى آثار الانفصام بين العقيدة الصحيحة وبين الحضارة المادية المعاصرة في ما يأتي :

أولاً : التيه الإنساني وفقدان الاتجاه : الحضارة المادية المعاصرة هي حاصل جهد الإنسان خلال القرون الخمسة الماضية . على أقل تقدير - من أجل سيطرة الإنسان على الطبيعة وتحقيق أكبر قدر من التمتع بها، وهي امتداد للفكر الوثني الإغريقي الذي تأصل بعد ثورة الغرب على الكنيسة، فأخذت الحضارة تنحو شيئاً فشيئاً نحو الاعتماد على العقل في رسم الأهداف الكبرى للحياة وأطر البناء الحضاري بعيداً عن الدين والوحي .

(١٠) الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط، جورج سارتون، تعريب د/ عمر فروخ، مكتبة العارفين، بيروت، ١٩٥٢م،

وقد أشار د. (عبد الكريم بكار) إلى أن منطلقات الحضارة الغربية المعاصرة تتمثل في :

١) اعتبار العقل الإنساني غير محدود وهو قادر على معرفة الطبيعة والسيطرة عليها وستظل المعرفة الإنسانية تتراكم بشكل مطرد وبلا نهاية .

٢) الموارد الطبيعية في الكون غير محدودة ولا يمكن أن تفتنى باعتبار " المادة لا تفتنى" .

٣) المجتمعات الغربية تمثل ذروة التطور ، ومن ثم فهي النموذج الحضاري الذي ينبغي أن يحتذى .

٤) العائد الإيجابي للتقدم المادي أكثر من العائد السلبي ، وعملية التقدم ليس لها غاية إنسانية أو مضمون أخلاقي محدد .

٥) التقدم مرجعيته ذاته ، ومن ثم يصبح ا هو الوسيلة والغاية ويتمثل في زيادة المنفعة واللذة^(٦١) .

هذه المنطلقات القائمة على الوثوق بالعقل والعلم ومنتجاتهما بعيداً عن الدين، وما أفرزته من تقدم مادي غرست في نفوس الغربيين عقدة التفوق العنصري ، لكنها في الوقت نفسه لم تعد قادرة على تحديد الاتجاه الصحيح، فمنتجات الحضارة هي التي صارت تصوغ فكر الإنسان وشعوره ، فصار وضع الإنسان أشبه بعجلة تدور بسرعة والإنسان هو الذي يدفعها ويجري وراءها ويدور معها ، فهو الذي حركها في البداية ، لكنها صارت هي التي تحركه دون إرادة منه ففقد التحكم بها أو تلافي أضرارها .

ويظهر ذلك جلياً في الغرب اليوم في ظهور عشرات الملل والنحل المهووسة ، والحركات العنصرية والمتطرفة ، في ظل الفراغ الذي أوجده البعد عن الدين الصحيح^(٦٢) .

(٦١) من اجل انطلاقة حضارية شاملة ، د/ عبد الكريم بكار، دار القلم، دمشق، ص ٤٥ - ٤٦ .

(٦٢) المرجع السابق ص ٤٨، بتصرف .

ثانياً : الإخفاق في الميدان الاجتماعي والأخلاقي :

تعد إخفاقات الحضارة الغربية في الميدان الاجتماعي والأخلاقي هي الأكثر بروزاً ، حيث شاع الزنا والشذوذ والعلاقات الجنسية قبل الزواج مما أدى إلى زيادة أعداد الأطفال غير الشرعيين، وكثرت حالات الإجهاض وتفكك الأسر ، وأهمل الآباء والأمهات تربية الأطفال فخرجوا من أيديهم إلى غير رجعة ، وانتشر الإدمان على الخمر والمخدرات حتى في أوساط المدارس والجامعات مما أفضى إلى ارتفاع معدل الجريمة بصورة شبة مطردة ، وساد الاكتئاب والتوتر العصبي ، وضعف التواصل الاجتماعي ، وساءت معاملة الكبار والعجائز ، وسادت روح الاستهلاك العارمة للتعويض عن الخواء الروحي ، وظهرت نتيجة لذلك الأمراض الفتاكة التي تحصد مئات الآلاف سنوياً . الأمر الذي يجعل المجتمعات تدفع ثمناً باهظاً للانهييار الأخلاقي والاجتماعي الذي أفرزته الحضارة المادية المعاصرة^(١٣) .

ثالثاً : سيادة النزعة العنصرية والاستعلاء :

إلى جانب إهمال الحضارة الغربية المادية للجانب الروحي لدى أتباعها وما أفرزه ذلك من ويلات وشورور، فقد كانت بماديتها البعيدة عن القيم الدينية الصحيحة أداة شر وفساد وبلاء على البشرية والأمم كلها .

إن الحضارة الغربية المادية التي تحكمت في مقاليد التطور الصناعي والتقني قد فجرت حروباً عدة دمرت البشرية ، بدءاً بالحربين العالميتين وانتهاءً بالحروب المعاصرة ، والتي تُظهر بجلاء رغبة الغرب في استعمار البلدان ونهب أموالها واستغلال ثرواتها وإذلال أهلها . وسرعان ما تحولت حركة الاستكشاف إلى احتلال وسيطرة جعلت طبقات من البشر تنهب خيرات الأمم ، وتستغل الشعوب ، فشاعت روح العنصرية والقومية من منطلق الاستعمار الغربي الذي أراد أن ينطلق من منطلق العنصر الممتاز الذي يملك القوة ويزدهي بالجنس الأبيض

(١٣) المرجع السابق ص ٤٩- ٥٠ بتصرف

صانع الحضارة ، كما هو واضح في كتابات (دي حوبينو) و(ماكس مولد) و(مادسون جرانت) و(فاشيرلابوج) و(هوستن) وغيرهم من دعاة العنصرية الغربية الذين أصلوا لتمييز الجنس الأوروبي ورقيه عما سواه من البشر. (٦٤)

أما الحضارة الإسلامية القائمة على العقيدة الصحيحة فإنها لا تؤمن بالنزعة العنصرية ، ولكنها تقوم على النزعة الإنسانية ، التي نقلت الإنسانية من أجواء العنصرية والتعصب للجنس واللون والوطن، إلى المساواة أمام الله وأحكامه، وفي كيان المجتمع الذي تعيش فيه ، حيث تسقط جميع الفوارق ويرتفع ميزان التقوى فقط .

رابعاً : تدمير الكون والبيئة .

إن جوهر الثقافة الغربية اليوم قائم على قناعتهم بضرورة استمرار التقدم المادي والتقني ، هذا التقدم الذي يوفر الكثير من السلع الضرورية والكمالية لا يمكن أن يكون بدون ثمن ، ومن جملة ثمنه نفاذ المواد الأولية غير المتجددة ، وتلويث البيئة على نحو يجعلها غير صالحة لاستقرار حياة المخلوقات عليها ، وقد أصيبت فكرة التقدم اللامحدود بإصابات لا شفاء منها حيث ثبت للجميع أن العقل محدود وأن العلم محدود ، وأن الرؤية الكلية ليست في متناول أي منهما ، فالإنسان يحرز التقدم في جانب لكنه لا يستطيع تقدير الأضرار التي سببها ذلك التقدم .

إن الغرب يزهو اليوم بإنجازاته الحضارية ، ويعيب على الآخرين تقصيرهم في عدم تمكنهم من اللحاق به ، دون أن يحسب حساب النتائج المترتبة على سلوكه الجنوني في ميدان الإنتاج والاستهلاك .

إن أكبر الأخطار التي يواجهها الإنسان اليوم نتيجة منهجية الحضارة الغربية في التعامل مع الأشياء يتمثل في نضوب الموارد غير المتجددة ، وارتفاع

(٦٤) من روائع حضارتنا ، د/ مصطفى السباعي ، ص٧٤. والإسلام نظام مجتمع ومنهج حياة ، أنور الجندي ، ص٢١٩ .

درجة حرارة الأرض وانهيار النظام البيئي وانقراض الكائنات الحية بسبب التلوث الصناعي^(٦٥)

خامساً : انهيار الحضارات وشيخوختها :

إن هذا الكون قائم على الحركة الدائمة وقيام الحضارات وزوالها مرتبطة بسنن كونية وأسباب ، وقد لا تموت الحضارة ولا تزول كلياً ولكننا ربما هاجرت من بلد إلى آخر ، ومن أمة إلى أخرى ، وموت إحدى الحضارات كموت أحد الأفراد يفسح المجال لنشأة حضارة أخرى .^(٦٦)

والحضارة الإسلامية حضارة فريدة في التاريخ ، قامت بأعظم قدر من القيم في تاريخ البشرية بأقل قدر من المظاهر المادية ، وكانت إحدى معجزات التاريخ في عمارة الأرض والإنسان ، وكان أهم ما يميزها عن غيرها من الحضارات أنها قامت بكل ما قامت به من عمارة الأرض وهي تستظل بظل العقيدة الصحيحة ، وتنطلق من منطلقاتها ، فتعمر ما تعمر من الأرض وهي تؤمن بالله وباليوم الآخر ، وتحقق مقتضيات الإيمان من قيم وأخلاق ومبادئ دون تناقض في حسها ، بين هذا وذلك ، ومع ذلك فقد أصيب هي الأخرى بالترف الذي يسوق إلى الانهيار بسبب فتور المهمة ، والإخلاد إلى الراحة ، وقبل ذلك الانحراف الفكري والعقدي .

فلقد كان الترف الذي أصاب الأمة وما صاحبه من رد فعل تمثل في الانزواء والانصراف عن العمارة المادية للأرض واتخاذ أسباب القوة بحجة الزهد في الدنيا سبب في انهيار الحضارة الإسلامية .

فلا الترف والإخلاد إلى الأرض مقبولٌ شرعاً ، ولا الانزواء عن عمارة الأرض مقبول كذلك ، فالترف أفسد الجانب الروحي والمعنوي ، والفكر المنحرف عن مقتضيات العقيدة الصحيحة والقائمة على فكر الإرجاء والطرق الصوفية،

(٦٥) من اجل انطلاقة حضارية شاملة ، د/ عبد الكريم بكار ، مرجع سابق ، ص ٤٥ - ٤٦

(٦٦) الحضارة الإسلامية والحضارة المعاصرة ، د/ عبد الغني عبود ، دار الفكر ، مصر ، ١٩٨١ م ، ص

أفسد الجانب المادي والحسي في تعمير الأرض، وكانت النتيجة موجة من الانحسار الشامل في كل ميادين الحياة، ميدان الفكر والعلم، وميدان الأدب والفن، وميدان السياسة والاقتصاد والحرب، ميدان الإنتاج المادي والصناعي والزراعي، ميدان السلوك الخلقي، وكذلك - قبل كل شيء - في مجال العقيدة الصحيحة، ومفهوم العبادة ومفهوم

لا إله إلا الله .^(٦٧)

وإذا كانت الحضارة الغربية المعاصرة، قد بلغت ذروة التقدم العلمي والمادي الذي جعل البعض يرى أن ذلك التقدم سيمنع الانتكاسة وسيسعد البشرية، إلا أن كثيراً من الباحثين والمفكرين الغربيين بدءوا يفقدون ثقتهم بهذه الحضارة المادية، حيث لوحظ أنه منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي قد صاحب ذلك التقدم حروب وويلات وفقداناً للقيم الأخلاقية والروحية عند شعوب العالم المتقدم .

وهذا ما توضحه كتابات كثير من المفكرين والباحثين الغربيين أمثال : مالتوس، وأوزفالد و شبنجلر، وألبير شفيتسر، وأرنولد توينبي، وغيرهم، حيث يرون أن جوهر الحضارة يكمن في مقوماتها الأخلاقية والروحية، وأن الحضارة الغربية مصابة بالخواء الروحي الذي يفقد الإنسان الغربي عناصر وجوده الإنسانية، ليعيش حياة مادية فحسب، ولم يعد لدى تلك الحضارة ما تعطيه للبشرية من تصورات ومفاهيم ومبادئ وقيم تصلح لقيادة البشرية وتسمح لها بالنمو والترقي الحقيقيين .^(٦٨)

^(٦٧) مفاهيم ينبغي أن تصحح، محمد قطب، مرجع سابق، ص ٢٥٣ - ٢٥٤ .

^(٦٨) الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، دراسة مقارنة، د/ توفيق الطويل، التراث الإسلامي، مصر، ص ٦٦ - ٧١ .

الغائمة : النموذج الحضاري المطلوب : لا تخلوا أمة من الأمم من تسجيل بعض الصفحات في تاريخ الحضارة ، غير أن ما تمتاز به حضارة عن حضارة هو قوة الأسس التي تقوم عليها ، والتأثير الذي تحدثه في الحياة ، والخير العميم الذي يصيب الإنسانية من قيامها ؛ وكلما كانت الحضارة ربانية في مصدر قيمها ، عالمية في رسالتها ، إنسانية في نزعتها ، أخلاقيه في اتجاهاتها ، واقعية في مبادئها ، كانت أخلد في التاريخ ، وأنفع للبشرية ، وأجدر بالتكريم .

والعقيدة الإسلامية الصحيحة ، هي وحدها القادرة على بعث الحضارة الإسلامية من جديد ، لأنها وحدها القائمة على أساس التوحيد المطلق الذي يصحح العلاقة بين المخلوقات والإله الحق سبحانه ، ويصحح العلاقة بين المخلوقات وبعضها على أساس من التكريم ، والقيم الأخلاقية ، وعلى العالمية في رسالتها ، والواقعية في مبادئها ، والإنسانية في نزعتها فصي ظل العقيدة الصحيحة يكون البناء الحضاري مشعباً بروح القيام بحق الاستخلاف ، وإعلاء كلمة الله في الأرض ، وتهيئة الظروف المناسب لأداء الرسالة ، وتحقيق فاعلية الإنسان في الكون وفق منهج العبودية لله سبحانه وتعالى في كل جوانب الحياة .
والعالم اليوم بحاجة إلى حضارة قائمة على أساس صحيح ، لأن الحضارة الغربية قائمة على إهمال كرامة الإنسان وقيمه ، واعتبار المادية النفعية هي الغاية الأساس .

البشرية اليوم في حاجة إلى حضارة تعيد إليها إيمانها بالله وبرسالته وبلقائه وعدالة جزائه ، وبالقيم العليا التي لا يكون الإنسان إنساناً بغيرها ، ولا يكون للحياة مذاق ولا معنى بسواها .

البشرية اليوم في حاجة إلى حضارة جديدة تعطيها الدين ولا تفقدها العلم ، تعطيها الإيمان ولا تسلبها العقل ، تعطيها الروح ولا تحرمها المادة ، تعطيها الآخرة ، ولا تحرم عليها الدنيا ، تعطيها الحق ولا تمنعها القوة ، تعطيها الأخلاق

ولا تسلبها الحرية^(٦٩) ، إن العقيدة الإسلامية الصحيحة هي وحدها التي تحقق التوازن في الحياة ، التوازن الذي يجعل الأرض تتصل بالسماء ، لينتج عنه حضارة تتعاقن فيها المعاني الربانية والمصالح الإنسانية ، ويتآخى فيها العقل المفكر بالقلب المؤمن ؛ حضارة تقوم على القسط في الميزان بين الربانية والإنسانية، والروحية والمادية، والفردية والجماعية، والمثالية والواقعية، والمسؤولية والحرية، والدنيا والآخرة .

وإذا كنا نحن المسلمين نعيش اليوم حالة من التخلف المادي في مواجهة التقدم المادي لدى غير المسلمين ، فإن ذلك لا يعفيانا من المواجهة الحضارية ، ومقتضى ذلك أن يواجه المسلمون اليوم الحضارة المادية الوثنية ، بمثل ما واجه المسلمون الأوائل الحضارة المادية الوثنية المتمثلة بالحضارة الفارسية ، والبيزنطية ، أي بالقيم الحضارية . لقد تمت المواجهة الأولى بين حضارة الإسلام وبين الحضارات الوثنية ، والمسلمون يكادون يكونون مجردين من أدوات الحضارة المادية وتنظيماتها ، بينما كانت فارس والروم في قمة الحضارة المادية التي لم يبلغها احد قبلهم في ذلك التاريخ ، وكانت الغلبة لحضارة القيم والمبادئ ، ولم يكن لحضارة المادة أصل تحتمي به .

إننا نملك ما لا تملكه الحضارات الجاهلية اليوم ولا غداً ، ولا في أي وقت ، نملك العقيدة الصحيحة ، والمنهج الصحيح الذي يصلح حياة الخلق ، وحين نحقق العقيدة الصحيحة في ذوات أنفسنا ، ونحقق المنهج الرباني في واقع حياتنا تجري سنن الله في الصراع الحضاري ، بانتصار الحق ، واندثار الباطل ، وتعود حضارة الإسلام من جديد ، لتخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ومن ضيق الدنيا ، إلى سعة الدنيا والآخرة^(٧٠)

والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون

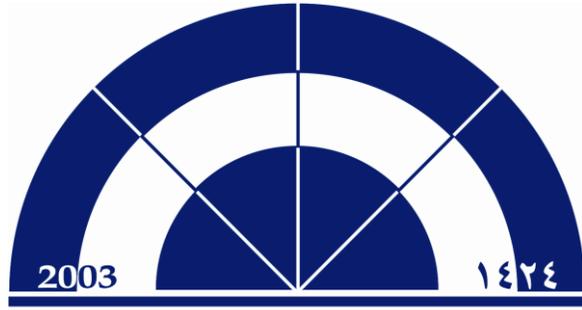
(٦٩) الإسلام حضارة الغد ، د/ يوسف القرضاوي ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، ١٩٩٥م ، ص ١٤٩ .

(٧٠) مفاهيم ينبغي أن تصحح ، محمد قطب ، مرجع سابق ، ص ٣٦٨ وما بعدها .

دلالة المفهوم عند الزيدية

الدكتور / عزيز محمد علي الخطري

أستاذ الفقه الإسلامي وأصوله المساعد
جامعة صنعاء - كلية التربية - المحويت
قسم القرآن الكريم وعلومه



جامعة الأندلس
العلوم والتكنولوجيا

Alandalus University For Science & Technology

(AUST)

دلالة المفهوم عند الزيدية

The Denotation of the Concept at the Zaidieh

ملخص البحث: هذه الدراسة "لدلالة المفهوم عند الزيدية"، تهدف إلى تحقيق رأيهم، ومنهجهم في هذه الدلالة، من خلال بيان تقسيمهم لهذه الدلالة وما اشترطوه للأخذ بها، ومعرفة ما أخذوه به وما ردوه من المفاهيم المدرجة تحت كل قسم من أقسامها .

وتتكون من مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمه:

تضمن الفصل الأول أقسام المفهوم وجاء في مبحثين: خصص الأول لمفهوم الموافقة، من حيث تعريفه وأقسامه، وحجيته، وتضمن الثاني: مفهوم المخالفة من حيث: تعريفه، ومراتبه، وحجيته من حيث العموم، وشروط الأخذ به .

وتضمن الفصل الثاني: أنواع المفهوم المخالف وحجية كل نوع في مبحثين: تناول الأول: مفهوم اللقب، والصفة، والشرط، وخصص الثاني: مفهوم الغاية، والعدد، والحصر، واحتوت الخاتمة على أهم النتائج منها: عدم خروج الزيدية على منهج مدرسة المتكلمين، وقولهم بحجية المفهوم -من حيث الإجمال- ، ومن حيث التفصيل، احتجوا بالمفهوم الموافق ، وفي المفهوم المخالف منعوا الأخذ باللقب، والقول المعتمد للمذهب، في المفاهيم الأخرى- الصفة، والشرط، والغاية، والعدد، والحصر- أنها حجة، مع التفاوت في القوة، والضعف، فأدناها الصفة، وأعلىها الحصر، على الترتيب، وضابط القول بحجية المفهوم المخالف ، أن يكون القيد الوارد في النص، قد ذكر للتخصيص، والاحتراز عما عداه، وليس ثمة معارض لهذا المفهوم .

The Denotation of the Concept at the Zaidieh

RESEARCH BRIEF : This study (The Denotation of the Concept at the Zaidieh) aims to realize their opinion and their approach in this denotation within explaining its divisions and its conditions of consideration. Also this study aims to know what did they took into consideration or what did they leave from the concepts included in each division.

The first chapter includes the divisions of the concept. This chapter came in two researches . The first research was specialized for the concept of agreement –its definition, divisions argument. The second research was specialized for the concept of disagreement –its definition, classes, argument according the totalizing and its conditions of consideration.

The second chapter includes : kinds of the disagreed concept and the argument of each kind in two researches: the first discussed the concept of cognomen, the adjective and the condition. The second research was specialized for : the concept of aim, number , restricting. The conclusion included the most important results. Here are some of these results:

The group of Zaidieh didn't disagree the approach of school of talkers. And this group believe in the argument of concept- form the point of the totalizing. From the point of the detail this group proved by the according concept. The group of Zaidieh prevented taking into consideration the cognomen in the disagreed concept. The authorized saying of the ideology is an argument – the adjective , condition, aim, number, restricting- with the variation of force and weakness. The lowest is the adjective and the highest is the restricting respectively. The controller of saying of the argument of the disagreed concept is that the limit- which is mentioned in the text- must be mentioned for specification and for avoiding the else things, and there is not anything against it on this concept

المقدمة :

إنَّ علم أصول الفقه من أفضل العلوم، لكونه المرتكز الأساس لأحكام الدين الإسلامي الحنيف في شؤون العبادات والمعاملات، ويُعدُّ ميداناً واسعاً يمكن أن تلتقي فيه آراء العلماء والمحققين في شتى المذاهب الإسلامية، وتوحيد نظراتهم؛ لما فيه خدمة العباد والبلاد، ولعلَّ موضوع هذا البحث سيكون في دلالة المفهوم، وهو أحد مباحث الدلالات، في علم أصول الفقه، وهو من المباحث المهمة، إذ تطرَّق له الباحثون بالبحث في كثير من المذاهب الإسلامية ولم يتطرق الباحثون لهذا المفهوم عند الزيدية، لامن قريب، ولامن بعيد، حتى اللحظة، بل لم يتطرق إلى بحث الدلالات بشكل عام، و البحث في أصول هذا المذهب وفروعه لازال مجالاً خصباً، لذلك آثر الباحث أن تكون (دلالة المفهوم عند الزيدية) هي موضوع هذا البحث .

أهمية البحث :

لقد برز كثير من علماء المذهب الزيدي في هذا العلم، فكتبوا فيه مؤلفات تعدُّ غاية في الأهمية، واستقلوا بنظريات خاصة، ووافقوا غيرهم عن بحث واجتهاد، وعلى الرغم من أنهم يسلكون نهج مدرسة المتكلمين إلا أنَّ ما خلفوه من ثروة علمية - لاسيما في أصول الفقه - لا يزال حبيس الأدراج، مخطوطاً؛ إلاَّ القليل الذي حظي بالطباعة، دون أن يلاقي أي اهتمام - دراسة وتحقيقاً - من الباحثين وذوي الاختصاص حتى اليوم؛ ولما لذلك من أهمية، فقد كان اختيار الباحث (لدلالة المفهوم عند الزيدية) لأسباب أهمها:

(١) المساهمة المتواضعة في إخراج روائع هذا العلم، لاسيما ونحن - في العالم الإسلامي - أحوج ما نكون إليه، في هذا العصر، الذي كثرت فيه النوازل والمستجدات، وقلَّ فيه فقه الأصول، والاستنباط، والاجتهاد، و الخدمة المتواضعة للبحث العلمي في أصول الفقه .

(٢) معرفة منهج الزيدية، وطريقة تقسيمهم للمفاهيم، والمدرسة التي ينتمون إليها، من حيث العموم، ومن حيث الخصوص بيان منهجهم في ترتيبهم لأنواع المفاهيم .

(٣) بيان ما أخذوا به من أقسام المفهوم، وما ردُّوه، وما كان بينهم محل خلاف، وبيان نوع هذا الخلاف .

خطة البحث :

يتكون البحث من مقدمة وفصلين أساسيين وخاتمة:

الفصل الأول : خصص لأقسام المفهوم، وجاء في مبحثين: تناول المبحث الأول مفهوم الموافقة، وفيه ثلاثة مطالب : الأول لتعريف مفهوم الموافقة، والثاني خصص لأقسام مفهوم الموافقة، وجعل الثالث لبيان حجية مفهوم الموافقة، وتضمن المبحث الثاني الحديث عن مفهوم المخالفة في ثلاثة مطالب، جعل الأول لتعريف مفهوم المخالفة ومراتبه، وخصص الثاني لحجية المفهوم المخالف، وتناول الثالث شروط العمل بالمفهوم المخالف .

أما **الفصل الثاني :** فقد تضمن أنواع المفهوم المخالف وحجيتها في مبحثين:

تناول الأول مفهوم اللقب، والصفة، والشرط، في ثلاثة مطالب، خصص الأول لمفهوم اللقب، وتناول الثاني مفهوم الصفة، وفرد الثالث لمفهوم الشرط، وتضمن المبحث الثاني مفهوم الغاية، والعدد، والحصر، في ثلاثة مطالب، تناول الأول مفهوم الغاية، وخصص الثاني لمفهوم العدد، والثالث لمفهوم الحصر .

وأنهت هذا البحث بخاتمة احتوت على أهم النتائج، يليها قائمة المصادر والمراجع .

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تهديد :

تنقسم دلالة اللفظ العربي على الحكم في نظر الزيدية إلى قسمين أساسيين هما: دلالة المنطوق، ودلالة المفهوم، وفي هذا يقول ابن المرتضى^(١) (رحمه الله): (اللفظ العربي في دلالاته على وجهين: أحدهما يدل على المعنى بمنطوقه؛ أي: باعتبار ما وضعه الواضع علامة له، أو يستلزمه مدلوله، والآخر يدل عليه بمفهومه لا بمنطوقه؛ لأنَّه: إمَّا أن يدل عليه في محل النطق فهو المنطوق، أو في غير محله فهو المفهوم)^(٢)، والثاني هو موضوع بحثنا كالاتي:

أولاً: تعريف دلالة المنطوق:

تعني دلالة المنطوق عند الزيدية: (ما دلَّ عليه اللفظ في محل النطق)^(٣)، و المراد بقولهم ما دلَّ عليه اللفظ في محل النطق، المعنى الذي دل عليه اللفظ في محل النطق، أو دلالة اللفظ على حكم شيء مذكور في النص، ومتلفظ به؛ وهو قيد لإخراج المفهوم^(٤)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَرَبَّائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾^(٥)؛ فنص الآية فيه دلالة على تحريم نكاح الربيبية التي في حجر الرجل، من زوجته التي دخل بها، والدلالة على تحريم الربيبية هنا دلالة بالمنطوق.

(١) هو: احمد بن يحيى بن المرتضى بن مفضل بن منصور بن حجاج بن علي بن يحيى بن القاسم بن يوسف الداعي (يكنى بالإمام المهدي) - واينما وجد في

هذا البحث فهو المعنى - ، من اشهر أئمة الزيدية، توفى سنة ٨٤٠ هـ ينظر ترجمته: البدر الطالع، ٨٤/١ وما بعدها، الأعلام، ٢٦٩/١

(٢) منهاج الوصول إلى معيار العقول في علم الأصول، لابن المرتضى - السابق ترجمته - ، تحقيق د. احمد علي مطهر المأخذي، دار الحكمة اليمانية للطباعة والنشر، ط/١، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م، ص ٨٣٥

(٣) الفصول اللؤلؤية، صادم الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله الهادي الوزير، تحقيق: محمد يحيى سالم عزان، مركز التراث والبحوث اليمني، ط/١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ص ٢١٦

(٤) ينظر: نظام الفصول، العلامة الحسن بن احمد الجلال، ت ١٠٤٨ هـ، "مخطوط" ورقة ٢٤٠

(٥) سورة النساء: آية ٢٣

ثانياً : أقسام دلالة المنطوق عند الزيدية:

قسمت الزيدية دلالة المنطوق إلى صريح، وغير صريح^(٦) .

١- المنطوق الصريح هو: (ما وضع اللفظ له بالمطابقة، أو تتضمن)^(٧)، وسَمَاءُ ابن المرتضى (رحمه الله) "بالنص"^(٨)، مثال المطابقة في قول الرسول (ﷺ) " فيما سقت السماء العشر"^(٩)؛ فهو صريح في بيان ما يجب من الزكاة، أما تتضمن فهو، كدلالة الإنسان على الحيوانية، ودلالة قام زيد، على القيام^(١٠) .

ولعل هذه الدالة تكون أكثر وضوحاً في، قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ

الرِّبَا﴾^(١١)، فالنص دل بمنطوقه الصريح على جواز البيع وتحريم الربا .

٢- المنطوق غير الصريح وهو: (ما لم يوضع اللفظ له بأحد هما، وإنما يدل عليه باللزوم)^(١٢)، والمقصود بلفظ "له" أي لما أفاده؛ ولفظ "بأحد هما": أي : أن اللفظ لم يوضع له، لا بالمطابقة، ولا بالتضمن^(١٣)، وإنما دل على الحكم بطريق الالتزام؛ لأن اللفظ مستلزم، وذلك يعني أن اللفظ لم يوضع للحكم، ولكن الحكم فيه لازم للمعنى الذي

(٦) ينظر: الفصول اللؤلؤية، ص ٢١٦ .

(٧) نفس المصدر السابق .

(٨) ينظر: منهاج الوصول إلى معيار العقول، ص ٣٩٦ .

(٩) رواه البخاري بلفظ "ثم سقت السماء والعيون أو كان عشراً العشر" باب "باب العشر فيما يسقى من السماء، برقم

١٤١٢، ٥٤٠/٢، ومسلم، بلفظ "فيما

سقت الأنهار" باب "ما فيه العشر، برقم ٩٨١" .

(١٠) ينظر: نظام الفصول، ورقة ٢٤٠ .

(١١) سورة الجمعة: آية ٩ .

(١٢) الفصول اللؤلؤية، ص ٢١٦ .

(١٣) ينظر: نظام الفصول، ورقة ٢٤١؛ أصول الفقه الإسلامي (دلالات الألفاظ) ، د . عبد القادر محمد شحاتة، ١٤١٣هـ -

١٩٩٢ م، ص ٢٩ .

وضع له ذلك اللفظ^(١٤)، وعلى ذلك تكون الدلالة الالتزامية من المنطوق، ومن أمثلته قوله تعالى: ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾^(١٥)؛ مع أنَّ النسب يكون للاب، ونفقة الولد على الأب دون، الأم إلا أنَّ لفظ اللام لم يوضع لإفادة هذين الحكمين، ولكن كلاً منها لازم للحكم المنصوص عليه في الآية^(١٦).

أقسام المنطوق غير الصريح:

ينقسم المنطوق غير الصريح عند الزيدية إلى ثلاثة أنواع من الدلالة هي: دلالة الاقتضاء، ودلالة التنبية والإيماء، ودلالة الإشارة^(١٧). وطريق الحصر في هذه الأنواع أنَّ المدلول عليه بالالتزام إما أن يكون مقصوداً للمتكلم من اللفظ بالذات، وإما أن لا يكون مقصوداً^(١٨). فدلالة الاقتضاء والإيماء ترتبطان بكون اللازم مقصوداً للمتكلم، في حين لا يكون ذلك في دلالة الإشارة، فما كان مقصوداً للمتكلم: إما أن يتوقف عليه صدق المتكلم، أو صحة الكلام فهو دلالة الاقتضاء، وما لم يكن كذلك فهو دلالة التنبية والإيماء، أما إذا لم يكن مقصوداً للمتكلم فيسمى دلالة الإشارة^(١٩)؛ ويتضح ذلك في الآتي:

(١٤) ينظر: نظام الفصول، ورقة ٢٤١؛ تفسير النصوص، د. محمد ادب صالح، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/٤، ١٣١٣هـ -

١٩٩٣ م، ١/٥٩٤.

(١٥) سورة البقرة: آية ٢٣٣.

(١٦) ينظر: تفسير النصوص، ١/٥٩٥؛ أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، ص ٣١٩.

(١٧) ينظر: منهاج الوصول، ص ٨٣٧؛ المصنف في أصول الفقه، العلامة أحمد بن محمد بن علي الوزير، ت ١٣٧٢هـ، دار الفكر،

دمشق، إعادة طبعة، ٢٠٠٢م، ص ٦٨٩.

(١٨) ينظر: المصنف في أصول الفقه، ص ٦٩٣.

(١٩) ينظر: منهاج الوصول، ٨٣٧؛ الفصول اللؤلؤية، ص ٢١٦.

النوع الأول : دلالة الاقتضاء ولحن القول:

أ- **تعريف دلالة الاقتضاء:** الاقتضاء لغة: هو الطلب، أو الاستلزام وهو مصدر اقتضى، بمعنى الطلب، واقتضى الدين: طلبه، واقتضى الأمر: استلزمه^(٢٠)، أما في الاصطلاح فيعني: دلالة اللفظ على مسكوت عنه مضمرة يتوقف على تقديره صدق المتكلم أو صحة الكلام عقلاً أو شرعاً^(٢١)؛ أي أن اللفظ يقتضي ذلك المدلول، ولو لم يكن بنص صريح^(٢٢) وعلى ذلك فالمتقضي ما وجب تقديره، لضرورة صدق المتكلم، أو صحة الكلام عقلاً أو شرعاً، ولهذه الدلالة شرطان عند الزيدية:^(٢٣)

الأول: أن يقصد المتكلم إفادة ذلك المعنى.

الثاني: أن يتوقف على قصده، أو توقف الصحة العقلية، أو الصحة الشرعية على قصده، فيوصف اللفظ بأنه يقتضي ذلك المعنى.

ب- أنواع دلالة الاقتضاء: مما سبق ذكره، يتبين أن دلالة الاقتضاء عند الزيدية تتكون من ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما كان المدلول فيه مضمراً لضرورة صدق المتكلم، من ذلك: قول الرسول (ﷺ) "رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه"^(٢٤)، فالخطأ، والنسيان، والإكراه، من الأمور الواقعة فعلاً، ومن المحال رفعها، غير أنه لا بد من رفع حكم حتى يثبت صدق المتكلم، فرفع الحكم الواجب عما

(٢٠) ينظر: المعجم الوسيط، ٧٤٣/٢.

(٢١) ينظر: منهاج الوصول، ص ٨٣٦؛ الفصول اللؤلؤية، ص ٢١٦.

(٢٢) ينظر: منهاج الوصول، ص ٨٣٦.

(٢٣) ينظر: منهاج الوصول، ص ٨٣٦؛ نظام الفصول، ورقة ٢٤١.

(٢٤) هذا اللفظ لا وجود له، مع كثرة ذكره من قبل الأصوليين، والفقهاء، والحديث أخرجه الحاكم، وابن ماجه، وقال عنه الحاكم حديث صحيح على شرط

الشيخين ولم يخرجاه، وأخرجه ابن حبان في صحيحة، و لفظه في كتب الحديث "إن الله تجاوز ٠٠٠" وبلغظ "إن الله وضع ٠٠٠" المستدرک، ٢١٦/٢.

برقم ٢٨٠١، كتاب الطلاق، سنن ابن ماجه، ٦٥٩/١، برقم ٢٠٤٣، باب طلاق المكره والناسي؛ صحيح ابن حبان، ٢٠٢/١٦؛ زوائد البويصري ١٢٦/٢ وقال عنه إسناده صحيح.

صدر عنهم، وهو العقاب، أو المؤاخذة ، لضرورة صدق المتكلم، فوجب القول أن اللفظ يقتضيه لا بصريحه ؛ لأن صريحه لا يصدق ظاهره، فعرف من ذلك أن صريح اللفظ غير مقصود ، وإنما المقصود ما يستلزمه^(٢٥)

القسم الثاني: ما كان المدلول فيه مضمراً لضرورة صحة الكلام عقلاً ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾^(٢٦) ؛ أي: وأسأل أهل القرية ، وأهل العير، إذ لو لم يقدر ذلك لم يصح ذلك عقلاً ؛ لأن سؤال القرية والعير ممتنع عقلاً ، واللفظ يقتضي ذلك ، لا بصريحه ، وأن المخاطب به قاصد باللفظ إفادة ذلك المقتضى^(٢٧) .

القسم الثالث : ما كان المدلول فيه مضمراً لضرورة صحة الكلام شرعاً ، مثل أن يقول رجل لآخر : اعتق عبدك عني بألف ؛ فالكلام يقتضي دخول العبد في ملك القائل ، حتى يكون العتق عنه صحيحاً شرعاً ؛ لأن صحة العتق مرتبط بتحقق شرط شرعي ، وهو كون المعتق مالك لمن يعتقه ، لذا فإن المخاطب به لم يقصد به مدلول صريحه ، وإنما قصد مقتضاه فقط ، وهو اللزم عن الصريح ؛ أي: عن العتق ، وهذا اللزم هو الملك، وعلى هذا لا بد من تقدير دخول العبد في ملك المعتق ليصح العتق شرعاً ، بحيث يكون المعنى هنا: ملكني عبدك بألف لأعتقه^(٢٨) ؛ ومن ثم فإن صريح هذا اللفظ غير مراد ، وإنما المراد ما يستلزمه ، فكانت دلالة اللفظ على استدعا الملك دلالة اقتضاء ، لا دلالة تصريح .

(٢٥) ينظر: الفصول اللؤلؤية، ٢١٦: منهاج الوصول، ص ٨٣٦؛ نظام الفصول، ورقة ٢٤١ .

(٢٦) سورة يوسف: آية ٨٢ .

(٢٧) ينظر: الفصول اللؤلؤية، ص ٢١٦ ؛ نظام الفصول، ورقة ٢٤١؛ أصول الفقه، د شحاتة، ص ٣٢ .

(٢٨) ينظر: شرح الفصول اللؤلؤية، ورقة ٢٤١ .

النوع الثاني : دلالة التنبيه والإيماء :

الإيماء لغة مصدر إذ يقال: أومأ يومئ إيماء بمعنى: أشار^(٢٩)؛ وهو عكس الإباء الذي هو الإشارة بالأصابع للتقدم، والإيماء: الإشارة بالأصابع للتأخر^(٣٠).

أما في الاصطلاح فهو: اقتران الحكم بوصف إذ لو لم يكن ذلك الوصف لتعليل الحكم لكان الاقتران به بعيداً^(٣١)، أي إنَّ الحكم المقترن ، لو لم يكن للتعليل لكان اقترانه به غير مقبول ؛ لأنه لا ملاءمة بينه وبين ما اقترن به ، وتسمى دلالته في الاصطلاح "تنبيه نص أو إيماء نص"^(٣٢)، فيقال : قد نبه إليه النص أو أومئ إليه؛ لا أنه نص صريح فيه^(٣٣).

ويبدو أن العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي تبدوا ضعيفة ، إن لم تكن معدومة ، وعلى هذا فإنَّ الحكم المترتب على وصف بحرف (الفاء) ، التي تدل لغوياً على التعقيب والتسبيب ، يومئ إلى أن هذا الوصف علة للحكم الوارد في النص، سواء ورد في كلام الله تعالى أو في كلام رسول الله (ﷺ)، أو كلام الراوي،^(٣٤) ومن أمثلة ما ورد في كلام الله نحو قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾^(٣٥).

(٢٩) ينظر: المعجم الوجيز، ص ٦٨٣ .

(٣٠) ينظر: القاموس المحيط، ٣٢/١ .

(٣١) ينظر: منهاج الوصول، ص ٨٣٧؛ نظام الفصول، ورقة ٢٤١ .

(٣٢) ينظر: نفس المراجع .

(٣٣) ينظر: نظام الفصول، ورقة ٢٤١ .

(٣٤) كلام الرسول مثل: قوله "ﷺ" "من أحيا أرضاً ميتة فهي له" دل بصريح النص إن الذي يحي الأرض الميتة يملكها؛ لأنَّ اللزوم في لفظ "له" أفاد الملك، وبما إن الذي أحيا الأرض قد اتصف بالإحياء، وارتبط هذا الوصف مع الحكم "الملك" بحرف "الفاء"، وأما هذا الارتباط إلى أن الإحياء هو علة التملك ؛ والحديث أخرجه البخاري، باب "من أحيا أرضاً موتاً" ٨٢٣/٢ .

كلام الراوي نحو قولهم: "سهى رسول الله ﷺ في الصلاة فسجد"، دل منطوقه الصريح على سهو الرسول (ﷺ) في الصلاة وسجوده ؛ الحديث رواه أبو داود في الصلاة "باب سجدي السهو فيها تشهد وتسليم" (١٠٣٥) ؛ والترمني في الصلاة "باب ما جاء في التشهد في سجدي السهو" ٣٩٥ وقال حسن غريب بالحاكم في السهو: "١٢٠٧، ١٢٠٨" وقال صحيح على شرط الشيخين (٣٥) سورة المائدة: آية ٣٨ .

فالحكم- وجوب القطع- اقترن بوصف هو السرقة؛ فلو لم تكن السرقة أو وصف السرقة علة لوجوب الجلد، لكان اقتران الحكم بهذا الوصف بعيداً عن البلاغة والبيان،^(٣٧) وبمعنى آخر: إنَّ ربط الوصف في الآية بحرف "الفاء"، أو ما إلى أن هذا الوصف هو علة هذا الحكم، فتكون السرقة هي علة القطع، فإذا ما تحقق الوصف كاملاً مع أي من المكلفين، في أي زمان ومكان ترتب عليه حكمه، والعكس؛ لأنَّ الحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً.

النوع الثالث: دلالة الإشارة:

الإشارة لغة: تعيين الشيء باليد ونحوها، أو أنَّها التلويح بشيء يفهم منه المراد^(٣٧)

أمَّا في الاصطلاح فهي: دلالة اللفظ على لازم غير مقصود للمتكلم، لا يتوقف عليه صدق الكلام ولا صحته، فيقال: إشارة النص إلى الحكم فهو لم يقتضه ولا أو ما إليه^(٣٨)، ويبدو أنَّ الأساس الذي تقوم عليه يتمثل في أنَّ الحكم المستفاد بوساطتها يكون غير مقصود بالذات، من ناحية؛ وهو لازم للحكم الذي دل عليه المنطوق الصريح للنص من ناحية أخرى.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿أَحِلُّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾^(٣٩)، فكون الرفث في كل الليل مباحاً، فإنَّ من جامع في آخر الليل متصللاً بالفجر؛ يلزم منه جواز الإصباح جنباً، مع أنَّ ما لزم لم يكن مقصوداً من سياق الكلام، لا بصريحه، ولا بلازمه^(٤٠).

(٣٧) ينظر: أصول الفقه، د. شحاتة، ص ٣٣.

(٣٨) المعجم الوجيز، ص ٣٥٤.

(٣٩) ينظر: منهاج الوصول، ص ٨٣٧، نظام الفصول، ورقة ٢٤١.

(٤٠) سورة البقرة، آية ١٨٧.

(٤١) ينظر: الفصول اللؤلؤية، ص ٢١٧، نظام الفصول، ورقة ٢٤١.

وبإنهاء هذا التمهيد نتناول دراست دلالة المفهوم عند الزيدية في فصلين: نستعرض في الفصل الأول: أقسام المفهوم، وفي الفصل الثاني: أنواع المفهوم المخالف وحجيتها.

الفصل الأول: أقسام المفهوم

قسمت الزيدية المفهوم إلى قسمين: ^(٤١) أحدها مفهوم الموافقة، وثانيها مفهوم المخالفة، ومرجع هذا التقسيم؛ لأن حكم غير المفهوم، أو المسكوت عنه، إمّا أن يكون موافقاً لحكم المذكور نفيًا وإثباتًا، أولاً، فالأول مفهوم الموافقة، والثاني مفهوم المخالفة ^(٤٢)، وقبل بيان ذلك نعرف المفهوم، ومن ثم نبين هذين القسمين في مبحثين على النحو الآتي:

تعريف دلالة المفهوم:

- أ) في اللغة: يطلق على مجموع الصفات والخصائص الموضحة لمعنى كلي، ويقابله عند علماء المنطق "المصدق" ^(٤٣)؛ كما يطلق على المعلوم المعروف بالقلب ^(٤٤) ويطلق على المفهوم بالمعقول يقال: فهم الشيء إذا عقله.
- ب) في الاصطلاح: عند الزيدية (ما دلّ عليه اللفظ، لا في محل النطق) ^(٤٥) أو (ما أفاده اللفظ من أحوال الأمر غير مذكور) ^(٤٦).

^(٤١) ينظر: الفصول اللؤلؤية، ص ٢١٧؛ الدراري المضيئة في شرح الفصول اللؤلؤية، العلامة، صلاح بن احمد المهدي المؤيدي، ت ١٠٤٨هـ، "مخطوط"، ورقة ٣٣٣.

^(٤٢) ينظر: نظام الفصول، ورقة ٢٤٢.

^(٤٣) ينظر: المعجم الوسيط، ص ٧٠٤.

^(٤٤) ينظر: القاموس المحيط، ١٦١/٤.

^(٤٥) الفصول اللؤلؤية، ص ٢١٧؛ الدراري المضيئة، ورقة ٣٣٣؛ شفاء غليل السائل عما تحمله الكافل، علي بن صلاح بن علي بن محمد الطبري اليميني، مكتبة اليمن الكبرى، ط/١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، ص ١٦٠.

^(٤٦) هداية العقول إلى غاية السؤل، الحسين بن القاسم بن محمد، ت ١٠٥٠هـ، المكتبة الإسلامية، ١٤٠١هـ، ط/٢، ٣٨٢/١؛ شفاء غليل السائل، ص ١٦٠؛ جلاء الأبصار لذوي العقول الموصل إلى نيل معرفة تبصرة العقول، الحسين بن يحيى بن علي المؤيدي، "مخطوط" ورقة ٢١٦.

ويتضح مما سبق: أن المفهوم ما يستفاد من اللفظ، وليس مذكوراً في النص، ولم يتم النطق به^(٤٧).

نحو قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾^(٤٨)، فنص الآية فيه دلالة على تحريم أي نوع من أنواع الأذى للوالدين وهذه الدلالة ليست دلالة بالمفهوم الذي هو محل النطق، وإنما هي دلالة بما فهم من هذا المفهوم، وهو المفهوم^(٤٩)، وعليه فإن المفهوم هو ما يستفاد من اللفظ، باعتبار أنه يفهم منه، وقصد منه، ويسمى معنى، وباعتبار أنه دال عليه، ويسمى مدلولاً، وباعتبار أنه وضع له اسم مسمى، وحقيقته بخلاف المنطوق.

المبحث الأول: مفهوم الموافقة

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف مفهوم الموافقة

(أ) لغة تعني المجانسة، والملاءمة، ووافق بين الشيئين، وفاقاً أو موافقة، جانس ولآم^(٥٠)؛ فيكون المعنى اللغوي لهذا الاصطلاح المركب هو: المجانسة والملاءمة بين الصفات، والخصائص الموضحة لمعنى كلي مع معنى آخر، سواء كان حكماً شرعياً أو غير شرعي.

(ب) في الاصطلاح فقد أكدت الزيدية على ضرورة موافقة حكم المنطوق للمسكوت فعرفوه بأنه: (ما وافق حكمه حكم المنطوق في الثبوت أو النفي)^(٥١)؛ أي: ما فهم منه كون المسكوت عنه موافقاً للمنطوق به في الحكم وسمي كذلك؛ لأن المسكوت عنه موافق في الحكم للمذكور.

(٤٧) ينظر: المصنف في أصول الفقه، ص ٧٠٦.

(٤٨) سورة الإسراء: آية ٢٣.

(٤٩) ينظر: منهاج الأصول، ص ٨٣٩؛ أصول الفقه "دلالات الألفاظ"، د. شحاتة، ص ٢٦.

(٥٠) ينظر: المعجم الوسيط، ص ١٠٤٦.

(٥١) الفصول للؤلؤية، ص ٢١٧؛ نظام الفصول، ورقة ٢٢٤؛ جلاء الأبصار، ورقة ٢١٦؛ الطراز المذهب فيما تقرر من علم الأصول

والفروع في المذهب، القاضي الحسين بن ناصر المهلا الشريفي، ت ١١١١هـ، "مخطوط" ورقة ٨٥؛ المصنف في أصول الفقه، ص ٧٠٦.

ومما ورد دالاً على الثبوت: قوله تعالى ﴿ وَمَنْ أَهْلُ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِنِطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴾^(٥٢)؛ فإن مفهوم الآية أن أمنتها على دون القنطار أداه إليك، كما في القنطار الذي هو منطوق الآية؛ لأن من كان أميناً على الأكثر، فمن باب أولى أن يكون أميناً على القليل، فهنا وافق المفهوم المنطوق في الثبوت^(٥٣)؛ ومما ورد دالاً على النفي: قوله تعالى ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا ﴾^(٥٤)؛ فإن المفهوم - الذي هو نفي الضرب - ، وافق المنطوق، وهو نفي التآفف في النفي؛ فالآيتان هنا وافق منطوق الأولى ومفهومها في الإثبات واتفقتا في الثانية في النفي^(٥٥).

المطلب الثاني: أقسام مفهوم الموافقة

قسمت الزيدية مفهوم الموافقة إلى قسمين:

• القسم الأول: مفهوم الموافقة الأولى

وهو ما يكون المسكوت فيه أولى بالحكم من المنطوق^(٥٦).

واستشهدوا بتحريم ضرب الوالدين في قوله تعالى ﴿ فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ﴾^(٥٧)؛ فمنطوق الآية يدل على تحريم التآفف للوالدين، كما أن فيه دلالة من طريق المسكوت، على تحريم الضرب للوالدين بطريق الأولى؛ أي: أنه إذا كان التآفف للوالدين محرماً، فإن ضربهما يحرم من باب أولى؛ لأن شدة الضرب أكثر وقعاً، وأعظم إيلاًماً للوالدين من مجرد التآفف^(٥٨).

^(٥٢) سورة آل عمران: آية ٧٥ .

^(٥٣) ينظر: نظام الفصول، ورقة ٢٤٢ .

^(٥٤) سورة الإسراء: آية ٢٣ .

^(٥٥) ينظر: نظام الفصول ورقة ٢٤٢ .

^(٥٦) ينظر: الكاشف لذوي العقول، ص ٢٥٨ .

^(٥٧) سورة الإسراء، آية ٢٣ .

^(٥٨) ينظر: منهاج الوصول، ص ٨٣٩؛ الكاشف لذوي العقول عن وجوه معاني الكافل بنيل السؤل، العلامة احمد بن محمد لقمان، ت ١٠٣٩هـ، تحقيق عبد الكريم جذبان، مكتبة التراث الإسلامي، اليمن، ط/٢، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، ص ٢٥٨؛ مرقاة الوصول إلى فهم معني معيار العقول، للسيد داود الهادي بن احمد بن المهدي بن الإمام الهادي، ت ١٠٣٥هـ، "مخطوط" ورقة ٩٣ .

ويسمى عند الزيدية "فحوى الخطاب"^(٥٩)؛ لأن من فحوى الخطاب ما يفهم منه على سبيل القطع، وهذا كذلك، ويطلقون عليه أيضاً "لحن الخطاب"^(٦٠)؛ أي معناه، أو دلالة النص؛ لأن فيه تنصيماً على المقصود، إذ لا يحتاج في فهمه إلى نظر وتأمل^(٦١)، يقول الإمام المهدي- ابن المرتضى: ويسمى في عرف اللغة والاصطلاح فحوى الخطاب ولحن الخطاب، قال تعالى ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾^(٦٢)(٦٣).

وتكون معرفة فحوى الخطاب ولحنه، بكون الحكم أشد مناسبة في المسكوت، عمّا هو في المذكور، باعتبار المعنى المناسب المقصود من الحكم^(٦٤)؛ وهو تنبيه بالأعلى على الأدنى، وعكسه، كالتنبيه بالأدنى - تحريم التأفف - على الأعلى - تحريم الضرب^(٦٥).

- القسم الثاني: مفهوم الموافقة المساوي أو الأدنى منه المساوي هو ما يكون المسكوت عنه مساوياً في الحكم للمنطوق^(٦٦)، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾^(٦٧)، فالمنطوق الصريح في الآية هو تحريم أكل أموال اليتامى؛ لأن أكلها ظلم، والقصد من تشريع هذا الحكم الحفاظ على أموال اليتامى،

^(٥٩) فحوى الخطاب: أي المضمون، وفحوى القول: مضمونه ومرماه، الذي يتجه إليه القائل، ينظر: المعجم الوسيط، ص ٤٦٣ .

^(٦٠) يقال هذا كلام ليس من لحن، ولا من لحن قومي، المعجم الوجيز ص ٥٠٤ .

^(٦١) ينظر: الفصول اللؤلؤية، ص ٢١٧؛ نظام الفصول، ورقة ٢٤٢؛ الكاشف لنوي العقول، ص ١٥٨؛ الدراري المضيئة، ورقة ٣٣٣ .

^(٦٢) سورة محمد: آية ٣٠ .

^(٦٣) منهاج الوصول، ص ٨٣٩؛ نظام الفصول، ورقة ٢٤٢ .

^(٦٤) ينظر: نظام الفصول، ورقة ٢٤٢ .

^(٦٥) ينظر: الفصول اللؤلؤية، ص ٢١٧؛ الدراري المضيئة، ورقة ٣٣٣؛ نظام الفصول ورقة ٢٤٢ .

^(٦٦) ينظر: منهاج الوصول، ص ٨٣٩ .

^(٦٧) سورة النساء، آية ١٠ .

والذي يفهم من ذلك تحريم إحراق هذه الأموال؛ مساواة إحراق الأموال لعملية أكلها ، بجامع أن كلاً منها يشكّل اتلافاً لمال اليتيم^(٦٨) .
ويسمى أيضاً "لحن الخطاب" ، وفحواه عند أغلب الزيدية^(٦٩) ؛ أما مفهوم الموافقة الأدنى منه فقد مثلوا له بإلحاق النبيذ بالخمير، من حيث التحريم^(٧٠) .

ويبدوا أن تسمية القسمين تُعدُّ محل خلاف بين الزيدية :

فأغلب الزيدية، يطلقون الفحوى واللحن اسمين لمسمى واحد هو مفهوم الموافقة^(٧١)

وذهبت الأقلية منهم^(٧٢) ، إلى أن الفحوى واللحن، قسمان لمفهوم الموافقة - لاقسيمان له- ، وسموا ما كان أولى بالحكم من المنطوق "بفحوى الخطاب"^(٧٣) " ، أما ما كان مساوياً فقد سموه "بلحن الخطاب"^(٧٤) " .
ولعلَّ هذا الخلاف هو خلاف في المصطلح، ليس إلا، قال صاحب المصنف، (كله مفهوم موافقة، وهو ثابت بدلالة الوضع اللغوي)^(٧٥) .

(٦٨) ينظر: أصول الفقه "دلالات الألفاظ" د. شحاتة، ص ٦٢ .

(٦٩) ينظر: الفصول اللؤلؤية، ص ٢١٨؛ الدراري المضيئة، ورقة ٣٣٥ .

(٧٠) ينظر: الفصول اللؤلؤية، ص ٢١٨ .

(٧١) ينظر: منهاج الوصول، ص ٨٣٩؛ الفصول اللؤلؤية، ص ٢١٧؛ الطراز المذهب، ورقة ٨٥ .

(٧٢) كالقاضي المهلا، والحسن المؤيدي، وهو ما ارتضاه الإمام الشوكاني، وعليه من المحدثين أحمد بن علي الوزير، ينظر على الترتيب: الطراز المذهب، ورقة ٨٥؛ جلاء الأبصار، ورقة ٢١٦؛ إرشاد الفحول لتحقيق الحق من علم الأصول، العلامة محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: محمد صبحي حلاق، دار ابن كثير، ط/٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢ م، ص ٥٨٩؛ المصنف في أصول الفقه، ص ٧٠٦

(٧٣) مثال ما كان فيه معنى الأولى (فحوى الخطاب) قوله تعالى " { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ } الزلزلة ٧-٨ " فبالأولى الجزاء على ما هو أعظم من مثقال الذرة، ينظر: المصنف في أصول الفقه، ص ٧٠٦ .

(٧٤) مثال ما لم يكن فيه معنى الأولى، بل مساوياً للمنطوق (لحن الخطاب) قوله تعالى " { إِنَّ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِثْقَاتِ الْإِنْفَالِ } " فنص الآية يدل بطريق المفهوم وجوب ثبات الواحد أمام العشرة، وبالمنطوق ثبات العشرين للمأتين، فهنا لا يوجد معنى الأولى في المفهوم؛ فلا يصح أن يقال إذ ثبت العشرين للمأتين فبالأولى الواحد للعشرة؛ وإنما هو مساوياً للمنطوق من حيث لزوم ثبات القوة القليلة للكثيرة، المصنف في أصول الفقه، ص ٧٠٦ .

(٧٥) ينظر: المصنف في أصول الفقه، ص ٧٠٧ .

المطلب الثالث : حجية مفهوم الموافقة

اتفقت أئمة الزيدية على اعتبار مفهوم الموافقة -الأولي والمساوي- حجةً، وطريقاً صحيحاً من طرق الدلالة على الأحكام، ودلالتهما قطعية، إن كان أصليهما قطعياً^(٧٦)، كقوله تعالى ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ فإن أصل مفهوم الآية قطعي، فكان المفهوم قطعياً^(٧٧)؛ وتكون دلالتهما ظنية إن كان التعليل بالمعنى ظنياً^(٧٨)، كقول الرسول (ﷺ) لا يقضي القاضي وهو غضبان^(٧٩)، فإن مفهومه أن زائل العقل من باب أولى أن لا يقضي، والخبر آحاد، وهو ظني، فكان المفهوم ظنياً^(٨٠).

أما الأدنى كما سبق الإشارة، وهو إلحاق النبيذ بالخمر في التحريم بجامع الإسكار، فقياس اتفاقاً لحصول حقيقة الإلحاق فيه^(٨١).

ولعلّ الاتفاق بين الزيدية من حيث القول بحجية دلالة مفهوم الموافقة؛ والخلاف بينهم يكمن في نوع هذه الدلالة على الحكم، أهي دلالة لفظية، أم دلالة قياسية- أي القياس الجلي-، أو بالفحوى فكانت آراؤهم على النحو الآتي:

- الرأي الأول: إنّها دلالة عقلية قياسية، بمعنى إنها حاصله بالقياس الأولي، أو المساوي، وهما نوعان للقياس الجلي^(٨٢)، وذهب إلى هذا الرأي الإمام ابن

(٧٦) ينظر: الفصول اللؤلؤية، ص ٢١٨؛ الدراري المضيئة، ورقة ٣٣٦؛ هداية العقول، ٣٨٢/١؛ الطراز المذهب، ورقة ٨٦؛ شفاء غليل السائل، ص ١٦٢؛ نظام الفصول، ورقة ٣٤٣.

(٧٧) ينظر: الدراري المضيئة، ورقة ٣٣٦؛ نظام الفصول، ورقة ٢٣٤.

(٧٨) ينظر: الفصول اللؤلؤية، ص ٢١٨؛ الدراري المضيئة، ورقة ٣٣٦؛ هداية العقول، ٣٨٢/١؛ الطراز المذهب، ورقة ٨٦؛ شفاء غليل السائل، ص ١٦٢؛ نظام الفصول، ورقة ٣٤٣.

(٧٩) أخرج البخاري بلفظ: "لا يقضين حكم بين اثنين وهو غضبان" ٢٦١٦/٦ باب "هل يقضي القاضي أو يفتى وهو غضبان"؛ وأخرجه مسلم بلفظ: "لا يحكم احد بين اثنين وهو غضبان" ١٣٤٢/٣ برقم "١٧١٧" باب "كراهة قضاء القاضي وهو غضبان".

(٨٠) ينظر: الدراري المضيئة، ورقة ٣٣٦، قال ابن حجر: "فيه نهي عن القضاء حال الغضب، ويلحق بالغضب كل حال يخرج الحاكم فيها عن سداد النظر، واستقامة الحال" ٠٠٠٠ "فتح الباري، ١٥/١٢، باب "كراهة قضاء القاضي وهو غضبان".

(٨١) ينظر: الفصول اللؤلؤية، ص ٢١٨؛ الدراري المضيئة، ورقة ٣٣٦.

(٨٢) القياس الجلي: هو ما كانت العلة المشتركة فيه بين الأصل والفرع، وجودها في الفرع منه أقوى من وجودها في الأصل، أو وجودها في الفرع مساو لوجودها في الأصل. ينظر: أصول الفقه "الأدلة الشرعية: د. شحاتة، ص ٤٥٧.

المرتضى ، وذكر أنه رأي الأصحاب ، والشيخ صارم الدين الوزير، والعلامة صلاح المؤيدي ، والعلامة الجلال (٨٣) (٨٤) .

وقد استدلو على رأيهم بالآتي:

(١) يقول ابن المرتضى في منع ضرب الوالدين، المستفاد من قوله تعالى ﴿فَلَا تَقُلْ

لَهُمَا أُفٌّ﴾ (٨٥) (لم يدل عليه بلفظه، وإنما دلَّ عليه بفحواه، والفحوى عندنا من القياس. وبيانه: أنه لما نهى عن الأذى الأدنى -التأفف- ، قطعنا بأن الأذى الأعظم - الضرب- من النهي عنه، منهي عنه من باب الأولى، فلم يدل عليه اللفظ، وإنما دل عليه القياس) (٨٦) .

(٢) بما هو معلوم في مفهوم الموافقة، من توقف ثبوت الحكم للمسكوت ، على معرفة المعنى الذي هو مناط الحكم ، ولا بد في معرفته من نوع نظر، وهذا هو القياس (٨٧) .

• الرأي الثاني: أنها دلالة لفظية حقيقية عرفية؛ أي يكون ذلك معلوماً من اللفظ عرفاً لا لغة، وهذا الرأي للإمامين (٨٨) أبي طالب ، والمنصور بالله (٨٩) ،

(٨٣) أ- صارم الدين: هو إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد الوزير بن عبد الله بن الهادي، ولد سنة ٨٣٤هـ، من علماء الزيدية المشهورين، اشهر مصنفاته في أصول الفقه "الفصول اللؤلؤية في أصول الفقه، توي في سنة ٩١٤هـ، ينظر ترجمته: الروض الأغن في معرفة المؤلفين باليمن، ٢١/١ .

ب- صلاح المؤيدي هو: صلاح بن احمد بن مهدي المؤيدي، ولد سنة ١٠١٠هـ، وقيل ١٠١٥هـ، وصفه الشوكاني بأنه كان من عجائب الدهر وغرائبه، شرح الهداية لابن الوزير، وله في الأصول قنطرة الوصول إلى علم الأصول، وله شرح للفصول اللؤلؤية يسمى "الدراري المضئية"، توي في سنة ١٠٤٨هـ، ينظر: البدر الطالع، ٢٩٣/١: الروض الأغن، ٢١١/١ .

ج- الجلال هو: الحسن بن احمد بن محمد بن علي بن صلاح المشهور بالعلامة الجلال، ولد سنة ١٠١٤هـ، له شرح لكتاب الأزهار من اشهر الشروح، وله في أصول الفقه شرح مشهور للفصول اللؤلؤية يسمى بشرح الفصول أو بنظام الفصول، توي في سنة ١٠٨٤هـ، ينظر: البدر الطالع، ١٣٣/١ .

(٨٤) ينظر: منهاج الوصول، ص ٣٩٨، ٨٤١: الفصول اللؤلؤية: ص ٢١٧: الدراري المضئية، ورقة ٣٣٤: نظام الفصول، ورقة ٢٤٢ .

(٨٥) سورة الإسراء: آية ٢٣ .

(٨٦) منهاج الوصول، ص ٣٩٨ .

(٨٧) ينظر: الدراري المضئية، ورقة ٣٣٤ .

(٨٨) أبو طالب هو: الإمام الناطق بالحق يحيى بن الحسين بن محمد بن هارون البطحاني، من كبار أئمة الزيدية، من اشهر مؤلفاته في أصول الفقه " المجزي في أصول الفقه"، درس على يد كبار أئمة المعتزلة، وعلى رأسهم القاضي عبد الجبار

وذلك في رأيهم ليس إلا حقيقة عرفية؛ لأن اللفظ لغة لا يدل إلا على التأفف، وإنما تعارف الناس على ذلك^(٩٠).

- الرأي الثالث: وفيه نوع من التفصيل: إنَّ في الأولى مستند دلالة المسكوت، فحوى الدلالة اللفظية، لا دلالة القياس، أمَّا في المساوي، فإنَّه يحمل الأمرين؛ أي: المفهوم والقياس؛ ولكن يرجح المفهوم؛ أي مما دلالاته لفظية، وهو مذهب الحسين بن القاسم، والقاضي المهلا، والحسن المؤيدي، والطبري اليميني^{(٩١)(٩٢)}، غير أنَّ الأخير كان بعيداً عن التفصيل، ويتضح ذلك من قوله: (إنَّ وجه الدلالة على الحكم في المسكوت عنه من باب المفهوم لا القياس... وهو المشهور)^(٩٣).

واستدلوا على رأيهم بالآتي:

-
- الاعتزلي، تويج سنة ٤٢٤هـ، ينظر: التحف شرح الزُلف، ص ٣١٩، الجواهر والدرر في سيرة سيد البشر وأصحاب العشرة الغرر والائمة المنتخبين الزُهر، لابن المرتضى "مخطوط" ورقة ١٢ •
- ب- المنصور بالله هو: عبد الله بن حمزة الحسني اليميني، من مشاهير الزيدية، له مصنفات كثيرة، منها في أصول الدين العقيدة النبوية في الأصول الدينية، وفي أصول الفقه "صفوة الاختيار في أصول الفقه" مطبوع، تويج سنة ٦١٤هـ، ينظر: الحدائق الوردية، ١٦٨/٢ •
- (٩٠) ينظر: الفصول اللؤلؤية، ص ٢١٧: الدراري المضيئة، ورقة ٣٣٤ •
- (٩١) الدراري المضيئة، ورقة ٣٣٤ •
- (٩٢) الحسين بن القاسم: الحسين بن الإمام القاسم بن محمد بن علي بن محمد بن علي، يصل نسبه إلى الإمام الهادي، من علماء الزيدية، ومن مشاهير عصره، من مصنفاته في أصول الفقه، كتاب الغاية، وشرحها هداية العقول، وهو من أشهر كتب الزيدية في أصول الفقه، تويج سنة ١٠٥٠هـ، ينظر: البدر الطالع، ١٥٤/١ وما بعدها •
- ب- القاضي المهلا: الحسين بن الناصر بن عبد الحفيظ المهلا، قال الشوكاني، من اكابر علماء الزيدية في الديار اليمينية، من مصنفاته، في أصول الفقه، الطراز المذهب فيما تقرر من علم الأصول والفروع بالمذهب، تويج سنة ١١١١هـ، ينظر: البدر الطالع، ٢٩٣/٢: الروض الأغن، ١٧٩/١ •
- ج- المؤيدي: هو الحسن بن يحيى بن علي المؤيدي، صاحب جلاء الأبصار لذوي العقول الموصل إلى نيل معرفة تبصرة العقول، لم أقف له على ترجمه •
- د- الطبري اليميني: علي بن صلاح بن علي بن محمد بن عبد الله الصعدي اليماني الزيدي، أصولي، من مصنفاته "إيضاح سبيل الوصول إلى معنى ذوي العقول في معرفة قواعد الأصول، وشفاء غليل السائل عما تحمله الكافل، تويج سنة ١٠٧٠هـ، ينظر: الروض الأغن، ١٢٣/٢ •
- (٩٣) ينظر على الترتيب: هداية العقول، ٣٨١/١: الطراز المذهب، ورقة ٨٥، جلاء الأبصار، ورقة ٢١٦ •
- (٩٤) شفاء غليل السائل، ص ١٦٠ •

(١) إِنَّ الْعَرَبَ إِذَا قَصَدُوا الْمَبَالِغَةَ فِي التَّأْكِيدِ عَلَى الْحُكْمِ فِي مَحَلِّ السُّكُوتِ اسْتَعْمَلُوا أَلْفَاظًا، كَنَائِيَّةً لِهَذَا التَّأْكِيدِ، لِتَكُونَ أَفْصَحَ مِنَ التَّصْرِيحِ، فَإِذَا قَصَدُوا الْمَبَالِغَةَ مِثْلًا فِي كَوْنِ أَحَدِ الْفَرَسَيْنِ سَابِقًا لِأُخْرَى، قَالُوا: هَذَا الْفَرَسُ لَا يَلْحَقُ غِبَارَ هَذَا الْفَرَسِ، وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ أَبْلَغَ مِنْ قَوْلِهِمْ: هَذَا الْفَرَسُ سَابِقٌ لِهَذَا الْفَرَسِ.^(٩٤)

(٢) إِنَّ الْعَرَبَ تَفْضَلُ فِي أَحْيَائِنَ كَثِيرَةٍ الْكَلَامَ بِالْإِيجَازِ بَدَلًا مِنَ الْإِطْنَابِ، وَعِلْمَاءُ الْبَلَاغَةِ يَعْدُونَ أَسْلُوبَ الْإِيجَازِ مِنْ أَهَمِّ خِصَائِصِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، فَالْإِيجَازُ غَيْرُ الْمَحَلِّ عِنْدَهُمْ هُوَ الْبَلَاغَةُ، وَلِهَذَا فَإِنَّهُ يَكْثُرُ فِي كَلَامِهِمُ التَّنْبِيهُ بِالْأَدْنَى عَلَى الْأَعْلَى، أَوْ الْعَكْسَ، أَوْ بِالكَثِيرِ عَلَى الْقَلِيلِ، أَوْ الْعَكْسَ، فَإِذَا قَالَ مِثْلًا رُئَيْسَ لِمُرُؤَسِيهِ "لَا تَعْطِهْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ، فَذَلِكَ أَبْلَغُ مِنَ التَّصْرِيحِ بِالْمَنْعِ مِنْ إِعْطَاءِ مَا فَوْقَ مِثْقَالِ الذَّرَّةِ قِطْعًا"^(٩٥).

وهذا لا يعد من القياس الذي جعله الشارع حجة؛ ويعرف كل من يعرف اللغة، دون حاجة إلى النظر والاجتهاد، وهذا بخلاف القياس الشرعي^(٩٦).

أما ترجيحهم للمفهوم في المساوي فقالوا: إِنَّ الْمَعْلُومَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتِينَ﴾^(٩٧)، أَنَّهُ لَا يِرَادُ مِنْهُ خِصُوصٌ وَجُوبُ ثَبَاتِ الْعِشْرِينَ لِلْمِئَاتِينَ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ مِنْهُ تَعْمِيمٌ وَجُوبُ ثَبَاتِ الْوَاحِدِ لِلْعِشْرَةِ، سِوَاءَ كَانَ هَذَا الْعَدَدُ أَوْ أَقْلَ، أَوْ أَكْثَرَ، فَلَا يُقَالُ: نَقِيسُ ثَبَاتِ الْوَاحِدِ لِلْعِشْرَةِ عَلَى ثَبَاتِ الْعِشْرِينَ لِلْمِئَاتِينَ.^(٩٨)

(٩٤) ينظر: هداية العقول، ٣٨١/١: جلاء الأبصار، ورقة ٢١٦: الطراز المنهبي، ورقة ٨٥.

(٩٥) ينظر: نفس المصادر.

(٩٦) ينظر: الطراز المنهبي، ورقة ٨٥.

(٩٧) سورة الأنفال: آية ٦٥.

(٩٨) هداية العقول، ٣٨٢/٢.

• الرأي الرابع: إنها دلالة لفظية لغوية، أي ثابتة بالوضع اللغوي، لأن السامع يدرك ذلك بالذوق، ويفهمه من معنى اللفظ، كما نراه في فهم الجزاء، على ما هو أكثر من مثقال، وهذا مذهب محدثي الزيدية ومنهم صاحب المصنف^(٩٩).

والخلاف في المسألة يعود إلى اللفظ، وقد نصَّ على هذا بعض الزيدية^(١٠٠)؛ لأنهم متفقون - كما سبق - على اعتبار هذا النوع من الدلالة على الحكم، سواء سمَّوه مفهوم موافقه - دلالة نص، أو سمَّوه قياساً جلياً.

فمن اعتبر إلحاق المسكوت بالمنطوق على أنه إلحاق فرع بأصل - باعتبار اشتراكهما، لوجود العلة الجامعة - قال عنه قياساً جلياً، أما من نظر إلى أن المعنى - الذي هو مناط الحكم، والذي كان واسطة إلحاق المسكوت بالمنطوق - يدرك بمجرد معرفة اللغة، دون حاجة إلى اجتهاد واستنباط، أطلق عليه مفهوم الموافقة، أو دلالة نص^(١٠١).

ويبدو أن كثيراً من الأصوليين يذهبون إلى أن دلالة مفهوم الموافقة دلالة لفظية مطلقة، لا قياسية؛ أي: إنهم لا يحددون نوعاً معيناً بذاته من الدلالات اللفظية لذا:

فإنها دلالة لفظية، لوجود الفرق الواضح الجلي بينها وبين القياس، كونها لا تحتاج إلى أهلية اجتهاد، في حين لا غنى عن مثل هذه الأهلية في القياس^(١٠٢)، وهو ما تميل النفس إليه، وهو الرَّاجح في تقدير الباحث.

(٩٩) المصنف في أصول الفقه، ص ٧٠٧.

(١٠٠) كالعلامة صلاح المؤيدي، والقاضي المهلا، ينظر: الدراري المضيئة، ورقة ٣٣٤: الطراز المذهب، ورقة ٨٦.

(١٠١) تفسير النصوص، ٦٣٧/١ - ٦٣٨ (بتصرف يسير).

(١٠٢) ينظر: أوجه دلالات النصوص على الأحكام دراسة أصولية قانونية، د. عمر كرامة، رسالة دكتوراة، كلية القانون

جامعة بغداد، ٢٠٠٢ م، ص ٣٢٩.

المبحث الثاني - مفهوم المخالفة :

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول- تعريف مفهوم المخالفة ومراتبه

- أ- تعريف مفهوم المخالفة: عرفت الزيدية مفهوم المخالفة بأنه: (ما كان المسكوت عنه مخالفاً للمنطوق به في الحكم إثباتاً ونفيًا)^(١٠٣) .
- وسمي مفهوم المخالفة: لتخالف المنطوق والمفهوم في الحكم، ويسمى دليل الخطاب؛ لأن دلالاته من جنس^(١٠٤) دلالات الخطاب، أو لأن الخطاب دال عليه، أو لمخالفته منطوق اللفظ^(١٠٥)، نحو قول النبي (ﷺ) "في الغنم السائمة زكاة"^(١٠٦)؛ فالحديث يدل من حيث المنطوق على وجوب الزكاة في الغنم السائمة، المذكورة في الحديث، ويدل من حيث المفهوم، على عدم وجوب الزكاة في الغنم المعلوفة، وهو المسكوت عنها في الحديث، فالحكمان مختلفان نفيًا وإثباتاً، فثبتت الزكاة في السائمة، وانتفتت في المعلوفة^(١٠٧) .
- ب- مراتب مفهوم المخالفة: تبعاً لما عليه منهج الزيدية في ترتيب الأدلة فإن مرتبة مفهومات النصوص تلي مرتبة النصوص، والظواهر للقرآن، والسنة المتواترة، وأخبار الأحاد، ويلي ذلك مرتبة مفهومات أخبار الأحاد^(١٠٨) غير أن المفهومات عند الزيدية في حد ذاتها مراتب، من حيث القوة، والضعف، فكلما كثر الخلاف - بداخل المذهب - على المفهوم، يجعل هذا المفهوم

(١٠٣) منهاج الوصول، ص ٨٤٠: الكاشف لذوي العقول، ص ٢٦٠: هداية العقول، ٣٨٢/٢: جلاء الأبصار، ورقة ٢١٨ .

(١٠٤) مثل القول: خاتم فضة: أي خاتم من فضة، ينظر: منهاج الوصول، ص ٨٤١: مرعاة الوصول إلى معرفة معيار العقول، ورقة ٩٤ .

(١٠٥) ينظر: هداية العقول، ٣٨٢/٢: شفاء غليل السائل، ص ١٦٢: جلاء الأبصار، ورقة ٢١٨ .

(١٠٦) كثر ذكر هذا الحديث في كتب الأصوليين بلفظ "في الغنم السائمة زكاة"، وهذا اللفظ، لا وجود له، في مصادر الحديث، وهو معنى لفظ ورد في حديث انس المتضمن أحكام الصدقة، والذي كتبه أبو بكر (رضي الله عنه) وهو بلفظ (في صدقة الغنم في سائمتها أربعين إلى عشرين ومائة شاة)، واللفظ للبخاري، و بلفظ آخر للبيهقي: "وفي سائمة الغنم إذا كانت أربعين"، صحيح البخاري، ٥٢٧/٢، برقم ١٣٨٦، باب "زكاة الغنم"، سنن البيهقي، ١١٥/٤، برقم ٧١٨٠، باب "ما يسقط الصدقة عن الماشية" .

(١٠٧) ينظر: أصول الفقه "دلالات الألفاظ" د. شحاتة، ص ٤٣ .

(١٠٨) ينظر: صفوة الاختيار في أصول الفقه، ص ٤٠: الإمام زيد، الإمام محمد أبو زهرة، ص ٣٣٥ .

ضعيفاً من حيث قوة الاستدلال به ، والأخذ به ، والعكس، فكلما قلَّ الخلاف كان المفهوم أكثر قوة في الاستدلال والأخذ به، لذا لا بد من الإشارة إلى ترتيب هذه المفاهيم عند الزيدية، من الأضعف إلى الأقوى وذلك كالآتي^(١٠٩) :

- ١- مفهوم اللقب: وهو في المرتبة السادسة؛ أي: ادنى المفاهيم وأضعفها .
- ٢- مفهوم الصفة: ويحتل المرتبة الخامسة؛ أي: أقوى من مفهوم اللقب .
- ٣- مفهوم الشرط: ويقع في المرتبة الرابعة؛ لأنه أقوى من مفهوم الصفة، ومنهم من جعله في مرتبته^(١١٠) .
- ٤- مفهوم الغاية: وهذا في المرتبة الثالثة؛ فهو أقوى من مفهوم الشرط .
- ٥- مفهوم العدد: ويحتل المرتبة الثانية، فهو أقوى من مفهوم الغاية، عند أغلب الزيدية

وذهب صاحب الجوهرة إلى أن مفهوم الغاية أقوى من العدد؛ لأن الأول يعمل به مطلقاً، في حين أن الثاني يعمل به إن كان بياناً لمجمل كالصفة والشرط، وفيما عداه موضع اجتهاد^(١١١) .

وفي نظم ابن الأمير ما يشير في لفظه "والعد" إلى أن الحكم في مفهوم العدد من حيث القوة، ليس على الترتيب المتقدم، بل له حكم آخر، وهو معدود من مفهوم الصفة، - وإن كان لم يوضح إن كان أقوى منها، أولاً- ، وذلك واضح من قوله "فالوصف ثم الشرط ثم الغاية والعد" فلفظ "والعد" تغيير لأسلوبه،

(١٠٩) ينظر ترتيب هذه المفاهيم: منهاج الوصول، ص ٣٩٧؛ مغني ذوي العقول إلى معرفة الأصول، العلامة علي بن صلاح الطبري، تحقيق: محمد يحيى سالم عزان، دار التراث، صنعاء، ط/١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، ص ٢٩- ٣٠؛ الكاشف لذوي العقول، ص ٢٦٠؛ شفاء غليل السائل، ص ١٦٣، مرقاة الوصول إلى معاني معيار العقول، ورقة ٩٧؛ الفواصل شرح بغية الأمل في نظم الكافل، العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحاق، "مخطوط"، ورقة ٢٣٥ وما بعدها .

(١١٠) كالحسين بن القاسم، ينظر: هداية العقول، ٣٩٠/٢ .

(١١١) ينظر: نفس المصدر .

الذي اتبعه في الإشارة إلى قوة المفهوم عما سبقه بلفظ "ثم" فجاء بالواو هنا،
كإشارة إلى ذلك^(١١٢).

ورجح صاحب الهداية، أن مفهوم العدد في مرتبة مفهوم الصفة^(١١٣)، والمعتمد في
الترتيب ما عليه الأكثر.

٦- مفهوم الحصر: ويحتل المرتبة الأولى؛ أي: أنه أقوى المفاهيم عند الزيدية .
يقول ابن الأمير^(١١٤) في منظومته:

أضعفها المفهوم للألقاب أهمله جماعة الأصحاب
فالوصف ثم الشرط ثم الغاية والعد ثم الحصر في الدراية^(١١٥)

المطلب الثاني : حجة مفهوم المخالفة

لاشك أن الزيدية تعتبر المفهوم المخالف- من حيث الإجمال- حجةً
وطريقاً من طرق الدلالة التي أخذت به، وهو قسماً مقابل لمفهوم الموافقة
عندهم، فإذا كان الأخير يؤخذ من مفهوم النص ومعقوله، والحكم المستنبط
بوساطته يكون دائماً موافقاً لحكم المنطوق، فإن الأول يؤخذ من تخلف قيد
معتبر في المنطوق، والحكم بوساطته، يكون دائماً مخالف لحكم النص، فمفهوم
المخالفة مع منطوق النص حكمان متضادان، لا يجتمعان تحت نوع واحد، من
أنواع الحكم التكليفي أو الوضعي، فإذا كان أحدهما جوازاً، فالآخر يكون
حظراً، وإن كان أحدهما صحة فالآخر يكون بطلاناً، وهكذا^(١١٦).

(١١٢) ينظر: نفس المصدر .

(١١٣) ينظر: هداية العقول، ٢/٣٩١ .

(١١٤) ابن الأمير هو: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد بن علي بن حفظ الدين المعروف بالكحلاني، ثم الصنعاني
المشهور بابن الأمير، عبر عنه الشوكاني بالمتجه المطلق، من مصنفاته منظومة الكافل في أصول الفقه لابن بهرا ن، ثم
شرحها تلميذه ابن إسحاق "باسم الفواصل" مخطوط، ثم اختصر الأستاذ شرح تلميذه في مصنف أطلق عليه "إجابة السائل

"مطبوع" توفي سنة ١١٨٢هـ، ينظر: البدر الطالع، ٢/٥٣ وما بعدها .

(١١٥) الفواصل شرح بغية الأمل في نظم الكافل، ورقة ٢٣٥ - ٢٣٦ .

(١١٦) ينظر: أصول الفقه في نسجه الجديد، أستاذنا الدكتور: مصطفى إبراهيم الزلي، ط/٤، مكتبة القبطان، بغداد، ١٩٩٨، ٢/٢١١ .

والأساس الذي يكون عليه الاستنباط في مفهوم المخالفة هو: تخلف قيد معتبر في المنطوق، وعندما يكون القيد شرطاً لتطبيق الحكم المنطوق به فمن الطبيعي أن يكون تخلف هذا القيد بعكس تحقيقه، فيكون الحكم الواجب التطبيق، إما نقيضاً للحكم المنطوق أو مخالفاً له على الأقل^(١١٧) .

وقد استدلو على حجية هذا المفهوم بأدلة كثيرة نجلها في الآتي:

- ١- قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ قَتَلْهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْمِ ﴾^(١١٨) ، فالمنطوق أن الجزاء يكون على المتعمد ، والمفهوم أنه لا جزاء على الخاطئ ، وفي هذا نُقِلَ عن صاحب الثمرات قوله: (إنَّ سبيل هذا سبيل قوله (ﷺ) " في سائمة الغنم زكاة"^(١١٩) ، ولا يقال إنَّهم إنما نفوا وجوب الجزاء على الخاطئ رجوعاً إلى الأصل؛ لأنَّه يضمحل بالقياس على سائر محظورات الإحرام، وضمنان الأموال، ولولا العمل بالمفهوم لوجب القول بالوجوب عملاً بالقياس)^(١٢٠) .
- ٢- قوله (ﷺ) " وفي صدقة الغنم في سائماتها"^(١٢١) ، ووجه الاستدلال: أن الحديث أثبت بمنطوقه الزكاة في السائمة ، وهي التي ترعى في الكلاً المباح ، ونفاها عن غير السائمة ، ومن ثمَّ فلا زكاة في المعلوفة ، وهذا الحكم لم يثبت من طريق المنطوق ، وإنَّما ثبت بطريق المفهوم المخالف^(١٢٢) ، وهذا الحكم - عدم الزكاة - مأخوذ به عند الجميع ، فلا نجد أحداً من الزيدية أوجب الزكاة في المعلوفة .
- ٣- إنَّ القيد الوارد سواء كان صفةً ، أو شرطاً ، أو غايةً ، أو غير ذلك؛ لا يمكن أن يكون عبثاً ، وإنَّما وجد لفائدة ، فإن انتفت أي فوائد أخرى من وراء ذكر

(١١٧) ينظر: نفس المصدر .

(١١٨) سورة المائدة: آية ٩٥ .

(١١٩) سبق تخريجه .

(١٢٠) هداية العقول، ٢/ ٣٨٨ .

(١٢١) سبق تخريجه .

(١٢٢) ينظر: أصول الفقه "دلالات الألفاظ" د ٠ شحاتة، ص ٢٦ .

القيد - من مدح ، أو ذم ، أو امتنان ، أو توضيح ، أو تكثير أو جاء لسبب ، أو نحوهما - غير التخصيص المذكور ، كان لابد من الأخذ بهذا المفهوم ، بحيث إذا كان الجُلُّ مقيداً بقيداً ماً ، فالتحريم يكون عند تخلف هذا القيد ، والعكس ، والامتناع عن الأخذ بذلك يعني إن أي قيد ذُكر في النصوص من كتاب ، أو سنه كان عبثاً ، والشارع منزّه عن مثل هذا الأمر^(١٣٣) ، وهذا الدليل هو بمثابة الضابط العام للأخذ بالمفهوم المخالف .

٤- اعتماد الصحابة (رضي الله عنهم) على المفهوم، فقالوا في حديث " الماء من الماء" منسوخ بقول عائشة "رضي الله عنها" إذا جلس بين شعبها الأربع ، ومس الختان الختان فقد وجب الغسل" ، فلو لم يكن الأول دالاً بالمفهوم على نفي الماء من غير الماء ؛ أي نفي الغسل بدون إمناء ، لما وقع التعارض بين الحديثين ، حتى جزموا بأن الثاني ناسخ للأول^(١٣٤) .

ولا يوجد في الزيدية من نفي المفهوم المخالف على إطلاقه ، عدا الإمام يحيى الداعي ، كما سنرى رأيه لاحقاً في أنواع المفهوم مع بيان ما استدل به ، لذلك فليس من المناسب الاستطراد هنا في الأدلة العامة على النفي ، لاسيما ورأيه في نفي المفهوم على إطلاقه منفرداً ، لا اثر له أمام رأي بقية أئمة المذهب .

المطلب الثالث - شروط العمل بمفهوم المخالفة:

اشترطت الزيدية لصلاحيّة الاحتجاج بمفهوم المخالفة شروطاً كثيرة، نوجزها في الآتي:

(١) أن لا يعارض هذا المفهوم منطوقاً:

وهو شرط تنطوي تحته حالتان :

الحالة الأولى: ألا يكون المسكوت عنه - أي المفهوم - أولى بالحكم من المنطوق ، أو مساوياً له عند تخلف القيد و إلا استلزم ثبوت الحكم في المسكوت عنه ،

(١٣٣) ينظر: هداية العقول، ٣٩١/٢: جلاء الأبصار، ورقة ٢٢٣: الطراز المذهب، ورقة ٨٦: المصنف في أصول الفقه، ص ٧١١، ٧٢١ وما بعدها .

(١٣٤) ينظر: منهاج الوصول، ص ٣٩٩ - ٤٠٠: هداية العقول، ٥٩٤/٢ .

فيكون مفهوم موافقة ثابتاً ، بدلالة النص ، أو القياس على المنطوق به ، وليس مفهوماً مخالفاً ؛ أي : إنه يستغني عن المفهوم بظهور الأولوية ، أو المساواة ، عند ذكره^(١٢٥) ، ومن ذلك: قوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ﴾^(١٢٦) ؛ فليس فيه مفهوم مخالف لقيد خشية إملاق ؛ لأن التحريم للقتل عند أمان الفقر، يكون أولى منه حالة خوفه^(١٢٧) .

ومفاد هذه الحالة تقديم العمل بالمفهوم الموافق، كون الثابت بها ثابتاً بالمنطوق إذا ما تعارض مع المفهوم .

الحالة الثانية: ألا يقوم دليل خاص -قطعي- في المحل الذي يثبت فيه المفهوم المخالف، فيتعارض معه، فإن تعارض كان النص الخاص هو طريق الحكم لا مفهوم المخالفة^(١٢٨) ، ومن ذلك قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ الْحُرِّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ ﴾^(١٢٩) .

فمفهوم النص القرآني أن الذكر لا يقتل بالأنثى؛ غير أنه وجد نص خاص عارض المنطوق، ومفاده عدم التفريق بين الذكر والأنثى، وهو قوله سبحانه ﴿ وَكُتِبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾^(١٣٠) ؛ وكذا قيام الإجماع بقتل الذكر بالأنثى ، فلا يؤخذ هنا بهذا المفهوم المخالف^(١٣١) .

٢) أن لا تظهر في اللفظ المأخوذ منه المفهوم فائدة أخرى غير التخصيص للشيء بالحكم ، ونفيه عما عداه، فإن ظهرت فائدة أخرى غير التخصيص

^(١٢٥) ينظر: هداية العقول، ٢/٢٨٤ - ٣٨٥: جلاء الأبصار، ورقة ٢٢٠ .

^(١٢٦) سورة الإسراء: آية ٣١ .

^(١٢٧) ينظر: الطراز المذهب، ورقة ٨٦ .

^(١٢٨) ينظر: المصطفى، ص ٧٢٣ .

^(١٢٩) سورة البقرة: آية ١٧٨ .

^(١٣٠) سورة المائدة: آية ٤٥ .

^(١٣١) ينظر: تفسير النصوص، ١/٦٧٣ .

المذكور، فلا يعمل بالمفهوم^(١٣٢)؛ والأمثلة التي تظهر فيها الفائدة الأخرى كثيرة، منها ما سيأتي تحت الشروط اللاحقة .

(٣) أن لا يرد القيد في النص تصويراً لأمر غالب وقوعه في المجتمع^(١٣٣)، ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَرَبَّائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ﴾^(١٣٤)؛ فإنه يفهم من النص جواز الزواج من الريائب اللاتي لسن في حجور الأزواج؛ لكن هذا المفهوم لا يعمل به، لجريان العادة أن تكون الريائب في حجور أزواج أمهاتهن؛ لأن المرأة إن تزوجت آخر، وكان لها بنت من زوج سابق، فإنها تأخذها معها إلى بيت زوجها الجديد، لذلك: خص هذا الوصف بالذكر، لغلبة حضوره في ذهن، لا بقصد التقييد^(١٣٥).

وعلى هذا فلا علاقة لوجود مثل هذا القيد بمسألة تشريع الحكم، فتكون بنت الزوجة محرمة على زوج الأم، بمجرد دخوله بأمرها سواء أكانت البنت موجودة في حجر الزوج، أم في مكان آخر^(١٣٦).

(٤) أن لا يرد القيد لقصد بيان الواقع^(١٣٧)، ومن ذلك قوله تعالى ﴿وَلَا تُكْرَهُوا قِتْيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا﴾^(١٣٨)؛ فلا يوجد في النص مفهوم مخالف؛ لأن الفتاة إذا لم ترد التحصن، وكانت مطيعة راضيه بممارسة الفاحشة، فلا إكراه - أي لا تسمى مكرهة، ولا يسمى أمره إكراهاً -، وبذلك فإن الإكراه لا يكون إلا مع إرادة التحصن^(١٣٩).

(١٣٢) ينظر: هداية العقول، ٣٩١/٢: جلاء الإبصار، ورقة ٢٢٣: الطراز المذهب، ورقة ٨٦ .

(١٣٣) ينظر: منهاج الوصول، ص ٨٤١: هداية العقول، ٣٨٥ / ٢: شفاء غليل السائل، ص ١٦٧: الدراري المضيئة، ورقة ٣٣٧ .

(١٣٤) سورة النساء: آية ٢٣ .

(١٣٥) ينظر: الطراز المذهب، ورقة ٨٦: الدراري المضيئة، ورقة ٣٣٧ .

(١٣٦) ينظر: المناهج الأصولية، د . فتحي الدريني، ص ٤٢٩ .

(١٣٧) ينظر: هداية العقول، ٣٨٥/٢: الطراز المذهب، ورقة ٨٧ .

(١٣٨) سورة النور: آية ٣٣ .

(١٣٩) ينظر: هداية العقول، ٣٨٥/٢: الطراز المذهب، ورقة ٨٦ .

(٥) أن لا يرد القيد بقصد المدح أو الذم^(١٤٠)، ومن ذلك: قول القائل "أكرم ذلك الرجل العالم الفاضل"؛ فلا يفهم من هذا القيد، أو الصفة، أن غير العالم الفاضل لا يكرمه؛ لأنَّ القصد من إيراد هذه الصفة المدح، وليس التخصيص بالذكر^(١٤١).

(٦) أن لا يرد القيد في النص جواباً لسؤال سائل، وبغرض البيان^(١٤٢)، ومن ذلك: "هل في الغنم السائمة زكاة" فتكون الإجابة "في الغنم السائمة زكاة"؛ فهذا الجواب لا نفهم منه أن غير السائمة لا زكاة فيها؛ لأنَّ المقصد الذي رمى إليه المشرع، أن تكون الإجابة بقدر سؤال السائل، ومطابقة له؛ وبغرض بيان حكم السائمة لمن هي له دون المعلوفة^(١٤٣).

(٧) أن لا يرد القيد مع كون الحكم معلوماً للمخاطب، وفي المذکور مجهولاً^(١٤٤)، من ذلك قول القائل "الصلاة المسنونة فروضها كذا وكذا"؛ فلا يفهم من هذا القول أن الصلاة المفروضة ليست كذلك؛ كون ذلك أمراً معلوماً^(١٤٥).

(٨) أن لا يرد القيد في النص بقصد زيادة الامتنان على المسكوت^(١٤٦)، من ذلك قوله تعالى ﴿لَا كُؤُومٌ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾^(١٤٧)؛ فوصف اللحم بقيد كونه طرياً، لا مفهوم له؛ لأنَّ القصد من ذكره الامتنان على عباده بهذه النعمة^(١٤٨).

(٩) أن لا يرد القيد بقصد التفيخيم والتأكيد^(١٤٩)، ومن ذلك قول الرسول (ﷺ) "لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت" ^(١٥٠)؛ فلا يؤخذ منه

^(١٤٠) ينظر: نفس المصادر.

^(١٤١) ينظر: المصفى، ص ٧٢١.

^(١٤٢) ينظر: منهاج الوصول، ص ٨٤١؛ الكاشف، ٢٦٦؛ الدراري المضيئة، ورقة ٣٣٧.

^(١٤٣) ينظر: الطراز المذهب، ورقة ٨٦.

^(١٤٤) ينظر: الدراري المضيئة، ورقة ٣٣٧.

^(١٤٥) ينظر: هداية العقول، ٣٨٥/٢؛ جلاء الأبصار، ورقة ٢٢١.

^(١٤٦) ينظر: هداية العقول، ٣٨٦/٢؛ الطراز المذهب، ورقة ٨٧.

^(١٤٧) سورة النحل: آية ١٤.

^(١٤٨) ينظر: أصول الفقه دلالات الألفاظ "د" شحاتة، ص ٤٥.

مفهوم ، وهو الحل لمن لا تؤمن بالله واليوم الآخر ؛ لأن القيد ورد بقصد التفضيم ، والتأكيد ، من باب الإشادة حثاً على الامتثال لا التخصيص .^(١٥١)

١٠) أن لا يرد القيد بقصد التوضيح ، ومع احتماله له ^(١٥٢) ، وهذا في الصفة ، نحو : قول الرسول (ﷺ) لما استعار من صفوان بن أمية درعاً فقال "أغصباً يا محمد ؟ فقال : بل عارية مضمونة"^(١٥٣) .

إذ نجد أن اللفظ صار مجملاً لتردده بين التوضيح ، والتخصيص بالذكر ؛ لأن الوصف بالضمان له احتمالين :

الأول : أنه قصد الإيضاح ، وهو أن العارية شأنها الضمان ، فيكون حكماً للعارية أنها مضمونة ، وإن لم يشترط التضمن ، فهو منطوق لا مفهوم .

الثاني : أنه بقصد التخصيص ؛ أي : بل عارية أشرت لك فيها الضمان ، فيفهم من ذلك أن العارية لا تكون مضمونة ، إلا في حالة اشتراط الضمان ، وهو ما تأخذ به الزيدية ^(١٥٤) .

١١) أن لا يرد القيد بقصد التكثر ^(١٥٥) ، وهذا خاص بمفهوم العدد ، نحو قوله تعالى ﴿إِنْ تَسْغَرُوا لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ ^(١٥٦) .

فالعدد المذكور ، يرد للمبالغة في استخدامات العرب ؛ كمن قال جئتكم ألف مره فلم أجدك ؛ أما قول المصطفى (ﷺ) – عندما نزلت الآية الكريمة "سأزيد على

^(١٤٩) ينظر: هداية العقول، ٣٨٦/٢: الطراز المذهب، ورقة ٨٧ .

^(١٥٠) لفظ الحديث لمسلم " لا يحل لأمرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة اشهر وعشراً " صحيح مسلم، ١١٢٣/٢، برقم (١٤٨٦)، باب "وجوب الاحداد في عدة الوفاة" .

^(١٥١) ينظر: جلاء الأبصار، ورقة ٢٢١ .

^(١٥٢) ينظر: هداية العقول / ٣٨٦/٢: الطراز المذهب / ورقة ٨٧ .

^(١٥٣) لفظ الحديث عن ابن عباس "إن رسول الله (ﷺ) استعار من صفوان بن أمية درعاً وسلاحاً ، في غزوة حنين فقال : يا رسول الله عارية مؤداة ؟ قال نعم همام مؤداة" أخرجه البيهقي، والحاكم، وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط مسلم ولم

يخرجاه، سنن البيهقي، ٨٨/٦، برقم (١١٢٥٥)، باب "العارية مؤداة"، المستدرک، ٥٤/٢، برقم (٢٣٠٠) .

^(١٥٤) ينظر: هداية العقول، ٣٨٦ / ٢ : الطراز المذهب، ورقة ٨٧؛ جلاء الأبصار، ورقة ٢٢٣ .

^(١٥٥) ينظر: هداية العقول، ٣٨٦/٢: الطراز المذهب / ورقة ٨٧ .

^(١٥٦) سورة التوبة: آية ٨٠ .

السبعين" (١٥٧)؛ فهو محمول على أنه (ﷺ) أراد بذلك الرأفة والرحمة بأمته (١٥٨)؛ لأنه فهم منه مخالفة الزائد للمذكور، بدليل قوله سبحانه وتعالى ﴿فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ وأردفه بقوله سبحانه ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (١٥٩).
 كما أنه ورد في الرواية ما يدل على أنه (ﷺ) فهم هذا المعنى (١٦٠)، فقد ورد في الحديث "لو أعلم أنه إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها" (١٦١).
 لذلك: لا يفهم أن المغفرة من الله تتحقق بالزيادة على السبعين، ولهذا قالوا: إن أسماء العدد نصوص مخصوصة، بما إذا لم تقم قرينة على إرادة المبالغة، نحو جئتكم ألف مرة فلم أجدكم (١٦٢).

(١٢) أن لا يرد القيد في حادثة خاصة (١٦٣)، كقوله تعالى ﴿وَحَالِلٌ أُمَّتِكُمْ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ﴾ (١٦٤)؛ فالمفهوم منه أن زوجات الأبناء من الرضاة حلال لأب الزوج، وهذا المفهوم لا يعمل به؛ لأن الآية نزلت في حادثة خاصة، وهي أن العرب كانوا يجعلون الولد المتبني كالولد من الصلب، حتى في تحريم الزواج بحليلته، إن طلقها زوجها، فلا يصح للمتبني الزواج بها، فجاء الإسلام فأحل ذلك حتى لا يكون هناك حرج من مثل هذا الزواج، عملاً بقوله تعالى ﴿لِكِي

(١٥٧) أخرجه البخاري، بلفظ "وسأزيد على السبعين" في باب قوله تعالى "اسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ"؛ ومسلم بلفظ "سأزيد على سبعين" في باب "فضائل عمر" (ﷺ)، ولفظ "وسأزيد على السبعين" في باب صفات المنافقين، صحيح البخاري، ١٧١٥/٤، برقم (٤٣٩٣)؛ صحيح مسلم، ١٨٦٥/٤ برقم (٢٤٠٠)، ٢١٤١/٤ برقم (٢٧٧٤).

(١٥٨) ينظر: الطراز المذهب، ورقة ٨٧.

(١٥٩) سورة التوبة: آية ٨٠.

(١٦٠) ينظر: الطراز المذهب، ورقة ٨٧.

(١٦١) اللفظ للبخاري، في صحيفة، ٤٥٩/١، باب "ما يكره من الصلاة على المنافقين".

(١٦٢) ينظر: هداية العقول، ٣٨٦/٢ - ٣٨٧.

(١٦٣) ينظر: منهاج الوصول، ص ٤١٧؛ الدراري المضيئة، ٣٣٧.

(١٦٤) سورة النساء: آية ٢٣.

لَا يَكُونُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرْجٌ فِي أَزْوَاجٍ أَدْعَيْتَهُمْ ﴿١٦٥﴾ ، وتزوج الرسول ﷺ بزوجة ولده المتبني زيد ابن حارثة ، و غضب المشركون والمنافقون لذلك ، فخشي الرسول ﷺ إثارة العرب ، فعاتبه الله بقوله ﴿ وَخَشِيَ النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ ﴾ ﴿١٦٦﴾ ، فهذا هو المراد (١٦٧) .

(١٣) أن لا يكون المسكوت عنه قد ترك لخوف من توهم متوهم (١٦٨) مثل: قول قريب عهد بالإسلام لخدمته بحضور المسلمين: تصدق بهذا على المسلمين، فقيده المسلمين في هذا المثال ليس له مفهوم؛ لأنه قد يريد المسلمين، وغيرهم، وترك التصريح بذلك، خوف اتهامه بالنفاق (١٦٩)، وهذا يعني أنه لا حجة في هذا المنطوق، ولا يعمل بمفهومه .

ضابط العمل بمفهوم المخالفة:

مما سبق يتضح أن الأخذ بمفهوم المخالفة يقتضي شروطاً، غير أن هذه الشروط جميعها تعود في الأصل إلى ضابطين اثنين هما:

الضابط الأول: عدم العمل بالمفهوم المخالف إذا صادم دليلاً قاطعاً ، أو عارض منطوقاً أقوى منه (١٧٠)؛ وهذا الضابط يدخل فيه الشرط الأول من الشروط السالفة الذكر، بما تحته من الحالات .

الضابط الثاني: أن يكون اللفظ لتخصيص الشيء بالذكر، لا لفائدة أخرى؛ فإن ظهرت للتخصيص بالذكر فائدة أخرى - كالأمثلة التي سبق ذكرها تحت الشروط وغيرها - فلا حجة في هذا المفهوم، ومن ثم لا يعمل به (١٧١)؛ وهذا الضابط

(١٦٥) سورة الأحزاب: آية ٣٧ .

(١٦٦) سورة الأحزاب: آية ٣٧ .

(١٦٧) المصنف، ص ٧٢٢ (بتصرف) .

(١٦٨) ينظر: منهاج الوصول، ص ٤١٧؛ الدراري المضيئة، ورقة ٣٣٧ .

(١٦٩) ينظر: اصول الفقه "دلالات الالفاظ" د . شحاتة، ص ٤٦ .

(١٧٠) ينظر: هداية العقول، ٣٩١/٢؛ جلاء الأبصار، ورقة ٢٢٣؛ المصنف، ص ٧٢٣ .

(١٧١) ينظر: هداية العقول، ٣٩١/٢؛ والطراز المذهب، ورقة ٨٦؛ جلاء الأبصار، ورقة ٢٢٣؛ الكاشف لنودي العقول، ص ٢٦٧ .

يتمثل في الشرط الثاني المتقدم ذكره في الشروط؛ مما يعني أن الشرط الثاني، ضابطاً للعمل بالمفهوم، وقاعدة عامة تندرج تحتها جميع الشروط التي لم تندرج تحت الضوابط الأول

الفصل الثاني : أنواع مفهوم المخالفة وحجيتها

أشرت فيما سبق إلى مراتب مفهوم المخالفة، وفي ضوء هذه المراتب قسم علماء الزيدية مفهوم المخالفة بحسب قوتها وضعفها إلى ستة أنواع نتناولها بالدراسة في مبحثين:

المبحث الأول : في مفهوم اللقب والصفة والشرط

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول – مفهوم اللقب:

أولاً - تعريف مفهوم اللقب:

أ - في اللغة، بمعنى النبز، أي : النبز باسم غير متسمى به^(١٧٢).

ب - في الاصطلاح: عرفته الزيدية بأنه: (نفي الحكم عما لم يتناول له الاسم)^(١٧٣)

والمقصود باللقب، ما يشمل العلم كزيد، أو النوع نحو " في الغنم زكاة"؛ أي: أنه يقصد منه مطلق الاسم، وقد يطلق عليه بمفهوم الاسم، فقوله " في الغنم زكاة"؛ يدل على نفي الزكاة عن غير الغنم، بمعنى أن ما عدى الغنم لا زكاة فيه^(١٧٤).

(١٧٢) ينظر: مختار الصحاح، مادة "لقب" كتاب العين، ١٧٢/٢ "نفس المادة" .

(١٧٣) هداية العقول، ٤٠٠/٢؛ شفاء غليل السائل، ص١٦٢؛ الكاشف لذوي العقول، ص٢٦٠؛ النقول في علم الأصول، عبد الله محمد المنصور، مكتبة اليمن الكبرى، صنعاء ١٩٨٧م ص٤٥؛ البيان الشافي عما تحمله الكافي في علم الأصول، حسين محمد قبلي، مطابع الفضل، صنعاء ١٩٩٤م، ص٦١ .

(١٧٤) ينظر: الكاشف لذوي العقول، ص٢٦٠؛ شفاء غليل السائل، ص١٦٣ .

ثانياً - حجية مفهوم اللقب:

لعل هذا المفهوم عند الزيدية هو الأضعف، و الأخذ به يكاد يكون معدوماً، قال صاحب الكاشف (والصحيح أنه غير مأخوذ به) ^(١٧٥)، وقال صاحب منظومة الكافل:

أضعفها المفهوم للألقاب أهمله جماعة الأصحاب ^(١٧٦)
وعلى هذا فإن مفهوم اللقب لا يُعدُّ حجة عند الزيدية ^(١٧٧) .
واستدلوا على رأيهم بالآتي:

١- أن الأخذ بهذا المفهوم يلزم منه الكفر؛ لأنه يلزم من قولنا محمد رسول الله نفي الرسالة عن غيره، من الأنبياء عليهم السلام ^(١٧٨) .
ونوقش هذا الدليل: بأن المفهوم إنما يحتجُّ به عند عدم معارضته الدليل، أما إذا قام الدليل القطعي على الخلاف امتنع العمل به كغيره من أنواع دليل الخطاب ^(١٧٩) .

ورد على هذه المناقشة: بأنها تتسم بالضعف؛ لأن ذكر الدليل إنما هو لزوم أن يكون نحو قولنا "محمد رسول الله" ظاهراً في نفي رسالة غيره، وهو كفر، ولا ينفي هذا اللزوم امتناع الأخذ بالظاهر لدليل أقوى ^(١٨٠)، أما وجود الدليل القاطع بخلافه، فهو من الأمور المسلمة، لكن ذلك لا يمنع دلالاته على ما دل عليه؛ لأن دلالة اللفظ راجعة إليه، باعتبار الوضع، وليس مأخوذاً فيها ورود معارض، ولا عدمه ^(١٨١) .

^(١٧٥) الكاشف لذوي العقول، ص ٢٦٠ .

^(١٧٦) الفواصل شرح بغية الأمل، ورقة ٢٣٥ .

^(١٧٧) ينظر: الأنوار الهادية، احمد بن يحيى بن احمد بن محمد حابس الصعدي، ١٠٦١هـ، مخطوط، ورقة ٢٠١؛ هداية العقول،

٣٩٢/٢، جلاء الأبصار، ورقة ٢٢٣ - ٢٢٤، الكاشف لذوي العقول، ص ٢٦٠ .

^(١٧٨) ينظر: الكاشف لذوي العقول، ص ٢٦٠؛ جلاء الأبصار، ورقة ٢٢٤ .

^(١٧٩) ينظر: هداية العقول، ٤٠١/٢ .

^(١٨٠) ينظر: حواشي هداية العقول، ٤٠١/٢، نقلاً عن حواشي السيد حسين الاخفش .

^(١٨١) ينظر: الفواصل شرح بغية الأمل، ورقة ٢٣٦ .

٢- إن هذا المفهوم لا يعمل به، وذلك لحصول الفائدة بذكره، أي: أن المفهوم إنما يعتبر لتعيينه فائدة، لانتفاء غيره من الفوائد، واللقب انتفى فيه المقتضى؛ لاعتبار المفهوم؛ لأنه لو طرح لاختل الكلام، فذكره لاستقامة الكلام، وهو أكثر فائدة، وهذه الطريق أقوى ما يتمكن به في إبطاله^(١٨٢) .
وقد ناقش صاحب الفواصل هذا الدليل من وجوه^(١٨٣) :

الوجه الأول: إنه إن قصد باختلال الكلام الذي قصده الشارع وأفاده، فمما لاشك فيه أن الاختلال واقع في اللقب وغيره من أنواع المفاهيم، "لفظ السائمة" إذا سقط من قوله "في سائمة الغنم زكاة"، لم يزد الباقي ما هو مقصود من الحكم بالزكاة في الغنم المقيدة بالسوم، لا مطلقاً .

الوجه الثاني: إن كان المقصود اختلال الكلام، أنه إذا سقط مفهوم اللقب يصير لغواً، بخلافه في مفهوم الصفة، لزم أن اللقب إنما أتى به الشارع، ليكون كلامه مما يحسن السكوت عليه، وهذا تهافت، لا يجب أن يأتي من عالم .

الوجه الثالث: إن جعلت فائدة اللقب تخصيص الحكم - بالغنم مثلاً - تصحيح الكلام فإنه يلزم من ذلك اعتبار فائدة التخصيص في مفهوم الصفة، حيث قد اعتبروه هنا، فإنه فائدة، وجعلهم لها هنا مقيدة بالمعية لتصحيح الكلام، لا ينفي اعتبارها هناك منفردة، حيث الكلام هناك صحيح بدونها .

والملاحظ أن الزيدية استدلوا بما استدل به جمهور العلماء، أي: بعدم الأخذ بمفهوم اللقب، ثم في الوقت نفسه تبنا دفع هذه الأدلة؛ ودفعهم للأدلة يوحى بأنهم صححوا العمل بهذا المفهوم، وهذا ما يتبادر إلى الذهن، لكن هذا الأمر غير مراد، وإنما قصدوا من دفعهم للأدلة التنبيه إلى أن هذه الأدلة، لا تنهض لبطلان العمل بهذا المفهوم .

(١٨٢) ينظر: شفاء غليل السائل، ص١٦٣؛ جلاء الأبصار، ورقة ٢٢٤ .

(١٨٣) ينظر: الفواصل شرح بغية الأمل، ورقة ٢٣٦ .

وما يراه الزيدية: هو أنّ فائدة تخصيص الشارع بذكر اللقب تتمثل في ربط الحكم ، وتعليقه عليه ، دون غيره ، مما يفهم منه ، فلم يحكم عليه بنفي، ولا إثبات، كفائدة تخصيص ذكر الصفة، كالسائمة مثلاً، فإنّه إذا لم يظهر لها فائدة، غير تعليق الحكم عليها، تعينت لذلك، ولا ينهض دليل سوى هذا^(١٨٤) .

وأشار ابن المرتضى إلى أنّ بطلان العمل بهذا المفهوم - اللقب - ليس بحاجة إلى استدلال، لأنّ قول القائل زيد آكل، لا يفهم منه أن عمراً ليس بأكل^(١٨٥) .

المطلب الثاني - مفهوم الصفة:

أولاً - تعريفها:

أ - في اللغة: مشتقة من وصف الشيء يصفه - من باب وعد- وصفاً، إذا أبان نوعه أو بعض أحواله، ومزاياه، وأصل الكلمة وصفة، لكنه نقصت فقليل صفة^(١٨٦)

ب - في الاصطلاح:

عرفته الزيدية بأنه: (لفظ مقيّد لآخر غير منفصل عنه لنقص، ليس بشرط، ولا استثناء، ولا غاية، ولا عدد، ولا نعت)^(١٨٧) .

ويدخل فيها التقييد، بظرف الزمان ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ ﴾^(١٨٨) ، والمكان "لا تمنعوا إماء الله من المساجد"^(١٨٩) ، والحال "كل إبل سائمة من كل أربعين ابنة لبون"^(١٩٠) ، والعلة "ما أسكر كثيرة فقليلة حرام"^(١٩١) .

(١٨٤) ينظر: الفواصل شرح بغية الأمل، ورقة ٢٣٦ .

(١٨٥) ينظر: منهاج الوصول، ص ٣٩٧؛ مرقاة الوصول إلى فهم معيار الأصول، ورقة ٩٤ .

(١٨٦) ينظر: مختار الصحاح، ٣٠٢/١، "مادة وصفاً"؛ كتاب العين، ١٦٢/٧، "نفس المادة" .

(١٨٧) هداية العقول، ٣٨٣/٢؛ الفواصل شرح بغية العامل، ورقة ٢٣٦؛ جلاء الأبصار، ورقة ٢١٨ .

(١٨٨) سورة الجمعة: آية ٩ .

(١٨٩) الحديث من طريق نافع عن ابن عمر، بلفظ "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله" وهذا اللفظ متفق عليه، صحيح البخاري، ٣٠٥/١، برقم (٨٥٨)، باب "هل على من لم يشهد الجمعة غسل: صحيح مسلم، ٣٢٧/١، برقم (٤٤٣)، باب "خروج النساء إلى المساجد"

(١٩٠) سنن البيهقي الكبرى، ١١٦/٤، برقم (٧١٨٢) باب ما يسقط الصدقة على المشاية: سنن ابن ماجه، ١١/٢، برقم (٢٢٢٩)

• كتاب الزكاة

وهذا المفهوم كما سبق أقوى مرتبة من اللقب؛ لذلك نجد ابن الأمير في منظومته، قد نبه بعد أن أشار إلى ضعف مفهوم اللقب، بقوله: (فالصفة ثم الشرط) ^(١٩٣)، فأتى بالفاء العاطفة، تنبيهاً على أن هذا المفهوم أقوى مما تقدم ^(١٩٣).

واستشهدوا لذلك بشواهد من القرآن والسنة:

١- قوله تعالى ﴿وَاللَّائِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ﴾ ^(١٩٤)؛ فالمفهوم هنا أن النساء إن كن مؤمنات، فيشترط أن يكون الشهود مؤمنين، وإلا فلا ^(١٩٥).

٢- قوله سبحانه ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُمْ﴾ ^(١٩٦)؛ يفهم منه عدم صحة ظهار الكافر ^(١٩٧).

٣- قوله سبحانه ﴿فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ ^(١٩٨)؛ يفهم منه إرجاعهن إلى من آمن من أزواجهن ^(١٩٩).

^(١٩١) الحديث أخرجه البيهقي من طريق إسحاق بن واھويه بسند صحيح، وقال ابن حجر وهذا سند صحيح على شرط مسلم، وأخرجه الحاكم، وقال صاحب نصب الرأية حسنه الترمذي وصححه بن حبان، سنن البيهقي، ٣٩٦/٨، باب "ما اسكر كثيرة"؛ فتح الباري، ٤٥/١٠، باب قوله "باب الخمر من العسل"، المستدرک على الصحيحين، ٤٦٦/٣؛ برقم (٥٧٨٤)، باب "ذكر

مناقب خوات بن جبير"؛ نصب الرأية، ٣٠٤/٤.

^(١٩٢) الفواصل شرح بغية الأمل، ورقة ٢٣٦.

^(١٩٣) ينظر: نفس المصدر

^(١٩٤) سورة النساء: آية ١٥.

^(١٩٥) ينظر: شفاء غليل السائل، ص ١٦٤.

^(١٩٦) سورة المجادلة: آية ٢.

^(١٩٧) ينظر: شفاء غليل السائل، ص ١٦٤.

^(١٩٨) سورة الممتحنة: آية ١٠.

^(١٩٩) ينظر: شفاء غليل السائل، ص ١٦٤.

٤- ما روي أن رسول الله (ﷺ) "فرض في صدقة الغنم في سائمتها إذا كانت أربعين ففيها شاة"^(٢٠٠)، فالغنم لها صفتان: سائمه، ومعلوفة، والنص حصر الزكاة في من تحمل صفة السوم، دون غيرها^(٢٠١).

ثانيا - حجية مفهوم الصفة

الرأي الأول- ذهب جمهور الزيدية إلى أن مفهوم الصفة حجة^(٢٠٢).

وهذا الرأي مبني على ظهور انتفاء ما عدا التخصيص، من فوائد التقييد بالصفة، ويعمل بهذا المفهوم عند الأكثر، وإن ذكرت الصفة منفردة دون موصوفا، مثل "في السائمة زكاة" وذلك لدلالته على السوم الزائد على الذات^(٢٠٣).

واستدلوا على رأيهم بالآتي:

١- إن الصفة قال بها الشافعي، وأبو عبيدة، وهما عالمان بلغة العرب، فالظاهر فهمهما ذلك لغة، ولو لم يفده لغة، لما فهم منه فظهر إفادته لغة، وهو المطلوب^(٢٠٤).

وناقش ابن المرتضى هذا الدليل: بأنه ليس في كلامهم ما يشعر بنقل ذلك عن العرب، وإنما يفهم أنه اجتهاد، والاجتهاد لا حجة فيه، إضافة إلى ذلك أنه معارض بمذهب الأخفش^(٢٠٥)، حيث ذهب إلى ما ذهبنا إليه، وهو عدم القول بالمفهوم المخالف^(٢٠٦).

^(٢٠٠) اللفظ للبخاري (في صدقة الغنم في سائمتها أربعين إلى عشرين ومائة شاة)، و بلفظ آخر للبيهقي: "وفي سائمة الغنم إذا كانت أربعين"، صحيح البخاري، ٥٢٧/٢، برقم (١٣٨٦)، باب "زكاة الغنم"؛ سنن البيهقي، ١١٥/٤، برقم (٧١٨٠)، باب "ما يسقط الصدقة عن الماشية".

^(٢٠١) ينظر: هداية العقول، ٣٨٣/٢.

^(٢٠٢) ينظر: صفوة الاختيار في أصول الفقه، ص ١٢٩ - ١٣٠: الفصول اللؤلؤية، ص ٢١٩؛ هداية العقول، ٣٨٧/٢؛ شفاء غليل

الساائل، ص ١٦٤، الفواصل شرح بغية الأمل، ورقة ٢٣٧.

^(٢٠٣) ينظر: هداية العقول، ٢٨٣/٢؛ الفواصل شرح بغية الأمل، ورقة ٢٣٧.

^(٢٠٤) ينظر: شرح الفصول، ورقة ٢٤٢.

^(٢٠٥) الذين اشتهروا بهذا الاسم، أو بهذا اللقب ثلاثة: أولهم عبد الحميد بن عبد الحميد الأبخشي الأكبر إمام أئمة العربية، وصف بأنه سيد أهل اللغة، الثاني: سعيد بن مسعدة البصرية الأبخشي الأوسط، ت حوالي ٢١٥هـ، الثالث: علي بن سليمان بن

٢- إنَّ الوصف لو لم يكن دالاً على المخالفة لما كان له فائدة، ومن البعيد أن يأتي البلغاء في كلامهم بما لا فائدة فيه، وإذا كان هذا الأمر بعيداً في حق البلغاء، فإنه يكون في حق الشارع أولى وأحق^(٢٠٧).

الرأي الثاني: إنَّ مفهوم الصفة ليس حجة، لأنَّ الصفة إنَّما جيء بها للتوضيح لا للتقييد، ذهب إلى هذا الرأي الإمام يحيى بن المحسن، في المقنع، والإمام يحيى بن حمزة، في الحاوي والإمام يحيى بن الحسين، في المجزي^(٢٠٨)، وابن المرتضى، ونقله الإمام يحيى بن المحسن، عن أئمة المذهب، كما نُقِلَ عن الإمام عبد الله بن حمزة^(٢٠٩).

وقد استدلل أصحاب هذا الرأي بالآتي

١- إنَّ القول بهذا المفهوم يلزم منه في قوله تعالى ﴿لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾^(٢١٠)؛ جواز أكل القليل منه، وهو المفهوم من النص، والمعلوم أنَّ

الفضل الاخفش الصغير، ت ٣١٥هـ، ينظر: بغية الوعاة في طبقات النحاة للسيوطي، ١٦٧/٢، ٥٩٠، ٢٤؛ انباه الرواة على انباه النحاة، القفطي، ص ٢، ١٥٧، ٢٧٦.

(^{٢٠٦}) منهاج الوصول، ص ٤٠٢؛ ينظر: نظام الفصول، ورقة ٢٤٤.

(^{٢٠٧}) ينظر: صفوة الاختيار في أصول الفقه، ص ١٢٩ - ١٣٠؛ نظام الفصول، ورقة ٢٤٤.

(^{٢٠٨}) هناك ثلاثة أئمة في المذهب الزيدي باسم الإمام يحيى:

أ- يحيى ابن الحسين "صاحب المجزي في أصول الفقه" يكنى بالناطق للحق "أبي طالب" سبق ترجمته، ص ١٠ من هذا البحث.

ب- يحيى بن المحسن بن محفوظ بن محمد بن يحيى الهاروني الحسني، صاحب المقنع في أصول الفقه، يكنى "بيحيى الداعي"، أحد أئمة الزيدية، توفي سنة ٦٣٦هـ. المعجم المختصر لعلماء الزيدية من كتاب أعلام المؤلفين الزيدية، ملحق بكتب الإيضاح، ص ٤١٧.

ج- يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، صاحب "الحاوي لحقائق الأدلة الفقهية وتقرير القواعد القياسية في الأصول الفقهية"، يكنى بالمؤيد بالله، من مشاهير علماء الزيدية، ومن مصنفاته أيضاً "نهاية الوصول إلى علم الأصول"، توفي سنة ٧٤٩هـ، ينظر: البدر الطالع، ١٨٤/٢ وما بعدها.

(^{٢٠٩}) ينظر: المجزي في أصول الفقه، الإمام يحيى بن الحسين بن هارون الحسني، ت ٤٢٤هـ، مخطوط، ورقة ٣٨؛ المقنع في أصول الفقه، الإمام يحيى بن المحسن "السابق ترجمته"، "مخطوط"، ورقة ٣٩٦؛ الحاوي لحقائق الأدلة الفقهية، السفر الثاني، يحيى بن حمزة "السابق ترجمته"، ورقة ٥٧ "مخطوط"؛ منهاج الأصول، ص ٤٠٥، هداية العقول، ٣٨٨/٢.

(^{٢١٠}) سورة آل عمران، آية ١٣٠.

ما قل منه أو أكثر، على حدّ سواء في التحريم، وبهذا جاءت الصفة لغير التقييد؛ مما يعني أنّ الصفة لا تأتي لفائدة التقييد فقط^(٢١١) .

قال ابن المرتضى (وهذا أقوى ما استدّل به على منع الأخذ بمفهوم الصّفة، وهو أنّ الصفة كما جاءت للتقييد، فقد جاءت للتوضيح اتّفاقاً ، وإذا وردت للمعنيين، لم يصح أن تعمل على أحدهما دون الآخر إلاّ لدلالة، وتلك الدّالة حينئذ هي التي تفيد الحكم دون المفهوم)^(٢١٢) .

وكونها تحمل المعنيين لا يمكن القول بحملها عليهما، شأنها شأن اللفظة المشتركة، لعدم صحته هنا؛ لأنه يؤدي إلى أن يكون الحكم على الموصوف مقيداً، وغير مقيد، وهذا متدافع؛ فالصفة إن قصد بها التوضيح، فإنها تفيد كون الحكم غير مقيد، وإن قصد بها التقييد أفادته، فلزم القول بعدم الأخذ بالمفهوم هنا^(٢١٣) .

وأجيب عن هذا الدليل: بأنّ النهي عن القليل مأخوذ به بدليل آخر، لا يقوى المفهوم على معارضته، هذا من ناحية، أمّا من ناحية أخرى: فإن من شروط الأخذ بالمفهوم أن لا يخرج مخرج الأغلب، وهذا خارج ولا يعمل به .

وهناك أدلة أخرى^(٢١٤) استدل بها القائلون بعدم حجية مفهوم الصفة، أوردها ابن المرتضى، واعتبرها أدلة ضعيفة، وجعل ما استدل به - سابقاً - ، هو الدليل الأقوى في منع الأخذ بمفهوم الصفة^(٢١٥) .

(٢١١) ينظر: منهاج الوصول، ص ٤٠٥ .

(٢١٢) نفس المصدر والصفحة .

(٢١٣) ينظر: نفس المصدر، ص ٤٠٥ - ٤٠٦ .

(٢١٤) من هذه الأدلة: ١- انه لو ثبت الأخذ بالمفهوم فانه يحتاج إلى دليل، وهو إما عقلي، ولا مجال للعقل في ذلك، أو نقلي، فإما تواتري، أو أحادي، والتواتري لم يكن، والأحادي، لا يؤخذ به في ذلك، قال ابن المرتضى إن هذا ضعيف: لأنه أمر لغوي، واللغوي يؤخذ فيه بالأحادي كتنقل الأصمعي .

٢- لو ثبت المفهوم بالخبر فهو باطل؛ لان من قال في الشام الغنم السائمة، ليس فيه دلالة على عدم وجود غير السائمة في الشام اتّفاقاً، منهاج الوصول، ص ٤٠٤ - ٤٠٥ .

(٢١٥) ينظر: نفس المصدر .

والذي يمكن التعويل عليه كقول للمذهب هو أن مفهوم الصفة حجة، وهذا ما يصرح به أغلب علماءهم في مصنفاتهم، وهو القول الراجح في نظر الباحث .

أما ما استدل به ابن المرتضى (رحمه الله) بقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً﴾^(٣١٦)؛ من أن القول بالمفهوم يلزم حل أكل ما لم يكن أضعافاً مضاعفة، وأنه يفيد التوضيح و التقييد ، فهو استدلال لا يخلو من الضعف ؛لأن النص الذي استدل به قد وجدت فيه فائدة أخرى غير التقييد ، وبالتالي لا مفهوم فيه ؛فمن شروط القائلين بالمفهوم ، - من الزيدية- ، أن لا يكون للقيود الذي قيد به الكلام فائدة أخرى ، غير إثبات خلاف حكم المنطوق للمسكوت ، كالتربيع ، والترهيب ، والتنفير ، والتفخيم ، وتأکید الحال ، والامتنان ، وغير ذلك ، مما يشعر إن الحكم ليس مرتباً بهذا القيد ، وإن القيد إنما كان لغرض آخر ، وفي هذا النص وصف المضاعفة ، ورد للتفسير ومضاعفتها بزيادتها سنة بعد الأخرى .

وما عزاه الإمام يحيى بأن القول بعدم حجية مفهوم الصفة ، هو ما عليه المذهب ، فإن في هذا العزو ضعف ؛ لأن طريقته في تناول المسائل ، أن يجعل مقدمة لكل مسألة يشير فيها أنه سيتناولها في ثلاثة أقسام: الأول يسميه "حكاية المذهب" ، وعند دخوله في التفصيل يبدأ بلفظ مذهبنا ، ويعقب بعد ذلك بلفظ ، وهذا اختيار أبي طالب ، ووجه الضعف في هذا العزو أن لفظ "مذهبنا" فيه احتمالين :

إما أنه يقصد المذهب وهذا الاحتمال نتيجة أنه يذكر في مقدمة المسألة "أن القسم الأول سيجعله لحكاية المذهب" ، وإن صح هذا الاحتمال ، فهو غير صحيح ؛ لأنه يكرر هذا في كل المفاهيم ،

(٣١٦) سورة آل عمران آية ١٣٠ .

ويذكر أنها ليست حجة^(٢١٧)، وهذا خلاف رأي الزيدية في المفاهيم بل النقيض، كما سنرى ذلك لاحقاً .

وإما أنه يقصد رؤية الشخصي "وهذا الاحتمال هو الراجح ؛ لمناقضة ما يعزوه لرأي الزيدية ، إضافة إلى أنه بعد أن يقول مذهبنا ، يأتي بعد ذلك، ويقول واختاره أبو طالب، وهذا الأخير من أئمة الزيدية، ورأية يندرج في رأي المذهب، ولا حاجة إلى تخصيصه بالذكر، وهذا تكرر أيضاً، في الصفة والشرط .

لذلك فالاحتمال الثاني هو الأقوى والأرجح، وإن افترضنا جدلاً أنه قصد أئمة المذهب فلعله قصد من وافقه من الأئمة، كما سبق، - فقد كانوا يعبرون عن رأي هؤلاء الأئمة برأي أهل المذهب، ربما للمكانة التي كانت لهم، ثم يخصصوهم بالاسم، وهناك شاهد لمثل ذلك، فابن المرتضى في كتابه منهاج الوصول كان يعبر بالقول " قال أهل المذهب ، ثم يلحق هذا التعميم بعبارة "كأبي طالب وأبي الحسين" وهذا تكرر كثير عند ابن المرتضى^(٢١٨) - ، باستثناء الإمام عبد الله بن حمزة ، فالتقل عنه خطأ ، لأنه ممن يقولون بمفهوم الصفة، وكلامه أولى مما نقل عنه^(٢١٩) .

وعلى أي حال فالخلاف يعود إلى اللفظ ؛ لأن الجميع على اتفاق أن الغنم السائمة فيها زكاة ، وما لم تتصف بالسوم ليس عليها زكاة سواء كان ذلك بطريق المفهوم ، أم بالعودة إلى الأصل ؛ لأن من قالوا بحجية المفهوم جعلوا سقوط الزكاة في المعلوفة مستفاد من المفهوم؛ أي: من خبر السوم، أما من نضوا المفهوم، فإن سقوط الزكاة في المعلوفة لم يستفاد عندهم من المفهوم ، وإنما أخذوه من أنها لم تفهم دلالة، على وجوبها فيها، بمنطوق النص، لا بمفهومه^(٢٢٠)

(٢١٧) ينظر: المقنع في أصول الفقه، ورقة ٣٩٦، ٣٩٧، ومن ورقة ٤٠٦ - ٤١١ .

(٢١٨) على سبيل المثال، ينظر: منهاج الوصول، ص ٣٤٤، ٣٤٧، ٣٥٥، ٣٨٦ وغيرها .

(٢١٩) أشار في كتابه صفوة الاختيار اثنا حديثه على حديث الصوم، إن صفة الصوم تدل على إن ما عدا السائمة بخلافها، ولو لم يكن كذلك لما كان لتخصيص المصطفى (ﷺ) لها بهذه الصفة فائدة، ينظر: صفوة الاختيار في أصول الفقه، ص ١٢٩ - ١٣٠ .

(٢٢٠) ينظر: مرقاة الوصول إلى فهم معاني معيار العقول، ورقة ٩٤ .

وبما أن القول المعتمد في المذهب هو الأخذ بمفهوم الصفة، فإن هذا المفهوم - الصفة - يعتبر أساس الاعتماد بمفهوم المخالفة ككل - باستثناء اللقب -؛ لأن ثبوت المفهوم المخالف للصفة يعني كذلك ثبوت المفهوم المخالف لبقية الأنواع الأخرى لسببين:

الأول: لأن الشرط وغيره من المفاهيم قيود فيها معنى الصفة، والمقصود بالصفة عند الزيدية ليس مجرد النعت النحوي، وإنما الصفة المعنوية التي تشمل مطلق التقييد بلفظ آخر؛ لأن المراد بها لفظ مقيد لآخر ليس بشرط ولا استثناء، ولا غاية، مثل الظرف والجار والمجرور، وذلك واضح من تعريفهم للصفة .

الثاني: لأن مفهوم الصفة عندهم أضعف أنواع المفاهيم - عدا اللقب -، فإذا ثبت الأضعف، ثبت ما هو أقوى منه - دلالة، وعملاً ومرتبة - من باب أولى .

المطلب الثالث : مفهوم الشرط

أولاً - تعريفه:

أ - لغة: العلامة وأشراط الساعة، علاماتها^(٢٢١).

ب - في الاصطلاح: عرفته الزيدية بأنه: (ما استلزم عدمه عدم غيره)^(٢٢٢) أو (ما علق من الحكم على شيء بأداة شرط كأن، وإذا ونحوهما)^(٢٢٣).

وهو عقلي، وشرعي، ولغوي^(٢٢٤)، والمقصود هنا الشرط اللغوي، لا الشرط الذي هو قسيم السبب والمانع^(٢٢٥)، المذكورة في خطاب الوضع^(٢٢٦)؛ والحصري في الشرط اللغوي قيد أخرج الشرط الشرعي، والعقلي، من المفهوم المخالف للشرط

(٢٢١) ينظر: مختار الصحاح، ٣٣٤، مادة(شرط)؛ والمصباح المنير، ٣٠٩/١ "نفس المادة" .

(٢٢٢) شفاء غليل السائل، ص ١٦٥ .

(٢٢٣) هداية العقول، ٣٨٣/٢؛ شفاء غليل السائل، ص ١٦٥؛ الفواصل شرح بغية الأمل، ورقة ٢٢٧ - ٢٣٨؛ جلاء الأبصار، ورقة ٢١٩ .

(٢٢٤) ينظر: شفاء غليل السائل، ص ١٦٥ .

(٢٢٥) ١- السبب هو: الوصف الظاهر المنضبط المعرف للحكم أو ما يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم، ينظر: الفصول

للؤلؤية، ص ٣٣٣؛ إرشاد الفحول، ص ٢٤ .

وعلى ذلك فإذا علق الحكم على شيء بأداة من أدوات الشرط مثل قوله تعالى:

﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ﴾^(٢٣٧) ففي ذلك أمور أربعة هي:

١- ثبوت المشروط عند ثبوت الشرط؛ أي: أن وجوب الإنفاق على المطلقة يثبت عند وجود الحمل.

٢- دلالة أداة الشرط على ذلك، أي: ثبوت المشروط عند ثبوت الشرط.

٣- انتفاء المشروط عند انتفاء الشرط؛ أي: عدم وجوب النفقة عند عدم وجود الحمل.

٤- دلالة أداة الشرط المذكورة على ذلك، وهو انتفاء المشروط عند انتفاء الشرط.

فالأول والثاني وهو ثبوت المشروط بثبوت الشرط، بدلالة "أن" عليه، ويعدم عند عدم الشرط، متفق عليه، والثالث الذي يشير إلى المفهوم من النص أن من لم تكن ذات حمل، لا يجب الإنفاق عليهن^(٢٣٨)؛ فجمهور الزيدية لا يبنون على هذا المفهوم عدم النفقة للمبتوتة، إن لم تكن حاملاً، وليس نفيهم لهذه النفقة لنفيهم العمل بهذا المفهوم هنا؛ ولكنهم يرون أن فائدة الشرط في النص، تأكيد وجوب النفقة في جميع مدة الحمل؛ لأن مدة الحمل قد تطول، وبالتالي لربما يظن ظان أن النفقة مقيدة بمقدار مدة عدة الحائل، فيسقط النفقة بمرور هذه المدة، ففائدة الشرط نفي هذا الوهم أو الظن^(٢٣٩).

و الخلاف في الرابع هل هذا الثبوت بدلالة أن عليه، أو أنه منتف بالأصل؟

ب- المانع هو: "ما يلزم من وجوده العدم، ولا يلزم من عدمه وجود ولا عدم"، المأمول من علم الأصول، د يوسف حسن

الشرح، مجلس النشر العلمي، الكويت، ٢٠٠٣، ص ٢١.

(٢٣٧) ينظر: هداية العقول، ٣٨٣/٢؛ الفواصل شرح بغية الأمل، ورقة ٢٣٧.

(٢٣٨) سورة الطلاق، آية ٦.

(٢٣٩) ينظر: الفواصل شرح بغية الأمل، ورقة ٢٣٨.

(٢٣٩) ينظر: هداية العقول، ٣٨٣/٢.

قال صاحب الكاشف (الصحيح أنه بدلالة إن عليه)^(٣٣٠) ، يؤيد ذلك تنصيب النحاة أنها للشرط ، ويلزم من انعدام الشرط انعدام المشروط ، وإلا لم يكن لذكره فائدة^(٣٣١) .

ثانياً : حجية مفهوم الشرط:

الرأي الأول: إن مفهوم الشرط حجة ذهب إلى ذلك كل من قال بحجية مفهوم الصفة، وذهب إلى ذلك ممن نفي مفهوم الصفة، الإمامان: أبو طالب ، وعبد الله بن حمزة^(٣٣٢) ، ونسب إلى الفقيه القرشي^(٣٣٣) ، كما نقل السيد داود الهادي في المرقاة عن عبد الله بن زيد^(٣٣٤) قوله (بأنه المذهب)^(٣٣٥) ، ونسبه كذلك إلى الناصر الكبير ، والإمام الهادي^(٣٣٦) (٣٣٧) ،

ولذلك جعلوا هذا المفهوم أقوى في الدلالة، وأكثر من حيث الأخذ به من مفهوم الصفة .

(٣٣٠) الكاشف لنوي العقول، ص ٢٦٣ .

(٣٣١) ينظر: نفس المصدر .

(٣٣٢) ينظر: صفوة الاختيار في أصول الفقه، ص ١٣١: الفصول اللؤلؤية، ص ٢١٩: هداية العقول، ٣٩٠/٢: شفاء غليل السائل، ١٦٥: الفواصل شرح بغية الأمل، ورقة ٢٢٨ .

(٣٣٣) ينظر: الفواصل شرح بغية الأمل، ورقة ٢٢٨: والفقيه القرشي هو: يحيى بن الحسن بن موسى القرشي الصعدي، احد علماء الزيدية، من مصنفاته، منهاج التحقيق ومحاسن التلفيق، رحل إلى العراق، ومات فيها سنة ٧٨٠هـ، المعجم المختصر لعلماء الزيدية"ملحق بكتاب الإيضاح"، ص ٤١٤ .

(٣٣٤) -١- داوود الهادي هو: داوود الهادي بن احمد بن المهدي بن عز الدين بن الحسن، عالم مشهور من علماء الزيدية، لقب بشيخ الشيوخ الزيدية في زمانه، من تلاميذه: ابن حابس الصعدي، والقاسم بن محمد، توفي سنة ١٠٣٥ هـ، البدر الطالع، ١٦٩/١ - ١٧٠ .

ب- عبد الله بن زيد هو: العلامة عبد الله بن زيد بن احمد بن أبي الخير العنسي، من كبار علماء الزيدية في القرن السابع الهجري، توفي سنة ٦٦٧هـ، ينظر: الروض الأعن، ٦٢/٢ .

(٣٣٥) ينظر: مرقاة الوصول إلى معيار العقول، ورقة ٩٦ .

(٣٣٦) -١- الناصر الكبير هو: الإمام الحسن بن علي بن الحسن الأطروشي، ولد سنة ٢٣٠هـ، من أئمة الزيدية، في بلاد الجبل والديلم، والمؤسس الفعلي للدولة الزيدية هناك، توفي سنة ٣٠٤هـ، ينظر: الجواهر والدرر، ورقة ١٢ .

ب- الإمام الهادي هو: أبو الحسين يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل، يتصل نسبه إلى الإمام علي عليه السلام بايعة أبو العتاهية الهمداني - احد ملوك اليمن حينذاك- ومن تبعه بالإمامة سنة ٢٨٠هـ، وتوفي سنة ٢٩٨هـ، ينظر: الإفادة في تاريخ الأئمة الزيدية، ص ١٢٨ وما بعدها .

(٣٣٧) ينظر: نفس المصدر .

واستدلوا على حجية مفهوم الشرط بالاتي:

قوله تعالى ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٣٣٨) ، فقد فهم عمر(رضي الله عنه) ويعلي بن أمية منه عدم جواز القصر في حالة الأمن، بناء على الشرط ، وتعليق القصر على الخوف ، حيث سأل عمر(رضي الله عنه) : ما بالناس نقصر الصلاة وقد أمنا ؟ وتلا الآية، وأقره عمر، فقال له: لقد عجبت مما عجبت منه فسألت رسول الله (ﷺ) عن ذلك فقال "صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته"^(٣٣٩) ، وأقر النبي(ﷺ) فهم عمر(رضي الله عنه) هذا ، فدلا على أن تعليق الحكم على الشرط ، يدل على انتفاء الحكم عند انتفاء الشرط ، ولولا أن الأمر كذلك لما تبادر إلى عمر ويعلي(رضي الله عنه) هذا الفهم ، ولما تعجب من جواز قصر الصلاة حالة الأمن ، ولما أقر الرسول(ﷺ) فهم عمر وتعجبه ، وجعل القصر جارياً مجرى الرخصة، وكان باستطاعة الرسول(ﷺ) أن يبين لعدم الآية ليست كما فهم ، ولا داعي للتعجب^(٣٤٠) .

إنه إذا ثبت كونه شرطاً؛ فإنه يلزم من انتفائه انتفاء المشروط ، فإن ذلك هو معنى الشرط ، ولو لم يكن كذلك لما كان لتعليق الحكم به فائدة^(٣٤١) .
وأجاب صاحب المقنع: أنه يجوز أن يكون للشرط فوائد أخرى غير ما ذكره^(٣٤٢) ويرد على هذا: أن ما ذكر في الجواب ليس محل نزاع ، بل محل اتفاق ، لأن القائلين بمفهوم الشرط ، لا يقولون به إن وجدت فوائد أخرى ، لذلك نصوا على أن من شروط الأخذ بالمفهوم، أن لا تدخل فائدة أخرى، غير الفائدة المخصصة بالذكر .

(٣٣٨) سورة النساء: آية ١٠١ .

(٣٣٩) اللفظ لمسلم، صحيح مسلم، ٤٧٨/١ برقم (٦٨٦) باب "صلاة المسافرين وقصرها" .

(٣٤٠) ينظر: صفوة الاختيار في أصول الفقه، ص ١٣١: المقنع في أصول الفقه، ورقة ٤٠٦: الدراري المضئية، ورقة ٣٤٢ .

(٣٤١) المقنع في أصول الفقه، ورقة ٤٠٦ .

(٣٤٢) المقنع في أصول الفقه، ورقة ٤٠٦ .

الرأي الثاني: إن مفهوم الشرط ليس بحجة؛ لجواز تعليق الحكم بشرطين ، فهذا يكون في موضع الظن والاجتهاد، ذهب إلى ذلك الإمام يحيى ابن حمزة، والإمام يحيى الداعي^(٢٤٣)؛ ونسبه السيد داود الهادي إلى محققي الزيدية، وإلى ابن المرتضى وعبارته (والذي عليه أهل التحقيق من الزيدية واختاره ابن المرتضى أن مفهوم الشرط ليس بدليل يعمل به)^(٢٤٤) .

وإن كان ابن المرتضى قد أشار - بعد أن ساق قول المعتزلة بعدم حجية مفهوم الشرط- إلى أن الأصحاب صححوا هذا القول- أي: قول المعتزلة- ومتابعته لهم^(٢٤٥)؛ إلا أن كلام ابن المرتضى، وما نقله السيد داود الهادي عن محققي الزيدية غير دقيق البتة؛ لأن الأول يأخذ بهذا المفهوم، وإن كان بظابط، كما سيأتي، وأكثر مصادر الزيدية تشير إلى حجية مفهوم الشرط .

الرأي الثالث: لابن المرتضى حيث ذهب إلى رأي وسط فلم يأخذ بالشرط على إطلاقه، ولم ينف مع من نفى على إطلاقه، مع أن كلامه في الرأي الثاني يشير إلى نفيه لمفهوم الشرط " وحاصل رأيه أنه توسط بين الفريقين - المثبتين والنفاة- فقرر القول بمفهوم الشرط، إذا حصلت دلالة أو أمانة تقتضي أنه لا شرط يقتضي ذلك الحكم غير هذا الشرط، وبذلك لا يستقل مفهوم الشرط في الدلالة على الحكم، وإنما يدل عليه مع ضمنية، ولذا كان من اللازم على المجتهد البحث والتفتيش عن الأدلة والأمارات المقتضية للحكم، ومن ثم يكون قراره على بينه، أما إن تبين أن الحكم له شرط آخر إن حصل قام مقام الشرط في اقتضاء الحكم لم يقطع بانتفاء الحكم بمجرد انتفاء ذلك الشرط^(٢٤٦) .

^(٢٤٣) ينظر: الحاوي لحقائق الأدلة الفقهية، السفر الثاني، ورقة ٥٧: المنع في أصول الفقه، ورقة ٤٠٥ .

^(٢٤٤) مرقاة الوصول إلى فهم معني معيار العقول، ورقة ٩٦ .

^(٢٤٥) ينظر: منهاج الوصول، ص ٤٠٦ .

^(٢٤٦) ينظر: منهاج الوصول ٤٠٧ - ٤ - ٨ .

وكان يكفي هنا تقويم الشروط الذي وضعها العلماء للأخذ بمفهوم المخالفة بصورة عامه، فتلك الشروط تغني عن هذا كله ، لأن تلك القيود فيها ضمان مانع من الانزلاق، والوقوع في إعطاء الحكم دون دليل .
والقول بمفهوم الشرط مع الضميمة هل هي الدليل ، أو مفهوم الشرط هو الدليل ؟

إن مجرد هذا الاعتراف بصلاحيته مع ضميمة خروج عن قول النافين لهذا المفهوم، وقد اعترض بل وأبطل قول النافين، فلم يبق إلا أن يكون مع المثبتين ، مع عدم التغاضي عن أي ضابط أو شرط وضعه العلماء للأخذ بمفهوم المخالفة، ولو صرَّح (رحمه الله) بذلك لكان أولى وأسلم .
وعليه فإن المعول عليه في المذهب الزيدي هو القول بحجية مفهوم الشرط ، وهو الراجح في نظر الباحث، والله اعلم .

المبحث الثاني - في مفهوم الغاية والعدد والحصر

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : مفهوم الغاية

أولاً : تعريفه

- أ- لغة: مدى الشيء ونهايته ^(٢٤٧) .
ب- في الاصطلاح : عرفته الزيدية بأنه: (استمرار الحكم إلى وقت معلوم) ^(٢٤٨) أو (ما يستفاد من تقييد الحكم بأداة غاية كإلى وحتى) ^(٢٤٩) ؛ أي: أنه إذا كان في النص لفظ "إلى" أو "حتى" الدالة على الغاية، فإنه يدل بمفهوم المخالفة على ثبوت حكم مخالف للحكم المنطوق به ، فيما عدا تلك الغاية ^(٢٥٠) .

^(٢٤٧) القاموس المحيط، ٤ / ٣٧٥ ، لسان العرب، ١٥ / ١٤٣ .

^(٢٤٨) الكاشف لذوي العقول، ص ٢٦٤ .

^(٢٤٩) هداية العقول، ٢ / ٣٨٣: شفاء غليل السائل، ص ١٦٥ ؛ جلاء الأبصار، ورقة ٢١٩ ؛ وينظر: الفواصل شرح بغية الأمل، ورقة

٢٣٨ ؛ إجابة السائل، ص ٢٤٩ .

^(٢٥٠) ينظر: أسباب اختلاف الفقهاء، د عبدالله بن المحسن التركي، مكتبة الرياض، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ص ١٧٩ .

نحو قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾^(٢٥١)؛ دَلَّ النِّصْبُ بِمَفْهُومِهِ عَلَى ارْتِفَاعِ وَجُوبِ الصِّيَامِ، عِنْدَ دُخُولِ اللَّيْلِ، أَوْ عِنْدَ انْتِفَاءِ النَّهَارِ^(٢٥٢).

وقوله سبحانه ﴿فَأَنْفَقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾^(٢٥٣)؛ دَلَّ النِّصْبُ عَلَى وَجُوبِ النِّفْقَةِ عَلَى الْحَامِلِ، وَهَذَا الْحُكْمُ مُقَيَّدٌ بِغَايَةِ، هِيَ حَتَّى وَضَعِ الْحَمْلِ، فَيَدُلُّ بِمَفْهُومِهِ عَلَى عَدَمِ وَجُوبِ الْإِنْفَاقِ، بَعْدَ وَضَعِ الْحَمْلِ.

وقوله جل شأنه ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَتَّخِجَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾^(٢٥٤)؛ دَلَّ النِّصْبُ عَلَى عَدَمِ حُلِّ الْمُطَلَّاقَةِ ثَلَاثًا، وَهَذَا الْحُكْمُ مُقَيَّدٌ بِغَايَةِ هِيَ: زَوْجًا بِغَيْرِ مُطَلَّقَتِهَا، فَيَدُلُّ بِمَفْهُومِهِ عَلَى حُلِّ زَوْجِهَا، بِمُطَلَّقَتِهَا بَعْدَ هَذِهِ الْغَايَةِ؛ أَي: بَعْدَ فِرَاقِهَا مِنْ زَوْجِهَا الثَّانِي، وَانْتِهَاءِ عِدَّتِهَا مِنْهُ^(٢٥٥).

ثانياً: حجية مفهوم الغاية

يعتبر مفهوم الغاية عند الزيدية أقوى من المفاهيم الثلاثة السابقة عليه – اللقب، الصفة، الشرط – من حيث الأخذ به، وقوة دلالته^(٢٥٦)، قال صاحب الحاوي (يكاد يلحق بالقطعيات)^(٢٥٧).

فهذا المفهوم يعتبر حجة، عند عموم الزيدية؛ القائلين بمفهوم الشرط^(٢٥٨)؛ وقال به ممن منع مفهوم الشرط؛ الإمام يحيى بن حمزة في الحاوي، والشيخ

(٢٥١) سورة البقرة، آية ١٨٧.

(٢٥٢) ينظر: منهاج الوصول، ص ٤٠٨؛ مرقاة الوصول إلى فهم معني معيار العقول، ورقة ٩٦ – ٧٩.

(٢٥٣) سورة الطلاق، آية ٦.

(٢٥٤) سورة البقرة: آية ٢٣.

(٢٥٥) ينظر: هداية العقول، ٣٨٣/٢؛ جلاء الأبصار، ورقة ٢١٩.

(٢٥٦) ينظر: شفاء غليل السائل، ص ١٦٥؛ الكاشف لنووي العقول، ص ٢٦٤؛ الفواصل شرح بغية الأمل، ورقة ٢٣٨.

(٢٥٧) الحاوي لحقائق الأدلة الفقهية، السفر الثاني، ورقة ٥٥.

(٢٥٨) ينظر: منهاج الوصول، ص ٤٠٨؛ قال عند جمهور الزيدية: الفصول اللؤلؤية، ص ٢٢٠؛ هداية العقول، ٣٩٠/٢؛ الكاشف لنووي

لعقول، ص ٢٦٤؛ مرقاة الوصول إلى فهم معني معيار العقول، ورقة ٩٦ – ٩٧؛ الفواصل شرح بغية الأمل، ورقة ٢٣٨.

الرِّصَاصُ، والحفيد^(٢٥٩) (٢٦٠)، وأشار ابن لقمان^(٢٦١) إلى أن القول بحجبيته، هو المختار، لأمرين^(٢٦٢):

الأول: إن وضع حرف الغاية لرفع الحكم عما بعدها - كما مر في التمثيل له - ،
والأ ثم يتبين للفاعل آخر .

الثاني: إنّه بمنزلة قوله: آخر وقت وجوب كذا إلى وقت كذا، فإن ذلك يقتضي

ارتفاع الوجوب، عند دخول ذلك الوقت، فكذا إذا قال: إلى كذا، أو حتى كذا .
ويمكن أيضاً الاستدلال لمفهوم الغاية، بالأدلة المثبتة لمفهوم الصفة؛ لأن الغاية قيد والقيود أوصاف في المعنى - للمقيد - فالأدلة التي تدلُّ على حجية مفهوم الصفة، تدلُّ على حجية مفهوم الغاية بهذا الاعتبار^(٢٦٣) .

وخالف الإمام يحيى الداعي حيث ذهب إلى القول بعدم حجية مفهوم الغاية^(٢٦٤)؛ لأن تعليق الحكم بغاية لا يدل على أن حكم ما بعد الغاية بخلاف ما قبلها:

فقوله تعالى ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ ﴾^(٢٦٥)، "وَكُلُوا وَاشْرَبُوا"؛ أي: في الليل، بدليل قوله ﴿ حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنْ الْفَجْرِ ﴾

(٢٥٩) - الشيخ الرصاص هو: الحسن بن محمد بن الحسن بن محمد بن أبي طاهر الرصاص، عالم مشهور من علماء الزيدية، من مصنفات، الفائق في أصول الفقه "مخطوط"، ولد سنة ٥٤٦هـ، وتوفي بهجرة سناع بني مطر صنعاء، سنة ٥٨٤هـ، ينظر: الروض الأغن: ١/١٥٣ وما بعدها .

ب- الحفيد هو: احمد بن محمد بن الحسن الرصاص، من أئمة الزيدية، من أشهر مصنفاة في أصول الدين (مصباح العلوم) وهو الأصل المعتمد في أصول الدين عند الزيدية، وفي أصول الفقه "جوهره الأصول"، ينظر: الروض الأغن، ١/ ٦٩ .
(٢٦٠) ينظر: هداية العقول، ٢/ ٣٩٠: الفواصل شرح بغية الأمل، ورقة ٢٣٨ .

(٢٦١) ابن لقمان هو: احمد بن محمد بن لقمان بن احمد بن شمس الدين، من مصنفاة في أصول الفقه "شرح منهاج الأصول إلى علم الأصول" لجدّه ابن المرتضى "مخطوط"، "الكاشف لذوي العقول" مطبوع، توفي سنة ١٠٣٩هـ، ينظر: البدر الطالع، ٨١/١ وما بعدها .

(٢٦٢) الكاشف لذوي العقول، ص ٢٦٤ .

(٢٦٣) ينظر: أصول الفقه الإسلامي، زكي الدين شعبان، طبعة القاهرة، دار التأليف، ١٩٥٧م، ص ٦٨ .

(٢٦٤) ينظر: المقتع في أصول الفقه، ورقة ٤١٠ .

(٢٦٥) سورة البقرة: آية ١٨٧ .

وقولة تعالى ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾^(٢٦٦)؛ فلفظ ﴿حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ لا يدل بالمفهوم على إباحة إتيانهن بعد ذلك، وإنما لما كان الأصل في إتيانهن هو الإباحة بحكم العقل، ثم حظر الشرع إتيانهن حال الحيض بقى ماعدا تلك الحالة على أصل الإباحة، والأمر في ذلك ظاهر^(٢٦٧) .

والظاهر من الأدلة التي ساقها أن خلافه مع عموم الزيدية خلاف لفظي؛ لأنَّ الجميع على اتفاق أن للإنسان أن يأكل طوال الليل، إلى أن يتبين له الخيط الأبيض من الأسود، وما بعد ذلك لا يجوز، لأن من يقوم بذلك يصبح مفطراً، وهو حرام؛ وأن إتيان النساء بعد زوال الحيض جائز، فلا قائل منهم بجواز الأكل بعد الفجر الصادق، ولا قائل منهم بجواز إتيان النساء حال الحيض، ولا بتحريمه بعد زواله .

لكن من قالوا بالمفهوم اعتبروا الحكمين، مدلولاً للتقييد بالغاية "حتى" فكان حكم ما بعد الغاية، مخالف لما قبلها،^(٢٦٨) ومن نفى المفهوم اعتبر مدلول الحكمين، مستفاد من أدلة أخرى وردت في الموضوع^(٢٦٩) .

والرأي المعتمد عند الزيدية هو القول بحجية مفهوم الغاية، وهو الرأي الراجح، واحتجاج من منع هذا المفهوم لا يقوى في منع العمل به؛ لأنَّه معروف من توقيف اللغة، فإذا قال رب العمل لأمين خزنته، أعط العمال أجرهم حتى ينتهوا من العمل؛ فإنه لا يحسن من أمين الخزينة، أن يستفهم بعد ذلك بقوله: وهل أعطيهم إذا انهوا عملهم .

^(٢٦٦) سورة البقرة: آية ١٢٢ .

^(٢٦٧) ينظر: المقنع في أصول الفقه، ورقة ٤١٠ - ٤١١ .

^(٢٦٨) ينظر: صفوة الاختيار، ص ١٣٢ .

^(٢٦٩) ينظر: المقنع في أصول الفقه، ورقة ٤١٠ .

ولم يكن الإمام الشوكاني (رحمه الله) مبالغاً حين قرر أن نفاة هذا المفهوم ليس لهم شيء يصلح للتمسك به، لكنهم يصرون على المنع، طرداً لباب المنع من العمل بالمفاهيم، وليس ذلك شيء^(٢٧٠).

المطلب الثاني: مفهوم العدد

أولاً: تعريفه

عرفته الزيدية بأنه: (ما يفهم من تعليق الحكم بعدد معين)^(٢٧١) أو هو (ما يستفاد من تعليق الحكم بعدد مخصوص)^(٢٧٢)؛ ويكون في جانب الزيادة، والنقصان^(٢٧٣)؛ أي: إن تعلق الحكم بعدد مخصوص يدل على انتفاء الحكم فيما عدا ذلك العدد، زائداً كان أو ناقصاً، ومن أمثلة ذلك:

(١) في جانب الزيادة: قوله تعالى ﴿ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾^(٢٧٤)؛ مفهومه منع

الزيادة على القدر المحدود^(٢٧٥).

(٢) وفي جانب النقصان: "إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثاً"^(٢٧٦)؛ مفهومه أن ما دون القلتين يحمل خبثاً^(٢٧٧).

ومفهوم الزيادة في هذا الأخير من مفهوم الموافقة بطريق الأولى^(٢٧٨)، وقد أشار الإمام المهدي بأن تعليق الحظر على ما دون العدد، يكون بطريق الأولى؛ لأنه لو

^(٢٧٠) ينظر: إرشاد الضحول، ص ٦٠٠ - ٦٠١.

^(٢٧١) الكاشف لذوي العقول، ص ٢٦٤.

^(٢٧٢) هداية العقول، ٣٨٣/٢: الفواصل شرح بغية الأمل، ورقة ٢٣٨؛ جلاء الأبصار، ورقة ٢١٩.

^(٢٧٣) ينظر: الفواصل شرح بغية الأمل، ورقة ٢٣٨.

^(٢٧٤) سورة النور: آية ٤.

^(٢٧٥) ينظر: هداية العقول، ٣٨٣/٢: الفواصل شرح بغية الأمل، ورقة ٢٣٨.

^(٢٧٦) ورد بهذا اللفظ في عون المعبود، ١٠/١٢٣، باب "في صفة النبيذ"، وأخرجه الحاكم، والترمذي، وغيرهم، بلفظ "إذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث" قال الحاكم "وقد صح وثبت بهذه الرواية صحة الحديث" وهي من طريق عبد الله بن عمر، المستدرک، ٢٢٦/١، برقم (٤٦١)، كتاب الطهارة "سنن الدارمي، ١/٢٠٢، برقم (٧٣٢)، باب "قدر الماء الذي لا ينجس"

^(٢٧٧) ينظر: الفواصل شرح بغية الأمل، ورقة ٢٣٨.

^(٢٧٨) ينظر: الفصول اللؤلؤية، ص ٢٢٠.

حظر استعمال قلتين وقع فيها نجاسة، فإن حظر استعمال قلة واحدة، تعرضت للنجاسة، يكون من باب أولى^(٢٧٩).

ثانياً : حجية مفهوم العدد:

وفقاً لترتيب الزيدية للمفاهيم فإن هذا المفهوم يعد أقوى من سابقه، ومع ذلك ففيه خلاف بداخل المذهب:

الرأي الأول: ذهب أكثر الزيدية الى القول بحجية هذا المفهوم^(٢٨٠)؛ ونقل صاحب الهداية عن القاضي الدواري^(٢٨١) قوله (لا اعلم خلافاً في مفهومه، إلا مع من نفي المفهوم جملة- أي مفهوم المخالفة)^(٢٨٢)، وهذا النقل عن القاضي الدواري، يوضح أن هذا المفهوم أقوى من مفهوم الغاية، وقد سبق عند الحديث عن المراتب الإشارة إلى الخلاف في مرتبة هذا المفهوم. واستدلوا على رأيهم بالآتي:

(١) إن تعليق الحكم بعدد لو لم يدل على أن ما عداه بخلافه، لم يكن لتعليقه بالعدد فائدة، يؤيد ذلك "قوله تعالى ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾"^(٢٨٣)، فقال الرسول (ﷺ) "سازیدن على السبعين"^(٢٨٤)، ففهم من ذلك أن ما زاد على السبعين حكم بخلافه^(٢٨٥).

ونوقش هذا الدليل من وجهين:^(٢٨٦)

^(٢٧٩) ينظر: منهاج الوصول، ص ٤١٢ .

^(٢٨٠) ينظر: الفصول اللؤلؤية، ص ٢٢٠؛ هداية العقول، ٣٩١/٢؛ الكاشف لذوي العقول، ص ٢٦٤؛ نظام الفصول، ورقة ٢٤٧؛

الدواري المضيفة، ورقة ٣٤٠ وقال يعمل به على الصحيح؛ جلاء الأبصار، ورقة ٢٢٣ .

^(٢٨١) هو العلامة عبد الله بن الحسن بن عطية الدواري الصعدي، من كبار علماء الزيدية في عصره، عرف عند الزيدية بسلطان

العلماء، توفي سنة ٨٠٠هـ، ينظر: الروض الأغر، ٥٣/٢ .

^(٢٨٢) هداية العقول، ٣٩١/٢ .

^(٢٨٣) سورة التوبة: آية ٨٠ .

^(٢٨٤) سبق تخريجه .

^(٢٨٥) ينظر: نظام الفصول، ورقة ٢٤٧؛ الدواري المضيفة، ورقة ٣٤٠ .

^(٢٨٦) ينظر: المقنع في أصول الفقه، ورقة ٤٠٨ - ٤٠٩ .

الأول : إنَّ الحديث خبر آحاد، ولا يصح العمل به في مسائل الاعتقاد، كون دلالته ظنية.

الثاني : إنَّ في الخبر ما يوحي بضعفه وسقوطه ، إذا قال لأزيدنَّ على السبعين، فلا يخلوا، إمَّا أن يكون دعاء، أو لا، فإن كان الثاني، كان كلامه كذباً، وهو منزه عن الكذب، وإن كان الأول ، إمَّا أن يكون قد أجيب أولاً، والأول باطل لما علمناه من ضرورة الدين أنَّه لا يغفر لهم ، وإن كان الثاني مع سؤال، ففيه تنفير عنه "ﷺ" واستهانة بمنزلته ، وشيء من ذلك لا يجوز عليه أصلاً، لما هو ثابت في أصول الدين، فلم يبق سوى عدم القول بهذا الخبر ، وحمل الآية على أنَّها وردت مورد الإبانة ، وليس بقصد أنه إن زاد على السبعين يغفر لهم ، كما لو قال شخص لآخر لو سألتني مئة مرة ، ما أعطيتك شيئاً ، ولا يفهم منه ، أنه إن زاد على المئة أعطاه.

وواضح من هذا المناقشة انها مبنية على اصل من أصول الدين عند الزيدية وهو القول بالوعد والوعيد، وهي ضعيفة من وجوه :

أ- إنَّ الحديث صحيح وقد أخرجهُ الشيخان، ومن ثمَّ فإن رده أو تضعيفه أمر غير مقبول.

ب- فيما يتعلق بقصد النبي (ﷺ) استمالة قلوب الأحياء من المنافقين بالزيادة على السبعين في الاستغفار فهذا محتمل ، ولكنه لا ينفي احتمال أنَّ وقوع المغفرة بهذه الزيادة في الاستغفار باقي على أصله في الجواز قبل نزول الآية على التأييس من المغفرة (٢٨٧) .

٢) إنَّ الأمة عقلت من قوله تعالى ﴿ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ﴾ (٢٨٨)، حظر ما زاد على ذلك (٢٨٩).

(٢٨٧) ينظر: مفاهيم الألفاظ والدلالات عند الأصوليين، د. بشير الكبسي، ص ١٦٨ .

(٢٨٨) سورة النور: آية ٤ .

(٢٨٩) ينظر: الدراري المضيئة، ورقة ٣٤٠ .

وأجيب على ذلك: إنَّ منع ما زاد على الثمانين، لم يكن مستفاداً من المفهوم، وإنَّما الأصل حظر الجلد، فإذا اباح جلد القاذف ثمانين، نضى ما زاد على الثمانين، بحكم العقل^(٢٩٠).

الرأي الثاني: إنَّ مفهوم العدد ليس حجة، ذهب إلى هذا الرأي الإمام يحيى الداعي، والإمام ابن المرتضى، وعزى الأول هذا الرأي إلى المذهب، وقد سبق إيضاح ضعف مثل هذا العزو - عند الترجيح في مفهوم الصفة^(٢٩١) -، كما عزاه صاحب الهداية إلى العلامة القرشي^(٢٩٢).

والخلاف لفظي؛ لاتفاق الجميع على مقدار الجلد للزاني، والقاذف، وإنَّ ذلك مستفاد من منطوق النص، وإقرارهم جميعاً، منع الزيادة على الحد، وعدم تحقق الحد، إذا نقص العدد عن المئة للزاني، أو الثمانين للقاذف، إلا أنَّ منع الزيادة، أو عدم تحققه بالأقل مستفاد من مدلول النصوص، بمفهومها المخالف، عند القائلين بالمفهوم، أمَّا من نضوا المفهوم فإنَّ منع الزيادة، من قبل التقدير بالعدد نفسه، لأنَّ الزيادة ظلم، والأصل في الضرب الحظر، والنقص إهمال، وعدم التحقق بالأقل مستفاد من أدلة أخرى عندهم.

وفي كلام ابن المرتضى ما يفيد هذا عندما قال: (فيما زاد عن الثمانين جلدة للقاذف، أنَّ ذلك لا يحظر من باب المفهوم، وإنَّما ما زاد عن الثمانين، باقى على حكم الأصل، لذلك حظرت الأمة ما زاد على الثمانين)^(٢٩٣)، وفي موضع آخر يقول: (ولو حضر علينا جلد الزاني مئة جلدة، فإنَّه لا يدل على حظر ما دونها، ولا على إباحته، بل ذلك موقوف على الدليل)^(٢٩٤).

(٢٩٠) ينظر: المقنع في أصول الفقه، ورقة ٤٠٩.

(٢٩١) ينظر: ص ٢٢ - ٢٣ من هذا البحث.

(٢٩٢) ينظر: المقنع في أصول الفقه، ورقة ٤٠٧؛ هداية العقول، ٢/٣٩١؛ الفواصل شرح بغية الأمل، ورقة ٢٣٤؛ الدراري المضنية، ورقة ٣٤٠.

(٢٩٣) منهاج الوصول، ص ٤١٣.

(٢٩٤) نفس المصدر، ص ٤١٢.

المطلب الثالث – مفهوم الحصر :

أولاً: تعريفه:

- أ- في اللغة: حصر؛ أي ضيق عليه ، وأحاط به ، ومنه المحبس يسمى حصر، وأحصره المرض، أي: منعه من السفر، وحصروا العدو؛ أي: ضيقوا عليه وأحاطوا به،^(٢٩٥) فيكون معنى الحصر: الإحاطة بالشيء.
- ب- في الاصطلاح عرفته الزيدية بأنه: (إثبات الحكم في المذكور، ونفيه عما عداه) (٢٩٦).

وهذا المفهوم عند الزيدية على أنواع منها: النفي والإثبات، والأ، وإنما:

(١) الحصر "بالنفي والإثبات" : مثال ذلك "لا اله إلا الله" و "لا عالم في البلد إلا زيد"؛ فالأول يعني نفي الإلهية عما سوى الله، وإثباتها له؛ والثاني ينفي العلم عن كل أحد في البلد، وأثبتته لزيد^(٢٩٧).

(٢) الحصر "بالاستثناء"^(٢٩٨): من ذلك قوله تعالى ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(٢٩٩)؛ أي: إِنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِلَّا مَنْ تَبَتَّوْا عَلَىٰ عَهْدِهِمْ، فَيَتِمُّ الْوَفَاءُ لَهُمْ مَدَّةَ عَهْدِهِمْ

والحصر بالنفي والإثبات، والاستثناء، يفيد النفي منطوقاً، والإثبات مفهوماً^(٣٠٠)

(٣) الحصر "بإنما" - المكسورة لا المفتوحة - كقوله تعالى ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾^(٣٠١)؛ ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ﴾^(٣٠٢)؛ ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾^(٣٠٣)، فجميعها تزيد

(٢٩٥) مختار الصحاح، ٥٩/١، مادة "حصر": كتاب العين، ١١٤/٣ "نفس المادة".

(٢٩٦) الطراز المذهب، ورقة ٨٦.

(٢٩٧) ينظر: الحاوي لحقائق الأدلة الفقهية، السفر الثاني، ورقة ٥٥.

(٢٩٨) ينظر: الفصول اللؤلؤية، ص ٢٢٠.

(٢٩٩) سورة التوبة: آية ٤.

(٣٠٠) ينظر: هداية العقول، ٤٠٢/٢؛ جلاء الأبصار، ورقة ٢٢٤؛ الأنوار الهادية، ورقة ٢٠٣.

(٣٠١) سورة الأنبياء: آية ١٠٨.

(٣٠٢) سورة طه: آية ٩٨.

الحصر، فنص الآية الأولى، والثانية، يعني أنه لا إله لكم إلا الله وحده، وحاصل ذلك إثبات الحكم لله سبحانه وتعالى، ونفيه عما عداه^(٣٠٤)؛ ومن نص الثالثة المفهوم، أنه لا يستحق الصدقة سوى من ذكر، وأما كونها لا تجب لغيرهم فمنطوق^(٣٠٥).

وقد اعتبر صاحب الحاوي هذا المفهوم الحصري بانما - في معنى النفي والإثبات^(٣٠٦)؛ أي: يفيد النفي منطوقاً، والإثبات مفهوماً، في حين يرى أكثر الزيدية العكس من ذلك^(٣٠٧).

والذي يعقل في هذا النوع أن يكون إثبات الحكم للمنطوق، ونفيه عن المسكوت عنه، كلاهما مستفاد من المنطوق؛ لأن أدوات الحصر قد وضعت في اللغة، للإثبات والنفي معاً^(٣٠٨).

ثانياً: حجة مفهوم الحصر:

يعتبر مفهوم الحصر بأنواعه حجة عند الزيدية^(٣٠٩)؛ بل إنه أقوى المفاهيم من حيث الدلالة، وأعلاها مرتبة، حيث يحتل المرتبة الأولى، وأكثر المفاهيم عملاً، عبّر عنها صاحب الحاوي بأنها في غاية القوة، وأنها تكاد أن تلحق بالقطعيات^(٣١٠).

ومن الأدلة التي ساقوها على حجيتها:

- (٣٠٢) سورة التوبة: آية ٦٠ .
 (٣٠٤) ينظر: الحاوي لحقائق الأدلة الفقهية، ورقة ٥٦ .
 (٣٠٥) ينظر: الكاشف لذوي العقول، ص ٢٦٥ .
 (٣٠٦) ينظر: الحاوي لحقائق الأدلة الفقهية، ورقة ٥٦ .
 (٣٠٧) ينظر: هداية العقول، ٤٠٢/٢: جلاء الأبصار، ورقة ٢٢٤ .
 (٣٠٨) ينظر: أصول الفقه د. بدران أبو العينين، ص ٤٣١ - ٤٣٢ .
 (٣٠٩) ينظر: الحاوي لحقائق الأدلة الفقهية، ورقة ٥٥ - ٥٦: الفصول اللؤلؤية، ص ٢٢٠ - ٢٢١: منهاج الوصول، ص ٤١٥ - ٤١٦: الدراري المضيئة، ورقة ٣٤١: هداية العقول، ٤٠٣/٢: نظام الفصول، ورقة ٢٤٨: شفاء غليل السائل، ص ١٦٦: جلاء الأبصار، ورقة ٢٢٤: مرقاة الوصول إلى معيار العقول، ورقة ٩٧: الأنوار الهادية لذوي العقول، ورقة ٢٠٣: الفواصل شرح بغية الأمل، ورقة ٢٣٩ .
 (٣١٠) ينظر: الحاوي لحقائق الأدلة الفقهية، ورقة ٥٥ .

(١) الاستقراء، لاستعمالات الفصحاء، حيث دلّ أنّه لا يقصد بالاستثناء مجرد الإخراج من دون الحكم عليه، فيدل على الحكم بالالتزام، فأقل الأحوال أن يكون مفهوماً^(٣١١) .

(٢) إجماع أئمة العربية على استعماله، فان أئمة العربية أجمعوا على أنّ الاستثناء من النفي إثبات، وعلى إفادة إنّما للحصر، ولذلك أطبق أئمة النحو والتفسير، وأبو حيان ممن قرروا ذلك، والمتأمل إلى مصنفاتهم، لا يساوره أدنى شك في إجماعهم عليه^(٣١٢) .

وخالف الإمام يحيى الداعي حيث ذهب إلى أنّ الحصر بـ"إنّما"، لا تدلّ على أنّ ما عدا المذكور بخلافه؛ وعلل ذلك:

بأنّ "إنّما" مركبة من إن، وما، و"أن" موضوعة للتأكيد، ولهذا يدخل اللهم في خبرها، و"ما" موضوعة للنفي، فواحدة منها لا تدل على ذلك، فإذا اجتمعنا، لم يتقيد موجبها، وإنّما دخلت "ما" على "إن" لتكفها عن النصب^(٣١٣) .

والراجع في نظر الباحث القول بحجية هذا المفهوم، والله أعلم بالصواب .

(٣١١) ينظر: شفاء غليل السائل، ص ١٦٦ .

(٣١٢) ينظر: هداية العقول، ٤٠٣/٢؛ لطراز المذهب، ورقة ٨٨؛ جلاء الأبصار، ورقة ٢٢٥ .

(٣١٣) المقنع في أصول الفقه، ورق ٤١١ .

الخاتمة

من خلال هذه الدراسة المتواضعة عن دلالة المفهوم عند الزيدية، وبتتبع رأيهم، ومنهجهم في هذه الدلالة بقسميها، نصل إلى ذكر أهم النتائج:

- (١) عدم خروج الزيدية في منهجهم عن منهج مدرسة المتكلمين .
- (٢) اعتبار المفهوم من حيث الإجمال حجة، وطريق من طرق الدلالة عند الزيدية .
- (٣) من حيث التفصيل:

أ- اتفاق الزيدية على القول بحجية المفهوم الموافق بقسميه - الأولى والمساوي، وتأخره عن المنطوق مطلقاً، ويقدم على المفهوم المخالف إذا تعارض معه .

ب- توسطهم في المفهوم المخالف، فلم ينفوه على إطلاقه، وبالمقابل لم يقولوا به على إطلاقه، فنضوا القول بمفهوم اللقب، وبعض الخلاف - اللفظي - في المفاهيم الأخرى، لكن القول المعتمد في المذهب: أن كلاً منها حجة، مع تفاوت في مراتبها، كما هو موضح في البحث .

(٤) إن ضابط قولهم بالمفهوم المخالف للنص " أن يثبت بعد البحث والإمعان، والاستقصاء، أن القيد الوارد في النص، إنما ذكر للتخصيص، والاحتراز عما عداه، وليس ثمة معارض، سواء كان المعارض منطوقاً أقوى منه، أو صادم دليلاً قطعياً .

(٥) يعتبر ثبوت احتجاجهم بالمفهوم المخالف للصفة، أساساً لثبوت الاحتجاج بالمفهوم المخالف لبقية المفاهيم الأخرى_ عدا اللقب - باعتبار أن مفهوم الصفة الأضعف والأدنى مرتبة، فإذا ثبت الأضعف والأدنى مرتبة، ثبت ما هو أقوى منه، وأعلى مرتبه، من باب أولى .

المصادر والمراجع:

١. إرشاد الفحول تحقيق الحق من علم الأصول، العلامة محمد بن علي الشوكاني، تحقيق: محمد صبحي حلاق، دار ابن كثير، ط/٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢م
٢. أصول الفقه الإسلامي "دلالات الألفاظ وطرق الاستنباط"، د. عبد القادر محمد شحاتة، ١٩٩٢م.
٣. أصول الفقه في نسيجه الجديد، الأستاذ الدكتور: مصطفى إبراهيم الزلي، مكتبة القبطان، بغداد، ط/٤، ١٩٩٨م.
٤. أصول الفقه، د. بدران أبو العينين بدر، مؤسسة شباب الجامعات بالاسكندرية، ط/بدون .
٥. أسباب اختلاف الفقهاء، د. عبد الله بن المحسن التركي، مكتبة الرياض، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م .
٦. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط/٧، ١٩٨٦م .
٧. الإفادة في تاريخ الأئمة الزيدية، الناطق بالحق: يحيى بن الحسين بن هارون الهاروني الحسني، ت ٤٢٤هـ، تحقيق: محمد يحي سالم عزان، دار الحكمة اليمانية، صنعاء، ط/١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .
٨. الإمام زيد - حياته، عصره، رأيه الفقهية - للإمام محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي .
٩. أنباء الرواة على أنباء النحاة، ابن القفطي: علي بن يوسف القفطي "جمال الدين أبو الحسن" ت ٦٤٦هـ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧٤هـ - ١٩٥٥م .
١٠. الأنوار الهادية، احمد بن يحيى بن محمد حابس الصعدي، ت ١٠٦١هـ، (مخطوط).

١١. أوجه دلالات النصوص على الأحكام دراسة أصولية قانونية، د. عمر كرامه، رسالة دكتوراه، كلية القانون - جامعة بغداد.
١٢. البدر الطالع، القاضي العلامة، محمد بن علي الشوكاني، ت ١٢٥٠هـ، ومعه الملحق التابع للبدر الطالع، بتأليف العلامة، محمد بن محمد يحيى زبارة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/بدون، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
١٣. بغية ألوعاه في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن بن أبي بكر "جلال الدين" - أبو الفضل"، ت ٩١١هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط/١، مصر، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
١٤. البيان الشافي عما تحمله الكافل في علم الأصول، حسين محمد قبلي، مطابع الفضل، صنعاء، ١٩٩٤م.
١٥. التحف شرح الزلف، مجد الدين بن محمد المؤيدي، موسوسة أهل البيت، ط/١، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
١٦. تفسير النصوص في الفقه الإسلامي، د. محمد اديب صالح، المكتب الإسلامي، بيروت، ط/٤، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
١٧. جلاء الأبصار لذوي العقول الموصل إلى نيل معرفة تبصرة العقول، الحسين بن يحيى بن علي المؤيدي، (مخطوط).
١٨. الجواهر والدرر في سيرة سيد البشر، وأصحابه العشرة الغرر، والأئمة المنتخبين الزهر، احمد بن يحيى المرتضى، ت ٨٤٠هـ، (مخطوط).
١٩. الحاوي لحقائق الأدلة الفقهية وتقرير القواعد القياسية في الأصول الفقهية، الإمام يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم "المنصور بالله"، ت ٧٤٩هـ، (مخطوط).
٢٠. الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية، حسام الدين حميد بن احمد المحلي، (مخطوط)، مصور بالا فست من مكتبة السيد علي بن يوسف المؤيدي، صنعاء.

٢١. الدراري المضيئة في شرح الفصول اللؤلؤية، العلامة: صلاح بن احمد المهدي المؤيدي، ت ١٠٤٨هـ، (مخطوط) .
٢٢. الروض الأغن في معرفة المؤلفين باليمن ومصنفاتهم في كل فن، عبد الملك احمد قاسم حميد الدين، فهرست مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٥ هـ .
٢٣. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، ت ٢٧٥هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت .
٢٤. سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث أبو داود السجستاني الازدي، ت ٢٧٥ هـ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر .
٢٥. سنن الترمذي، محمد بن عيسى الترمذي السلمي، ت ٢٧٩هـ، تحقيق احمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
٢٦. سنن الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن أبو بكر محمد الدارمي، ت ٢٥٥هـ، تحقيق: فواز احمد وخالد السبع، دار الكتاب العربي، بيروت، ط/١، ١٤٠٧ هـ .
٢٧. السنن الكبرى للبيهقي، احمد بن الحسين بن علي بن موسى أبو بكر البيهقي، ت ٤٥٨هـ، تحقيق: عبد القادر عطا، مكتبة دار ألباز، مكة المكرمة، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م .
٢٨. شرح الفصول اللؤلؤية (نظام الفصول) للعلامة: الحسن بن احمد الجلال، ت ١٠٤٨ هـ، (مخطوط) .
٢٩. شفاء غليل السائل عما تحمله الكافل، علي بن صلاح بن علي بن محمد الطبري اليمني، مكتبة اليمن الكبرى، ط/١، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .
٣٠. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، ت ٢٥٦هـ، تحقيق د . مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير - اليمامة، بيروت، ط/٣، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

٣١. صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن احمد أبو حاتم التميمي ألبستي، ت ٣٥٤هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط/٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .
٣٢. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، ت ٢٦١هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
٣٣. صفوة الاختيار في أصول الفقه، الإمام عبد الله بن حمزة بن سليمان، تحقيق إبراهيم الدرسي، وهادي الحمزي، مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية، اليمن أصعدة، ط/١، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م .
٣٤. الطراز المذهب فيما تقرر من علم الأصول والفرع في المذهب، القاضي الحسين بن ناصر المهلا الشريفي، ت ١١١١هـ، (مخطوط) .
٣٥. فتح الباري، احمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، ت ٨٥٢هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ومحب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ .
٣٦. الفصول اللؤلؤية، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن عبد الله الهادي الوزير، ت ٩١٤هـ، تحقيق محمد يحيى سالم عزان، مركز التراث والبحوث اليمني، ط/١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .
٣٧. الفواصل شرح بغية الأمل في نظم الكافل، العلامة إسماعيل بن محمد بن إسحاق، (مخطوط) .
٣٨. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ت ٨١٧هـ .
٣٩. الكاشف لذوي العقول عن وجوه معاني الكافل بنيل السؤال، العلامة احمد بن محمد لقمان، ت ١٠٣٩هـ، تحقيق: عبد الكريم جدبان، مكتبة التراث الإسلامي، اليمن، ط/٢، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م .
٤٠. كتاب العين، أبي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي، ت ١٧٥هـ، تحقيق د . مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال .

٤١. المأمول من علم الأصول، د يوسف حمد الشراح، مجلس النشر العلمي، الكويت، ٢٠٠٣ م.
٤٢. المجزي في أصول الفقه، الإمام يحيى بن الحسين هارون الحسني "أبي طالب"، ت ٤٢٤هـ، (مخطوط).
٤٣. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، ت ٧٢١هـ، تحقيق: محمود خاطر، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م.
٤٤. مرقاة الوصول إلى علم الأصول، الإمام القاسم بن محمد بن علي، ت ١٠٠٦هـ، تحقيق محمد يحيى سالم عزان، دار التراث ايمني، صنعاء، ط/١، ١٩٩٢ م.
٤٥. مرقاة الوصول إلى فهم معنى معيار العقول، السيد داوود الهادي بن احمد بن المهدي بن الإمام الهادي، ت ١٠٣٥هـ، (مخطوط).
٤٦. المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، ت ٤٠٥هـ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩٠ م.
٤٧. المصنف في أصول الفقه، احمد بن محمد بن علي الوزير، ت ١٣٧٢هـ، دار الفكر، دمشق، إعادة طبعة ٢٠٠٢ م.
٤٨. المعجم الوجيز (مجمع اللغة العربية المركز العربي للثقافة والعلم)، بيروت، لبنان، ١٩٨٠ م.
٤٩. المعجم الوسيط (مجمع اللغة العربية)، مطابع المعارف القاهرة، إخراج إبراهيم مصطفى وآخرون، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ م.
٥٠. مغني ذوي العقول إلى معرفة الأصول، علي بن صلاح الطبري، تحقيق: محمد يحيى سالم عزان، دار التراث، صنعاء، ط/٢.
٥١. المنع في أصول الفقه، يحيى بن المحسن بن محفوظ (يحيى الداعي)، (مخطوط).

٥٢. المناهج الأصولية في الاجتهاد بالرأي في التشريع الإسلامي، د فتحي الدر يني، الشركة المتحدة للتوزيع، ط/٢، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
٥٣. منهاج الوصول إلى معيار العقول في علم الأصول، ابن المرتضى احمد بن يحيى (الإمام المهدي)، ت ٨٤٠هـ، تحقيق د احمد علي مطهر المأخذي، دار الحكمة اليمانية، ط/١، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م .
٥٤. النقول في علم الأصول، عبد الله محمد المنصور، مكتبة اليمن الكبرى، صنعاء، ١٩٨٧م .
٥٥. هداية العقول إلى غاية السؤل "المشهور بالغاية"، الحسين بن القاسم بن محمد، ت ١٠٥٠هـ، المكتبة الإسلامية، ط/٢، ١٤٠١هـ .

جهود المحدثين في تقرير عقيدة السلف والدفاع عنها

الدكتور / يحيى بن عبدالله الأسدي



(AUST)

جهود المحدثين في تقرير عقيدة السلف والدفاع عنها

مقدمة :

الحمد لله الذي بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل في كتاب مبين .

وصلى الله على سيد الأولين والآخرين خاتم رسله محمد الأمين وعلى آله الطيبين وصحابته الأكرمين .

وبعد :

فقد كان للمحدثين جهود عظيمة في حفظ السنة وتدوينها وتعليمها ونشرها ، والمحافظة عليها من التحريف والتغيير والتبديل والزيادة والنقصان ، فقد نقلوا السنة وفق ضوابط علمية صارمة وقواعد متينة شهد بفضلها الموافق والمخالف ، فجزاهم الله عن الأمة خيراً في حفظ دينها وشريعتهما .

وهذا البحث المتواضع يسלט الضوء على جهودهم في تدوين كتب العقيدة السلفية والدفاع عنها ، أحببت أن أبين من خلاله فضلهم وجزيل عملهم ونفعهم ونصيحتهم ومكانتهم الدين ، والله الموفق والمعين .

خطة البحث :

هذا البحث يحتوي على ستة مباحث مترابطة وخاتمة:

المبحث الأول : مصطلحات ومفاهيم.

المبحث الثاني : الحديث النبوي مكانته وفضله وشرف حمله ونقله.

المبحث الثالث : جهود المحدثين في حفظ السنة .

المبحث الرابع : الفرق البدعية الكبرى المخالفة للسلف .

المبحث الخامس : أصول الاعتقاد الكبرى ، وبيان مخالفة أهل الأهواء أهل السنة فيها .

المبحث السادس : جهود المحدثين في تدوين العقيدة والرد على المخالفين، وبيان أهم

الكتب المؤلفة في ذلك في القرون الخمسة الأولى .

خاتمة : وفيها أهم النتائج .

المبحث الأول : مصطلحات ومفاهيم**التعريف بـ (الحديث) و (السنة) و (العقيدة) و (السلف) :**

الحديث لغة : ضد القديم .

و اصطلاحاً : ما أُضيف إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، أو صفة .

و علم الحديث : هو العلم المتعلق بحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم روايةً ، ودرايةً .

و المحدث : هو المشتغل بالحديث روايةً ودرايةً^(١) .

تعريف السنة :

السنة لغة : السيرة والطريقة حسنة كانت أو قبيحة^(٢) .

و السنة اصطلاحاً : لها عدة معاني بحسب تنوع العلوم الشرعية واختلافها :

١ . فالسنة عند (الأصوليين) : ما صدر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير القرآن^(٣) .

٢ . وعند (الفقهاء) يراد بها : ما فعله ثواب وليس في تركه عقاب .

٣ . السنة عند المحدثين لها عدة معاني :

قال ابن تيمية رحمه الله : السنة هي ما سنه الرسول وما شرعه . فقد يراد به ما سنه وشرعه من العقائد ، وقد يراد به ما سنه وشرعه من العمل ، وقد يراد به كلاهما^(٤) .

تضمن كلامه رحمه الله ثلاث معاني :

(١) قواعد التحديث ٣٠/١ .

(٢) تاج العروس شرح القاموس ٢٣٠/٣٥ ، جمهرة اللغة ٤٥/١ .

(٣) مذكرة في أصول الفقه للشنقيطي ص ٢٦ .

(٤) مجموع الفتاوى ٣٠٧/١٩ .

أ . كل ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير .. وهذا المعنى يرادف معنى (الحديث) ؛ ولهذا يقال : كتب (السنة) أو كتب (الحديث) كالجوامع والمصنفات والمسانيد وغيرها من (كتب السنة) .

ب . ما يتعلق بالاعتقاد خاصة ومنه كتب (السنة) الآتي ذكرها في هذا البحث .

ج . ما يتعلق بالعمل ، ومنه كتب (السنن) كالسنن الأربعة وغيرها . وفي بحثنا هذا قد نريد بلفظ (السنة) المعنى الأول الشامل ، وقد يراد به المعنى الثاني المختص بالعقيدة والسياق يحدد ذلك .

تعريف العقيدة لغة:

العقيدة لغة : من (العَقَد) وهو الربط والشد بقوة ، ومنه الإحكام والإبرام ، والتماسك والمراسة ، والإثبات والتوثق . ويطلق على العهد وتأکید اليمين (عَقْدٌ) . وما عقد الإنسان عليه قلبه جازماً به فهو (عقيدة)^(٥) . وقد تكون صحيحة وقد تكون باطلة .

والعقيدة الإسلامية في الاصطلاح :

الإيمان الجازم بالله ، وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ، والإيمان بملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، والقدر خيره وشره ، ويكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره ، وما أجمع عليه السلف الصالح ، والتسليم لله تعالى في الحكم والأمر والقدر والشرع ، ورسوله - صلى الله عليه وسلم - بالطاعة والتحكيم والاتباع^(٦) .

التعريف بـ (السلف) :

السلف في اللغة : ما مضى وتقدم . يقال : سَلَفَ الشيءُ سلفاً : أي مضى . والسلف : الجماعة المتقدمون .

(٥) انظر : لسان العرب (عقد) ٣ / ٢٩٥ - ٣٠٠ والقاموس المحيط (عقد) ١ / ٣٢٧ - ٣٢٨ .

(٦) (الإيمان بالله) لمحمد بن إبراهيم الحمد ص ٢ .

وفي الاصطلاح : الصحابة والتابعون وتابعوهم من القرون المفضلة من الأئمة الأعلام المشهور لهم بالإمامة والفضل والاتباع. ولهذا سمي الصدر الأول بـ (السلف الصالح) (٧).

أهل السنة والجماعة :

قال ابن تيمية رحمه الله: (أهل السنة والجماعة، هم سلف الأمة وأئمتها، ومن تبعهم بإحسان) (٨). فأهل السنة والجماعة هم المتصفون باتباع السنة ومجانبة محدثات الأمور والبدع في الدين . ويُسمون أهل الحديث : وهم الآخذون بسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، والمتبعون لهديه - صلى الله عليه وسلم - ظاهراً وباطناً . فأهل السنة كلهم أهل حديث على هذا المعنى. وقد ذكر اللالكائي طائفةً من علماء الأمة ممن وصفهم بـ (بالإمامة في السنة، والدعوة، والهداية إلى طريق الاستقامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إمام الأئمة) (٩).

فممن ذكرهم من الصحابة:

أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان، وعلي، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، وعبدالرحمن بن عوف، وعبد الله بن مسعود، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وابن عباس، وابن عمر، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعبد الله بن الزبير، وزيد بن ثابت، وأبو الدرداء، وعبادة بن الصامت، وأبو موسى الأشعري، وعمران بن حصين، وعمار بن ياسر، وأبو هريرة، وحذيفة بن اليمان، وعقبة بن عامر الجهني، وسلمان، وجابر، وأبو سعيد الخدري .

وممن ذكرهم من التابعين من أهل المدينة :

سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، والقاسم بن محمد بن أبي بكر، وسالم بن عبد الله بن عمر، وسليمان بن يسار، ومحمد بن الحنفية، وعلي بن الحسين بن علي،

(٧) الوجيز في عقيدة السلف الصالح عبد الله بن عبد الحميد الأثري ص ١٥ .

(٨) مجموع الفتاوى (٢٤١/٢٤) .

(٩) تأمل وصف اللالكائي لهم بـ (الإمامة ، والسنة ، والدعوة ، والاستقامة)، وقد جعل من هؤلاء الأئمة (زيد بن علي بن الحسين) وآخرين من أهل البيت، ومنه تعرف مكانة هذا الإمام عند أهل السنة، وأن ما ينسب إليه من الاعتزال باطل.

وابنه محمد بن علي بن حسين، وعمر بن عبد العزيز، وكعب بن ماتع الأحبار،
وزيد بن أسلم .

ومن الطبقة الثانية من أهل المدينة:

محمد بن مسلم الزهري ، وربيعة بن أبي عبد الرحمن، وعبد الله بن يزيد بن
هرمز، وزيد بن علي بن الحسين، وعبد الله بن حسن، وجعفر بن محمد الصادق .

ومن الطبقة الثالثة من أهل المدينة:

أبو عبد الله مالك بن أنس الفقيه، وعبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون.
ومن بعدهم :

ابنه عبد الملك بن عبد العزيز، وإسماعيل بن أبي أويس، وأبو مصعب أحمد بن
أبي بكر الزهري.

ومن أهل مكة أو من يعد منهم :

عطاء، وطاوس، ومجاهد، وابن أبي مليكة .

ومن بعدهم في الطبقة :

عمرو بن دينار، وعبد الله بن طاوس ، ثم ابن جريج ، ونافع بن عمر الجمحي،
وسفيان بن عيينة، وفضيل بن عياض، ومحمد بن مسلم الطائفي، ويحيى بن
سليم الطائفي، ثم أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي الفقيه، ثم عبد الله بن
يزيد المقرئ، وعبد الله بن الزبير الحميدي رضي الله عنهم أجمعين .
ثم ذكر علماء آخرين من أهل الشام والكوفة ومصر وواسط وبغداد وخراسان
وغيرهم^(١٠).

(١٠) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة باختصار (١/ ٢٩) وتراجم هؤلاء الأعلام معروفة في كتب الرجال .

المبحث الثاني : الحديث النبوي مكانته وفضله وشرف حمله ونقله

بعث الله نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم إلى الناس كافة بشيراً ونديراً، وداعياً إلى الله يآذنه وسراجاً منيراً، قال تعالى : (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمَّا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (١١).

فأوجب الله بعد الإيمان به الطاعة له والاتباع .

وقد ورد الأمر بطاعته صلى الله عليه وسلم مقترنا بطاعة الله تعالى في القرآن الكريم صراحة في مواضع كثيرة منها :

قوله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (١٢).

وقوله تعالى : (مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) (١٣).

وقوله تعالى : (قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) (١٤).

وقوله تعالى : (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) (١٥).

وقوله تعالى : (وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا) (١٦).

(١١) الأعراف آية ١٥٧ .

(١٢) النساء آية ٥٩ .

(١٣) النساء آية ٨٠ .

(١٤) آل عمران آية ٣٢ .

(١٥) التغابن ١٢ .

(١٦) النساء ١١٣ .

وقوله مخاطباً نساء النبي: (وَأَذْكُرُنَّ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا)^(١٧). وقد فسر العلماء (الحكمة) بأنها سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . قال الإمام الشافعي: (ذكر الله الكتاب وهو القرآن، وذكر الحكمة، فسمعت من أَرْضَى من أهل العلم بالقرآن يقول: الحكمة سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)^(١٨). وفى الحديث: (ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه)^(١٩) . فالإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم والشهادة له بالرسالة شرطُ صحة الإسلام، وشطر كلمة التوحيد (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله) . والسنة جاءت مؤكدة لما في القرآن، ومفسرة له، تفصل مجمله، وتقيد مطلقه، وتخصص عامة، كما أنها جاءت بأحكام جديدة^(٢٠). ولقد أمرنا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالتمسك بما جاء عنه والعض عليه بالنواجذ فقال: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى، عضوا عليها بالنواجذ ...) ^(٢١) ودعا لمن حفظها وبلغها بالثواب العظيم فقال: (نضر الله امرأ سمع مقالتي فوعاها وحفظها، وبلغها، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهم قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم فإن دعوتهم تحيط من ورائهم) . وفى رواية: (فرب مبلغ أوعى من سامع) . قال الترمذي: (حديث حسن صحيح)^(٢٢) . قال الرامهرمزي في التعليق على هذا الحديث: (ويحتمل معناه وجهين: أحدهما: يكون في معنى ألبسه الله النضرة، وهى الحسن، وخلوص اللون؛ فيكون تقديره جملة الله زينة الوجه .

(١٧) الأحزاب ٣٤ .

(١٨) الرسالة ص ٧٨ .

(١٩) رواه أبو داود (٣٢٨/٤) رقم ٤٦٠٦ .

(٢٠) انظر: كتاب (السنة النبوية ومكانتها في التشريع الاسلامي لمصطفى السباعي رحمه الله .

(٢١) الترمذي (٤٤/٥) رقم ٢٦٧٦ .

(٢٢) الترمذي (٣٤/٥) رقم (٢٦٥٨) وابن ماجه (٢٣٠/١) عن ابن مسعود رضي الله عنه .

والثاني: أن يكون في معنى : أوصله الله إلى نضرة الجنة، وهى نعمتها، ونضارتها لقوله تعالى: (تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ) (٢٣)، قوله سبحانه: (وَلَقَاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا) (٢٤).

نظم هذا المعنى إبراهيم بن عبد القادر الرياحى التونسى في قوله:

أهل الحديث طويلة أعمارهم ووجوههم بدعا النبي منضرة
وسمعت من بعض المشايخ أنهم أرزاقهم أيضاً به متكثرة
وعلم الحديث (السنة) هو الميراث النبوي العظيم، وأهل الحديث هم أسعد
الناس بهذا الميراث. قال ابن الوزير رحمه الله:

العلم ميراث النبي كذا أتى في النصّ والعلماء هم وراثته
فإذا أردت حقيقة تدرى لمن وراثته فكرت ما ميراثه
ما ورث المختار غير حديثه فينا، وذاك متاعه وأثاثه
فلنا الحديث وراثته نبويةً ولكل محدث بدعةٍ إحداثه

ولهذا كان علم الحديث أجل العلوم بعد علوم القرآن ، وطلبه والانشغال به من أفضل العبادات والأعمال .

قال سفيان الثوري : (ما من عمل أفضل من طلب العلم إذا صحت النية) (٢٥) .
وقال ابن المبارك : (ما أعلم شيئاً أفضل من طلب الحديث لمن أراد به الله) (٢٦) .
قال الإمام الشافعي : (من حفظ الفقه عظمت قيمته، ومن تعلم الحديث قويت حجته، ومن تعلم الشعر والعربية رق طبعه، ومن تعلم الحساب جزل رأيه، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه) (٢٧) .

(٢٣) المطففين آية ٢٤ .

(٢٤) الإنسان آية ١١ ، وانظر : المحدث الفاضل ١٦٧ .

(٢٥) جامع بيان العلم وفضله ص ٢٥ .

(٢٦) المدخل للسنن الكبرى (٣٧٢/١) .

(٢٧) مناقب الشافعي ١٥٠/٢ ، جامع بيان العلم ٢٥١/١ .

وعلم الحديث (من العلوم الأخروية، والنجاة لمن تمسك به من كل بلية، والعصمة لمن التجأ إليه، والهدى لمن استهدى به وعول عليه، وأهله حفاظ الشريعة من الأعداء، وحارسها ممن يريد التمرد والشقاء، ولولاهم لاضمحل الدين، وكان عرضة لتلاعب المتمردين، وهم عدول هذه الأمة، والكاشفون عنها كل غمة، وخلفاء النبي - عليه السلام - وأهله الخاصون به من الأنام، وكفاهم شرفاً أنهم أكثر الناس صلاة على حبيبه المصطفى، وقد اشتهروا بطول الأعمار، والتجربة مصدقة لذلك في سائر الأعصار، ودعا لهم النبي بالرحمة والنضارة، وبشرهم بالجنة بأجل معاني البشارة^(٢٨). قال الحافظ ابن الوزير اليماني رحمه الله عن علم الحديث الشريف : (فإنه علم الصدر الأول . والذي عليه بعد القرآن المعول، وهو لعلوم الإسلام أصل وأساس، وهو المفسر للقرآن بشهادة (لتبين للناس)^(٢٩)، وهو الذي قال الله فيه تصريحاً (إن هو إلا وحي يوحى)^(٣٠) وهو الذي وصفه الصادق الأمين بمماثلة القرآن المبين حيث قال في التوبيخ لكل مترف إمعه (إنني أوتيت القرآن ومثله معه)^(٣١) وهو العلم الذي لم يشارك القرآن سواه في الإجماع كفر جاحد المعلوم من لفظه ومعناه.

وهو العلم الذي إذا تجاشت الخصوم للركب، وتفاوتت العلوم في الرتب، أصمت مرتان نوافله كل مناضل، وأصمت برهان معارفه كل فاضل. وهو العلم الذي ورثه المصطفى المختار والصحابة الأبرار، والتابعون الأخيار. وهو العلم الفائضة بركاته على جميع أقاليم الإسلام، الباقية حسناته في أمة الرسول عليه السلام. وهو العلم الذي صانه الله من عبادات الفلاسفة وتقيدت عن سلوك مناهجه فهي راسفة، في الغلاء آسفة . وهو العلم الذي جلى الإسلام به في ميدان الحجة

(٢٨) الرسالة المستطرفة ص ٢ .

(٢٩) يشير إلى آية النحل : ٤٤ .

(٣٠) سورة النجم آية ٤ .

(٣١) الحديث الذي أشار إليه رواه أحمد ١٣١/٤ ، وأبو داود ١٠/٥ وإسناده صحيح .

وصلّى^(٣٢)، وتحمل ببديح ملابس من صام لله وصلّى. وهو العلم الفاضل حين تلجج الألسنة بالخطاب، الشاهد له بالفضل رجوع عمر بن الخطاب. وهو العلم الذي تفجرت منه بحار العلوم الفقهية، والأحكام الشرعية، وتزينت بجواهره التفاسير القرآنية، والشواهد النحوية، والدقائق الوعظية.

وهو العلم الذي يسلك بصاحبه نهج السلامة ويوصله إلى دار الكرامة، والسارب في رياض حدائق نهج السلامة ويوصله إلى دار الكرامة، والساري في رياض حدائق الشارب من حياض حقائقه، عالم بالسنة، ولابس من كل صوف جنة وسالك منهاج الحق إلى الجنة. وهو العلم الذي يرجع إليه الأصولي، وإن برز في علمه، والفقيه، وإن برز في ذكائه وفهمه، والنحوي وإن برز في تجويد لفظه، واللغوي وإن اتسع في حفظه، والواعظ البصر، والصوفي والمفسر؛ كلهم إليه راجعون، ولرياضه منتجعون^(٣٣). وقال الصنعاني فيه: (علم قديم الفضل، شريف الأصل، دل على شرفه العقل والنقل... ولا ريب أن علم الحديث من أشرف العلوم وأفضلها؛ لأنه ثاني أدلة علوم الإسلام، ومادة علوم الأصول والأحكام، لا يرغب في نشره إلا كل صادق تقي، ولا يزهّد في نصره إلا كل منافق شقي)^(٣٤).

وقال الشوكاني: (اعلم أن أعظم العلوم فائدة، وأكثرها نفعاً، وأوسعها قدراً، وأجلها خطراً، علم السنة المطهرة؛ فإنه الذي تكفل ببيان الكتاب العزيز ثم استقل بما لا ينحصر من الأحكام)^(٣٥).

قال الخطيب البغدادي في الثناء على أهل الحديث وبيان شرفهم وفضلهم: (وقد جعل الله تعالى أهله أركان الشريعة، وهدم بهم كل بدعة شنيعة فهم أمناء الله من خليقته، والواسطة بين النبي وأمته، والمجتهدون في حفظ ملته، وأنوارهم

(٣٢) المجلي: هو الذي يأتي من الخيل في السباق أولاً، والمصلّى: هو الذي يأتي في السباق ثانياً وصيغة الماضي منهما (جلى،

وصلّى) انظر: الزاهر في معاني كلمات الناس ١١٩/١.

(٣٣) الروض الباسم ص ٤.

(٣٤) توضيح الأفكار (١١/١، ١٢، ١٣).

(٣٥) أدب الطلب ص ١٤٩.

زاهرة، وفضائلهم سائرة، وآياتهم باهرة، ومذاهبهم ظاهرة، وحججهم قاهرة، وكل فئة تتحيز إلى هوى ترجع إليه، أو تستحسن رأياً تعكف عليه سوى أصحاب الحديث، فإن الكتاب عدتهم، والسنة حجتهم، والرسول فنتهم، والله نسبتهم، لا يعرجون على الأهواء، ولا يلتفتون إلى الآراء، يقبل منهم ما رووا عن الرسول، وهم المأمونون عليه، والعدول حفظة الدين وخرنثة، وأوعية العلم وحملته، إذا اختلف في حديث كان إليهم الرجوع، فما حكموا به فهو المقبول المسموع، ومنهم كل عالم وفقية، وحام رفيع نبيه، وزاهد في قبيلة، ومخصوص بفضيلة، وقارئ متقن، وخطيب محسن، وهم الجمهور العظيم، وسبيلهم السبيل المستقيم، وكل مبتدع باعتقادهم يتظاهر، وعلى الإفصاح بغير مذاهبهم لا تجاهر، من كادهم قصمه الله، ومن عاندهم خذله الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا يفلح من اعتزلهم، والمحطات لدينه إلى إرشادهم فقير، وبصر الناظر بالسوء إليهم حسير، وإن الله على نصرهم لقدير^(٣٦). وكلام أهل العلم في الثناء على علم الحديث وأهله كثير في هذا الباب^(٣٧).

(٣٦) شرف أصحاب الحديث ص ٨.

(٣٧) انظر: قواعد التحديث للقاسمي ٣١٠/١، (فضائل الحديث والمحدثين) ليدر عبد الحميد هميسه .

المبحث الثالث: جهود المحدثين في حفظ السنة

حظيت السنة باهتمام بالغ قبل الصحابة والتابعين ومن تبعهم من المسلمين، ويتجلى ذلك الاهتمام من خلال حرصهم على سماع حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وحضور مجالسه، والاتساء به ومتابعته في كل صغيرة وكبيرة من أقواله وأفعاله بصورة دقيقة متناهية، وتعليمها، والعمل بها في جميع شؤون حياتهم .

ومع وجود عدد من كتاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذين كانوا يكتبون الوحي وغيره من الرسائل والمواثيق إلا أنهم لم يكونوا يكتبون حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل اعتمد الصحابة على حفظ الصدر، ساعدهم في سهولة حفظها والمحافظة عليها ما جبلهم الله عليه من قوة الحافظة التي اشتهر بها العرب ونقلوا بها كل مآثرهم وأخبارهم وأشعارهم وغيرها كما هو معلوم . وقد وردت نصوص تنهى عن كتابة الحديث، وأخرى تبيح الكتابة .

فمن الأحاديث التي فيها النهي عن الكتابة :

١ . حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً : (لَا تَكْتُبُوا عَنِّي وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهِ وَحَدِّثُوا عَنِّي وَلَا حَرَجَ وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) (٣٨) .

٢ . حديث أبي هريرة رضي الله قال : كُنَّا قُعُودًا نَكْتُبُ مَا نَسْمَعُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَرَجَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: مَا هَذَا تَكْتُبُونَ ؟ فَقُلْنَا : مَا نَسْمَعُ مِنْكَ، فَقَالَ : أَكْتَابَ مَعَ كِتَابِ اللَّهِ ؟ فَقُلْنَا : مَا نَسْمَعُ، فَقَالَ : أَكْتَابَ غَيْرُ كِتَابِ اللَّهِ امْحِضُوا كِتَابَ اللَّهِ، وَأَخْلِصُوا قَال : فَجَمَعْنَا مَا كَتَبْنَا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ أَحْرَقْنَاهُ بِالنَّارِ، قُلْنَا : أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتَ حَدِّثُ عَنْكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ تَحَدِّثُوا عَنِّي وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ (٣٩) .

(٣٨) صحيح مسلم ٢٢٩٨/٤ رقم (٣٠٠٤) .

(٣٩) أحمد (١٢/٣) .

ومن الأحاديث التي فيها السماح بالكتابة :

- ١ . عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أُرِيدُ حِفْظَهُ فَنَهَيْتَنِي قُرَيْشٌ وَقَالُوا أَتَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرُّضَا فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَوْمَأَ بِأُصْبُعِهِ إِلَيَّ فِيهِ فَقَالَ: (اَكْتُبْ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ)^(٤٠) .
- ٢ . وعن أبي هريرة قال : (مَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَدٌ أَكْثَرَ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي إِلَّا مَا كَانَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، فَإِنَّهُ كَانَ يَكْتُبُ، وَلَا أَكْتُبُ)^(٤١) .

وبالنظر في الأحاديث الواردة في النهي والإباحة نجد أن الأحاديث الواردة في النهي لم يصح منها إلا حديث أبي سعيد رضي الله عنه المخرج عند الإمام مسلم، وأما الأحاديث الأخرى فلا تصلح للحجة، وكانت الأحاديث الواردة في الإباحة أكثر عدداً وأصح سنداً^(٤٢) .

وقد فسر النهي عن كتابة الحديث بأن ذلك خشية اختلاطه بالقرآن الكريم الذي لم يكن جمع بعد، وكذلك خشية انشغال المسلمين بالحديث عن القرآن وهم حديثو عهد به .

وذهب بعض العلماء إلى أن أحاديث النهي منسوخة بأحاديث السماح بالكتابة، وممن ذهب إلى ذلك ابن قتيبة الدينوري، والخطابي، ومن المعاصرين أحمد شاكر^(٤٣) .

لهذا لم يكن الحديث مكتوباً بصورة شاملة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم.

(٤٠) أبوداود (٣٥٦/٣) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم (١٥٣٢) .

(٤١) البخاري (٣٩/١) رقم (١١٣) .

(٤٢) كتابة الحديث النبوي بين النهي والإذن ص (٣٨) .

(٤٣) انظر : بحوث في تاريخ السنة ص (٢٩١) .

فلما كان عصر التابعين وجدت الحاجة لحفظ العلم وكتابة السنة خوف ضياع بعضها بموت أهلها، وممن تنبه على ذلك الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز رحمه الله (ت ١٠١) فقد كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم: (انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكتبه؛ فإني خفنت دروس العلم وذهاب العلماء، ولا تقبل إلا حديث النبي صلى الله عليه وسلم، ولتفشوا العلم، ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم؛ فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً^(٤٤)). وقد كان لمحمد بن مسلم بن شهاب الزهري^(٤٥) جهد عظيم في جمع السنة في ذلك الوقت، فقد روي عنه أنه قال: (لم يدون هذا العلم أحد قبل تدويني)^(٤٦). وقال الإمام مالك بن أنس: (أول من دون العلم ابن شهاب)^(٤٧). وقد نبغ بعد الإمام الزهري كثير من العلماء الأجلاء، وبعضهم ممن أخذ عنه الحديث، فصنفوا المصنفات الأولى في الحديث التي تعد باكورة المصنفات الحديثية. قال ابن حجر: (ثم حدث في أواخر عصر التابعين تدوين الآثار، وتبويب الأخبار، لما انتشر العلماء في الأمصار، وكثر الابتداع من الخوارج والروافض ومنكري الأقدار، فأول من جمع ذلك الربيع بن صبيح، وسعيد بن أبي عروبة، وغيرهما وكانوا يصنفون كل باب على حدة. إلى أن قام كبار أهل الطبقة الثالثة فدونوا الأحكام: فصنف الإمام مالك الموطأ وتوخي فيه القوي من حديث أهل الحجاز ومزجه بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين ومن بعدهم، وصنف أبو محمد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح بمكة، وأبو عمر وعبد

(٤٤) البخاري (٣٦/١) رقم (٣٤).

(٤٥) محمد بن مسلم بن عبد الله بن عبد الله بن شهاب بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة القرشي الزهري الفقيه أبو بكر الحافظ المدني أحد الأئمة الاعلام وعالم الحجاز والشام (ت ١٢٣ وقيل بعدها). قال ابن عيينة عن عمرو ابن دينار: ما رأيت انص للحديث من الزهري. وقال الليث عن جعفر بن ربيعة قلت لعراك بن مالك: من أفقه أهل المدينة؟ فذكر سعيد بن المسيب، وعروة، وعبد الله بن عبد الله. قال عراك: وأعلمهم عندي جميعا ابن شهاب لأنه جمع علمهم إلى علمه. قال عمر بن عبد العزيز لجلسائه: لم يبق أحدا علم بسنة ماضية منه. انظر ترجمته في: سير اعلام النبلاء (٤٠٨/٩)، تهذيب التهذيب (٣٩٨/٩).

(٤٦) الرسالة المستطرفة ص ٣.

(٤٧) تاريخ ابن أبي خيثمة ٢٥٠/٤.

الرحمن بن عمر والأوزاعي بالشام، وأبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري بالكوفة، وأبو سلمة حماد بن سلمة بن دينار بالبصرة، ثم تلاهم كثير من أهل عصرهم في النسج على منوالهم^(٤٨).

وقد استمر التأليف والعناية بالسنة في القرن الثاني والثالث وما بعدها وتنوعت المصنفات، وتفنن العلماء فيها، وتأسس علم الرجال، وما تضمنه من قواعد الجرح والتعديل، وغير ذلك علوم الرواية والدراية ما يعد مفخرة من مفاخر المسلمين، ومظهراً من مظاهر الحضارة الإسلامية الراقية. ومن هذه الكتب المهمة المتعلقة بالرواية:

١ . كتب الصحاح : وهي الكتب التي التزم أصحابها إخراج الحديث الصحيح، وأشهر هذه الكتب : صحيح البخاري (ت ٢٥٦)، وصحيح مسلم (ت ٢٦١) وصحيح ابن خزيمة (ت ٣١١)، وصحيح ابن حبان البستي (ت ٣٥٤) .

٢ . المستخرجات على الصحيحين أو أحدهما : والاستخراج : أن يعتمد محدث لأحد الكتب الحديثية المسندة فيخرج حديثها لنفسه من غير طريق صاحب الكتاب، ملتقياً بشيخ صاحب المصنف المستخرج عليه أو من فوقه، ولو في الصحابي، مع رعاية ترتيبه، ومتونه، وطرق أسانيد. ويسمى ذلك الكتاب بـ (المستخرج)^(٤٩)، وله فوائد حديثية وفقهية عديدة، منها: الزيادة في الصحيح. ومن أشهر هذه المستخرجات : مستخرج الإسماعيلي (ت ٣٧١)، ومستخرج أبي عوانة الأسفرائيني (ت ٣١٦)، ومستخرج البرقاني (ت ٤٢٥) .

٣ . كتب السنن : وهي الكتب المرتبة على الأبواب الفقهية من الإيمان، والطهارة والصلاة والزكاة إلى آخرها، وليس فيها شيء من الموقوف^(٥٠). وقد ذكر الكتاني خمسة وعشرين كتاباً من كتب السنن^(٥١)، وأشهر كتب (السنن) :

(٤٨) هدي الساري ٦/١ .

(٤٩) تدريب الراوي ١١٢/١ .

(٥٠) الرسالة المستطرفة ص ٣٢ .

(٥١) المصدر السابق ص ٣٢ .

- سنن أبي داود السجستاني (ت ٢٧٥)، وسنن الترمذي (ت ٢٧٩)، وسنن النسائي (ت ٣٠٣)، وسنن ابن ماجه (ت ٢٧٣)، وهي المشهورة بالسنن الأربعة، وتسمى مع الصحيحين : الكتب الستة، وهي أمهات الكتب الحديثية وأصولها وأشهرها^(٥٢).
- ٤ . كتب السنة : وهي الكتب الحاضرة على اتباعها والعمل بها، وترك ما حدث بعد الصدر الأول من البدع والأهواء^(٥٣). ومنها : السنة للإمام أحمد (ت ٢٤١)، ولأبي داود (ت ٢٧٥)، ولابن أبي عاصم (ت ٢٨٧) وغيرها . وسيأتي مزيد تفصيل عن هذه الكتب في مبحث مستقل .
- ٥ . المصنفات والجوامع : وهي كتب مرتبة على أبواب الفقه، مشتملة على السنن والآثار، ومنها : مصنف حماد بن سلمة البصري (ت ١٦٧) . وجامع معمر بن راشد الأزدي (ت ١٥٣) . ومصنف وكيع بن الجراح الرؤاسي (ت ١٩٧) . ومصنف عبدالرزاق الصنعاني (ت ٢١١) . وتهذيب الآثار لأبي جعفر الطبري (ت ٣١٠) . وشرح معاني الآثار لأبي جعفر الطحاوي (ت ٣٢١) .
- ٦ . كتب المسانيد : المسانيد جمع مسند، وهي الكتب التي جعلت حديث كل صحابي على حدة، وهي كثيرة جداً، ومن أشهرها : مسند أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١) . ومسند مسدد بن مسرهد البصري (ت ٢٢٨) . ومسند أبي بكر الحميدي المكي (ت ٢١٩) . ومسند أبي بكر البزار (ت ٢٩٢) . ومسند أبي يعلى الموصلي (ت ٢٠٧) .
- ٧ . كتب التفسير : وهي كتب جمعت الروايات المسندة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والمنقولة عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم في تفسير القرآن، ومنها : تفسير عبدالرزاق الصنعاني (ت ٢١١) . وتفسير أبي جعفر الطبري (ت ٣١٠) . وتفسير ابن أبي حاتم (ت ٣٢٧) .
- ٨ . كتب المصاحف والقراءات .

(٥٢) المصدر السابق ص ١١ .

(٥٣) المصدر السابق ص ٣٨ .

٩. كتب الناسخ والمنسوخ من القرآن والحديث.
١٠. الكتب المفردة في مواضيع مخصوصة من الفقه، والآداب، والأخلاق، والترغيب والترهيب. وهذه الكتب بحر لا ساحل له، يصحب حصرها وذكر أفرادها، فمنها مؤلفات في الطهور خاصة، أو الصلاة، أو الزهد، أو الأموال، أو مكارم الأخلاق .
١١. كتب المراسيل.
١٢. الأجزاء الحديثية .
١٣. الفوائد الحديثية.
١٤. كتب الشمائل النبوية، والسير والمغازي.
١٥. كتب في جمع أحاديث شيوخ مخصوصين من المكثرين.
١٦. كتب الغرائب والأفراد.
١٧. كتب (الوحدانيات) و(الثنائيات) و (الثلاثيات) ونحوها. هذه لمحة مختصرة عن كتب (الرواية) في القرون الثلاثة الأولى، وقد تلتها بعد ذلك كثيرة من المؤلفات الحديثية، ككتب الأحكام، والكتب الموسوعية الجامعة، وكتب التخريج، وكتب الموضوعات، غيرها من الكتب المتفرعة عنها.
- وقد كان للمحدثين جهود كبيرة في (علم الرجال) وهو المتعلق بمعرفة رواية الحديث ومعرفة مراتبهم من جرحاً وتعديلاً وغير ذلك من العلوم المتعلقة بالحديث رواية ودراية مما لا يتسع المقام لذكرها.

المبحث الرابع: الفرق البدعية الكبرى المخالفة للسلف

بدأ ظهور الفرق المخالفة للسنة في القرن الأول الهجري، ثم زادت تلك الفرق وتفرعت وكثرت كثرة يصعب حصرها.

وأمهات هذه الفرق وأشهرها: ١. الخوارج ٢. الشيعة والروافض. ٣. الجهمية. ٤. المعتزلة. ٥. المرجئة. ٦. الجبرية. ٧. الباطنية. ٨. الكلابية. ٩. الصوفية. ١٠. الأشعرية والماتريدية . وهذا تعريف موجز بهذه الفرق:

(١) الخوارج

الخوارج: هم الذين يكفرون بالمعاصي، ويخرجون على أئمة المسلمين وجماعتهم. سموا بذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم وصفهم بأنهم يخرجون على حين فرقة من المسلمين، أو لأنهم يخرجون على أئمة المسلمين وعامتهم بالسيف.^(٥٤) وفرق الخوارج كثيرة، وقد تجاوزت العشرين فرقة ومن أشهرها: الأزارقة، والصّفرية، والتّجّادات، والإباضية. ويعتبر الخوارج من أول أهل الأهواء خروجاً عن السنة والجماعة^(٥٥).

(٢) الشيعة

من أول الفرق ظهوراً . وتطلق الشيعة على عدة فرق تنتسب إلى القبلة، وقد ذكر المقرئزي أن فرقهم بلغت (٣٠٠) فرقة^(٥٦). ويجمعها كلها الغلو في علي بن أبي طالب رضي الله عنه^(٥٧). وهذه الفرق منها الغالية، وقد عدّ الأشعري من الغالية خمسة عشر فرقة مثل: البيانية، والسبئية، والخطابية^(٥٨)، ومنها دون ذلك. ومن فرق الشيعة الغالية (الإمامية الاثنا عشرية) لقولهم بإمامة اثني عشر إماماً معصوماً. وهي الفرقة (الرافضة)^(٥٩). وهي من أشدّ الفرق غلواً وفساداً وحقداً على أهل السنة. ومن أقرب فرق الشيعة للسنة (الزيدية) ما عدا (الجارودية) منهم: فإنهم من غلاة الروافض.

(٣) الجهمية

^{٥٤} انظر: (الخوارج) لناصر لعقل ص ٢٨، مقالات الإسلاميين ص ١٦٧ . ٢١٢ .

^{٥٥} المصدر نفسه ص ٣١ .

^{٥٦} الخطط (٣١٥/٢) .

^{٥٧} تنبيه مهم : المذموم الغلو في علي بن أبي طالب رضي الله عنه أو الطعن فيه، وأما حبه وموالاته فهو من الإيمان كما يقول بذلك أهل السنة، وهذا بخلاف من ينسب إليهم جهلاً زوراً أنهم يكرهون علي بن أبي طالب وحاشاهم من ذلك.

^{٥٨} مقالات الإسلاميين ص ١ / ٦٥ .

^{٥٩} سموا بذلك لرفضهم إمامة زيد بن علي رضي الله عنه ومناصرته بسبب موقفه المشرف وعدم إجابتهم للطعن في الشيخين أبي بكر وعمر، والقصة مشهورة .

إحدى الفرق الكلامية التي تنتسب إلى الإسلام، وتنتسب إلى الجهم بن صفوان الترمذي صاحب مقالة التعطيل المتوفى سنة ١٢٨هـ.
ثم صار وصف الجهمية والتجهم للفرق التالية والتي يجمعها وصف (التعطيل) وهم ثلاث درجات:

١) الجهمية الغالية: النافون للأسماء والصفات .

٢) المعتزلة: يثبتون الأسماء وينفون الصفات.

٣) الكلابية والأشاعرة والماتريدية ومن شابههم ممن ينتسب للغة والحديث: يثبتون الأسماء وبعض الصفات ويأولون الباقي^(١٠).

(٤) المعتزلة

فرقة من أهل القبلية نشأت في أواخر العصر الأموي وفي أول العصر العباسي ولا سيما زمن المأمون وقد أطلق عليها أسماء مختلفة منها: القدرية، العدلية، الوعيدية.

(٥) المرجئة

عقيدة الإرجاء من المسائل المتعلقة بالإيمان وبيان حقيقته. وذلك أن السلف يعتقدون الإيمان قول وعمل. أي: قول القلب وعمله: كالحب والخوف والرجاء، والخشية، والإنابة والتقوى واليقين ونحوها. وقول اللسان: وهو النطق بالشهادة؛ ونحو ذلك من العبادات المتعلقة باللسان. وعمل الجوارح: من صلاة وصيام وغير ذلك. وهو شعب ودرجات، ينقص بالمعاصي ويزيد بالطاعات. (المرجئة) ليست فرقة مستقلة، وأن كانت محددة الأصول والمناهج لكن ليس لها مدارس وفرق كالخوارج والشيعة والجهمية والمعتزلة ونحوها؛ لذا نجدها موزعة في أول نشأتها بين طوائف من الفقهاء وأفراد من المحدثين، وفي الجهمية وبعض فرق المعتزلة والخوارج و الكرامية والصوفية وعليها أكثر الأشاعرة و الماتريدية إلى اليوم^(١١).

^{١٠} انظر الموسوعة الميسرة (٢/١٠٥٠).

^{١١} القدرية والمرجئة للعقل ص (٢٨ - ٨٥) وانظر: الموسوعة الميسرة (٢/١١٥٣).

(٦) الجبرية

القول بالجبر من الانحرافات العقدية المتعلقة بالقدر، وذلك أن الجبرية يعتقدون أن الله (جبر) العباد على أفعالهم، وأنه لا تأثير لهم في إيجادها، ونسبة الأفعال إليهم مجاز ليس بحقيقة. وأول من نسب إليه مقالة الجبر (الجعد بن درهم) وورثة الجهم بن صفوان على ذلك وبدعة (الجبرية) مقابلة لبدعة القدرية القائلين بخلق أفعال العباد وهم المعتزلة . وقد دخل القول بالجبر طوائف من الفرق الأخرى كالصوفية الغلاة، والأشاعرة ؛ إذ أن عقيدة الأشاعرة في مسألة الأسباب والمسببات نوعٌ من الجبر .

(٧) الباطنية

فرقة من الفرق المتسترة بالتشيع وحب آل البيت، وتضم عدة فرق متشعبة^(٦٢). وهي وإن كانت تنتسب إلى الإسلام ظاهراً فإنها في حقيقة الأمر مخالفة للإسلام ومناقضة له . قال عبدالقاهر الجرجاني: (ضرر الباطنية على فرق المسلمين أعظم من ضرر اليهود والنصارى والمجوس عليهم)^(٦٣). سميت الباطنية بذلك لأنها ترى أن لكل ظاهر باطناً، ولكل تنزيل تأويلاً، ويقصدون بـ (الظاهر) ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ويسمى بالتنزيل، ويقصدون بـ (الباطن) علم التأويل الخاص بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه. ومن أشهر فرق الباطنية : القرامطة، والإسماعيلية . والفاطمية، والنصيرية. والدروز . والبابية والبهائية.

(٨) الصوفية

فرقة بل فرق كثيرةٌ يجمعها منهجٌ وأصولٌ مشتركةٌ، ارتبط ذكرها بالمبالغة في الزهد والتقلل من الدنيا^(٦٤)، والرياضات والبدنية وسلوك منهج الرهبان في الدعوة إلى العزلة، والبعد عن العلائق الدنيوية. ولكل فرقة منها طقوس مميزة وعقائد وبدع متوارثة. وقد كان (التصوف) في أول ظهوره أقرب إلى الزهد

^{٦٢} تعتبر (الباطنية) من الفرق الشيعية الغالية، وبعض الباحثين لا يعدها من الفرق الإسلامية أصلاً .

^{٦٣} الفرق بين الفرق ص ٢٩٣، وانظر كلام شيخ الاسلام ابن تيمية في بيان كفرهم الفتاوى (١٨/٨١ - ٨٨)

المشروع، وتقل فيه الانحرافات، ثم ما لبث أن تطور الأمر حتى صار منهجاً له أصول وقواعد وآداب معينة وشطحات مخالفة للسنة .

(١١.٩) الكلابية والأشعرية والماثرية

هذه الفرق متقاربة في الاعتقاد، وهي من أشهر الفرق الكلامية.

أما (الكلابية) فهي نسبة لعبد الله بن سعيد بن كلاب (ت ٢٤٠). وأما (الأشعرية) فهي نسبة لأبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤). وأما (الماثرية) فهي نسبة لأبي منصور الماتريدي (٣٣٣). وتعتبر مقولات ابن كلاب الأصول التي بنى عليها الأشعري مذهبه بعد تخليه عن مذهب المعتزلة وقبل أن يتحول إلى مذهب أهل السنة والجماعة كما صرح بذلك في آخر كتبه.

ولذا يعتبر بعض الأشاعرة ابن كلاب المؤسس الأول للمذهب^(٦٥). والماثرية كالأشاعرة في أغلب الأصول والسمات. وقد ارتبطت الماثرية بالمذهب الحنفي، كما ارتبطت الأشعرية بالمذهب الشافعي والمالكي غالباً. وقد تطور المذهب الأشعري، ومررت الأشعرية بعدة مراحل، وقد كان أوائل الأشعرية خير من متأخريهم، فهم يثبتون كثيراً من الصفات التي نفاها متأخروهم. قال الدكتور ناصر العقل: وقد تطورت الأشاعرة والماثرية على مر القرون، وآل أمر كل واحدة منها إلى أن أصبحت فرقة كلامية، عقلانية، فلسفية، صوفية، مقابرية، مرجئة^(٦٦).

^{٦٥} وهناك فرق كبير بين (الزهد) المدوح شرعاً الذي كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسلف الأمة، وبين (التصوف) المذموم الذي نتحدث عنه، فالزهد له ضوابط من الكتاب والسنة والتصوف جاوز حد الزهد إلى مجموعة من البدع والانحرافات العقيدية والسلوكية .

^(٦٥) الفرق الكلامية للعقل ص ٥٩.

^(٦٦) المصدر نفسه ص ١٧٥.

المبحث الخامس: أصول الاعتقاد الكبرى ، وبيان مخالفة أهل الأهواء أهل السنة فيها.

في هذا المبحث المهم نلقى الضوء على أهم الأصول العقديّة ، وموقف أهل السنة منها ، ومخالفات أهل الأهواء فيها. لا شك أن مقالات أهل الأهواء والبدع والافتراق كثيرة، ولا تقف عند حدّ ، وفي كل يوم تتولد أهواء وتظهر فرق لم تكن معروفة من قبل! لكن يمكن بالاستقراء أن يحصر الباحث أصولهم الكبرى التي خالفوا فيها عقيدة السلف على وجه التقريب كالتالي:

أولاً : حقيقة (الإسلام) و(الإيمان):

عند أهل السنة: أن الإيمان قول وعمل : قول القلب وعمله، وقول اللسان وعمل الجوارح . وأنه يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية. والأدلة على ذلك كثيرة. وخالفهم في ذلك أهل الأهواء : فقالوا: إن الإيمان مجرد المعرفة، أو قول اللسان، أو مجرد تصديق القلب فقط، أو غير ذلك. ويترتب على قولهم أقوال فاسدة مثل: تكفير مرتكب الكبيرة، أو الحكم له بالإيمان الكامل، أو إخراج العمل من مسمى الإيمان . ويترتب على كلامهم أيضاً : أن الإيمان أهله فيه سواء، وأنه لا يزيد ولا ينقص.

ثانياً: فيما يتعلق بحقيقة (التوحيد) :

من المعلوم المقرر عند أهل السنة أن (التوحيد) عند الإطلاق يشمل ثلاثة أمور:

١ . توحيد الربوبية والخالقية والرازقية ونحوها .

ومعناه: أن الله وحده هو الخالق للعالم، وهو الربُّ لهم والرازقُ لهم. قال الصنعاني : وهذا لا ينكره المشركون، ولا يجعلون لله فيه شريكاً، بل هم مُقرُّونَ به^(٦٧) .

٢ . توحيد العبادة ومعناه: إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات، فهذا هو الذي

جعلوا لله فيه شركاء^(٦٨) .

(٦٧) تطهير الاعتقاد ص ٥ .

(٦٨) المصدر نفسه ص ٧ .

٣. توحيد الأسماء والصفات: معناه الاعتقاد الجازم بأن الله - عز وجل - له الأسماء الحسنی والصفات العلی، وهو متَّصف بجميع صفات الكمال، ومنزَّه عن جميع صفات النقص، متفرد بذلك عن جميع الكائنات^(٦٩). وقد وقعت المخالفة من أهل البدع في كثير مما سبق:

. ذهب كثير من المتكلمين وأهل الفلسفة والتصوف إلى أن غاية التوحيد إثبات وجود الرب أو كما يسمونه (واجب الوجود)، فأكبر ما يشغلون أنفسهم به ويقررونه في مسألة التوحيد إثبات توحيد (الربوبية)، وهذا أمر لم يكن ينكره المشركون كما سبق بيانه.

- ومن أهل البدع من يناقض توحيد الربوبية: وذلك بنسبة الخلق، أو الرزق والنفع والضر لغير الله تعالى أو أن يضي صفات الربوبية وخصائصها على غير الله سبحانه وتعالى، كما حدث من الباطنية، وغلاة الرافضة، وغلاة الصوفية وغيرهم.

. وأحياناً تقع المخالفة لتوحيد العبادة: وذلك بصرف شيء من العبادات لغير الله وذلك لجهلهم بحقيقة التوحيد الذي دعت إليه الرسل، وجعلهم غاية التوحيد إثبات الربوبية لله عز وجل، وتقصيرهم أو إهمالهم لتوحيد العبادة، وجهلهم بحقيقة (العبادة) وما يدخل فيها. وتظهر هذه المخالفات من القبوريين، وكثير من المتكلمين.

- وأحياناً تقع المخالفة لتوحيد الأسماء والصفات: وذلك يكون بنفي وتعطيل الأسماء والصفات إما تعطيلاً كلياً أو جزئياً أو تشبيهه الله بخلقه، أو الزيادة فيها. وينتج عن ذلك:

١. إنكار أسماء الله كلها أو بعضها .
٢. تسمية الله بما لم يسم به نفسه.

(٦٩) الوجيز في عقيدة السلف الصالح ص ٤٢ .

٣ . إنكار صفات الله كلها أو بعضها . ومن ذلك إنكار صفة العلو، والكلام، وإنكار الرؤية .

٤ . تشبيه الله بخلقه .

ثالثاً : السمعيات (الغيبيات)

عند أهل السنة : يؤمن أهل السنة بالغيب تصديقاً للرسول صلى الله عليه وسلم، فيؤمنون بالملائكة، ووجود الجن، ويؤمنون بالصراط، والميزان، والحوض، وعذاب القبر ونعيمه، وأشراط الساعة، والجنة، وما ورد من صفاتها، والنار، وما فيها وغير ذلك من الغيبيات. وخالف في ذلك أهل الأهواء : فأنكر بعضهم هذه السمعيات أو بعضها، وفسروها بأنواع من التأويلات والمجاز .

رابعاً : النبوات

يؤمن أهل السنة أن الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس، وأن الأنبياء خيار الناس، وأن دينهم واحد وهو الإسلام والتوحيد لله، وشرائعهم شتى، وأن النبوة ختمت ببعثة ولد سيد آدم محمد صلى الله عليه وسلم . وخالف في ذلك أهل الأهواء : فمنهم من أنكر حقيقة النبوة، ومنهم من جعل حقيقتها ومعناها لغير الأنبياء من أئمتهم، ومنهم من ادعى وجود النبوة بعد النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من البدع .

خامساً : القدر

يؤمن أهل السنة بالقدر خيره وشره من الله، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن كل شيء خلقه الله بقدر، وأن الله خالق كل شيء، وأنه فعال لما يريد، وأنه (لا حول ولا قوة إلا بالله) . وخالف في ذلك أهل الأهواء : فقال بعضهم بالجبر ؛ وهو غلو في القدر (الجبرية أو القدرية الأولى) . وقال بعضهم بخلق أفعال العباد ؛ وهو غلو في نفي القدر (القدرية) . ونفى بعضهم تأثير الأسباب في المسببات وهو (نوع من الجبر) .

سادساً : الإمامة

من الأصول العقديّة المهمة التي وقع فيها الاختلاف بين الأمة مسألة (الإمامة) أو (الخلافة) بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. فعقيدة أهل السنة والجماعة : الإقرار بخلافة أبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وحبُّهم، والترضي عنهم، وأنهم خيار الناس، وخلافتهم كانت الخلافة الراشدة في التاريخ. وأن (الإمامة) وولاية أمر المسلمين تكون في قريش^(٧٠).

والإمامة منصب شرعي غرضه : إقامة الدين وسياسة الدنيا به وطريقها : الشورى، واختيار أهل الحلّ والعقد من العلماء وذوي الشأن. ويلزم للإمام (الخليفة) السمع والطاعة في المعروف، والنصيحة له . وفارق أهل السنة في (الإمامة) فرقتان :

١ . الشيعة : ومذهبهم أن أولى الناس بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، واختلفوا في خلافة الثلاثة (أبي بكر وعمر وعثمان) : فقال جمهور الزيدية : هي صحيحة، ولكن علياً أولى منهم، وأنه يجوز إمامة المفضول مع وجود الفاضل . وقال بقية الشيعة : هي باطلة، ويسبونهم، ويلعنونهم. (والإمامة) عند غلاة الشيعة ركن من أركان الدين،

(٧٠) لثبوت الأحاديث الصحيحة فمنها : قوله صلى الله عليه وآله وسلم : (إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبه الله على وجهه ما أقاموا الدين) (البخاري رقم ٣٥٠٠) وقوله صلى الله عليه وآله وسلم : (لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقى منهم اثنان) (البخاري رقم ٣٥٠١) .

قال ابن خلدون في مقدمته ٩٨/١ : (أما شروط هذا المنصب فهي أربعة: العلم، والعدالة، والكفاية، وسلامة الحواس والأعضاء مما يؤثر في الرأي والعمل . واختلف في شرط خامس وهو النسب القرشي) .

ثم تكلم عن الحكمة من النسب القرشي، وأرجع ذلك إلى حصول الكفاية وهو الشرط الرابع فقال : (إذا ثبت أن اشتراط القرشية إنما هو لدفع التنازع بما كان لهم من العصبية والغلب، وعلمنا أن الشارع لا يخص الأحكام بجبل ولا عصر ولا أمة، علمنا أن ذلك إنما هو من الكفاية فرددناه إليها وطردها العلة المشتملة على، المقصود من القرشية وهي وجود العصبية، فاشتراطنا في القائم بأمر المسلمين أن يكون من قوم أولى عصبية قوية غالبية على من معها لعصرها، ليستبعوا من سواهم وتجتمع الكلمة على حسن الحماية، ولا يعلم ذلك في الأقطار والأفاق كما كان في القرشية، إذ الدعوة الإسلامية التي كانت لهم كانت عامة، وعصبية العرب كانت وافية بها فغلبوا سائر الأمم وإنما يخص لهذا العهد كل قطر بمن تكون له فيه العصبية الغالبة) .

والى ذهب بعض الباحثين في اعتبار شرط (القرشية) بأنه اعتبار تاريخي أكثر مما هو شرعي. انظر مفاتيح السياسية الشرعية ص ١٥ ، أسئلة الثورة ص ١٥ .

وأصل من أصوله، لذلك سموا بـ (الإمامية). وطريقها : الوراثة في ذرية الحسين بن علي خاصة لا تخرج عنهم !!!

٢ . الخوارج : يقررون خلافة الشيخين، ويطعنون في عثمان وعلي، وقد يكفرونهما . ويقولون : الإمامة جائزة في كل الناس، قريش وغيرها .

سابعاً : سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم

يلتزم أهل السنة باتباع هدي النبي صلى الله عليه وسلم وتقديم سنته على أهوائهم وتصديق النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، وعدم التقدم بين يديه صلى الله عليه وسلم، والعمل بكل ما صح من الحديث عنه صلى الله عليه وسلم في العقائد والعبادات وغيرها من أمور الدين . وخالف في ذلك أهل الأهواء : فمنهم من أنكر السنة مطلقاً (كمن يسمون أنفسهم في هذا الزمان بالقرآنيين)، ومنهم من أنكر بعضها أو فرق بين الصحيح منها، ومنهم من قدم هواه أو أقوال غيره عليها، ومنهم من أهملها وفرط فيها تضريطاً كبيراً .

ثامناً : مصادر التلقي

من المعلوم أن مصادر التلقي عند أهل السنة في الاعتقاد : الكتاب العزيز، والسنة المطهرة لا غير على فهم سلف الأمة . وقد خالفهم أهل الأهواء في ذلك ؛ فلهم مصادر أخرى اتخذوها ديناً يتحاكمون إليها، بل قدموها على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحياناً . ومن تلك المصادر : الفلسفات الوثنية، وما أثر عن الأمم الضالة من اليهود والنصارى وغيرهم كما هو الشأن عند المتكلمين . العقل والرأي والظنون الفاسدة كما هو عند بعض المتكلمين . الروايات الكاذبة كما هو عند فرق الشيعة والصوفية وغيرهم . الأوهام والأحلام والمنامات وإيحاء الشياطين كما هو عند الصوفية . ادعاء كشف الغيب ومعرفة العلم اللدني كما عند الصوفية^(٧١) .

(٧١) انظر: مقدمات في الافتراق والأهواء، ناصر بن عبد الكريم العقل ص ٨٨ .

تاسعاً : الآل والأصحاب والسلف

عقيدة أهل السنة في ذلك : حب الآل والأصحاب، وتوقيرهم، والترضي عنهم، واتباع سبيلهم، وعدم إيذائهم، والطعن فيهم . عقائد أهل الأهواء : منهم من غلا في ذلك وزاد، أو طعن في الآل أو الأصحاب والسلف الصالح، وانتقصهم أو سبهم ولمزهم، وخالف سبيلهم وطريقتهم.

عاشراً : أئمة المسلمين وولاية أمورهم

يدين أهل السنة بالنصح لهم وعدم غشهم، أو الخروج عليهم ومنازعتهم الأمر، ما داموا يحكمون بشريعة الإسلام، والسمع والطاعة لهم في المعروف، وجواز الصلاة خلف كل برٍّ وفاجرٍ من المسلمين . وخالف أهل الأهواء : فمنهم من أوجب الخروج على أولياء الأمور، ونزع يد الطاعة وتفريق الجماعة، ومن الناس من غلا في مداهنة الظالمين، وإعانتهم على بدعهم، وظلمهم، وغشهم، ومخادعتهم . هذه أهم الأصول التي خالف فيها أهل أهل البدع والأهواء، وهناك أصول أخرى محلها المطولات^(٧٢) .

المبحث السادس : جهود المحدثين في تدوين العقيدة والرد على المخالفين، وبيان أهم الكتب المؤلفة في ذلك في القرون الخمسة الأولى

كان للمحدثين أثر كبير في الحفاظ على الشريعة الإسلامية سليمة من التغيير والتبديل كما جاء بها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، ويتضح ذلك من خلال اهتمامهم بكل ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير وتدوين ذلك، وتمييز الصحيح منه والسقيم وفق قواعد علمية صارمة مضطردة . ويمكن أن نوجز القول في بيان جهود المحدثين في مجال العقيدة في الأمور التالية :

(٧٢) انظر: مقدمات في الأهواء ص ١١٧، ١١٥، أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية لسفر الحوالي ص ٢٠.

١ . التزامهم لعقيدة السلف قولاً واعتقاداً ، والدعوة لها . وسيرتهم وكلامهم في هذا الباب كثير لا يمكن حصره ، ويمكن الوقوف على كلامهم من خلال مطالعة المؤلفات المنقولة عنهم ، ومن خلال كتب السير والتاريخ وغيرها .

٢ . تدوين الكتب وجمع الأحاديث والآثار في بيان عقيدة السلف . وهذه الكتب الحديثة التي تتضمن عقيدة السلف نوعان :

النوع الأول : الكتب الجامعة للأحاديث المسندة في العقيدة وغيرها ، مثل كتب الجوامع ، والمصنفات ، والمسانيد ، والصحاح ، والمستخرجات وغيرها ، وقد تقدمت الإشارة إليها في المبحث الثاني .

النوع الثاني : الكتب المفردة في جانب أو أكثر من جوانب الاعتقاد ، وهي كثيرة جداً ، بعضها وصلنا كاملاً أو ناقصاً ، وبعضها ما زال في حيز المفقودات .

وسوف أذكر أهم هذه المصنفات حسب التسلسل التاريخي لوفيات مؤلفيها ، مشيراً للمطبوع منها .

فمن ذكر له تأليف في الاعتقاد في القرون الخمسة الأولى^(٣) :

- (١) عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي (ت ١٨١ هـ) .
- (٢) عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي (ت ١٩٧ هـ) . له : كتاب (القدر وما ورد في ذلك من الآثار) .
- (٣) يحيى بن سعيد بن فروخ التميمي القطان البصري (ت ١٩٨ هـ) .
- (٤) أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) . له : كتاب الإيمان . مطبوع .
- (٥) يحيى بن عبد الله بن بكير الحنظلي (ت ٢٢٦ هـ) .
- (٦) أبو عبد الله نعيم بن حماد المروزي (ت ٢٢٨ هـ) .

(٣) اقتصرنا على القرون الخمسة الأولى لاهتمامها بالاسناد في نقل الأحاديث والآثار ، وهي الأصل للكتب المؤلفة بعد ذلك غالباً .

- (٧) عبدالله بن محمد بن عبدالله الجعفي شيخ البخاري (ت ٢٢٩هـ) .له كتاب: (الصفات) و (الرد على الجهمية) .
- (٨) أبو بكر عبدالله بن محمد بن أبي شيبه العبسي (٢٣٥هـ) .له كتاب: (الإيمان) جزء حديثي نشره الألباني رحمه الله سنة ١٣٨٥هـ أبو محمد إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن راهويه (ت ٢٣٨هـ) .
- (٩) أبو الحسن عبدالعزيز بن يحيى الكناني (ت ٢٤٠هـ) .له كتاب: (الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن)، نشر عدة مرات .
- (١٠) أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ) .له كتاب (أصول السنة)، و (الرد على الزنادقة والجهمية)، و (فضائل الصحابة) مطبوعة . وله كتاب (الإيمان) .
- (١١) محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني (ت ٢٤٣هـ) له كتاب: (الإيمان) مطبوع .
- (١٢) أبو عاصم حُشَيْشِ بْنِ أَصْرَمَ (٢٥٣هـ) .له: (الاستقامة في السنة والرد على أهل الأهواء) .
- (١٣) أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) .له: (خلق أفعال العباد والرد على الجهمية أصحاب التعطيل) مطبوع. و (أخبار الصفات) .
- (١٤) إسماعيل بن يحيى المزني تلميذ الشافعي المشهور (ت ٢٦٤هـ) .له: كتاب (شرح السنة) .
- (١٥) أبو زرعة عبيدالله بن عبدالكريم الرازي (.٢٦٤هـ) .له (الرد على أهل الأهواء) مطبوع .
- (١٦) أبو بكر أحمد بن محمد بن هانئ الأثرم تلميذ الإمام أحمد (ت ٢٧٣هـ) .له: كتاب (السنة) .

- (١٧) حنبل بن إسحاق بن هلال (ت ٢٧٣هـ) .له: كتاب (السنة) .
- (١٨) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني المتوفى سنة (٢٧٥هـ) له: كتاب (السنة) . و (البعث) . و (الرد على أهل القدر) و (فضائل الأنصار) .
- (١٩) ابن قتيبة الدينوري (٢٧٧هـ) . له: كتاب (الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة) نشر عدة مرات . وكتاب (تأويل مختلف الحديث) نشر عدة مرات ، و (الرد القائل بخلق القرآن) و (فضائل أبي بكر الصديق) .
- (٢٠) أبو حاتم الرازي (٢٧٧هـ) . له: (رسالة في الاعتقاد) نشرها أبو عبد الله محمود الحداد .
- (٢١) حرب بن سعيد الكرمانى تلميذ أحمد بن حنبل (. ٢٨٠هـ) . له كتاب (السنة) .
- (٢٢) عثمان بن سعيد الدارمي (ت ٢٨٠هـ) . له كتاب (الرد على الجهمية) ، وكتاب (الرد على بشر المريسي) مطبوعان .
- قال ابن القيم رحمه الله في اجتماع الجيوش الإسلامية: (وكتابه من أجل الكتب المصنفة في السنة وأنفعها، وينبغي لكل طالب سنة مراده الوقوف على ما كان عليه الصحابة والتابعون والأئمة أن يقرأ كتابيه. وكان شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يوصي بهذين الكتابين أشد الوصية ويعظمهما جداً، وفيهما من تقرير التوحيد والأسماء والصفات بالعقل والنقل ما ليس في غيرهما) ^(٧٤) .
- (١) أبو إسحق إبراهيم بن إسحق الحربي (ت ٢٨٥هـ) . له: رسالة في أن القرآن غير مخلوق . مطبوعة و (دلائل النبوة) .
- (٢) محمد بن وضاح القرطبي (٢٨٦هـ) . له: كتاب (البدعة والنهي عنها) . مطبوع .
- (٣) أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني (٢٨٧هـ) . له: (السنة) مطبوع . عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل (٢٩٠هـ) . له كتاب:

(٧٤) اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٤٣ .

- (السنة) نشر عدة مرات أحسنها بتحقيق د/ محمد سعيد القحطاني، وله كتاب (الرد على الجهمية).
- ٤) محمد بن نصر المروزي (٢٩٤هـ). له: كتاب (السنة)، وله (تعظيم قدر الصلاة) مطبوعان.
- ٥) الحكم بن معبد الخزاعي (٢٩٥هـ). له: كتاب (الرد على الجهمية) وكتاب (السنة).
- ٦) محمد بن عثمان بن محمد المعروف بابن أبي شيبة (٢٩٧هـ). له: كتاب (العرش وما ورد فيه) مطبوع.
- ١) أبو بكر جعفر بن محمد الفريابي (٣٠١هـ). له: كتاب (دلائل النبوة)، وكتاب (القدر)، (صفات المنافق) الثلاثة مطبوعة.
- ٢) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (٣٠٣هـ). له: (خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) و (مناقب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم) مطبوعة، وهي من ضمن سننه الكبرى المطبوعة.
- ٣) محمد بن جرير الطبري شيخ المفسرين وإمامهم (٣١٠هـ). له: كتاب (صريح السنة)، و (التبصير في معالم الدين) مطبوعان.
- ٤) أبو بكر أحمد بن محمد الخلال المتوفى سنة (٣١١هـ). له: كتاب (السنة) مطبوع في سبعة أجزاء، وهو كتاب كبير عظيم النفع.
- ٥) أبو بكر بن خزيمة (ت ٣١١هـ). له: كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل (مطبوع).
- ٦) أبو بكر بن أبي داود (٣١٦هـ). له منظومة في العقيدة مطبوعة، وله كتاب (القدر) وكتاب (البعث والنشور) مطبوع.
- ٧) أبو عبد الله الزبير بن أحمد بن سليمان الزبيري (٣١٧هـ). له: كتاب (وصف الإيمان وحقائقه والإسلام وشرائعه والإحسان ومنازله).

- ٨) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي (ت ٣٢١هـ). له: (العقيدة الطحاوية) مطبوع، وله عدة شروح.
- ٩) أبو الحسن الأشعري^(٧٥) (ت ٣٢٤هـ). له: (مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين)، و (الإبانة عن أصول الديانة)، و (رسالة إلى أهل الثغر) كلها مطبوعة.
- ١٠) عبد الرحمن بن أبي حاتم (٣٢٧هـ). له: (كتاب الرد على الجهمية)، وكتاب (أصل السنة واعتقاد الدين).
- ١١) أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الملقب الشافعي (٣٢٨هـ). له: كتاب (التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع) مطبوع.
- ١٢) أبو محمد البربهاري (٣٢٩هـ). له: كتاب (شرح السنة) مطبوع.
- ١٣) أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم الأصبهاني العسال (ت ٣٤٩هـ). له: كتاب (الرؤية) وكتاب (السنة)، كتاب (العظمة)، كتاب (الآيات وكرامات الأولياء).
- ١٤) أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني (ت ٣٦٠هـ). له: كتاب (السنة).
- ١٥) أبو بكر محمد بن الحسين الأجري (ت ٣٦٠هـ). له: كتاب (الشريعة) نشر عدة مرات أحسنها بتحقيق د/ عبد الله الدميجي في ست مجلدات وهو كتاب كبير جامع لكثير من قضايا الاعتقاد، ومن أحسن ما ألف في القرن الرابع. وكتاب (التصديق بالنظر إلى الله في الآخرة) مطبوع.
- ١٦) أبو الشيخ محمد بن عبد الله بن جعفر الأصبهاني (٣٦٩هـ). له: كتاب (السنة)، وكتاب (العظمة) مطبوع في خمس مجلدات.

(٧٥) أبو الحسن رحمه الله مر بثلاثة أطوار: الطور الأول كان على الاعتزال، ثم جانبهم وانتهج منهجاً مغايراً، ثم كان آخر أمره على السنة من حيث العموم وفي هذا الطور أرف مؤلفات موافقة لاعتقاد أهل السنة وهي المرادة هنا .

- ١٧) أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي الشافعي (٣٧١هـ). له كتاب: (عقيدة أئمة الحديث) مطبوع.
- ١٨) أبو الحسين محمد بن أحمد الملطي الشافعي المقرئ (٣٧٧هـ). له: (التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع) مطبوع.
- ١٩) أبو حفص عمر بن أحمد المعروف بابن شاهين (٣٨٥هـ). له: كتاب (شرح مذاهب أهل السنة ومعرفة شرائع الدين والتمسك بالسنة) مطبوع، وله (فضائل فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم) مطبوع.
- ٢٠) أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني (٣٨٥هـ). له: كتاب (النزول) (والصفات) و(الرؤية) كلها أجزاء مطبوعة.
- ٢١) أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني إمام المالكية في وقته وعلامة المغرب (ت ٣٨٦هـ). له: (الرسالة) مطبوع ولها عدة شروح، وله (السنة) و(الرد على القدرية).
- ٢٢) أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري (ت ٣٨٧هـ). له: كتاب (الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة) وهو المعروف ب(الإبانة الكبرى)، مطبوع في ستة مجلدات، وهو من أوسع الكتب واجمعها وأغزرها، و(الشرح والإبانة عن أصول الديانة) وهو المعروف ب(الإبانة الصغرى) مطبوع في مجلد واحد.
- ٢٣) محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده (ت ٣٩٥هـ). له: كتاب (التوحيد) وكتاب (الإيمان)، وكتاب (الرد على الجهمية). وكتاب (الصفات). كلها مطبوعة.
- ٢٤) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين (٣٩٩هـ). له: كتاب (أصول السنة) مطبوع.
- ٢٥) أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الرازي اللالكائي الشافعي (ت ٤١٨هـ). له: كتاب (شرح أصول اعتقاد أهل السنة الجماعة) طبع في أربع

مجلدات بتحقيق د/ أحمد سعد حمدان ، وهو كتاب عظيم النفع غزير المادة ومن أهم الكتب التي وصلتنا من القرن الخامس ، وله كتاب (كرامات الأولياء) مطبوع في مجلد .

(٢٦) أبو عمرو أحمد بن محمد بن عبد الله الطَّلَمَنكي الأندلسي (ت ٤٢٩هـ) .له: كتاب (الوصول إلى معرفة الأصول في مسائل العقود في السنة) و (الرسالة المختصرة في مذاهب أهل السنة ، وذكر ما درج عليه الصحابة والتابعون وخيار الأمة) و (الرد على الباطنية) .

(٢٧) أبو نعيم أحمد بن عبدالله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) .له : (الإمامة والرد على الرافضة) مطبوع ، و (فضائل الخلفاء الأربعة وغيرهم) مطبوع ، وذكر له أيضا (القدر) و (بيان حديث النزول) و (أحوال الموحدين) و (دلائل النبوة) و (الخصائص في فضائل علي بن أبي طالب) .

(٢٨) أبو نصر عبيدالله بن سعيد بن حاتم السَّجْزِي الحنفي (ت ٤٤٤هـ) .له: كتاب (الإبانة في الرد على الزائغين في مسألة القرآن) و (الرسالة لأهل زييد) مطبوعة .

(٢٩) أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني عالم الأندلس (ت ٤٤٤هـ) .له كتاب (الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات) مطبوع ، و (السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراتها) مطبوع .

(٣٠) أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني النيسابوري (٤٤٩هـ) .له: كتاب (عقيدة السلف أصحاب الحديث) مطبوع وهي رسالة قيمة جامعة .

(٣١) الإمام أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة (٤٥٨هـ) .له: كتاب (الاعتقاد) وكتاب (الأسماء والصفات) وكتاب (شعب الإيمان) وكلها مطبوعة .

(٣٢) أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي الشافعي حافظ المشرق (ت ٤٦٣هـ). له: (جواب عن سؤال أهل دمشق في الصفات) نشر بتحقيق جمال عزون .

(٣٣) أبو علي الحسن بن أحمد ابن البناء البغدادي (ت ٤٧١هـ). له كتاب: (المختار في أصول السنة) مطبوع.

(٣٤) أبو إسماعيل عبد الله بن محمد الهروي (ت ٤٨١هـ). له: (الأربعين في دلائل التوحيد) مطبوع، و(ذم الكلام) مطبوع في خمس مجلدات .

(٣٥) أبو المظفر منصور بن محمد السمعاني المروزي الشافعي (٤٨٩هـ). له: (الانتصار لأصحاب الحديث) نشر فصولاً منه د/ محمد حسين الجيزاني، وله (منهاج السنة) و(القدر).

هذا وتنقسم هذه المؤلفات إلى أقسام:

فمن حيث الحجم : منها المختصر، ومنها المتوسط، ومنها المطول البسيط^(٧٦).
ومن حيث المنهج : منها ما كان على سبيل العرض، عرض عقيدة أهل السنة دون التعرض لشبهات المخالفين والرد عليها. ومنها ما كان على سبيل الرد والنقض لعقائد المخالفين وبيان فسادها. ومن حيث المحتوى : منها ما كان في موضوع واحد ، أو موضوعات معينة^(٧٧). ومنها ما كان شاملاً لأغلب مسائل الاعتقاد .

(٧٦) من أكبر هذه المصادر وأوسعها التي وصلتنا: (السنة) للخلال ، (السنة) لعبد الله بن أحمد، (والسنة) لابن أبي عاصم، وكتابا الدارمي، والشريعة للأجري ، والإبانة لابن بطة ، و(شرح أصول اعتقاد أهل السنة) للالكائي. وكلها مطبوعة.
(٧٧) أهم المواضيع المطروقة في كتب الاعتقاد يمكن تلخيصها فيما يلي :

- ١ . تعظيم القرآن والسنة النبوية والذي يتضمن المحافظة عليهما من التحريف وتقديمها على الهوى .
- ٢ . إثبات الأسماء والصفات لله عز وجل الواردة في الوحي ونفي النقائص والعيوب، إثبات بلا تمثيل ونفي بلا تعطيل .
- ٣ . أثبات القدر . ٤ . إثبات إمامة الخلفاء والرد على المخالفين .
- ٥ . أثبات حقوق الآل والأصحاب وبيان مكانتهم في الدين .

وقد تقدم في المبحث الخامس أهم أصول الاعتقاد وبيان مخالفة أهل الأهواء فيها .

ومن حيث الإسناد : منها ما كان مسنداً وهو الأغلب . ومنها ما حذف أسانيده طلباً للاختصار . وقد حرصت على ذكر أسماء المؤلفات وبيان المطبوع منها، وذلك لعدة فوائد منها :

- معرفة عقيدة السلف النقية من مصادرها الأصلية.
- تسهيل الرجوع إليها والإفادة منها لمن أراد ذلك.
- الوقوف على جهد أئمة الحديث في هذا الجانب .
- توثيق الأقوال المنقولة إلى قائلها .

خاتمة :

١ . مدى التطابق الكبير بين هذه الكتب مع كثرتها ، واختلاف مؤلفيها زماناً ، ومكاناً ، ونسباً ، ومذهباً ، مما يدل على صحة منهج أهل السنة وسلامته من الاختلاف ، بخلاف أهل البدع الذين لا يثبتون على قولٍ ، ولا تستقيم لهم عقيدةٌ، فأنت ترى كثرة الخلاف وتنوعه فيما بينهم، بل فيما بين الطائفة الواحدة بحسب الزمان والمكان، وهذا بسبب عدم تقيدهم بما كان عليه سلف الأمة واتباعهم للأهواء المتغيرة المتجددة .

٢ . ومما يستفيده الباحث . وقد وقف على هذه الكتب المصنفة في العقيدة . التيقنُ من أن كثيراً من شيوخ الإسلام، وأئمة الدين المصلحين المتأخرين كابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وابن الوزير اليماني، والإمام الصنعاني، ومحمد بن عبد الوهاب، والشوكاني رحمهم الله جميعاً كلهم متبعون لا مبتدعون، وما دعوا إليه من أصول الدين فليس ذلك من تلقاء أنفسهم أو مذهباً جديداً اخترعوه من قبلهم، بل هم تابعون لخير القرون صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن جاء بعدهم، وبمقارنة كلامهم بكلام السابقين يتضح الأمر .

٣ . أن السلف . رحمهم الله . كانوا أعلم وأفقه وأحكم وأنصح للأمة ممن جاء بعدهم؛ فيجب اتباع سبيلهم في الاعتقاد .

٤ . معرفة المراد بـ (السلف) و (أهل السنة والجماعة) فهم : الصحابة ، والتابعون لهم بإحسان ، وأتباع التابعين ، ومن اقتضى أثرهم واهتدى بهديهم ، وفيهم الأئمة المتبوعون : كزيد بن علي ، وأبي حنيفة ، والثوري ، ومالك ، والليث بن سعد ، والأوزاعي ، والشافعي ، وأحمد .. كل هؤلاء كانوا على عقيدة واحدة ومنهج واحد .

٥ . أن الأئمة المتبوعين من أهل المذاهب المشهورة : الزيدي والحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي هؤلاء كانوا على السنة ومن أئمة السنة، لم يكونوا جهمية معطلة ولا معتزلة ولا أشعرية ولا صوفية ولا غير ذلك من الأهواء ، بينما نجد كثيراً ممن ينسب إليهم من المتأخرين يخالفهم في الاعتقاد وينتحل هذه الأهواء !!!

٦ . لا ينكر أن في كلام بعض أهل السنة وفي مصنفاتهم ما يخالف الصواب . قال شيخ الإسلام: (أجمع جميع سلف المسلمين وأئمة الدين من جميع الطوائف أنه ليس بعد رسول الله أحد معصوم ولا محفوظ لا من الذنوب ولا من الخطايا، بل من الناس من إذا أذنب استغفر وتاب، وإذا أخطأ تبين له الحق فرجع إليه، وليس هذا واجباً لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل يجوز أن يموت أفضل الناس بعد الأنبياء وله ذنب يغفره الله، وقد خفي عليه من دقيق العلم ما لم يعرفه، ولهذا اتفقوا على أنه ما من الناس أحد إلا يؤخذ من قوله ويترك، إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم)^(٧٨). وهذه الأخطاء والزلات قليلة إلى جانب صوابهم ، ويوجد أضعاف أضعافها في كلام أهل البدع وكتبهم، ولكن هناك فرق كبير بين الطائفتين . قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان ذلك: (وإذا قابلنا بين الطائفتين: أهل (الحديث) وأهل (الكلام)، فالذي يعيب بعض أهل الحديث وأهل الجماعة بحشو القول إنما يعيبهم بقلة المعرفة، أو بقلة الفهم .

(٧٨) جامع الرسائل (١/٢٦٦).

أما الأول: فبأن يحتجوا بأحاديث ضعيفة، أو موضوعة، أو بأثار لا تصلح للاحتجاج؛ وأما الثاني: فبأن لا يفهموا معنى الأحاديث الصحيحة، بل قد يقولون القولين المتناقضين ولا يهتدون للخروج من ذلك .

والأمر راجع إلى شيئين: إما زيادة أقوال غير مفيدة يظن أنها مفيدة كالأحاديث الموضوعية. وإما أقوال مفيدة لكنهم لا يفهمونها، إذ كان إتباع الحديث يحتاج أولاً إلى صحة الحديث، وثانياً إلى فهم معناه كإتباع القرآن. فالخلل يدخل عليهم من ترك إحدى المقدمتين، ومن عابهم من الناس فإنما يعييبهم بهذا .

ولا ريب أن هذا موجودٌ في بعضهم، يحتجون بأحاديث موضوعة في مسائل الأصول والفروع، وآثار مفتعلة، وحكايات غير صحيحة، ويذكرون من القرآن والحديث ما لا يفهمون معناه، وربما تأولوه على غير تأويله، ووضعوه على غير موضعه. ثم أنهم بهذا المنقول الضعيف والمعقول السخيف قد يكفرون ويضللون ويبدعون أقواماً من أعيان الأمة ويجهلونهم، ففي بعضهم من التفريط في الحق والتعدي على الخلق ما قد يكون بعضه خطأً مغفوراً، وقد يكون منكراً من القول وزوراً، وقد يكون من البدع والضلالات التي توجب غليظ العقوبات، فهذا لا ينكره إلا جاهلٌ أو ظالمٌ، وقد رأيت من هذا عجائب^(٧٩). لكن هم بالنسبة إلى غيرهم في ذلك كالمسلمين بالنسبة إلى بقية الملل، ولا ريب أن في كثير من المسلمين من الظلم والجهل والبدع والفجور ما لا يعلمه إلا من أحاط بكل شيء علماً، لكن كل شرٍ يكون في بعض المسلمين فهو في غيرهم أكثر، وكل خيرٍ يكون في غيرهم فهو فيهم أعلى وأعظم. وهكذا أهل الحديث بالنسبة إلى غيرهم. وبيان ذلك: أن ما ذكر من فضول الكلام الذي لا يفيد مع اعتقاد أنه طريق إلى التصور والتصديق هو في أهل الكلام والمنطق أضعاف أضعاف ما هو في أهل

(٧٩) وقال رحمه الله: (... لا ننكر ما يوجد في بعض أهل السنة والجماعة من جهل وظلم). الصنفية (١٦٣/١)

تأمل - رعاك الله . في هذا الكلام القيم الذي يدل على إنصاف هذا الإمام وتام نصيحته وعدم تعصبه، كما يدل على سعة علمه ومعرفته بالفرق بين الفرق، فيا ليت المتعصبين . من أهل الإسلام . يسلكون سبيل الإنصاف ويقتدون بهذا الإمام رحمه الله.

الحديث، فبإزاء احتجاج أولئك بالحديث الضعيف احتجاج هؤلاء بالحدود والأقيسة الكثيرة العقيمة التي لا تفيد معرفة بل تفيد جهلاً وضلالاً. وبإزاء تكلم أولئك بأحاديث لا يفهمون معناها تكلف هؤلاء من القول بغير علم ما هو أعظم من ذلك وأكثر، وما أحسن قول الإمام أحمد: (ضعيف الحديث خير من رأي فلان). ثم لأهل الحديث من المزية أن ما يقولونه من الكلام الذي لا يفهمه بعضهم هو كلام في نفسه حق، وقد آمنوا بذلك وأما المتكلمة فيتكلفون من القول ما لا يفهمونه ولا يعلمون أنه حق، وأهل الحديث لا يستدلون بحديث ضعيف في نقض أصل عظيم من أصول الشريعة، بل إما في تأييده، وإما في فرع من الفروع. وأولئك يحتجون بالحدود والمقاييس الفاسدة في نقض الأصول الحقة الثابتة.

فهرست أهم المراجع

- ١) اجتماع الجيوش الإسلامية. لابن القيم.
- ٢) أدب الطلب . محمد بن علي الشوكاني .
- ٣) أصول الفرق والأديان والمذاهب الفكرية لسفر الحوالي .
- ٤) الإيمان بالله ، لمحمد إبراهيم الحمد .
- ٥) بحوث في تاريخ السنة . د/ أكرم ضياء العمري .
- ٦) تاريخ تدوين العقيدة السلفية. لعبد السلام بن برجس.
- ٧) تدوين السنة . د/ محمد مطر الزهراني .
- ٨) تطهير الاعتقاد. للصنعاني.
- ٩) توضيح الأفكار . محمد بن إسماعيل الصنعاني .
- ١٠) جامع الترمذي . محمد بن عيسى بن سورة الترمذي .
- ١١) الجامع الصحيح . محمد بن إسماعيل البخاري .
- ١٢) الجامع الصحيح . مسلم بن الحجاج .
- ١٣) جامع بيان العلم وفضله . لابن عبد البر .
- ١٤) خصائص أهل السنة. محمد إبراهيم الحمد.
- ١٥) الخوارج . د/ناصر العقل .
- ١٦) دراسات منهجية لبعض فرق الرافضة والباطنية. د/عبد القادر محمد عطا.
- ١٧) الرسالة . للإمام محمد بن إدريس الشافعي .
- ١٨) الروض الباسم . محمد بن إبراهيم الوزير .
- ١٩) السنة قبل التدوين . د/ محمد عجاج الخطيب .
- ٢٠) السنن . لأبي داود سليمان بن داود السجستاني .
- ٢١) السنن . لمحمد بن يزيد بن ماجه .
- ٢٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة وجماعة. للالكائي.
- ٢٣) شرح أصول الإيمان لابن عثيمين.

- (٢٤) شرف أصحاب الحديث . الخطيب البغدادي .
- (٢٥) الشريعة . للأجري .
- (٢٦) عقيدة أهل السنة والجماعة . محمد بن سعيد القحطاني .
- (٢٧) العقيدة في الله . د/ عمر سليمان الأشقر .
- (٢٨) الفرق الكلامية د/ ناصر العقل .
- (٢٩) القدرية والمرجئة . د/ ناصر العقل .
- (٣٠) القضاء والقدر . د/ عبد الرحمن المحمود .
- (٣١) كتابة الحديث النبوي بين النهي والإذن . أحمد بن محمد الحميد .
- (٣٢) مجموع الفتاوى . لابن تيمية .
- (٣٣) مجموع فتاوى ابن تيمية . جمع عبد الرحمن بن قاسم النجدي .
- (٣٤) مذكرة بعض كتب أهل السنة والجماعة في الاعتقاد . سليمان بن محمد بن عبد الله .
- (٣٥) المصادر العلمية في العقيدة السلفية . محمد بن عبد الرحمن المغراوي .
- (٣٦) المسند . أحمد بن حنبل .
- (٣٧) معجم مقاييس اللغة . لابن فارس .
- (٣٨) مقالات الإسلاميين . أبو الحسن الأشعري .
- (٣٩) مقدمات في الأهواء والفرق . د/ ناصر العقل .
- (٤٠) مقدمة ابن خلدون . عبد الرحمن بن خلدون .
- (٤١) الملل والنحل . للشهرستاني .
- (٤٢) مناقب الشافعي . للبيهقي .
- (٤٣) الموسوعة الميسرة في الفرق والمذاهب المعاصرة . إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي .
- (٤٤) هدي الساري . ابن حجر العسقلاني .
- (٤٥) الوجيز في عقيدة السلف الصالح . لعبد الله بن عبد الحميد الأثري .

ظواهر صوتية في العامية العمانية

الدكتور / عبد العزيز الصيغ



(AUST)

ظواهر صوتية في العامية العمانية

مقدمة

العامية هي لغة العامة، ويتحقق فيها ما يتحقق في كل لغة من تغير وتبدل، فاللغة كما يقال مثل النهر الجاري لا تبقى على صورة واحدة عبر الأزمنة المتعاقبة فهي متغيرة متبدلة^١

و نطق الإنسان للأصوات لا يستقر على حال، فالمرء لا ينطق الصوت الواحد في كل مرة النطق ذاته، وإنما يأخذ الصوت في كل مرة جرسا مخالفا، هذه المخالفة تكتشفها الأجهزة ولا تتبينها الأذن الإنسانية، وهو أمر يؤكد التغير الحادث لأصوات اللغة، ولذلك فالتغير هو القانون الذي يحكم اللغات

والعربية الفصحى حافظت على أكثر أصواتها بسبب وجود القرآن الذي يتلى بكرة وعشيا، في كل أصقاع المعمورة وفي البلاد العربية على وجه الخصوص، مع الحفاظ على أصواته، والحرص على نطقها نطقا سليما، الأمر الذي أسهم في بقاء أصوات العربية محافظة على نطقها قرونا كثيرة، وهذه المحافظة لم تمنع من التغير والتبدل في عدد من أصواتها، فالمعروف أن أصوات الضاد، والطاء، والقاف، والجيم، تغير نطقها الحالي عن نطقها في القرن الأول حين سجلت أصوات العربية لأول مرة، ولا يختلف الباحثون في وجود هذا التغير، وإنما الاختلاف في درجته فقط

أما العامية فإن الحال فيها يختلف كثيرا فالتغير فيها تغير يطرده باستمرار، والفرق بين العامية في كل منطقة يتباعد بين فترة وأخرى، ولو أن ظواهر العامية اللغوية تقيد لتبين الأمر واتضح وضوحا تاما، ويكفي أننا الآن حين نبحث عنمن ينطقون اللهجة في مكان ما يتعسر وجوده، ويمتنع في أكثر

^١ ينظر: اللهجة وأسلوب دراستها، د. أنيس فريحة ص/٢٢

الأحيان، وذلك بسبب تغير الألسنة وابتعادها عن النطق اللهجية التي كانت قبل سنوات، وهذا يعني أن ألسنة الناس تقترب من الفصحى تدريجياً ، وإن كان تصور وجود يوم يكون فيه الناس في مكان ما من البلاد العربية يتكلمون الفصحى أمراً بعيد المنال ، فإن كثيراً من الظواهر اللهجية تختفي بسبب التعليم و الثقافة ، يقول الدكتور جونستون في حديثه عن تطور اللهجات في الخليج : " وظهرت بينهم . كما أسلفنا . لغة ثالثة ليست هي العامية المحلية، وليست الفصحى القديمة وإنما هي نوع يقرب من الفصحى ويبعد عن المحلية "، ويقول في موضع آخر : " من المنتظر أن يكون أبناء الجيل القادم جميعاً ممن يتحدثون هذه اللغة المشتركة، وإذا ارتقت هذه اللغة فلا شك أنها تقترب من الفصحى بشكل أكبر، ومعنى هذا أن اللهجات التقليدية في البيئات المختلفة في طريقها الى الانحسار لإفساح المجال للغة جديدة" ٣ هذا التسارع في تبدل أصوات اللهجة ، وظواهرها الصوتية واللغوية المختلفة يجعل أمر العناية بها مطلوباً ، فالاهتمام باللهجة وما فيها من ظواهر ليس اهتماماً لغوياً فقط وإنما هو لغوي واجتماعي، بل هو اهتمام يتجاوز ذلك كثيراً

و نحن في هذه الدراسة سنقصر الحديث على الجانب الصوتي، والعامية سريعة التبدل كما أسلفنا ، و هي لغة غير مكتوبة ولا مقيدة بقواعد محددة ، إلا أن ذلك لا ينفي عنها كأي لغة أن لها نظاماً لغوياً خاصاً ، و نظاماً صوتياً على وجه الخصوص ، بمعنى أن هناك قواعد تتحكم في نطق الناطقين بها ، فهي لغة لها أصواتها الخاصة بها التي تميزها من أصوات لغة أو لهجة أخرى في مناطق أخرى

تتأثر اللغة بالعوامل الخارجية تأثراً كبيراً ، وهو واضح جلي في اللهجات لعدم وجود مانع قوي يمنع وجود هذه التأثيرات ، وفي العصر الحديث ارتفعت

^٢ دراسات في لهجات شرقي الجزيرة ص/١٥

^٣ المصدر السابق ص/٨

درجة التأثير ارتفاعا كبيرا بسبب قوة التأثيرات الخارجية وتعددتها ، والتأثيرات تكون في المناطق المنفتحة كبيرة جدا ، ومنطقة الخليج قديما وحديثا تعرضت لهذه المؤثرات الخارجية من اللغات الأخرى ، وهو ما جعلها تمتلئ بكثير من المفردات الدخيلة عليها ، وكذلك بتأثيرات صوتية أسفرت عن اختلاف أصواتها أحيانا عن أصوات العربية ، فكثرة النطوق المختلفة للأصوات أثر من هذا التداخل

والعامية العمانية تأثرت كغيرها من العاميات الخليجية الأخرى بالأقوام الآخرين الذين تعج بها مجتمعاتهم ، و من السهل ملاحظة هذا التأثير ، وإن كان رصده يحتاج إلى تتبع وهو كثير جدا ، وفي دراسة جادة رصدت التأثير اللغوي للوجود الهندي في لهجات الخليج في القرن الماضي تقول الدكتورة نورة القاسمي متحدثة عن أثر التأثير الهندي في مناطق خليجية : " كان للتعايش المستمر بين الجالية الهندية والعاملين من أبناء الخليج في مكان واحد، والمتمثل في شركات البترول، أن نقلوا عنهم مصطلحات من لغتهم واللغات الأجنبية الأخرى "٤ ، وقد ذكرت جملة من الكلمات التي استقرت في لغة الاستعمال اليومي منها " سبيتال بمعنى مستشفى، وقرام بمعنى قطار، وفص كلاص بمعنى الدرجة الأولى، وريس *Rees* بمعنى سباق الخيل ... و كلمة دريوول *Driver* سائق و سيت *Seat* مقعد و ليت *Light* ضوء و ليسن *Licence* رخصة سيارة و حفيز *Office* مكتب ، وكلمات فارسية مثل بشكار للخادم و دروازة للبوابة و استكان لكوب الشاي الزجاجي "٥

ويختلف التأثير في المناطق الساحلية عنه في المناطق الداخلية ، ولذلك نجد التغيرات تكثر في مناطق الساحل ، وتقل كثيرا وربما تندرج في المناطق الداخلية ، ولما كانت السواحل الخليجية متقاربة فان التأثيرات متواصلة بينها ومن ذلك

^٤ الوجود الهندي في الخليج العربي ١٨٢٠-١٩٤٧ ، د. نورة محمد القاسمي ، دار الثقافة والإعلام ، الشارقة ٢٠٠٧ ، ص / ٢٥٥

^٥ نفسه ص / ٢٥٥

في الملاحه استخدم البحارة كلمة بلم وتعني القارب الصغير وهوري: وهو من أشهر المراكب الصغيرة وكوتيه نوع من السفن الخشبية البحرية، وبروانة وهي مروحة المركب، كما تستعمل كولي وهو العامل او الحمال وكذلك نوكر وتعني العامل بالمنزل والتنديل الشخص المسئول عن العمال^٦ وهذه الكلمات البحرية القادمة من اللغة الهندية وجدت طريقها في أكثر سواحل الجزيرة فهي معروفة في سواحل اليمن لا سيما في ساحل المكلا وعدن

المعروف أن اللهجات العربية تختلف عن اللغة الفصحى في الجانب الصوتي، أي في نطق الكلمات وهو الاختلاف الأكبر، وهو ما يؤثر في البنية المقطعية للكلمات، فتختلف إما بعدد المقاطع أو بنوعها، الأمر الذي جعل المقاطع تزيد في العامية عنها في الفصحى، كما يؤثر في نطق الأصوات إذ يحدث تبدل لعدد من الأصوات فيختلف نطقها في اللهجة عنه في الفصحى، وهذا يختلف عن التبدلات التي تكون بسبب التجاور الصوتي أو التعامل الصوتي، لأن ذلك يكون في الفصحى والعامية على حد سواء

لم يكن القدماء من علماء العربية يستعملون كلمة (لهجة) بالمعنى الذي يستعمل اليوم، فقد كانوا يستعملون بدلا عنها لفظ (لغة) للدلالة على معنى اللهجة، وربما استعمل لفظ (لحن) بمعنى لهجة، ويروى أن أعرابيا قال في معرض الحديث عن مسألة نحوية: (ليس هذا لحن ولا لحن قومي)، أما ما نقصده اليوم بلفظ (لغة) فقد كان يعبر عنه بلفظ (لسان)

أما اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث فهي (مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع واشمل تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض، وفهم ما قد يدور بينهم من حديث

^٦ نفسه ص/٢٠٦

فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات ^٧ ، إن وجود عدة نطوق لصوت واحد (أو حرف واحد) في بيئة لهجية ما يعني أن واحدا من هذه النطوق هو النطق الأصيل للهجة والنطوق الأخرى دخيلة وهي ظاهرة تكثر دائما في لهجات المناطق اليوم للتداخل الكبير بين أفراد المجتمع حتى ليندر وجود منطقة لا تخلو من ذلك ، وهذا الأمر يزداد في المناطق المفتوحة التي هي ممرات، ويضيق وربما يدنر في المناطق البعيدة التي يقل فيها التداخل مع الآخرين

وتتسم اللهجات العربية بسمات تفارق بينها وبين العربية الأم، وكثيرا ما تكون الفروق بين اللهجة والفصحى فروقا في الصوائت ، وكيفية نطقها ، وهناك فروق أخرى تتصل بالصوائت ، وباختلاف البنيات ، واختلاف المفردات اختلافا تاما ، يقول الدكتور إبراهيم أنيس : (الذي يفرق بين لهجة وأخرى هو بعض الاختلاف الصوتي في غالب الأحيان)^٨ ، ودون ذلك تتفق اللهجات فيما بينها في أكثر السمات الأخرى

ولكل لهجة سماتها العامة والخاصة ، فلهجة كل قطر عربي عبارة عن لهجات كثيرة متنوعة ، تتسم كل منطقة بلهجة خاصة تميزها من لهجات المناطق الأخرى فليست اللهجة اليمنية مثلا لهجة واحدة ، وإنما لهجات متعددة، وليست اللهجة السعودية لهجة واحدة وإنما لهجات متعددة ، وكذلك ليست اللهجة العمانية لهجة واحدة ، وإنما لهجات متعددة ، لذا سيكون الحديث عن اللهجة العمانية حديثا عن سمات عامة تتفرق بين لهجات عمانية متعددة

ولعل اللهجة السائدة في المدن الرئيسية تمثل أكثر السمات التي توجد في لهجات المناطق الأخرى ، وهو ما يعني أن سمات لهجات المدن تمثل تجمعا لهجيا مختلفا في أكثر الأحيان، يقدم صورة مقربة للهجة مشتركة بين لهجات المناطق الأخرى، إلا أنه يمثل انصهارا للخصائص المميزة للهجات المناطق تضيع

^٧ في اللهجات العربية ، الدكتور إبراهيم أنيس ص (١٦)

^٨ في اللهجات العربية ص (١٧)

معه كثير من السمات الخاصة، وما من شك أن المدن لا يوجد فيها صفاء لهجي كما هو الحال في المناطق المنعزلة التي تحتفظ فيها كل منطقة بسمات خاصة، تكون سمتا لها وعلامة تميزها من غيرها، حتى إن سمة معينة توجد في لهجة منطقة ما تكون ميزة لها تشبه كثيرا الميزات الأخرى التي تميزها من عادات ولباس وغيره

وسوف تقف الدراسة عند عدد من الظواهر البارزة، التي بدت لنا من خلال التأمل في عدد من النماذج الصوتية التي تيسر لنا منها ما سجلناه، ومنها ما كان مسجلا أو مسموعا من أفواه الناس، ومنها ما استعنا فيه بجهود طلابنا في تتبع الظواهر اللهجية لمناطقهم، وهو جهد كان له الأثر الكبير في التثبت من كثير من الظواهر، وكذلك أيضا من خلال تتبع الدراسات والأبحاث التي رصدت الجوانب الصوتية في اللهجة العمانية، ولا تدعي هذه الدراسة رصد جميع الظواهر فذلك أمر يحتاج الى وقت طويل، وجهد متواصل، ورصد للظواهر في شتى مناطق السلطنة وهو أمر يمكن أن يتم اذا توافرت له أسبابه ودواعيه الكثيرة

أهمية دراسة اللهجات :

لدراسة اللهجات أهمية كبيرة، فهي بأهمية دراسة اللغات، بل اللغات في الأصل هي لهجات، ودراسة اللهجات في العربية لها أهمية كبيرة أدركها علماء العربية قديما، واللهجة في العربية تدل على اختلاف النطق ولذلك وجدنا صاحب اللسان يعرفها بأنها: " جرس الكلام .. ويقال فلان فصيح اللهجة واللهجة، وهي لغته التي جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها" ^١ فاللهجة إذن هي خروج بالنطق الفصيح الى غيره، وتتقارب انحرافات الألسنة اللهجية عن الفصحى، ولذلك نجد كثيرا من الظواهر اللهجية القديمة ماثلا في النطق الحديثة، وقد رأى ذلك أحد الباحثين الغربيين فقال: " فلو بحث عن أي ظاهرة

^١ اللسان ص/ ٤٠٨٤

ذكرها العلماء العرب القدماء من ظواهر اللغة العربية فأغلب الظن أنك ستجدها في هذه الجزيرة ، وفي بعض الأحيان في أكثر من موضع من مواضعها"¹¹

ودراسة اللهجات يستفاد منه إلى جانب معرفة الظواهر اللغوية بصورة عامة ، التعرف إلى وجود الظواهر القديمة في العربية الفصحى ، ومعرفة ابتعاد العامية عن الفصحى ، وليس هناك من تغير جوهري بين العامية والفصحى إلا انحرافات في النطق ، وأكثر ما يكون في الحركات ، ودخول كلمات من لغات أخرى ، وربما انتقال ظاهرة ما من لغات أخرى وهي حالات نادرة تقريبا ، وظاهرة دخول الكلمات موجودة في الفصحى، إلا أنها في العاميات أكثر ظهورا لعدم الموانع التي توجد في الفصحى والقوانين التي تحد منها، فهي دائما تخضع لقوانين اللغة الداخلة فيها.

وقد عني علماء العربية قديما بدراسة اللهجات، منذ القرن الثاني الهجري فرصد سيبويه الظواهر الصوتية التي كانت شائعة آنذاك، وتبعه آخرون في القرون المتتالية ، ولولاها لم يكن لنا تمكن من معرفة كيفية نطقهم ، ولضاع علم كثير نحن أحوج إليه ، والحال ذاته في دراسة اللهجات اليوم، فهو أمر على جانب كبير من الأهمية، سيسهم في رصد كثير من الظواهر الصوتية التي تتسرب اليوم من ألسنة الناس بسبب التقارب بين الألسنة والاختلاط بين البشر، وسرعة التأثير الذي يلحق اللغة لذلك

وقد مرت دراسة اللهجات ورصد ظواهرها بمراحل مختلفة عبر الأزمنة المتعاقبة فكانت في البداية خاصة بما يتصل بالفصحى ، فكثير من الظواهر اللهجية التي رصدت في القرون الأولى كانت ظواهر تتصل بها، ثم حين اختلط العرب بالأمم الأخرى ابتعدت النطوق عن الفصحى كثيرا فوجدت ظواهر

¹¹ دراسات في لهجات شرقي الجزيرة ، ت.م. جونستون ، ترجمة د.احمد محمد الضبيب، الدار العربية للموسوعات بيروت لبنان،

أخرى تبتعد عن الفصحى ، وتتصل بمظهر خاص للهجات نأت كثيرا عن الفصحى ، حتى صارت إلى نطوق بعيدة تقف حائلا دون تفاهم الناس في أكثر المناطق في البلاد العربية ، وهو ما نجده اليوم ماثلا جليا ، ولكن العربية الفصحى ظلت تمثل مركزا يشد العربي الى لسان موحد وهو ما قلل درجة الابتعاد وأوجد نقاط التقاء كثيرة ، فعامية العربية في أي ركن من الوطن العربي تجد حضور الظواهر العربية فيها أصيلا ، كما نجد ذلك في العامية العمانية

الدراسات السابقة للعامية العمانية

قام كثير من الغربيين بدراسة العامية العمانية ، وقد كان ذلك في أوقات متباعدة ففي نهاية القرن قبل الماضي قام أحد المستشرقين يدعى جياكر (Jayakar) في عام ١٨٨٩م بدراسة عنوانها لهجة مسقط الحضرية ، كما قام آخر ويدعى رينهاردت (Reinhardt) ١٨٩٤م بدراسة تحت عنوان لهجة بني خروص ، ثم في مطلع القرن الماضي قام ثالث ويدعى رودوكاناكس (Rhodokanakis) ١٩٠٨-١٩١١م بدراسة بعنوان اللهجة العربية في محافظة ظفار ، وفي أواخر القرن الماضي قام آخرون بدراسات مماثلة منها دراسة قام بها جالووي (Galloway) ١٩٧٧م بعنوان الخصائص التركيبية للهجات عمان وأخرى قام بها كلايف هولز (Clive Holes) ١٩٨٣ ، وثالثة قام بها روجر ويستر ١٩٨٥-١٩٨٧م بعنوان لهجة أهل البادية في رمال آل وهيبية

وعلى الرغم من أهمية هذه الدراسات لا سيما كونها قدمت في وقت مبكر جدا ورصدت ظواهر صوتية في ذلك الوقت المبكر نجد أنها كانت تدور في دائرة التعرف إلى خصائص المجتمعات العربية في تلك البيئات ، وهو الأمر الذي يفسر حصولها في تلك الظروف الصعبة التي حدثت فيها، فليس من السهل القيام بدراسة لغوية أو صوتية في ظروف قاسية يصعب على الإنسان فيها التنقل بين

المناطق ، إلا أن ذلك لا يقلل من أهمية تلك الدراسات بل يجعلها أكثر أهمية وأرفع قيمة

والمعروف أن المستشرقين اهتموا بالعاميات ليس لمعرفة العربية وفروعها اللهجية وإنما لمعرفة العرب الذين كان لسانهم عاميا ، والواقع الاجتماعي والتفكير السائد في البلاد العربية، وغيرها من الحقائق ، يروي أحد المستشرقين (هارتفيك ديرنبوغ) وكان مهتما بالعربية ونحوها أنه " وصل الى المغرب وأراد أن يستأجر حمارا يركبه الى إحدى الجهات فطلب ما يبتغي بقوله: "أريد حماراً" دون أن يهمل حركة من حركات الجملة، فلم يفهمه أحد ممن كان حوله، ولقد كان عجبه عظيما حين علم بأن جملة أريد حمارا التي يكتبها بهذا الشكل، يجب أن يعبر عنها في المغرب بجملة " نحب داب" ١١ ، و لذلك قال المستشرق: " آدمون صوسه " في مقال له عام ١٩٣٣ : (لعل أول ما يبدأ به الأوربي الذي يؤم الشرق ليعرف البلاد و يدرس حضارتها ولغتها هو تخصيصه قسما من وقته لتعلم اللغة العامية"^{١١}

ولم يكن اهتمام العرب في أكثر البلاد العربية بدراسة لهجاتهم حديثا إلا في منتصف القرن الماضي ، إذ كان للجامعات اهتمام كبير ، وإن كان ذلك الاهتمام مشوبا بكثير من الحذر الشديد ، إذ اشتدت الحملات على الفصحى والمناداة باحلال العاميات محلها ، الأمر الذي جعل الاقتراب من العامية والاهتمام بها نوعا من الخيانة ، ودفعا بهذه الدعوات الى ما تريد وترغب، وحين نتتبع ذلك الهجوم على الفصحى ذلك الوقت ندرك مسوغ النظر الى المسألة على هذا النحو

وكانت الأسباب في دراسة اللهجات العربية متعددة ليس منها الأسباب التي دفعت غيرهم من المستشرقين الى دراسة اللهجات العربية، وهو أمر طبيعي ، لا

^{١١} اللغة العربية، القسم الثاني، الفصحى والعامية، تحرير وتقديم: محمد كامل الخطيب، منشورات وزارة الثقافة،

الجمهورية العربية السورية، دمشق، ٢٠٠٤، ص/١٤٩

^{١٢} نفسه، ص/ ١٤٨

يحتاج الى تعليل ، والبادي في الدراسات التي تناولت العامية العمانية أنها كانت تقف عند الصلة بينها وبين الفصحى ، نجد ذلك في عناوين المؤلفات مثل: قاموس الفصاحة العمانية ، ما حفظته الدارجة العمانية للغة العربية ، وإزاحة الأعيان عن لغة أهل عمان ، نماذج من الدارجة العمانية في قاموس العربية الفصيح، و معجم المفردات العامية العمانية ، وهذه الكتب كلها تسعى إلى تأكيد الصلة الوثيقة بين العامية العمانية والفصحى وهي صلة ثابتة لا شك في ذلك

كما أن قسما من المؤلفات. لاسيما الذي يدخل في اطار الدراسات الجامعية. مال الى الوقوف أمام الظواهر الصوتية والدلالية لعدد من اللهجات ، مثل: الخصائص الصوتية لهجة صحار، والظواهر الصوتية في لهجة الحمراء ، التطور الدلالي لألفاظ حياة الإنسان في لهجة قريات ، و لهجة نزوى دراسة صوتية

والدراسة الحديثة وهي الشائعة في هذه الدراسات الجامعية تحاول الاستفادة من الجهود الغربية في دراسة اللغة ، وأصواتها، وتجمع بين الدرس العربي القديم للهجات واللغة بشكل عام والدرس الحديث الذي يستفيد من المفاهيم اللغوية الحديثة

وفي هذه الدراسة وقفنا على أصوات العامية وظواهرها ، فالعاميات تتبدى صورتها في نطق أصواتها أول ما تتبدى ثم في ظواهرها المختلفة التي تكون سمتا لها ، تميزها من غيرها من العاميات العربية الأخرى

الأصوات اللهجية :

بين أصوات العربية هناك أصوات يتغير نطقها في اللهجات العربية ، فلا تسمع بالكيفية ذاتها التي تكون عليها في النطق الفصيح ، وقد أطلق عليها بعض الباحثين الفونيمات المتقلبة ، وهي تقابل الفونيمات الثابتة التي لا تتغير من لهجة لأخرى ، وقد حدد بعضهم هذه الفونيمات المتقلبة بالأصوات الآتية:

(الشاء، والجيم، والذال، والطاء، والقاف) فهذه "تنطق ببدائل متباينة في اللهجات العربية مثال ذلك / ث / فهي [ث] أو [ت] أو [س] في اللهجات العربية المختلفة" ١٣

ولا يبدو الحال مقصورا على هذه الأصوات أو الفونيمات، فهناك أخرى غيرها لا تثبت على كيفية نطقية واحدة في اللهجات العربية أبرزها صوت (الضاد) الذي ينطق بالترقيق كصوت الدال، أو بترك فراغ في المخرج عند نطقه فيسمع كصوت الطاء، أو يكون ضادا كما هو في النطق العربي الفصحى اليوم، وكذلك الطاء التي تسمع أصواتا مختلفة، وغيرها كثيرة

هذه الظاهرة، أي ظاهرة الأصوات المتقلبة، أو الفونيمات المتقلبة ذكرها سيبويه في القرن الثاني الهجري عندما حصر أصوات العربية، ثم ذكر عددا من الأصوات تسمع على ألسنة العرب منها ما استحسنه حينما رأى القراء يقرأون القرآن به، وهي ستة أصوات، ومنها ما استقبحه عندما لم يجد لها أثرا على ألسنة الفصحاء والقارئین، وهي سبعة أصوات

والفارق بين ما ذكره سيبويه وما ذكره المحدثون في ما أطلق عليه الفونيمات المتقلبة، أن هذه تعد أصواتا أساسية في اللهجات وليست بدائل أي فونيمات، في حين أن الأصوات التي ذكرها سيبويه هي بدائل في الفصحى تتجاوز مع الأصوات الأساسية فهي الفونات وليست فونيمات

ويتأمل الأصوات البديلة التي ذكرها سيبويه نجد أنها تنحصر في عدد من الأصوات منها ما يتجلى في صوت آخر مقارب له، وهي تسعة أصوات (النون) و (الهمزة) و (الألف) و (الشين) و (الكاف) و (الضاد) و (الطاء) و (الطاء) و (الباء)، ومنها ما يتجلى في صوتين، هما: صوت (الضاد) الذي يسمع مرة (كالسين) ومرة (كالزاي)، و صوت (الجيم) الذي يسمع مرة (كالكاف) ومرة (كالشين)

^{١٣} مدخل إلى علم اللغة، محمد علي الخولي ط/١ دار الفلاح للنشر والتوزيع ١٩٩٣م صويلح. الاردن ص / ٥٥

وبالمقابلة بين هذه الأصوات التي كانت تسمع نطوقا مختلفة على السنة العرب و الأصوات المتغيرة اليوم نجد اشتراكا في قسم منها ، فهذه التي ذكرها المحدثون منها ما كان العرب قديما يجدون فيه صعوبة ، ومنها ما اعتاص عليهم فيما بعد

والأصوات اللهجية أو الفونيمات المتقلبة ليست محصورة في ما ذكره سيوييه، وإنما هناك أصوات غيرها ذكرها علماء العربية منها الباء التي كالميم في قولهم: باسمك؟ في: ما اسمك؟^{١٤}، ومنها ما سمي بالعننة ، وهو قلب الهمزة عينا، ومنها ما سمي بالكشكشة وهي أن يجعل بعد كاف الخطاب في المؤنث شيئا، " أو يبدلون شيئا فيقولون رأيتكش وبكش وعليكش، فمنهم من يثبتها حالة الوقف فقط وهو الأشهر ومنهم من يثبتها في الوصل أيضا، ومن يجعلها مكان الكاف ويكسرهما في الوصل ويسكنها في الوقف فيقولوا منش، وعليش"^{١٥} ، ومنها الكسكسة، "وهي في ربيعة ومضر يجعلون بعد الكاف أو مكانها سينا.. والعننة وهي في كثير من العرب في لغة قيس وتميم تجعل الهمزة المبدوء بها عينا، فيقولون في أنك: عنك، وفي أسلم: عسلم.. ومن ذلك الفحفة في لغة هذيل يجعلون الحاء عينا، وهي خاصة بحاء حتى يقولون فيها عتي ومن ذلك العجعة في لغة قضاة يجعلون الياء المشددة جيما، يقولون في تيمي تميمج، ومن ذلك الاستنطاء في لغة سعد بن بكر وهذيل والأسد وقيس والأنصار تجعل العين الساكنة نونا إذا جاورت الطاء كأنطى في أعطى، ومن ذلك الوتم في لغة اليمن تجعل السين تاء كالتاء في الناس، ومن ذلك الشنشنة في لغة اليمن تجعل الكاف شيئا مطلقا كلبيش اللهم لبيش، أي : لبيك، ومن العرب من يجعل الكاف جيما كالجعبة يريد الكعبة"^{١٦}

^{١٤} ينظر: سر صناعة الاعراب، ابن جني ص/١١٩

^{١٥} المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى بك، علي محمد الجاوي، محمد أبو الفضل

إبراهيم ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ٢٢١/١

^{١٦} نفسه ٢٢٢/١

وحين نقف على الأصوات اللهجية في العامية العمانية أي الفونيمات المتقلبة، نجد اختلافات في نطقها بين مناطق السلطنة، منها ما يقترب من النطق العربي الفصيح ومنها ما يبتعد عنه

و سوف نقصر البحث هنا في خمسة من الأصوات أو الفونيمات المتقلبة التي تتجلى على ألسنة الناس، لأنها أكثر ظهوراً وتغيراً أملين أن يتصل في مباحث أخرى:

- (١) صوت الهمزة ، (٢) صوت القاف ، (٣) صوت الكاف ، (٤) صوت الجيم
(٥) صوت الضاد

وقد تتبعناها فوجدناها مضطربة على ألسنتهم ، لا تأخذ هيئة نطقية واحدة، فلا تسمع القاف بصوت واحد في جميع المناطق ، وإنما تسمع بأصوات متعددة فهي قاف مهموسة ، كما هو الحال في النطق العربي القار ، المتمثل في نطق قارئ القرآن ، و تسمع أيضا جيما قاهرية ، وهو نطق شبيه بالنطق العربي القديم الذي يوافق وصف سيبويه ، و تسمع أيضا غينا ، وهو نطق بعيد ، وهذه الصور النطقية الثلاث موجودة على ألسنة العرب في اللهجات العربية المختلفة في بلاد العرب على اتساعها

أما صوت الضاد فلا يكاد يعرف على ألسنة العمانيين في لهجاتهم المختلفة ، وإنما ينازع صوت الظاء في وجوده ، ولذلك لا يجد العمانيون في اللهجة صعوبة في نطق صوت كما يجدونها في نطق الضاد

وأما صوت الجيم فقد استقر في أكثر الألسنة ياء ، لا سيما من يسكنون في منطقة الباطنة ، وهو امتداد لوجوده اليائي على الشريط الساحلي الذي يمثل لهجات شرقي الجزيرة العربية

وأما صوت الألف فهو صوت يتناوبه الترخيم والإمالة ، فيسمع مضخما في مناطق ، ويسمع ممالا في مناطق أخرى ، إلا أن ذلك لا يكون إلا في أحوال

التفخيم والإمالة ، وإلا فالصوت مرقق دائما لا يعتريه منهما شيئ ، وسوف
نفصل ذلك تفصيلا في المباحث القادمة

١ . صوت الهمزة:

والهمزة أكثر الأصوات صعوبة في النطق لأنها تخرج من الحنجرة باتصال
الوترين الصوتيين فانفتاحهما فجأة فهي أعمق الأصوات في المخرج وأصعبها ،
ولصعوبتها تجنب نطقها الحجازيون ، وتجنب نطقها إذا تكررت جميع العرب، فلا
تجتمع همزتان في كلمة واحدة إلا وتبدل إحداهما أو تحذف أو تسهل، وقد
تجتمعان ، وكما كان نطقها مستصعبا كان وصفها محيرا للقدماء
والمحدثين فلم يتفق المحدثون على وصفها مجهورة أو مهموسة أو غير مجهورة
وغير مهموسة بل تفرقوا إلى فئات ثلاث كل يرى لها صفة

وهي في العاميات متجنبة دائما تبدل إلى حروف أخرى، وقل أن تسمع فيها،
والعامية العمانية تصرفت فيها تصرفا كتصرف العرب فهي تبدل دائما إلى
حرف حركتها فيقولون: (سمائل) بدلا عن سمائل ، ويقولون (طائرة) بدلا عن
طائرة ، وقد تبدل عينا وهي ظاهرة عربية قديمة تسمى العنعة يقولون: (عرض)
بدلا من أرض ، و (عرب) بدلا من أرنب وذلك في مناطق كثيرة كإزكي
وعبري ومنح وقريات ، وفي ولاية عبري بلاد الشوم يقولون (أيني) بدلا عن عيني،
وهو إبدال يمكن فهمه صوتيا لأن الصوتين متجاوران في المخرج

وقد تبدل هاء وهو إبدال صوتي لأنهما متفقان في المخرج فكلاهما
حنجريان، يقولون: (هين) بدلا من أين في مناطق كثيرة في الشرقية في جعلان
بني بوحسن

إلا أن إبدال الهمزة واوا دون ان تكون حركتها الضمة من الحالات اللافتة
التي لا تتفق مع الإبدال الصوتي الذي يشترط تقاربا في المخرج أو الصفة ، ففي
منطقة شمال الشرقية يقولون (مصاوب) بدلا عن مصائب ، وهي حالة غريبة وان

كان لها نظائر في كلام العرب حيث يقولون (عجاوز) بدلا عن عجائر، وان كانت الواو هنا اصيلة في حين أن الواو هناك دخيلة ومن ذلك الإبدال غير الصوتي إبدال الهمزة المكسورة واوا في مثل: إزار التي تنطق (وزار) وذلك في سهل الباطنة

٢. صوت القاف :

صوت القاف صوت لهوي شديد مهموس ، ينطق باتصال أقصى اللسان بأدنى الحلق بما في ذلك اللهاة ، حيث ينحبس الهواء الخارج من الرئتين عند الاتصال بين عضوي النطق ، ويتباعد الوتران الصوتيان فلا يهتران عند انفراج عضوي النطق ، فيسمع صوت القاف، " ولا فرق بين القاف كما نطق بها، وبين الكاف إلا في أن القاف أعمق قليلا في مخرجها " ^{١٧} وقد وضعه علماء العربية قديما مع الأصوات المجهورة ، مما جعل المحدثين يحارون فيه فمنهم من شكك في طريقة علماء العربية القدماء في ضبط الجهر في هذا الصوت ، ومال إلى القول أنهم أخطأوا^{١٨} ، ومنهم من رأى أن الصوت ناله تغيير^{١٩} ، فذهبت صفة الجهر فيه عبر الزمن وصار خاليا منها ، يقول أحدهم: " وقد عد قدماء اللغويين العرب القاف من الأصوات المجهورة في العربية الفصحى، فإن صدق وصفهم إياها بالجهر، كان ذلك النطق من التغييرات التاريخية في العربية القديمة"^{٢٠}، وقد أشار ابن خلدون إلى تغير القاف في قوله: " ومما وقع في لغة هذا الجيل العربي .. النطق بالقاف فإنهم لا ينطقون بها من مخرج القاف عند أهل الأمصار كما هو مذكور في كتب العربية أنه من أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى ، وما ينطقون بها أيضا من مخرج الكاف وإن كان أسفل من

^{١٧} الأصوات اللغوية ص / ٧٤

^{١٨} مناهج البحث في اللغة ، تمام حسان، دار الثقافة، دار البيضاء ١٩٧٩م ص/١٢٤

^{١٩} الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس ص/٧٢

^{٢٠} القاف والهمزة في اللهجات العربية ، رمضان عبد التواب ، اللهجات العربية بحوث ودراسات ، جمهورية مصر ، مجمع اللغة العربية القاهرة ٢٠٠٤م ص/٤٤٢ ، ينظر الأصوات اللغوية ، اراهيم أنيس مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، دون تاريخ ص/٧٢

موضع الكاف وما يليه من الحنك الأعلى كما هي بل يجيئون بها متوسطة بين الكاف والقاف^{٢١}

والراجع أن صوت القاف القديم هو الصوت المهموس المسموع على السنة القراء والمثقفين ، لمحافظتهم عليه في أكثر البلاد العربية ، ولاتفاق علماء العربية المحدثين " فلا يتصور أن يجمع قراء القرآن في كل بلاد الإسلام على هذا الصوت وهم يتلقون القرآن مشافهة من جيل الى جيل، ثم نزع أنه ليس هو الصوت القديم^{٢٢} " أما الصوت الآخر الموصوف قديما بالجهر فهو الصوت اللهجي الذي نسمعه في مناطق كثيرة في بلاد العرب، ولا بد من التأكيد على أن من البلاد العربية من ينطقون في قراءاتهم بالصوت المجهور^{٢٣}

والقاف في اللهجات العربية يسمع أصواتا متعددة ، فهو همزة على السنة قسم من العرب^{٢٤} ، وهو غين على القسم الآخر^{٢٥} ، وهو كاف على السنة آخرين^{٢٦} ، وهو جيم قاهرية ، وهو قاف مهموسة ، وهو جيم معطشة

والقاف في العامية العمانية أيضا يسمع أصواتا متعددة، فهو الصوت الفصيح (لهوي قصي) وينطق في أغلب مناطق الداخلية ، كنزوى^{٢٧} ، وجنوب الباطنة وغيرها ، و هو كاف ويسمع في الداخلية ببهلاء والحمراء^{٢٨} والرسناق ، و آدم وغيرها من المناطق وهو كاف مشوبة بالقاف ، إذ يقولون (كال) بدلا من قال ، و(كبيلة) بدلا من قبيلة، كما يسمع في الباطنة في الرسناق وادي السحتن على وجه الخصوص، وغيره من المناطق ، وهو جيم قاهرية وهو القاف المجهورة ،

^{٢١} مقدمة ابن خلدون دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ٢٠٠١ م ١/٧٦٨

^{٢٢} أصوات العربية بين التحول والثبات ص/٢٦

^{٢٣} القاف تنطق في مناطق كثيرة في اليمن قافا مجهورة كحضرموت وصنعاء

^{٢٤} القفاف ينطق همزة في مصر والشام

^{٢٥} القاف ينطق غينا في السودان وفي عمان في مناطق الشرقية

^{٢٦} ينطق القاف كافا في فلسطين والعراق وكذلك في عمان في بهلاء والحمراء

^{٢٧} ينظر : لهجة نزوى ، دراسة صوتية ، د. عبد الحليم حامد وآخرون مجلة الدراسات اللغوية ص/٥٨

^{٢٨} ينظر الخصائص الصوتية للهجة الحمراء ص/١٨

(لهوي أمامي)^{٢٩} ، ويسمع في أكثر مناطق الشرقية ، وكذلك مناطق متعددة من الباطنة ، وهو غين في مناطق مثل ازكي ، وجعلان وصور ، والحمراء^{٣٠} ، ومن تمكن هذا الصوت على الألسنة نطقهم القرآن بقلب صوته غينا، وهي حالة فريدة، وهذا الصوت. أي الغين. رأى الدكتور ابراهيم أنيس أنه ربما كان الأقرب الى الصوت القديم للقاف^{٣١} ، وكذلك يسمع القاف كافا في عدد من المناطق في الباطنة في الرستاق وفي بهلا في الداخلية ، بل ربما اختلف نطقه بين المناطق القريبة بعضها من بعض ففي قريات في الساحل ينطقون القاف جيما قاهرية، وفي الداخل ينطقونه قافا

وقد يسمع القاف في مناطق أخرى نطقا بين القاف والكاف كما هو الحال في عبري حيث يتحقق هذا الصوت في قولهم (يزقروا) بمعنى يتشجارون

٣. صوت الكاف

الكاف صوت مهموس، شديد، أو انفجاري حنكي قصي يتم نطقه " برفع أقصى اللسان تجاه أقصى الحنك الأعلى والتصاقه به ليسد مجرى الهواء من الأنف ويضغط هذا الهواء لمدة قصيرة من الزمن ثم يطلق سراح المجرى الهوائي فيحدث انفجار مفاجئ ولا يتذبذب الوتران الصوتيان حال النطق به " ^{٣٢} و يسمع جيما قاهرية في عدد من المناطق مثل السويق، والحمراء ، وبهلا ، أي إنه يكتسب جهرا ، فالجيم القاهرية هي مجهور الكاف ، يقول الدكتور بشر " قد يصيب الكاف نوع من الإجهار في بعض السياقات كما في نحو (أكبر) فينطق كما لو كان جيما قاهرية في الكلام غير المتأني " ^{٣٣} ، و في السويق (عمتك) تنطق: (عمتق)، وربما نطق الكاف خاء، وهو نطق نادر ولكنه مسموع في مناطق

^{٢٩} ينظر: نفسه ص/٥٨

^{٣٠} ينظر الخصائص الصوتية لهجة الحمراء ص/١٩

^{٣١} ينظر: الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس ص/٧٢

^{٣٢} علم الأصوات ، كمال بشر ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٠ م ٢/٢٧٣

^{٣٣} علم الأصوات /٢ /٢٧٣

عند كبار السن كما في منطقة (منح) وغيرها ، ولا بد أن القرب المخرجي بين الكاف والخاء هو السبب في ذلك

أما نطقه شينا ، أو صوتا مزجيا ، فهو نطق قديم أطلق عليه القدماء الكشكشة ، وفرقوا بينه وبين الشنشنة ، وسوف نتناول ذلك في معالجة الظواهر الأخرى

٤. صوت الجيم

يحدد المحدثون صوت الجيم بقولهم: " صوت شديد مجهور يتكون بأن يندفع الهواء إلى الحنجرة فيحرك الوترين الصوتيين ثم يتخذ مجراه في الحلق والضم حتى يصل الى المخرج عند التقاء وسط اللسان بوسط الحنك الأعلى التقاء محكما بحيث ينحبس مجرى الهواء فإذا انفصل العضوان انفصالا بطيئا سمع صوت يكاد يكون انفجاريا "٣٤ ، وهو تحديد القدماء نفسه فهو " من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى " ٣٥

أما صوت الجيم المسموع اليوم فهو " جيمات ثلاثة: الجيم الموصوفة بالفصحى وهي المعروفة بالمعطشة، والجيم القاهرية، وهي مجهور الكاف، والجيم الشامية وهي مجهور الشين" ٣٦ يضاف إليه صور نطقية أخرى أبرزها نطق الجيم ياء ، في مناطق عربية كثيرة، في الخليج وحضرموت، وفي المغرب الأقصى ٣٧ وهو صوت لهجي قديم ذكره علماء العربية ، واستشهدوا بقول الشاعر:

إذا لم يكن فيكن ظل ولا جنى فأبعدكن الله من شيرات ٣٨

٣٤ الأصوات اللغوية ص/ ٧٠

٣٥ الكتاب ٤/٣٣

٣٦ الاصطلاح الصوتي، د. عبد العزيز الصيغ، دار الفكر دمشق ، ٢٠٠٧ م ص/ ١٢٦

٣٧ ينظر: لهجات الجنوب، الأستاذ محمد رضا الشبيبي ، اللهجات العربية بحوث ودراسات جمهورية مصر العربية، مجمع اللغة العربية القاهرة ٢٠٠٤ م ص/ ٤٩١

٣٨ المزهري في علوم اللغة وأنواعها ، للسيوطي ١/٤٧٥ ، وينظر أيضا: المقتضب في لهجات العرب ، د. محمد رياض كريم ،

القاهرة، ١٩٩٦م ص/ ١٣٣

وصوت الجيم جعله الخليل مع صوتي القاف والكاف فقال " وأما مخرج الجيم والقاف والكاف فمن بين عكدة اللسان وبين اللهاة في أقصى الفم " ^{٣٩} وهي إشارة صريحة إلى صوت مختلف للجيم عن الصوت الذي حدد سيبويه موضعه بقوله " من وسط اللسان بينه وبين وسط الحنك الأعلى مخرج الجيم والشين والياء " ^{٤٠} ، وتحديد الخليل يطابق الجيم القاهرية ، في حين أن تحديد سيبويه يطابق الجيم المعطشة

ونطق الجيم في اللهجات العمانيّة يسمع بهيئات متعددة فهو ياء ، وهو جيم معطشة ، وهو أيضا مجهور الكاف أو جيم قاهرية ، وصوت الجيم ياء يسمع في أكثر المناطق ، فهو في أكثر مناطق الباطنة ، وفي الشرقية ، في ابراء لا سيما عند الحارثيين ، وفي محافظة مسقط ، ويسمع قليلا جيما قاهرية في منطقة عبري ، وسناو ، وغيرها ، وأقل من ذلك يسمع الجيم كافا في جعلان ، و يفسر هذا النطق الأخير الاشتراك المخرجي للجيم والكاف بحسب تصنيف الخليل وفي بحث للمستشرق (كلايف هولز) للهجة أهل البادية في رمال آل وهيبة (١٩٨٩) يقول: " قبائل عمان البدوية تتحدث اللهجة البدوية وتتضمن قبائل آل وهيبة والجنبة والدروع والحراسيس وتميز اللهجة البدوية بنطق الجيم قافا " ^{٤١} وهو لا شك يعني هنا مجهور الكاف ، ولتداخل المناطق نجد الصوت ينطق صورا نطقية مختلفة وهي ظاهرة بارزة ، ففي قرى الساحل ينطقون الجيم ياء وفي الداخل ينطقونها جيما قاهرية

٥. صوت الضاد

وهو من الأصوات التي تغير نطقها على ألسنة العرب تغيرا شبه تام ، فقد انسحب من النطق العربي منذ القرون الأولى ، يقول أحد الباحثين: " ومن

^{٣٩} العين ٥٢/١

^{٤٠} الكتاب ٤٣٣/٤

^{٤١} اللهجات العمانيّة المتأصلة ، خالصة الأغبورية ، مجلة نزوى العدد ٤٦ ، ٢٠٠٩ م /ص/.....

الأصوات التي تعرضت لتغيير مطلق في اللغة العربية واللغات السامية صوت الضاد "٤٢"

وهو اليوم صوت شديد مجهور يخرج بانطباق اللسان على الحنك الأعلى^{٤٣}، كما يسمع اليوم على ألسنة القراء والمثقفين ، فهو النظير المطبق لصوت الدال، أما وصفه قديما فهو " من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس مخرج الضاد إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن و إن شئت من الجانب الأيسر"^{٤٤}، و ليس له نظير، كما نص على ذلك سيويوه حين قال: " ولولا الأتباق لصارت الطاء دالا، والصاد سينا، والطاء ذالا، ولخرجت الضاد من الكلام لأنه ليس شيء من موضعها غيرها " ^{٤٥}

وهو الصوت الذي تميزت به العربية من غيرها من اللغات ، فقال ابن جني: " واعلم أن الضاد للعرب خاصة ولا توجد في كلام العجم إلا في القليل " ^{٤٦} وأكد ذلك المتنبى في بيته الشهير مادحا قومه :

وبهم فخر كل من نطق الضا د وعود الجاني وغوث الطريد

و ذلك محقق معروف ففي " أغلب اللغات السامية الأخرى تحول تحولا مطلقا ولم يعد موجودا فيها بأي صورة من الصور " ^{٤٧}

وفي العامية العمانية ليس للضاد وجود على ألسنة الناطقين بالعامية في أكثر المناطق ووجوده نادر كما هو الحال في قرية المسفاة، وفي مسندم ، أما أغلب المناطق فيسمع دائما صوت الطاء ، مما يعني أن هذا الصوت يقوم مقام فونيمين في العامية العمانية ، وهي حالة توجد في مناطق كثيرة في البلاد العربية كالعراق، أي إن النطق اللهجي للضاد على ألسنة جميع أهل عمان في مناطقها

^{٤٢} التغير التاريخي للأصوات ، د. أمنة صالح الزعبي ، دار الكتاب الثقافي ، اربد ، الأردن ٢٠٠٥م /ص/ ١٧٩

^{٤٣} ينظر الأصوات: ص/ ٥١

^{٤٤} سر صناعة الإعراب /ص/ ٤٧

^{٤٥} الكتاب /٤/ ٤٣٦

^{٤٦} سر صناعة الأعراب /ص/ ٢١٤

^{٤٧} التغير التاريخي للأصوات ، د. أمنة صالح الزعبي ، دار الكتاب الثقافي ، اربد ، الأردن ٢٠٠٥م /ص/ ١٧٩

المختلفة هو الظاء ، يذكر الأستاذ عبدالله الحبسي صاحب كتاب معجم المفردات العامية العمانية أن معجمه خلا " من حرف الضاد وذلك لأن معظم العمانيين لا ينطقون هذا الحرف كثيرا ، وإنما يستعوضون عنه بحرف الظاء ^{٤٨} ومن خلال الإحصاء الذي قمنا به في أكثر مناطق السلطنة وجدنا إن صوت الضاد تخلو منه العامية العمانية ، إلا ما ندر مما ذكرنا، وما يسمع ليس إلا من أثر التعليم ، وهو أمر يحتاج إلى تتبع أكثر ، واستقصاء تام

هذا الإجماع ، أو شبه الإجماع في نطق الضاد ظاء يمكن أن يشير إلى صلة بين الصوت القديم للضاد وبين صوتها على ألسنة المتحدثين بالعامية في عمان ، ذلك أن هذا الإجماع يؤكد حقيقة لا شك فيها هي أن الضاد العمانية أقرب الى الصوت العربي القديم ، وهي ربما كانت قبل سنين طويلة تختلف عن الظاء ثم تقارب الصوتان، وإلا فالأصل أن لا يكون في بيئة لهجية واحد صوتان يعبر عنهما لحرف واحد أو بعبارة أخرى لا يمكن أن يكون فونيمان مختلفان متحدين في الصفة والمخرج

ظواهر صوتية في اللهجة العمانية :

لكل لهجة سمات خاصة تميزها من غيرها من اللهجات ، ولا تبقى اللهجات على حال واحدة وسمات محددة ، فإنها تتغير بتغير الوقت، وكتسب سمات ، وتفقد أخرى، إلا أن هذا التغير يحدث في مديات طويلة، فقانون التغير والتبدل لا يتوقف عن العمل، فهناك أصوات تدخل دائرة اللهجة وأصوات تتراجع، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال ظاهرة وجود صور نطقية متعددة لصوت واحد في أكثر اللهجات

^{٤٨} معجم المفردات العامية العمانية ، اعداد: عبدالله بن صالح بن خلفانا لحبسي مؤسسة عمان للصحافة والنشر ، الطبعة

الثانية ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م ص/٢

يعلل أحد الباحثين نشوء اللهجات بقوله: " إن أسباب نشوء اللهجة ترد الى عوامل أهمها أن اللغة لا تثبت على حال، فهي مجرى وكلما بعد المحرى ظهر التباين"⁴⁹

وترتبط الظواهر في كل لهجة بعوامل متعددة تجعلها مقرونة بهذه اللهجة دون غيرها من اللهجات ، أو بهذا القطر دون غيره من الأقطار، أي إن الظواهر منها ما يكون شديد الخصوصية والارتباط بالناس والمكان، ومنها ما يكون مشتركا تجده في مناطق كثيرة وفي لهجات متعددة

والظواهر كثيرة بحيث لا يمكن للباحث أن يقف عليها في مدى قصير، لأن اللهجات العمانيّة متعددة لا تقف عند حد، و أقصى ما يمكن أن نقوم به هو الوقوف عند أكثرها بروزا ، وأشدّها التصاقا بالمكان والناس

من هذه الظواهر، ماهو شديد الخصوصية مثل: عدم حذف صوت العلة في الناقص المتصل بالضمير، ومنها إلحاق نون التوكيد في الماضي ، وفي اسم الفاعل منه ، ومنها هاء السكت وهي ظاهرة عربية قديمة لا تكاد تسمع في لهجات العرب، ومنها ظاهرة التخلص من المقطع الطويل المغلق بانقسامه على مقطعين قصير ومتوسط ، وهناك ظواهر أخرى موجودة كثيرا في لهجات العرب الأخرى مثل التفخيم والإمالة وتفخيم المرقق ، وترقيق المفخم، والميل إلى الكسر في نطق الأفعال والأسماء ، والبدء بالساكن ، وغيرها من الظواهر، وقد قسمنا الظواهر على أقسام ثلاثة: ظواهر خاصة ، وظواهر تتصل بالبنية المقطعية، وظواهر عامة

الظواهر الخاصة :

ونبدأ بالظواهر التي رأينا التصاقها الكبير بالعامية العمانيّة وإن اشتركت مع عاميات عربية أخرى فإنه اشتراك محدود، فهي خصائص تبرز خصوصية العامية العمانيّة، بوجه جلي وواضح، في حين أن الخصائص الأخرى يكون

⁴⁹ اللهجة وأسلوب دراستها، د. أنيس فريحة ص/ ٢٤

اشترك العامية العمانية مع العاميات العربية أوسع ، ويمكن إجمالها في الظواهر والسّمات الآتية:

١ . ظاهرة عدم حذف اللام من الناقص المتصل بضمير الجماعة

المعروف أن لام الفعل تحذف من الناقص إذا اتصل به واو الجماعة، فالفعل (مشى) إذا أسند إلى واو الجماعة تحذف منه الياء فيقال (مشوا) ولا يقال (مشيوا) ، ويقال (يمشون) ولا يقال (يمشيون) في حين أن في العامية العمانية في أكثر المناطق تثبت اللام وتنطق، فيقال: (مشيوا) ومثلها (صليوا) و (عانيوا) و (اشترىوا) و (تغديوا) ، والأمر نفسه في المضارع ، وهي ظاهرة توجد في مناطق كثيرة في الداخلية في ازكي وغيرها والباطنة في الرستاق وغيرها

وهذه الظاهرة موجودة عند فئة من العرب قديما ذكرها سيبويه في كتابه حين قال: " و سألته . يعني الخليل - عن قول بعض العرب رضيووا فقال هي بمنزلة غزَيَ لأنه أسكن العين ولو كسرهما لحذف، لأنه لا يلتقي ساكنان حيث كانت لا تدخلها الضمة وقبلها كسرة" ٥٠ وذكرها ابن جني بقوله : " قال أبو عثمان : وبعض العرب يقول: رضيووا فيسكن الضاد ويثبت الياء، لأنه لم يلتق ساكنان" ٥١ ، إلا أنها ظاهرة نادرة

فهذا النطق له أصل من لغة العرب قديما، فالذين يسكنون عين الفعل لا يحذفون لام الفعل لئلا يلتقي ساكنان عين الفعل التي سكنت والواو ، فيبقون لام الفعل حاجزا يمنع التقاء الساكنين ، والذين لا يسكنون عين الفعل يحذفون اللام

أما الحذف فيعللونه بقولهم " استثقلت الضمة على الياء فحذفت تخفيفا فاجتمع ساكنان الياء والواو فحذف الياء لالتقاء الساكنين" ٥٢ أي إن الفصحى تميل إلى حذف لام الفعل الناقص عند إسناده إلى واو الجماعة

^{٥٠} الكتاب ٤/ ٣٨٦

^{٥١} النصف ، شرح كتاب التصريف للمازني ، لأبي عثمان الفتح ابن جني ٢/ ١٢٥

^{٥٢} البيان في غريب اعراب القرآن ١/ ٥٨

تخفيفاً، في حين لا يميل إلى ذلك بعض العرب ويسوغ لهم ذلك إسكانهم عين الفعل

وهي الحال التي وجدناها في قسم من اللهجات العمانية ، التي بقيت على ألسنتها هذه الظاهرة ، وهو ما يؤكد حقيقة قد تغيب عنا وهي أن الاهتمام باللهجات ودراساتها يجعلنا نقف على كثير من الظواهر العربية الفصيحة التي اندثرت من ألسنة العرب في نطقهم الفصح وبقيت محفوظة في لهجاتهم ، كما يؤكد أن الاستعمال اللهجي ليس كله انحرافاً عن الفصحى وإنما قسم منه محافظة على ظواهرها التي انسحبت منها وظلت موجودة مستعملة في لهجاتها والظاهرة تشيع كثيراً في العامية العمانية في الداخلية في ازكي يقولون: (يصليو) بدلاً عن يصلون ، و(يمشيو) بدلاً عن يمشون ، والباطنة في الرستاق حيث يقولون: (الناس يتعشيو) أي يتعشوا

وقد عومل الفعل المهموز اللام معاملة الناقص فهم يبدلون الهمزة فيه ياءً في مثل الفعل (قرأ) حين يسندونه إلى ضمير الجماعة، ويثبتون الياء فيقولون (يقريوا) ومثله (يتوضيوا) ، بدلاً عن يتوضون ، ويميل عدد من العمانيين إلى نطق هذه الكلمة باسكان عين الكلمة (يقْرِيُوا) لا سيما منطقة جنوب الباطنة والداخلية ، وذلك انسجاماً مع النطق القديم الذي سوغ به سيبويه والمازني عدم حذف ياء الفعل في حين يميل آخرون إلى تحريك عين الفعل (يقْرِيُوا) كما هو الأصل في الاستعمال

والقول بأن سبب حذف اللام هو التقاء الساكنين ليس صائباً، لأن واو الجماعة حركة ، فلا يجتمع ساكنان هنا ، وإيضاح ذلك أن الفعل (يرضي) حين تتصل به (واو) الجماعة يكون هكذا | ي - ر / ض - ي / - ي - + - ن | فلا وجود لالتقاء ساكنين هنا

٢. ظاهرة إلحاق نون التوكيد بالماضي ، وفي اسم الفاعل منه

من الظواهر الخاصة بالعاميات العمانية وجود نون تشبه نون التوكيد تلحق الفعل الماضي، وتلحق اسم الفاعل أيضا وهي حالة خاصة ، والفصحى لا تجيز تأكيد الفعل الماضي، يقول ابن هشام في حديثه عن نوني التوكيد: " ولا يؤكد بهما الماضي مطلقا وشد قوله :

دامنَّ سعدكُ لو رحمت متيما لولاك لم يكُ للصبابة جانحا " ٥٣

وفي العامية العمانية يقولون : (كلمنه ، مكلمنه ، كاتبنه) فيلحقون نونا بالفعل ، وهي ظاهرة شبيهة بظاهرة في لهجة عدن ، وفي لهجة تعز ، إلا أنها في هاتين اللهجتين تكون مقابل واو الجماعة فحين يقولون (ضربتّه) يقصدون (ضربوه) ، وهي أيضا شبيهة بزيادة نون في لهجة الموصل العراقية، حيث يدخل الموصليون "نونا كنون الوقاية على الفعل الماضي المتكلم إذا اتصل بضمير الغائب المنصوب فتراهم يقولون في (كَتَبَ) : (كَتَبْتُونُو) وفي (أعطيته) : (أعطيتونُو) وفي (سمعته) : (سمعتونُو) " ٥٤ ، وقد وصفها الأستاذ محمد رضا الشبيبي بأنها "لهجة غريبة خاصة بأهل الموصل في العراق" ٥٥

ويتأمل النون التي تزداد في الاستعمال اللهجي العماني نجد أن معناها التوكيد، وهي تشبه تماما نون التوكيد التي تلحق الفعل المضارع، ولعل هذا الاستعمال أيضا له امتداد في استعمال الفصحى قديما، تركته كما تركت لام الفعل الفعل الناقص المتصل بواو الجماعة

وهي ظاهرة تشيع كثيرا في العامية العمانية، ولا تكاد منطقة تخلو منها فصي الباطنة في الرستاق يقولون : (علي ضاربينه أخوه) أي ضربه أخوه ، ويقولون (إنا غاسلتنه الصحن) أي : غسلت الصحن ، و(شاربتنه العصير) أي شاربته ، وفي

٥٣ مغني اللبب ٤/٢٦١

٥٤ بلبله اللهجات ، محمد رضا الشبيبي ، كتاب اللهجات العربية: الفصحى والعامية ١/٢٢١

٥٥ نفسه ١/٢٢١

السويق وغيرها ايضا ، وفي الداخلية في ازكي، وفي مناطق أخرى كثيرة ، وكذلك في الشرقية في جعلان بني بوحسن يقولون: (ياينك) أي: جاي إليك

٣. ظاهرة هاء السكت

هاء السكت: " هي اللاحقة لبيان حركة أو حرف نحو (ماهيه) .. وأصلها أن يوقف عليها، وربما وقفت بنية الوقف"^{٥٦} ، وهي ظاهرة قديمة يندر استعمالها في الفصحى إلا أن العامية العمانية احتفظت بها ، إذ تسمع في مناطق سهل الباطنة، ففي السويق والمصنعة يقولون (عمتية) بدلا عن عمتي ، و (خالتيه) بدلا عن خالتي ، و (بيتيه) بدلا عن بيتي ، و(صليتيه) بدلا عن صليتي، ويقولون: (جيب لي شنطتيه) لمخاطبة المؤنث وأيضا: "ما تعرفينيه" ، ويقولون أيضا: (ضربتنيه أميه) و (كارهتنيه) و (عاجبتنيه) ، وكذلك في ازكي في الداخلية ، وان كانت أقل

وهي دليل آخر على غنى اللهجات العمانية بالظواهر الصوتية التي تعود إلى الفصحى القديمة التي تخلت عنها واحتفظت بها العامية وتوجد في عدة مناطق في محافظة الداخلية على وجه الخصوص فهي توجد في نزوى يقولون: (شربته ؟) بمعنى هل شربت ، و (جيتوه) بمعنى هل جئتم كما توجد في منح يقولون: (كتابكه) | ك ت _ / ب _ / ك _ ه | أي : هل هذا كتابك والخطاب للمذكر ، ويقولون في مخاطبة المؤنث: (كتابشه) ، | ك ت _ / ب _ / ش _ ه | وتسمع أيضا في ازكي يقولون: "تروحيه" | ت ر _ / ح _ ه | أي: هل تروحين ؟ ، والملاحظ أن هذه الهاء تستعمل للسؤال، كما أنها تكون لخطاب المؤنثة أما خطاب المذكر فلا تستعمل له الهاء ، يقولون: "وصلتية" أي: "هل وصلت" ، و كذلك في الظاهرة في عبري ، وفي غيرها .

ومن ذلك أيضا الهاء التي تلحق بالضمير (أنت) في بعض المناطق، ففي لهجات الباطنة كالرستاق والسويق لا سيما السويق الحجرية يقولون: (نته)

^{٥٦} مغني اللبيب ٤/ ٣١٣

بدلا عن أنت للمذكر و (نتيه) بدلا عن أنت للمؤنث ، و (نتوه) | ن ت هـ |
 بدلا عن أنتم، وهي حالة خاصة ليس لها نظير في الفصحى، فمثلا يقولون: (أنا
 ونته بنسير مع خالي اليوم) أي: أنا وأنت سنذهب مع خالي اليوم ، ويقولون:
 انتيه واختش سيرن مع أخوكن) أي: أنت وأختك أذهبن مع أخيكن ، و (نتيه)
 تنطق مثلما تنطق كلمة (التيه) هكذا | ن ت هـ | أي مقطعا واحدا
 وهي ظاهرة توجد في لهجات عربية أخرى كلهجة حضرموت حيث يزيدون
 هاء في الكلمة ، دون أن يكون ذلك متصلا بالسؤال، وفي الشعر تبدو هذه الظاهرة
 جلية ففي أحد أبيات الشعر الحضرمي يقول شاعر كبير في رثاء صديق : (يا
 ريتنا سرته معه أو سرت قبله)

٤. ظاهرة البدء بالساكن:

المعروف أن العربية الفصحى لا تستسيغ البدء بالساكن ، وهي حالة قررها
 علماء العربية في كتبهم ، فقالوا : " التقاء الساكنين لا يجوز، بل هو غير
 ممكن، وذلك من قبل أن الحرف الساكن كالموقوف عليه وما بعده كالمبدوء به
 ومحال الابتداء بساكن فلذلك امتنع التقاؤهما في الدرج^{٥٧} ، وهي مع
 امتناعها في الفصحى محققة في الكلام المنطوق ، ليست ممتنعة ، بدليل وجودها
 في الصور النطقية العامية على وجه الخصوص ، بل في العربية الفصحى نفسها
 في حالة الوقف

وهي حالة صوتية تتفاوت في وجودها في العاميات ، منها ما تتقبلها ومنها ما
 ترفضها أسوة بالعربية الفصحى ، وفي العاميات العمانية نجد الحال بالتفاوت
 بين القبول والرفض ، ففي (لهجة الطائيين) يسرون على النطق العربي الذي
 لا يقبل البدء بالساكن في حين أن (لهجة دما) لا يمتنعون في نطقهم عن البدء
 بالساكن ، غير أن هذا التفاوت بين اللهجتين المتقاربتين لا يطرد في كل حال
 فقد لوحظ أن (لهجة الطائيين) تقبل البدء بالساكن ، وهو ما يعني أن

^{٥٧} شرح المفصل ١٢٠/٩

العاميات تتسمح في ذلك ولا تمتنع عن الخروج على معتاد النطق ، وفي لهجة نزوى توصلت دراسة قام بها عدد من الباحثين إلى عدم ظاهرة البدء بالساكن، إذ جاء فيه قولهم: (كذلك النظام المقطعي للهِجَة .. لا يسمح بالبدء بصامتين)^{٥٨}

وحين نقلب المعجمات التي تناولت اللهجات العمانية نجد ذلك واضحاً، فمعجم المفردات العمانية للأستاذ عبد الله الحبسي ، فيه عدد كبير جداً من الكلمات، يتضح ذلك من وضع الكاتب على الحروف الأولى منها سكونا ، وهي من الكثرة بحيث لا نحتاج إلا أن نفتح أي صفحة فنجد كلمة أو كلمتين ، ويمكن التمثيل لذلك بالكلمات في صفحة ٥٦ و ٥٧ (بلاش ، بلاه ، بلولة ، بهار ، بهو ، بهيت) ، والحال نفسه نجده في معجم آخر هو (إزاحة الأغيان)، ففي حرف الخاء نجد كلمة (خَسَفُ)^{٥٩} ، وكذلك في حرف العين نجد كلمة (عَفَسَه)^{٦٠}

ومن ذلك أيضاً ظاهرتنا المقطع المبدوء بصامتين متتاليين ، و المقطع الطويل المزدوج اللتان تقدم ذكرهما

٥. ظاهرة تقصير الحركة

تميل الألسنة دائماً إلى التخفيف في النطق ، ومن ذلك تقصير الحركة ، ما أمكن ، نجد ذلك في كلمات مثل (واحدة) التي كثيراً ما تنطق (وحدة) ، وهو ما يبدو في نطق لهجات مناطق السلطنة كالرستاق ونزوى ، ومنطقة الداخلية بشكل عام

وتقصير الحركة من الظواهر البارزة في العاميات وفي العامية العمانية فلا يظهر المد في كثير من الحالات يقولون: (كتب محمد) أي (كتاب محمد)

^{٥٨} لهجة نزوى دراسة صوتية مجلة الدراسات اللغوية المجلد العاشر ، العدد الثاني - ربيع الآخر - جمادى الآخرة ١٤٢٩ هـ مايو .

يوليو ٢٠٠٨ م ، ص / ٨٣

^{٥٩} إزاحة الأغيان عن لغة أهل عمان ، الشيخ العلامة سعيد بن حمد بن سليمان الحارثي ص / ٤٩

^{٦٠} نفسه ص / ٩٨

فلا تمد حركة التاء ، وكذلك الأفعال: يدعو ، ويعطي ، وينسى ، تنطق بدون إطالة الحركة ، والأصل في اللغة السرعة في الكلام ، فتقصير الحركة هو الأظهر في اللهجات والكلام ، وهي موجودة في الكلام الفصيح وقد أطلق ابن جني عليها إنابة الحركة عن الحرف، قائلاً : " أن تحذف الحرف وتقر الحركة قبله نائبة عنه، ودليلا عليه كقوله

كفَّاك كفاً لا تُلِيْق درهماً جوداً وأخرى تُعْط بالسيف الدما

يريد تعطي وعليه بيت الكتاب: وأخو الغوان متى يشأ يصرمنه ... ومنه قول الله عز اسمه ((وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ)) و ((يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ)) و ((سندعُ الزبانية)) "١١"، وفي الشرقية في المناطق البدوية تبدو الظاهرة في قولهم: سلام حيث ينطقونها(سَلَم)

٦. ظاهرة إطالة الحركة:

من الظواهر التي تلاحظ في الكلام وتظهر على ألسنة المتكلمين مد الحركة أحيانا، وفي العامية العمانية نجد مد الحركة في مناطق من السلطنة ، مثل كلمة (غبي) مثلا تنطق بمد حركة فاء الكلمة هكذا (غابي)، وأيضا مد حركة الجيم عند نطق كلمة (شجرة) فتسمع (شجارة) وفي بعض لهجات محافظة الشرقية مثل (لهجة دما) نجد الظاهرة موجودة إذ يطيلون الحركة في حين لا يكون ذلك في لهجة الطائيين ، ويمكن على سبيل المثال تأمل النطق في الكلمات الآتية بين دما والطائيين:

الكلمة	لهجة دما	لهجة الطائيين
حر	حار	حر
ورقة	وارقة	ورقة
مرقة	مارقة	مرقة
شجرة	شجارة	شجرة
رقبة	رقابة	رقبة

^{١١} الخصائص ١٣٣/٣

وفي المضبيبي في الروضة نجد الظاهرة إذ ينطقون كلمة (وردة)، بمد فتحة الواو هكذا : (واردة) ، و كلمة (كرسي)، بمد حركة الكاف هكذا : (كارسي)، والملاحظ ان النطق الفصيح تكون فيه حركة الكاف ضمة لكنهم هنا ينطقونها فتحة ويطيّلونها ، وكلمة (ورق) تنطق (وراق) ، وفي إبراء كذلك نجد الظاهرة إذ تمد عين المضارع على وزن (تفعل) فتصير (تفعال) يقولون: تخسار، وتلعاب، وتجراح في (تخسر وتلعب وتجرح)

وفي اللهجة الشحية، يميلون إلى مد الفتحة في عدد من الكلمات مثل كلمة (سبت) إذ ينطقونها (سابت) و (سمن) ينطقونها (سامن)

٧. ظاهرة الاختزال:

وهي من الظواهر الشائعة في أكثر اللغات وفي العاميات على وجه الخصوص ، فالمتكلم دائما يميل إلى الإسراع في الكلام ولذلك يلجأ إلى الاختزال ليسهل ذلك عليه ، وقد ذكرت قديما ظاهرة اللخخانية ونسبت إلى أعراب الشحر وعمان يقول السيوطي: (ذكر الثعالبي في فقه اللغة من ذلك اللخخانية تعرض في لغة أعراب الشحر وعمان كقولهم: مشا الله كان أي ما شاء الله كان "٦٢،

والاختزال أي اختزال الحروف أو حذفها " من أخص خصائص اللهجات الشائعة ، وكذلك تغيير صيغ الكلمات وأبنيتها وموادها أفعالا وأسماء بزيادة أو نقصان ففي بعض اللهجات يقولون (قد) بصورة حرف التقليل لكلمة قاعد فالموصليون يقولون: (قد آكل)، (قد ألعب) أي قاعد آكل أو قاعد ألعب " ٦٣

وصور الاختزال في العامية العمانية كثيرة جدا مثل:

- كاك: اختزال ل : كذاك

- لين: اختزال ل : إلى أن

^{٦٢} المزهر /١/ ٢٢٣

^{٦٣} بلبلة اللهجات ، اللهجات العربية ، الفصحى والعامية /١/ ٢٢١

- هيش: اختزال ل: أيش، وأيش مختزلة ل: أي شئ، ثم أبدلت الهمزة هاء
- لهيش: اختزال ل: أي شئ، وهي العبارة السابقة نفسها زيدت عليها اللام
- لهية: اختزال لعبارة: لأي شئ هي
- حاملوه: أي لماذا، يقولون: حاملوه جالس هناك، وتسمع في مناطق كثيرة، وربما كانت اختصاراً ل (ما هو الحال) ثم حدث تقديم وتأخير (حال ما هو) ثم حاملوه
- حاموه: وهي (حاملوه) ذاتها حدث حذف للام (حموه كتبت البحث) أي لماذا كتبت البحث، وقد تنطق (حموه) في لهجة نزوى
- خلعب و خنركض و هو اختزال ل (خلنا نلعب) و (خلنا نركض)
- مينا : اختزال امي وتستعمل للمفرد أي (أمي) وليس (أمنا) وكذلك يقال (ختينا) أي: أختي وذلك في منطقة الرستاق

ظواهر تتصل بالبنية المقطعية

لا تختلف المقاطع في العربية الفصحى كثيراً عن المقاطع في العاميات، إلا في حالة واحدة وهي تجويز البدء بالساكن في العاميات وامتناع ذلك في الفصحى، مما يؤدي إلى وجود مقاطع أخرى مختلفة عن المقاطع في الفصحى فيزداد عدد المقاطع في العامية عن الفصحى، فليس هناك مقطع في الفصحى يبدأ بصامتين على الإطلاق لأن ذلك يتناقض من ظاهرة عدم البدء بالساكن، والمقاطع في العربية ستة مقاطع هي:

- (١) قصير مفتوح ويتألف من صامت يليه صائت ص ح
- (٢) متوسط مغلق ويتألف من صامتين بينهما صائت ص ح ص
- (٣) متوسط مفتوح ويتألف من صامت يليه صائتان ص ح ح
- (٤) طويل مغلق ويتألف من صامتين بينهما صائتان ص ح ح ص
- (٥) طويل مزدوج الإغلاق بصائت ويتألف من صامت يليه صائت يليه صامتان ص ح ص ص

(٦) طويل مزدوج الإغلاق بصائتين ويتألف من صامت يليه صائتان يليه صامتان
ص ح ح ص ص

a. يضاف لها مقاطع توجد في العامية بسبب السماح لالتقاء ساكنين منها

(٧) متوسط مفتوح ويتألف من صامتين يليهما صائت ص ص ح ،
مثل المقطع الأول من كلمة (يعرف) التي تنقل حركة الحرف الأول الى
الثاني في العامية

(٨) طويل مغلق بصائت قصير ويتألف من صامتين فصائت فصامت
ص ص ح ص ، مثل نطق الفعل الماضي (كتب) حين الوقف عليه ، و حذف
حركة الحرف الأول منه في العامية

(٩) طويل مغلق بصائت طويل ويتألف من صامتين فصائتين فصامت
ص ص ح ح ص مثل نطق كلمة (كتاب) حين الوقف عليه ، و حذف
حركة الحرف الأول منه في العامية

هذا الاطراد في وجود مقاطع تبدأ بصامتتين يبدو أصيلاً في العامية بفعل
استساغة التقاء الساكنين ، وهي حالة استساغتها العامية حتى صارت تميل عن
نطق بعض المقاطع المألوفة فيها مثل المقطع المتوسط المغلق المؤلف من صامتتين
بينهما صائت إلى الجمع بين صامتيهما

١. ظاهرة المقطع المبدوء بصامتتين متتاليتين :

من الظواهر الخاصة بالعامية العمانيّة ظاهرة الميل إلى المقطع المبدوء
بصامتتين ، وهو ينشأ عند ما يكون الكلام مبدوءاً بمقطع متوسط مغلق، إذ يميل
نطق الناس في بعض المناطق عن هذا التركيب الصوتي ، ففي مثل الأفعال
(أعرف) المؤلف من مقطعين متوسطين مغلقين | ء ع - / ر - ف | ، يحدث تغيير
في البنية المقطعية فتنتقل حركة الهمزة إلى العين فينشأ مقطع يتألف من
صامتتين متبوع بحركة | ء ع - / ر - ف | ، ومثل ذلك في الفعل (يعرف) المؤلف
من مقطعين متماثلين متوسطين مغلقين

وهذا الذي دفع أحد الباحثين الى رأي لا يخلو من غرابة فقال إن هذه الحالة ينشأ معها ما سماه بـ (المقطع القصير المغلق) وهو مقطع يتألف من صامت واحد فقط وحركة خفيفة قبله يقول : " تبدأ كلمات وصيغ في اللهجة - في ظروف لغوية خاصة - بالمقطع القصير المغلق، أعني بصوت ساكن لا يليه صوت لين، بل تسبقه حركة قصيرة جدا للتوصل للنطق به " ^{٦٤}

والذي يستوقف الناظر في هذا القول هو عبارة (حركة قصيرة جدا) والحركة إما أن يكون لها وجود فتحتسب في البناء المقطعي مما يجعل المقطع مؤلفا من عنصرين لا عنصر واحد أي صائت + صامت ، وإما أن لا يكون له وجود يمكن احتسابه فيكون المقطع مؤلفا من عنصر واحد وهو الصامت ، وكلا القولين مما لا يستقيم معه الأمر فلا البدء بالحركة مما تجوزه طبيعة العربية، ولا الصامت الذي يمثل مقطعا برأسه مما يجوزه علم الأصوات

٢. ظاهرة المقطع الطويل المزدوج:

يوجد عدد من الكلمات في العربية الفصحى وفي العاميات تتألف من مقطع واحد طويل مزدوج، أي إنه ينتهي بصامتين، وهو ما يعرف بالتقاء ساكنين في العربية، والعربية لا تسيغ التقاء الساكنين إلا في حالات منها أن يكون في الوقف، أما العامية فهي تتقبل التقاء الساكنين في بدء الكلام - كما تقدم - ولا تسيغه في الوقف، ولذلك يحدث تغيير في تركيب المقطع فبدلا من أن ينتهي بساكنين، يكون مبدوءا بهما

وهذه الحالة يحدث فيها تغيير نطقي، وهي موجودة في لهجات شرقي الجزيرة يقول جونستون : " في لهجات شرقي الجزيرة العربية وفي كل لهجات الجزيرة العربية الشمالية يتحول المقطع غير النهائي المغلق الذي يكون صوت اللين فيه فتحة، وصوت الإغلاق الساكن فيه صوتا حلقيا يتحول إلى مقطع مفتوح من

^{٦٤} علم اللغة وفقه اللغة ، الأستاذ الدكتور عبد العزيز مطر ، دار قطري بن الفجاءة ، قطر ١٩٨٥م ص/٨٧

التركيب (c c a) ولهذا إذا كانت إحدى السواكن الحلقية غ، خ، ع، ح، أو ه فإنه يتحول من (caG) إلى (c G a)^{٦٥}

هذه الظاهرة موجودة كذلك في العامية العمانية في المناطق المحاذية للإمارات وفي سهل الباطنة على وجه العموم، وفي مناطق كثيرة بالسلطنة وهي تتوزع على أحوال متعددة

ففي كلمات مثل (وَعْد) أو (ظَهْر) | و - ع د | ، | ظ - ه ر | نجدها تنطق بإسكان الأول ونقل حركته إلى الذي يليه هكذا (وُعْد) ، (ظَهْر) | و - ع د | ، | ظ - ه - ر | فيتغير التشكيل المقطعي للكلمة فبدلاً من أن تكون مؤلفة من مقطع مزدوج ينتهي بصامتين تصوير مؤلفة من مقطع مزدوج مبدوء بصامتين وقد حصر الدكتور . م . جونستون في الكلمات التي يكون الحرف الثاني منها حرفاً حلقياً ، في حين أن ذلك لا يطرد أطراداً دقيقاً

والظاهرة موجودة أيضاً في لهجات عربية أخرى ، لا سيما في لهجات شمال المغرب العربي، ففي تونس ينطقون كلمة (قَبْل) | ق - ب ل | التي تتألف من مقطع مزدوج بالكيفية نفسها فيقولون (قَبَل) | ق - ب ل |، وفي لهجات أخرى كاللهجة اليافاوية إذ "تعمد اللهجة العامية في يافا إلى تحريك الحرف الثاني في الأسماء إذا كان ساكناً فبحر تلفظ بحر، وقبر تلفظ قبر، وشمس تلفظ شمس" ^{٦٦}

٣. ظاهرة تجنب المقاطع القصيرة المتتالية :

وهي ظاهرة موجودة في أكثر العاميات ، فكما أن العربية لا تستسيغ وجود خمسة أحرف متحركة أو مقاطع قصيرة فإن العاميات لا تتقبل وجود ثلاثة متحركات أو مقاطع قصيرة ، يقول سيبويه: " ما كانت عدته خمسة لا تتوالى حروفها متحركة، استثقلاً للمتحركات مع هذه العدة، ولا بد من ساكن وقد

^{٦٥} دراسات في لهجات شرقي الجزيرة العربية ، ت . م . جونستون ص / ٥٨

^{٦٦} الفصحى والعامية، والعاميات اليافاوية تأملات وتساؤلات ، د. أحمد صدقي الدجاني ، كتاب اللهجات العربية ، الفصحى

تتوالى الأربعة متحركة في مثل علبط " ٦٧ ، فلا يقولون : (محمد كتب) بفتح أحرف الفعل الثلاثة وإنما يسكنون الأخير ومثله (ذهب ، وسدح)^{٦٨} والقاعدة في العاميات أنها لا تلتزم الإعراب أو الحركات التي تلتزمها العربية الفصحى ، ومن مظاهر عدم التزام العامية الحركات أنها لا تستسيغ نطق المتحركات المتتالية ، وفي الفصحى قد يؤدي تجنب نطق الحركات المتتالية إلى خروج عن الالتزام بالإعراب وهو الأمر الذي ذكره السيوطي في كتابه الهمع عن ابن مالك العالم النحوي المشهور " أن أبا عمرو بن العلاء أحد قراء الذكر الحكيم حكى عن قبيلته تميم أنها تجيز حذف الحركة الإعرابية أحياناً"^{٦٩} وهو يعني بذلك إسكان المتحرك عند توالي المتحركات ، وقد أوضح الدكتور شوقي ضيف ذلك بقوله : " وفي رأينا أنها لم تكن تجيز ذلك مطلقاً إنما كانت تجيزه فيما تواتت فيه الحركات تخفيفاً كما تشهد بذلك قراءات أبي عمرو المنتمى إليها، فكان يقرأ آية البقرة ١٢٨ : ((وَأَرْنَا)) في ((وَأَرْنَا)) ويقرأ الآية رقم ١٢٩ : ((وَيَعْلَمُهُمُ الْكُتَابُ)) في ((وَيَعْلَمُهُمُ الْكُتَابُ)) ، ... ويعلق ابن مجاهد في كتابه السبعة على قراءة أبي عمرو الآية الأولى، بقوله: إن أبا عمرو كان يسكن لام الفعل في مثل ذلك للتخفيف في النطق"^{٧٠}

وهذا التعليل الذي ذكره ابن مجاهد يتفق مع التعليل الصوتي الحديث ، وهو ما تلجأ إليه العاميات

٤. ظاهرة تجنب نطق المزدوج الهابط:

وهي في أكثر اللهجات العربية ، لا تخلو منها واحدة ، والمزدوج : (هو اجتماع الفتحة مع الياء غير المدية أو الواو غير المدية، فإذا تقدمت الفتحة كان المزدوج

^{٦٧} الكتاب ٤/٣٧

^{٦٨} ينظر : معجم المفردات العامية العمانية ص / ١٦٣، ١٥٧

^{٦٩} تحريفات العامية للفصحى، شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية ١٩٩٤م ص / ١١-١٢

^{٧٠} نفسه ص / ١١-١٢

هابطاً وإذا تأخرت الفتحة كان المزدوج صاعداً) ، والمزدوج الهابط مما تتجنبه الأسنه في النطق اللهجي كما هو الحال في العامية العمانيه، فلا يقولون: (لوم) أو (قوم) أو بيت وإنما يجعلون الواو غير المدي والياء غير المدي حركة وقد لاحظ أحد الباحثين ذلك في لهجة الحمراء فقال: " أما كلمتا (يوم ونوم) فإن نطقهما يختلف عن نطقهما في الفصحى إذ يتحول الصوت [aw] إلى [oo] فينشأ صائت جديد في اللهجة فيه إمالة نحو الضمة ، وكذلك الحال في كلمتي (سيف وبيت) فإن الصوت [ay] يتحول إلى [ee] فينشأ صوت صائت جديد في اللهجة، فيه إمالة نحو الكسرة، فتكتب هذه الكلمات بصورة تختلف عن كتابتها في اللغة الفصحى هكذا [yoom] و [seef]^{١١} وتجنب المزدوج الهابط مرتبط بوجوده في مقطع طويل مزدوج ، كما هي الحال في الكلمات السابقة قوم ولوم: / ق - و م / ، / ل - و م / أما إذا كان المزدوج الهابط في مقطع آخر فلا تتجنبه العامية مثل وجوده في الضمير أنت حين ينطقه أهل الشرقية (إنتي) / ء - ن / ت - ي / ، و التداخل بين المناطق يبرز اختلاف الصور النطقية في ما يبدو لهجة واحدة مثل قريات فني الساحل ينطقون المزدوج في كلمة (نتي) بفتح التاء وتسكين الياء، في حين أنهم في الداخل يقولون (نتيه) ، وكذلك في الساحل ينطقون: (سويتو) بفتح التاء، وينطقون (اشتريو) بفتح الياء أي إن النطق هنا يتشكل معه المزدوج، في حين أن من في الداخل يقولون (اشتريو) بضم الياء ، والأمر نفسه في الكلمة (اشتريتي) بفتح التاء في الساحل و (اشتريتي) بكسر التاء في الداخل، أي بقلب المزدوج إلى حركة طويلة في الحالين

٥. تجنب الوقوف على المقطع الطويل المغلق

وهي ظاهرة أيضاً تشيع في العاميات ومنها العامية العمانيه، والمقطع الطويل المغلق هو المقطع الذي يتألف من صائتين بينهما صامتان / ص ح ح ص / وهو

^{١١} الخصائص الصوتية في لهجة الحمراء ص/ ٢٣

من مقاطع الوقف في الفصحى ويكثر وجوده في جمع المذكر والمؤنث والأفعال الخمسة ، ولا تجيزه الفصحى في درج الكلام وإنما تسيغه في الوقف فقط فإذا جاء في الدرج يقصر ، أي إنهم يقضون على جملة (الطلاب يكتبون) فيكون المقطع الطويل المغلق في كلمة يكتبون / ي - ك / ت - / ب - ن / ، ولكنهم إذا وصلوا الكلام حرك الساكن الأخير فنشأ مقطع منه فانقسم المقطع الطويل المغلق على مقطعين: طويل مفتوح وقصير / ي - ك / ت - / ب - ن - / وهو ما يدعى في العربية بالتقاء الساكنين وهو أمر ليس صحيحا فليس هنا ساكنان ، ومثاله الكلمة الأخيرة في قول الشاعر

إذا قرت النفس لذ المقام وساوى التراب الفراش الوثير

والعامية تتجنب هذا المقطع في الأفعال الخمسة إذ يحذفون النون دائما، كما تتجنبها في بقية الكلمات وذلك بتقصير الحركة فلا يقولون جالسين مثلا أو ذاهبين ، وإنما يقصرون الحركة ويتجنبون هذا المقطع

اظواهر عامية

هناك كثير من الظواهر الأخرى التي يصعب إحصاؤها ، وحسبنا في هذا البحث الوقوف على عدد منها

١. الإدغام :

الإدغام ظاهرة صوتية كثيرة الحدوث في الكلام ، ولها صور متنوعة ، وهي ظاهرة تختلف على ألسنة العرب ، بين من تجري على لسانه ومن تمتنع ، هذا الجريان والامتناع يقوم على أسس ، وضوابط ، ومسوغات ، والإدغام من الوسائل التي يلجأ لها المتكلمون من أجل التخفف في الكلام فهو وسيلة من وسائل الاقتصاد في الجهد

وفي العربية تسير ظاهرة الإدغام على أسس معروفة منها أن الصوتين المدغمين إما أن يكونا متماثلين أو متقاربين في المخرج أو متجانسين، أما العامية فهي لا تلتزم بهذه الأسس ، ولذلك نجد إدغاما بين صوتين متباعدين كما هو

الحال في مثل كلمة (جالسة) التي تتحول فيها اللام إلى السين وتدغم فيها فيقولون (جاسّة) وهي ظاهرة موجودة في إبرا ، كما أنها كثيرة الورد عند البدو في البلاد العربية

وكما يلجأ المتكلمون إلى الإدغام التماسا للخفة ، يلجأون إلى الفك أيضا، وربما لجأوا إلى حذف أحد المتماثلين، وهذا ما نجده أيضا في بعض المناطق ففي شمال الشرقية يميلون إلى الحذف فيقولون: (ظلت) بدلا من ظلتت ، و (مست) بدلا من مسست و (أحست) بدلا من أحسست ، وهي ظاهرة عربية أصيلة، ذكرها سبويه بقوله: " هذا باب ما شذَّ من المضاعف فشبهه باب أقمْتُ وليس بمتلئب، وذلك قولهم: أحست يريدون أحسَّت، وأحسَّنْ يريدون أحسَّسْنَ... ومثل ذلك قولهم : ظَلَّتْ ومسَّتْ، حذفوا وألقوا الحركة على الفاء كما قالوا: خفت ، وليس هذا إلا شاذًا" ^{٧٢}، وعلى الرغم من شذوذه فيما ذكر سبويه فهي لغة عربية كانت تجري على ألسنة الناس ذلك الزمان وبقيت على الألسنة حتى يومنا هذا

٢. الميل إلى الكسر أو الضم :

و ظاهرة الميل إلى الكسرة ظاهرة أصيلة في العربية ، وأبرز صورها ما أطلق عليه التلتلة في العربية ، وهي كسر حرف المضارع مطلقا وتنسب إلى عدد من القبائل العربية كتييم وبهراء وقيس ، " بل زعم بعضهم أنها لغة العرب جميعا عدا أهل الحجاز" ^{٧٣}، وكذلك ما أطلق عليه الوكم (عليكم وبكم) وما أطلق عليه الوهم (منهم ، وعنهم ، وبينهم) وهي من اللغات المذمومة

وظاهرة الميل إلى الكسر بادية في الخليج على وجه العموم، وفي السلطنة في مناطق كثيرة ، كمنطقة سهل الباطنة إذ ينطقون الفعل الامر اركض (ركض) بكسر عين الفعل ، وفعل الأمر أأكل ينطق (كل) بالكسر أيضا، وفي

^{٧٢} الكتاب ٤/٤٢٢

^{٧٣} فقه اللغة ، محمد ابراهيم الحمد ص ١٠٤

اللهجة السويقاوية يقولون: (سمك حليب علي) بكسر أول الكلمات، وفي الظاهرة في ولاية عبري ينطقون فعل الأمر اكتب (كُتِب) بكسر عين الفعل أيضا وفي الداخلية ولاية إزكي ينطقون المضارع يأكل (ياكل) بكسر عين الفعل ، ومن ذلك كسر همزة الاستفهام فيمثل: أتروح تصير إتروح ، وأتجي تصير إتجي

٣. ظاهرة الإمالة

وهي إمالة الألف إلى الياء وإمالة الفتحة إلى الكسرة ، وقد ذكرها علماء العربية قديما ، يقول سيبويه : " الألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسور... وإنما أمالوها للكسرة التي بعدها"^{٧٤} وهي ظاهرة تشيع في كثير من المناطق في البلاد العربية

وهي موجودة في عدد من مناطق السلطنة ، كالسويق إذ يقولون: (متى) فيميلون الألف فتسمع أقرب إلى الياء : / مَ - تٍ / وكذلك اسم الإشارة (هنا) ينطقونه (هني): / ه نٍ / ، وكذلك: عمتها تصير (عمتهي) ، وخالتها: (خالتهي) ، وسيارتها: (سيارتهي) ، وخالد يصير (خيلد) ، ومن اللهجات العمانية التي تميل لهجة الرستاق ، وعبري ، وأزكي ، والإمالة في الرستاق أظهر منها في السويق ، وكذلك لهجة دما ، ولهجة منح حيث ينطقون (ساعة) (سبعة)

والإمالة هي الأغلب في نطق سكان المناطق الحضرية، ويميل المحدثون إلى نسبة التفتيح إلى المناطق البدوية والإمالة إلى المناطق الحضرية يقول الدكتور أنيس: "مالت القبائل البدوية بوجه عام إلى مقياس اللين الخلفي المسمى بالضمّة ، لأنه مظهر من مظاهر الخشونة البدوية فحيث كسرت القبائل المتحضرة وجدنا القبائل البدوية تضم"^{٧٥} ، ويلحظ ذلك كثيرا فالإمالة تكثر

^{٧٤} الكتاب ٤/ ١١٧

^{٧٥} في اللهجات ص/ ٨١

في المناطق الحضرية، ولذلك ليس غريبا أن نجد الإمالة والتفخيم موجودتين في منطقة كنزوى ذلك أنها تشتمل على بيئات لهجية مختلفة

٤. ظاهرة التفخيم

وظاهرة التفخيم تقابل الإمالة ، ولا تجتمع الظاهرتان في بيئة لهجية واحدة فمن يميل الألف ، أي ينطقه ممالا نحو الياء، لا يفخمه ويقربه من الواو وتوجد ظاهرة التفخيم في مناطق متعددة ، يميل النطق فيها الى التفخيم، ففي منطقة الرستاق نجد الظاهرة لاسيما عند كبار السن الذين تتمثل لديهم اللهجة فيقولون : (الولد يضاكر دروسه) وربما كان ذلك لتأثير الكاف الذي ينطق باتصال أقصى اللسان بأقصى الحنك ، وكذلك في مناطق الشرقية ففي القابل ينطقون الأعداد المركبة (١١ . ١٩) بتفخيم ، وربما كان التفخيم سمة أصيلة في اللسان اللهجي في مناطق، و ليس له صلة بتأثيرات صوتية مجاورة كما نجد في نطق منطقة سهل الباطنة إذ يفخمون بعض الحروف ككلمة: سراج التي يجعلونها (صراج) وفي الداخلية أيضا في نزوى وفي ولاية إزكي أيضا ففي كلمة ذبابة يفخمون الذال فينطقونه ظاء فيقولون (ظبابة) وكذلك الحال في المضبيبي ينطقون ذباب ظباب، ويذاكر يظاكر ، وفي (نجاء) سبورة - صبورة ، حارس - حارص ، وراس - راص

ومن ذلك تفخيم الألف ، ففي مسندم يميلون إلى التفخيم فيقولون (قوسم) بدلا من قاسم ، والتفخيم يتصل كثيرا بالمناطق البدوية كما ذكرنا سابقا وتتميز منطقة الخشبة في محافظة الشرقية بالتفخيم ففي كلمة (حطب) تنطق بتفخيم الحاء وضمها (حُطب) وكلمة (تعالي) تنطق (توعالِي)

٥. القلب المكاني :

ظاهرة القلب المكاني من الظواهر الشائعة في الفصحى والعاميات ، لا تخلو منها بيئة لغوية او لهجية ، وربما شاع النطق المقلوب وصار هو الثابت في اللهجة كما نجد في كلمة (يرمس) التي هي قلب مكاني للكلمة (يسمر)
 ففي العامية العمانية في منطقة السويق يقولون : (هين كنت رامس) أي :
 أين كنت سامر ، بقلب الكلمة قلبا مكانيا ، وفي لهجة الشحوح يلاحظ القلب المكاني ، إذ يتم القلب في كلمة يعرف ، فتنتطق (يعرف) ثم تبدل العين همزة للتقارب المخرجي فتنتطق (يرأف)

٦. حروف التسوييف :

لا تتفق اللهجات العامية في البلاد العربية على حرف موحد ليحل محل حرف التسوييف (السين) فبعضها كالعامية المصرية تبدله حاء فيقولون مثلا: (حيكتب)، وفي الخليج والجزيرة يستعملون الباء فيقولون: (با يكتب) وكذلك في العامية العمانية في أكثر المناطق
 ومن الطريف أن ولاية المضبيبي تستعمل في بعض نواحيها حرف الخاء للتسوييف فيقولون : (خنلعب) و (خنركض) ويبدو أن الخاء هنا هو اختزال لكلمة خلنا

٧. ابدال الشين هاء :

من الظواهر الغربية ابدال الشين هاء ، وهما صوتان متباعدان ليس بينهما تقارب مخرجي، إلا أن قسما من الجعـعلانين يبدلون بينهما فيقولون: (هيخة) بدلا من شيخة ، و(مهيت) ، بدلا من مشيت ، و (شي) بدلا من هي ، و (راهد) بدلا عن : راشد وهذه الظاهرة تتركز في المناطق الساحلية، في جعلان بني بو علي ، ويسمع كثيرا عند كبار السن، وقد يسمع من الشباب أيضا، وتفسير ذلك أن كبار السن تتمثل عندهم اللهجة بشكل أوضح، فالتعليم ووسائل المعرفة الأخرى كالتلفزيون تؤثر في صفاء اللهجة في ألسنة الشباب أكثر من تأثيرها في ألسنة

الشيوخ، فحين يسألون إلى أين أنت ذاهب؟ يقولون: هين ماشي؟ فيقبلون الشين هاء فتسمع: (هين ماهي)، وحين يسألون: ماذا تقول؟ يقولون: هيش تقول؟ فيقبلون الشين هاء فتسمع: (هيه تقول)

وهذه الظاهرة لها صدى في لهجات حضرموت وربما لهجات عربية أخرى، ففي حضرموت في مناطق الداخل، والمناطق البدوية تبدل شين (أيش) إلى هاء فيقولون: (أيه تقول) بدلا من أيش تقول

٨. استعمال كلمة (بو) بمعنى ذو

وهي ظاهرة غريبة إذ ينطقون (ذو) بإبدال الذال بـاء فيقولون (بو) ومن خلال ملاحظة وجودها في الكلام يتبين أنها ذو الطائفة الموصولة يقول أهل فنحاء: (أحلى مركز تسوق هو كارفور بو في مسقط) و (هذا الرجل جارك بو من صحار)

وليس بين الباء والذال صلة صوتية فالذال لثوي والباء شفوي، وهي من الحالات النادرة في الإبدال

٩. ظاهرة زيادة ياء عند إسناد الفعل الماضي إلى ضمير المتكلم

وهي ظاهرة موجودة في لهجة صور يقولون: (كتبيت) بدلا من كتبت، و (حرسيت) بدلا من حرست، و (دخليت) بدلا من دخلت، وهذه الظاهرة موجودة في حضرموت تشيع في مدينة الشحر، وربما تكون موجودة في مناطق وأقطار أخرى

وربما كان السبب في هذه الزيادة تجنب نطق المقطع الطويل المغلق بصامتتين، وهو من المقاطع التي يكثر تجنبها كما تقدم، ولو تأملنا الجانب المقطعي للكلمة نرى ذلك، فالكلمة قبل الزيادة تتألف من مقطعين هكذا / كـ / تـ بـ / تـ بـ / ، وبعد الزيادة تكون: / كـ تـ بـ / تـ بـ / ، والصائت الأخير ليس كسرة طويلة وإنما هي مماله، وهي شبيهة بنطق كلمات (يوم وبيت) حين يتخلص النطق من المزدوج، وبذلك يتخلصون من نطق المقطع الطويل المغلق بصامتتين

وهي أيضا حالة شبيهة بحالة ابدال لام المضعف الذي عينه ولامه متماثلين ياء للتخلص من المماثلة في مثل " تسريت وتظنيت وتقصيت"^{٦٦} وهي حالة فسرت بثقل وجود المتماثلين، كما أنها يمكن أن تفسر بتجنب نطق المقطع الطويل المغلق بصامتين

الغائمة :

هذا قسم من الظواهر التي حفلت بها العامية العمانية ، وهي كثيرة يمكن استقصاؤها والوقوف عليها، وقد اكتفينا بها عن غيرها على أن نعود لنستقصي أكثر الظواهر فيها، منها ما كان متصلا بظواهر الفصحى القديمة اتصالا وثيقا ، بل بظواهرها الخفية التي انسحبت منها منذ أزمان، ومنها ما هو طارئ حديث من أثر اختلاط الناس بالأقوام الأخرى، ومن هذه الظواهر التي لم تفصل الحديث فيها ظاهرة نطق الفاء ثاء في مثل: (فم) وظاهرة الكشكشة والتلتلة والخلخانية والوهم ، وكذلك هناك ظواهر أخرى لا تتصل بالحروف ونطقها وإنما تتصل بأحوال أخرى من النطق

وقد وصل البحث إلى عدد من الظواهر يزيد على اثنتي عشرة ظاهرة فضلا عن كفاءات نطقية للحروف العربية ، يمكن تلخيصها في الآتي :

- احتفاظ العامية العمانية بعدد من الظواهر التي انسحبت من الفصحى منذ أزمان طويلة مثل

- هاء السكت ، وهي ظاهرة عربية قديمة تتصل بالوقف على المتحرك
- عدم حذف لام الفعل الناقص عند اتصاله بواو الجماعة ، وهي ظاهرة تخالف إجماع ما سارت عليه العربية من الحذف ، ولكنها وافقت جماعة من العرب كانوا يثبتون اللام
- حذف أحد المتماثلين بدلا من إدغام احدهما في الآخر ففي شمال الشرقية يميلون إلى الحذف فيقولون: (ظلت) بدلا من ظللت ، و

^{٦٦} الكتاب ٤/٤٢٤

- (مست) بدلا من مسست و (أحست) بدلا من أحسست ، وهي ظاهرة عربية أصيلة، ذكرها سبويه بقوله: " هذا باب ما شذ من المضاعف
- احتفاظ العامية العمانية بظواهر عربية شهيرة مثل:
- الكشكشة
 - التلتلة
 - الإمالة
 - التفخيم
 - إطالة الحركة وتقصيرها
- وجود ظواهر صوتية خاصة لا تكاد توجد الا في العامية العمانية ، وتمثل في:
- ظاهرة عدم حذف لام الفعل الناقص عند اتصاله بواو الجماعة
 - إلحاق نون توكيد بالفعل الماضي واسم الفاعل منه
- بين البحث أن هناك عددا من الظواهر التي شاركت فيها العامية العمانية العاميات العربية

المراجع :

١. إزاحة الأعيان عن لغة أهل عمان ، نماذج من الدارجة العمانية في قاموس العربية الفصحى ، تأليف الشيخ العلامة سعيد بن حمد بن سليمان الحارثي، تحقيق أحمد بن سالم البراشدي ، و حمود بن سعيد العيسري ، مكتبة الجيل الواعد ، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ. ٢٠١٠م
٢. أصوات العربية بين التحول والثبات ، د. حسام سعيد النعيمي ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد، سلسلة بيت الحكمة (٤) بغداد ، ١٩٨٩م
٣. الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس مطبعة نهضة مصر ، القاهرة ، دون تاريخ
٤. بلبلة اللهجات ، محمد رضا الشبيبي ، كتاب اللهجات العربية ، الفصحى والعامية (١) جمع وإعداد: ثروت عبد السميع، مراجعة: د.محمد حماد ، إشراف: د. كمال بشر، القاهرة ٢٠٠٦م
٥. البيان في غريب إعراب القرآن، لابن الأنباري ، تحقيق: الدكتور طه عبد الحميد، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٠م
٦. تحريفات العامية للفصحى، شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة ، جمهورية مصر العربية ١٩٩٤م
٧. التغيير التاريخي للأصوات ، د. آمنة صالح الزعبي ، دار الكتاب الثقافى ، اربد ، الأردن ٢٠٠٥م
٨. التطور الدلالي لألفاظ حياة الإنسان في لهجة قريات : عائشة الدرملكية ، رسالة ماجستير ، جامعة السلطان قابوس
٩. دراسات في لهجات شرقي الجزيرة ، ت.م.جونستون ، ترجمة د.احمد محمد الضبيب، الدار العربية للموسوعات بيروت لبنان، ط٢، ١٩٨٣
١٠. الظواهر الصوتية في لهجة الحمراء : خالد عبد الله العبري ، رسالة ماجستير ، جامعة السلطان قابوس ٢٠٠٢م

١١. **الخصائص الصوتية للهجة صحار إعداد :** عبدالغفار محمد الشيزاوي ،
إشراف الدكتور: عشاري أحمد محمود ، بحث تكميلي مقدم لمعهد
الخرطوم للغة العربية لنيل درجة الدبلوم العالي في تعليم اللغة
العربية لغير الناطقين بها، الخرطوم، ابريل ١٩٨٧م
١٢. **سر صناعة الإعراب** ، تأليف إمام العربية أبو الفتح عثمان ابن جني المتوفى
سنة ٣٩٢هـ ، دراسة وتحقيق: الدكتور حسن هنداوي
١٣. **شرح المفصل** ، موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي المتوفى ٦٤٣ هـ
، إدارة الطباعة المنيرية ، مصر ، دون تاريخ
١٤. **في اللهجات العربية** ، الدكتور إبراهيم أنيس / مكتبة الأنجلو المصرية،
مطبعة أبناء وهبة حسان، ٢٠٠٣ ، القاهرة
١٥. **قاموس الفصحاة العمانية** ، ما حفظته الدارجة العمانية للغة العربية
المهندس الأديب أبو القاسم محمود بن حميد الجامعي ، دار إحياء التراث
العربي ، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م بيروت لبنان
١٦. **القاف والهمزة في اللهجات العربية** ، رمضان عبد التواب ، اللهجات العربية
بحوث ودراسات ، جمهورية مصر ، مجمع اللغة العربية القاهرة ٢٠٠٤م
١٧. **علم الأصوات** ، كمال بشر ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ،
٢٠٠٠م
١٨. **العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (١٠٠ - ١٧٥)**
تحقيق الدكتور مهدي المخزومي، والدكتور إبراهيم السامرائي
١٩. **علم اللغة وفقه اللغة** ، الأستاذ الدكتور عبد العزيز مطر ، دار قطري بن
الفضاء ، قطر ١٩٨٥م
٢٠. **الكتاب لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر** ، تحقيق وشرح: عبد السلام
محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية
بمصر ،

٢١. مدخل إلى علم اللغة ، محمد علي الخولي ط/١ دار الفلاح للنشر والتوزيع
١٩٩٣م صويلح.الأردن
٢٢. المزهري في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى
بك،علي محمد البجاوي،محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث ،
القاهرة
٢٣. المصطلح الصوتي، د. عبد العزيز الصيغ ، دار الفكر، دمشق ، ٢٠٠٧م
٢٤. مقدمة ابن خلدون دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ٢٠٠١م
٢٥. مناهج البحث في اللغة ، تمام حسان، دار الثقافة، دار البيضاء ١٩٧٩م
٢٦. الوجود الهندي في الخليج العربي ١٨٢٠-١٩٤٧ ، د. نورة محمد القاسمي ، دار
الثقافة والإعلام ، الشارقة ٢٠٠٧
٢٧. اللهجات العمانية المتأصلة ، خالصة الأغبرية ، مجلة نزوى العدد ٤٦ ،
٢٠٠٩م
٢٨. لهجات الجنوب، الأستاذ محمد رضا الشبيبي ، اللهجات العربية بحوث
ودراسات جمهورية مصر العربية، مجمع اللغة العربية القاهرة ٢٠٠٤م
٢٩. لهجة نزوى دراسة صوتية، د. عبد الحليم حامد و د. عبد الله السقاف و د.
محمد سالم المعشني مجلة الدراسات اللغوية المجلد العاشر، العدد الثاني.
ربيع الآخر. جمادى الآخرة ١٤٢٩هـ مايو. يوليو ٢٠٠٨م
٣٠. اللهجات وأسلوب دراستها، الدكتور. أنيس فريحة ، دار الجيل ، بيروت،
الطبعة الأولى ١٩٨٩م
٣١. المقتضب في لهجات العرب ، د. محمد رياض كريم ، القاهرة، ١٩٩٦م
٣٢. معجم المفردات العامية العمانية ، إعداد: عبدالله بن صالح بن خلفان
الحبسي مؤسسة عمان للصحافة والنشر ، الطبعة الثانية ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

٣٣. مغني اللبيب عن كتب الأعراب لابن هشام الأنصاري، تحقيق وشرح الدكتور عبد اللطيف محمد الخطيب ، الكويت ، التراث العربي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، السلسلة التراثية (٢١)
٣٤. المنصف ، شرح الإمام أبي الفتح عثمان بن جني النحوي لكتاب التصريف للإمام أبي عثمان المازني النحوي البصري، تحقيق: إبراهيم مصطفى و عبد الله أمين ، وزارة المعارف العمومية، إدارة إحياء التراث القديم ، القاهرة ١٩٥٤م

الاتجاهات والمعتقدات نحو المرض النفسي

الدكتور / عمر مبارك بامير

أستاذ علم النفس الطبي (المساعد)
كلية الطب والعلوم الصحية
جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا
Obamair@yahoo.com



(AUST)

الاتجاهات والمعتقدات نحو المرض النفسي

ملخص البحث :

هدف البحث الحالي إلى معرفة معتقدات واتجاهات أقارب المرضى النفسيين وطلبه الجامعة نحو المرض النفسي من خلال معرفة أسبابه، أعراضه، طرق علاجه وكيفية التعامل معه، كما وهدف البحث إلى معرفة الفروق والتشابه في اعتقادات واتجاهات أقارب المرضى وطلاب الجامعة والتي تعزى إلى عوامل مستوى التعليم، السكن وصللة القربى ولهذا الغرض تم تطبيق مقياس منظمة الصحة العالمية حول المعتقدات والاتجاهات نحو خمسة من الاضطرابات النفسية الشائعة وهي: التخلف العقلي، الصرع، الذهان الحاد، الاكتئاب و الفصام على عينة بلغت (١٠٠) شخص موزعين على مجموعتين الأولى (٥٠) شخص من أقارب المرضى النفسيين والثانية (٥٠) شخص من طلاب جامعة حضرموت. وقد خلص البحث إلى أن هناك اتفاق وتقارب في اعتقادات المجموعتين حول أسباب الذهان الحاد والاكتئاب، وتحديد جهة العلاج النفسي واختلفت المجموعتين في تحديد أسباب ومعالجة التخلف العقلي والصرع و أظهرت المجموعتان اتجاها سلبيا حول الزواج، العمل والسكن مع المريض النفسي وفي ضوء النتائج التي توصل إليها البحث وضع عدد من التوصيات، و أثار العديد من المشكلات التي ساعدت على تكوين تلك المعتقدات والاتجاهات السلبية نحو المرض النفسي مما دفع بالباحث إلى وضع عدد من المقترحات لمعالجتها مستقبلا.

Attitudes and Beliefs towards Mental Disorders

Abstract : This research aimed to identify beliefs and attitudes of the relatives of psychiatric patients and university students' toward mental illness through their knowledge of its causes, symptoms, methods of treatment and how to deal with it. And to find out the differences and similarities in beliefs and attitudes of the relatives of patients and university students related with some factors such as the level of education, renting and marriage .To achieve this objective, the scale of WHO about the beliefs and attitudes towards the five common mental disorders was used: Mental retardation, epilepsy, acute psychosis, depression and schizophrenia. The sample consisted of (100) people divided into two groups, the first were (50) relatives of psychiatric patients and the second were (50) Hadramout University students.

The research concluded that there is an agreement and convergence of beliefs and attitudes of the two groups toward the causes of acute psychosis , depression and kind of psychotherapy and the two groups showed differences in determining the causes and treatment of mental retardation and epilepsy. Both groups showed negative attitudes and believes toward marriage, work and renting with psychiatric patient. Based on the results of the research, a number of recommendations have been set and the research has raised many problems that helped to shape those beliefs and negative attitudes towards mental illness. Finally, the researcher prompted to develop a number of proposals to address them in the future.

مقدمة:

هناك تصورات خاطئة وجامدة عن المرض النفسي يتم تعلمها منذ الطفولة المبكرة، والملاحظ أن هذه التصورات التي يتعلمها الأطفال منذ سن مبكرة تأتيهم من أقرانهم أكثر مما تأتيهم من الكبار، فكلية " جنون " تستعمل في مواقف كثيرة ومن المحتمل أن يكون الأطفال قد تعلموها خلال السنوات الأولى من المدرسة الابتدائية، ومما يزيد الأمر تعقيدا هو غموض الكبار أو الراشدين في أجوبتهم على أسئلة الأطفال المتعلقة بهذا الموضوع وهذه التصورات الخاطئة عن المرض النفسي والتي يخوف بها الأطفال تستمر معهم عندما يكبرون، حيث يتم توكيدها باستمرار بشكل غير مقصود من خلال التفاعل في الحياة اليومية، وبالرغم من أن الكبار يصبحون مطلعين على الكثير من مصطلحات الطب النفسي، إلا أن تصوراتهم التقليدية لا تزول بل تستمر في التواجد جنباً إلى جنب مع المفاهيم الطبية الحديثة لأن هذه التصورات تلقى الدعم المستمر في وسائل الإعلام والحياة اليومية (Scheff,1966).

ولقد قام نونالي (Nunnally,1961) بدراسة، حلل فيها محتوى برامج تلفزيونية وإذاعية، وكذلك بعض ما كتبه الجرائد والمجلات حول المرض النفسي، وأشارت النتائج إلى أن مفاهيم المرض النفسي لدى الجمهور تتعرض لتيارات متضاربة، فمن جهة هناك آراء الخبراء والمختصين كما يعبر عنها في البرامج التثقيفية "الجادة" وهي قليلة، وهذا يدفع الناس شيئا فشيئا عن تلك الأفكار التقليدية الخاطئة. ويجب الإشارة إلى أن ترسيخ هذه الأفكار لا يتم فقط من خلال وسائل الإعلام لكن أيضا بشكل غير مقصود من المحادثات العادية .

ومن خلال النكت والجمال المتبادلة المعروفة في ثقافة كل مجتمع، فحتى الأطباء والأخصائيون النفسيون كثيرا ما يستعملون هذه الجمال في أحاديثهم عندما يتمازحون، ويكون ذلك من غير قصد، ولكن لماذا تقاوم هذه المفاهيم والمعتقدات التغيير؟ احد التفسيرات المرجحة والتي قدمها (شيف) هي أن هذه

التصورات تؤدي وظيفة النظام الاجتماعي وتميل أن تدخل في التركيب أو البنية النفسية لأفراد المجتمع (Scheff,1966).

وعلى الرغم من الاهتمام بدراسة موضوع الاتجاهات نحو تلك القضايا والموضوعات مختلفة فإن دراسة موضوع الاتجاهات نحو المرض النفسي قد تأخرت كثيرا، فلم يبدأ الاهتمام بدراسة هذا الموضوع إلا في الستينات من القرن الماضي، عندما تغير النموذج الطبي التقليدي في دراسة المرضى النفسيين إلى نموذج "الصحة العامة في الطب النفسي"، الذي ينظر من خلاله إلى المريض لا على أنه منفصل عن الآخرين، ولكنه يعيش في مناخ وإطار اجتماعي يجب الاهتمام به وهو ما يعرف اليوم "بالطب النفسي الاجتماعي". وقد نجح هذا الاتجاه وأصبحت له نتائجه وإسهاماته الإيجابية في المجتمع .

والبحث الحالي امتداد لهذا التوجه ، حيث يتركز اهتمامها بالكشف عن المعتقدات والاتجاهات السائدة في مجتمعنا اليمني (بالأخص في حضرموت) حول المرض النفسي لدى عينة ممن لهم علاقة مباشرة بالمرضى النفسيين من عائلات وأقارب لهؤلاء المرضى، وعينة أخرى ممن ليس لهم علاقة مباشرة بهؤلاء المرضى من الجمهور العام .

أهداف البحث :

سعى البحث إلى تحقيق ما يلي :

- ١ . التعرف على اتجاهات الطلبة وأقارب المرضى النفسيين حول طبيعة المرض النفسي .
- ٢ . التعرف على اثر متغيرات الجنس ، الدراسة ، الثقافة و القرابة (أقارب مرض نفسيين/ غير مقربين لهم) نحو المرض النفسي .
- ٣ . التعرف على الفروق و التشابه بين اتجاهات الطلاب وأقارب المرضى النفسيين نحو التعامل مع المريض النفسي .

٤ . الاستفادة من نتائج الدراسة في التخطيط لوضع برامج تغيير الاتجاهات السلبية نحو المرض النفسي إلى اتجاهات ايجابية .

ولتحقيق تلك الأهداف حاول البحث الإجابة على الأسئلة التالية :

- ١ . ما مستوى اتجاهات الطلاب وأقارب المرضى حول المرض النفسي؟
- ٢ . هل تتباين اتجاهات الطلاب و أقارب المرضى الايجابية والسلبية نحو المرض النفسي بتباين المتغيرات التالية : الجنس ، مستوى التعليم ، الثقافة وصلة القرابة؟

فرضيات البحث :

- ١ . توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين اتجاهات الطلاب و أقارب المرضى نحو المرض النفسي .
- ٢ . توجد فروق ذات دلالة إحصائية في اتجاهات الطلاب و أقارب المرضى تعزى لمتغيرات التعليم، الثقافة ، صلة القرابة .
- ٣ . توجد فروق ذات دلالة إحصائية في اتجاهات الطلاب و أقارب المرضى في التعامل مع المريض النفسي من حيث العمل ، الزواج و التأجير السكني .

أهمية البحث:

حظي موضوع الاتجاهات باهتمام علماء النفس الاجتماعي منذ بداية النصف الأول من القرن العشرين كواحد من الموضوعات الرئيسية في علم النفس الاجتماعي (McGuire,1975).

ويقف وراء هذا الاهتمام عدد من الأسباب أهمها أن دراسة الاتجاهات الحاكمة للعلاقة بين الجماعات فيما بينها هي المدخل الأساسي نحو تفهم إمكانية ممارسة هذه الجماعات المختلفة لوظائفها وقيامها أو نهوضها بأدوارها المتوقعة ، فضلا عن تفسير الفروق القائمة بين الأدوار الممارسة والأدوار المتوقعة لهذه الجماعات. (Kelvin,1868,143; Lambert, 1964; Liberman, 1975; McGrath,1970,8) و (Freeman &)

(Givanani,1975; Brown & Stevens,1975) كالعلاقة بين الذكور والإناث (Rokeach,1976) والعلاقة بين البيض والزوج (Bagley,1973; Rokeach,1980) والعلاقة بين الأقليات عموماً (Latane & Wolf,1981; Gittler,1956).

وعلى الرغم من كل هذا فإن هذا الاهتمام لم يمتد إلى دراسة هذه الاتجاهات والمعتقدات نحو فئة معينة من الأفراد هي فئة المرضى النفسيين، فلم تحظ دراسة المعتقدات والاتجاهات نحو المرضى النفسيين باهتمام كاف على الرغم من الأهمية القصوى لمثل هذه الدراسات وربما كان وراء ذلك عدد من الأسباب نجملها على النحو التالي :

١. الاهتمام بالجوانب النظرية التي ركزت على إيضاح المفاهيم المختلفة مثل الاتجاه والقيم وما يتصل بها من مفاهيم أخرى (McGuire,1957).
 ٢. تركزت الدراسات الإمبريقية السابقة على دراسة الاتجاهات في المجالات السياسية والدينية ٣. وقوف المرض النفسي كظاهرة مركبة تحتوي على متغيرات نفسية واجتماعية عديدة، وتحيز الشعور العام ضده (عكاشة،١٩٧٦،٦).
 ٤. اختلاف التصورات والاتجاهات حيال المرض باختلاف المراحل التاريخية التي تمر بها المجتمعات، واختلافهما في المجتمع الواحد باختلاف الظروف التي تمر بها تلك المجتمعات (Farina,el.al,1978).
- هذا وقد ترتب على كل ما سبق عدد من المشكلات التي حدثت من تقدم الخدمة النفسية للمرضى النفسيين، وكان من أهمها:.
١. العجز في كثير من الأحيان عن التشخيص للمرض النفسي، وعدم القدرة على التعرف على مشكلة المريض من حيث تاريخها والعوامل التي أبرزتها.(Erickson,1975; Clausen,1976).

٢. العجز عن وضع بعض أسس العلاج النفسي الحديث موضع التنفيذ، وخاصة التي تقتضي كأحد أسسها إقامة التفاعل بين المريض وإطاره الاجتماعي (Ewalt,1964).

٣. العجز عن التخطيط لوضع برامج تأهيلية داخل السياق الاجتماعي المعتاد (Wrightsman & Deaus, 1981,566).

٤. إمكانية استمرار قيام العوامل المساعدة على ظهور المرض النفسي حتى بعد المرور بالخبرة العلاجية مما يسهم في حدوث الانتكاس المرضي (Julian,1977).

وتبصرنا بهذا بدأ في السنوات الأخيرة الاهتمام من جانب علماء النفس الاجتماعي بموضوع الصحة و الممارسة الطبية. فقد أشار تايلور Taylor الى ضرورة إسهام علم النفس الاجتماعي في التعرف على أسباب المرض وطرق علاجه والوقاية منه ، وتحديد شكل العلاقة بين المريض و المحيطين به ذوي الصلة المباشرة أو غير المباشرة (Wrightsman & Deaux;1981,545).

فلم يعد من الممكن إجراء الدراسات و البحوث بهدف تشخيص وعلاج المرضى دون الاهتمام بالمحيط الاجتماعي الذي يعيشون فيه، والذي يؤثر فيه ويتأثرون به دون الاهتمام بتصورات المجتمع نحوهم واتجاهاته حيالهم (Rachman,1980).

وقد تغير بالفعل " النموذج الطبي التقليدي" في دراسة المرضى النفسيين إلى نموذج آخر هو " نموذج الصحة العامة في الطب النفسي" حيث أصبح الاهتمام من جانب المختصين بزملة الأعراض السيكاثيرية والنظر إلى المريض النفسي لا على أنه منفصل على الآخرين ولكنه يعيش في مناخ معين يجب الاهتمام به ودراسة المعتقدات والاتجاهات كأحد جوانبه الرئيسية (Rabkin,1972; Farina,1978). وبدأ في الستينات من القرن الماضي التوجه نحو التسهيلات التي يمكن تقديمها من جوانب أفراد المجتمع للمرضى النفسيين. وتعرف هذه

الحركة في مجال الصحة النفسية " بالطب النفسي الاجتماعي " أو الطب النفسي الخاص بالمجتمع وقد نجح هذا التيار و أصبح له نتائج ومساهمته الإيجابية (Rabkin, 1972).

لكل هذا تتبدى أهمية التعرف على معتقدات واتجاهات الآخرين حيال المرض النفسي باعتبارها ترجمة لأنماط من التفكير والسلوك، والتي تنتقل من جماعة إلى جماعة ومن مجتمع إلى مجتمع لآخر عبر عصور مختلفة. ويزكي هذا الاهتمام بالموضوع الحالي ما أمكن تبنيه من خلال استقراء التراث من مبررات للقيام بهذه الدراسة .

مبررات القيام بالبحث الحالي :

أولاً: ندرة الدراسات التي تناولت معرفة الاتجاهات على عينات من أسر وأقارب المرضى النفسيين .

ثانياً: التعارض بين نتائج البحوث والدراسات التي توفرت في هذا المجال.

المفاهيم الأساسية للبحث:

• الاتجاه : قدم توماس و زنانيكى Thomas & Znanisuki سنة ١٩١٨ اصطلاح الاتجاه إلى ميدان علم النفس الاجتماعي بصورة قوية دفعت عددا كبيرا من الباحثين إلى الاعتراف به كمصطلح يجب أن يحتل مركزا ممتازا في الميدان. وفعلا نلاحظ أن جوردن ألپورت G.Allport وهو حجة في هذا الميدان يقول في بحثه عن "الاتجاهات النفسية" الذي نشر عام ١٩٣٥: " إن مفهوم الاتجاهات هو أبرز المفاهيم وأكثرها إلزاما في علم النفس الاجتماعي الأمريكي المعاصر ، فليس ثمة اصطلاح يفوقه في عدد مرات الظهور في الدراسات التجريبية المنشورة " (سويف ،١٩٧٥، ٣٣٨).

وعلى على الرغم من ذبوع مفهوم الاتجاه فإن هناك نوعا من الغموض والاستخدامات المتعددة لهذا المفهوم (Allpot,1954). ونعرض فيما يلي

لعدد من التعريفات التي تمثل مناخ مختلف بهدف استخلاص مفهوم محدد لما نعنيه بالاتجاه كما أستخدم في البحث الحالي .

يعرف ألبورت الاتجاه بأنه " حالة من الاستعداد أو التهيؤ النفسي ، تنتظم من خلال خبرة الشخص، تمارس تأثيرا توجيهيا وديناميا على استجابة الفرد لكل الموضوعات والمواقف المرتبطة بهذه الاستجابة" (Allport, 1935).

ويعرف وارن الاتجاه بأنه " استعداد عقلي يتكون بناء على ما يوجد لدى الفرد من خبرات، ويمكن من خلال هذه الخبرات إحداث تغييرات في مجال الاتجاه" (Warren, 1934) واتجاه الفرد نحو شئ ما هو " استعداده ليؤدي أو يفكر أو يشعر نحو هذا الشئ " (Newcomb, 1950).

اما روكتش فيعرف الاتجاه بأنه " تنظيم من المعتقدات له طابع الثبات النسبي حول موضوع أو موقف معين، واستعداد أو ميل للاستجابة بشكل تفضيلي (Rokeach, 1976:119). فالاتجاه من منظور روكتش هو تنظيم يختلف في مدى خصوصيته أو عموميته ، في اتساقه أو ضيقه طبقا لما يتضمنه من أجزاء. أما الموضوع الذي يدور حوله الاتجاه فقد يكون ثابتا أو عيانيا مجردا، كالاتجاه نحو الأشخاص أو جماعات معينة أو مؤسسات ..الخ. أما فيما يتعلق بالموقف فهو حدث دينامي نشط لمجموعة من المعتقدات توجد لدى الفرد. أما الاستجابة التفضيلية فيمكن فحصها في بعدين : البعد الوجداني (الحب - الكراهية) ، والبعد التقويمي (حسن - سيء).

نستخلص مما سبق أنه لدراسة العلاقة بين الاتجاه والسلوك يجب الاهتمام بالاتجاه نحو الموضوع والموقف معا والنظر إليهما على أن بينهما قدرا من التداخل والتفاعل المتبادل. والاستجابة التفضيلية كما يراها روكتش لا تحدث في فراغ ولكنها توجد في سياق اجتماعي معين. ويجب فهم هذه الاستجابة في ضوء هذا السياق أو الموقف الذي توجد فيه (Rokeach,

1976). ويتفق هذا مع ما ذكره كريتش وكريتشفيلد (Krech & Crutchfield,1962). من أن الفعل أو السلوك لا يتحدد فقط بواسطة الاتجاهات ولكن إلى جانبها توجد الحاجات والظروف الموقفية .

• المعتقد : المعتقد في مدلوله اللغوي ضرب من الارتباط بأمر معين. وفي مدلوله الاصطلاحي التصديق الجازم بشئ ما. وفي الظن والرأي قدر من التصديق ولكنهما معا دون الاعتقاد. واليقين و الإيمان من أسمى درجات الاعتقاد، ويقومان على تصديق جازم لا يقبل الشك، وليس يلزم في كل اعتقاد أن يكون لديه حجة منطقية. ويرجع كثير من معتقداتنا السائدة إلى شئ من الثقة والتسليم بما قاله الآخرون من ماضين أو حاضرين (مذكور وآخرون، ١٩٧٥، ٤٩).

والعقيدة هي الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده (في الدين) و المعتقد هو العقيدة. أعتقد الشئ : أشد وصلب يقال أعتقد الإخاء بينهما، صدق وثبت . أعتقد فلان الأمر: صدقه وعقد عليه قلبه وضميره (أنيس وآخرون ١٩٧٣، ج٢، ٦١٤).

ويعرف أنجلش وأنجلش (English & English,1958,64) المعتقد بأنه "التقبل الوجداني لقضية أو خبر يحتمل الصدق حسب ما يوجد لدى الفرد من أسباب وحجج. والحجج في المعتقدات غالبا ما يصعب فحصها وتشمل على درجات متفاوتة من اليقين الذاتي.

وقد استخدم بارسونز Parsons المعتقدات والأفكار بمعنى واحد . ويرى أنه يمكن تقسيمهما طبقا لفئة الموضوعات التي تشملها سواء تلك الخاصة بالبيئة أو الخاصة بالكائن الحي. فهناك المعتقدات الوجودية الأمبيريقية و المعتقدات غير الأمبيريقية . فحينما نتحدث عن معتقدات إمبيريقية نقصد بها إيديولوجية الفرد، ولكن حينما نتحدث عن معتقدات غير إمبيريقية

نقصد بها الأفكار المتعلقة بالدين والتأملات الفلسفية
(Parsons,1952,328)

ويتفق منظور روكتش في تعريفه للمعتقد مع هذا الاتجاه ، حيث يقسم المعتقدات إلى ثلاثة أنواع: وصفية، أي تلك التي توصف بالصحة أو الزيف) كالاعتقاد بأن الشمس تشرق من جهة الشرق)، وتقويمية، أي التي يوصف على أساسها موضوع الاعتقاد بالحسن والقبيح (كالاعتقاد بأن طعاما ما مفضل)، وأمرية أو ناهية ، حيث يحكم بمقتضاها على بعض الوسائل أو الغايات بجدارة الرغبة فيها أو عدم الجدارة (كالاعتقاد بأنه من المرغوب فيه أن يطيع الأطفال آبائهم (Rokeach,1976).

● المرض النفسي :

الموضوع الذي نقيس المعتقدات والاتجاهات حياله هو المرض النفسي وهو من الموضوعات التي ساد الغموض حولها لفترة طويلة. فالمرض النفسي يعرفه "ولمان" بأنه اضطراب في السلوك ذو أصل عضوي أو غير عضوي ويتطلب مساعدة مهنية متخصصة، ويستخدم المصطلح بطريقة مترادفة مع الاضطراب السلوكي أو النفسي (Wolman,1975,234).

وتعرف منظمة الصحة العالمية الاضطرابات النفسية بأنها عبارة مجموعة من الاضطرابات النفسية التي تنشأ عن صراعات نفسية مختلفة وتشارك جميعها في صفات عامة (كالقلق والشعور بالاكتئاب وعدم الاستقرار مع الحساسية الزائدة والشكوك غير المعقولة و الحصر القهري والمخاوف والرعب والاستثارات السريعة المصحوبة باضطرابات في النوم والشهية وتذبذب الكفاءة الإنتاجية للمصاب وتؤثر أمراض العصاب هذه في كفاءة الشخصية واتساقها الداخلي (ياسين عطوف ١٩٨٨، ٢١٣).

أما الجمعية الأمريكية للطب النفسي فتري إن الاضطرابات النفسية هي عبارة عن مجموعة من الانحرافات التي لا تنجم عن - علة عضوية - أو

تلف في تركيب المخ - بل هي اضطرابات وظيفية ومزاجية في الشخصية، ترجع إلى الخبرات المؤلمة أو الصدمات الانفعالية أو الاضطرابات في علاقات الفرد مع الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه ويتفاعل معه، ويرتبط بما في حياة الفرد وخاصة في طفولته المبكرة. (ياسين، ١٩٨٨، ٢٠٩).

ويرى الكثير من علماء النفس والطب النفسي أن الاضطرابات النفسية تشير إلى حالات سوء التوافق، سواء مع النفس أو مع الجسد أو مع البيئة الطبيعية كانت أو اجتماعية، ويعبر عنها بدرجة عالية من القلق والتوتر والإحساس باليأس و التعاسة والقهر، وليس لها أسباب عضوية واضحة بالضرورة، إنما هي نتاج تفاعل أكثر من عامل واحد، وغالبا ما تمس البعد الانفعالي للشخصية، ويظل معها الفرد المضطرب متصلا بالحياة الواقعية (بركات ١٩٧٨) قادرا على استبصار حالته المضطربة ضابطا لسلوكياته إلى حد كبير متحملا لمسؤولية أفعاله، قادرا على القيام بواجباته بشكل عام (عكاشة ١٩٦٩).

• الاضطرابات الذهانية (العقلية) :

هي مجموعة من الاضطرابات العقلية التي تجعل المصاب بها معتوها أو مختل العقل، والمرضى بالذهان لا يعرفون أنهم مرضى ويفشلون في اختبارات الواقع (الحفني عبد المنعم، ١٩٨٧، ١٨٤).

يعرف (ياسين) الاضطرابات العقلية ، بأنها المرض الذي يتناول كافة الاضطرابات الانفعالية و السلوكية و الذهنية والشخصية بصفة عامة وتعكس حالات من الشذوذ وعدم التوافق، فهو اضطراب عقلي شديد وخلل شامل في الشخصية (عطوف ياسين، ١٩٨٨، ٣٩٥).

الاضطرابات النفسية والعقلية التي تناولها البحث:

• التخلف العقلي :

هو حالة من (عدم تكامل نمو خلايا الدماغ) أو (توقف) نمو أنسجته منذ الولادة أو في السنوات الأولى لسبب - ما - وهو ليس مرضا مستقلا بل هو مجموعة أمراض تتصف جميعها بانخفاض في درجة ذكاء الطفل المتخلف بالنسبة إلى معدل الذكاء العام وعدم قدرة على التكيف الاجتماعي (عطوف ياسين، ١٩٨٨، ٢٠٥)

• الصرع :

هو عرض لاختلال معاود في (الفاعلية الكهربائية الفيزيوكيميائية للخلايا ذات الإنفراج الكهربائي في الدماغ) ويمكن لهذا الاختلال أن يحدث آفات دماغية عصبية مختلفة.

ويؤكد علماء الأمراض العصبية و العقلية بأن الصرع: " اضطراب وقتي في وظائف الدماغ وفي البث الكهربائي فيه **Cerebral Dystrhythmia** يتكرر بشكل نوبات مصحوبة باحتمالات فقدان الوعي وترافقه أعراض دماغية أخرى حركية أو حسية مشتركة مع اضطراب في التخطيط الدماغ الكهربي ناشئ عن أنفراج إنتيابي في عصبيات دماغية في مختلف أجزاء الدماغ مما يستدعي العلاج السريع (Freedman & Kaplan, 1976).

• الذهان الحاد :

هو اضطراب عقلي ذهاني حاد، ناتج عن مرض عضوي حاد كالحمى المرتفعة و التسمم وارتجاع الدماغ وحميات التيفوئيد أو التهابات الدماغ أو السحايا . يتسم بتشويش الوعي ويحدث فيزيولوجيا نتيجة الإرهاق الجسمي الشديد. (ياسين ، ١٩٨٨ ، ٣٩٧)

• الاكتئاب :

الاكتئاب النفسي هو مظهر أو نتيجة من نتائج القلق يصاحبه شعور باليأس وشعور بالتوعك والعجز والمزاج السوداوي وضيق الصدر وعدم الرضاء وعدم الاكتراث بالحوادث أو نتائجها و شعور بالإعياء وعدم القدرة على إنجاز أي عمل وعدم الثقة بالنفس (ياسين عطوف، ١٩٨٨، ٢٤٧).

• الفصام الاضطهادي :

هو اضطراب عقلي وظيفي (ذهاني غير عضوي) . يتميز هذا النوع من الفصام بهذات الاضطهاد و الشكوك أو هذات العظمة. ويكون بين سن (٣٥ - ٤٠) ويكون المريض شديد الانتباه وتميل البارانويا للأزمان وقد تمتد طيلة العمر، وتظهر في هذا الاضطراب هلاوس حسية و سمعية وحشوية ، كشعور المريض بأن هناك أشعة كهربائية مسلطة عليه ، أو الشعور بأن أهله والسلطة يتآمرون عليه وهكذا (ياسين عطوف، ١٩٨٨، ٢٨٣).

الدراسات السابقة التي تناولت الاتجاهات والمعتقدات نحو المرض النفسي :

ترجع أهمية الدراسات التي تناولت موضوع المعتقدات والاتجاهات نحو المرض النفسي - رغم تعددها واختلافها وتعارض نتائجها - إلا أنها تعتبر بمثابة هاديات لتوجيه خطواتنا المقبلة في إجراء البحث الحالي، فهي تعد من المصادر الخصبة التي تستقي منها الفروض التي يمكن صياغتها إجرائياً، ومحاولة التحقيق منها في بحوث تجريبية تالية. كما أن لها هدفاً آخر يتعلق بالتعرف على ما توصلت إليه البحوث في حضارات وثقافات مختلفة. وهو ما يدخل في إطار الدراسات الحضارية المقارنة.

وهنا سوف نعرض أهم البحوث التي اهتمت بدراسة الموضوع على النحو التالي :

الفئة الأولى : الدراسات التي تناولت معتقدات واتجاهات الجمهور نحو المرض النفسي :

الفئة الثانية: الدراسات التي تناولت معتقدات واتجاهات من لهم صلة مباشرة من أسرو وأقارب المرضى النفسيين.

الفئة الثالثة: الدراسات التي تناولت معتقدات واتجاهات الطلاب تجاه المرض النفسي .

أجرى نوناللي دراسته في أوائل الخمسينات ونشر نتائجها سنة ١٩٦١ على عينة من الجمهور العام بلغ عددها (٧٠٠) فردا من الذكور والإناث، والهدف من الدراسة كان الكشف عن الأفكار و الاتجاهات للجمهور نحو المرض النفسي (Nunnanlly,1961,17-27). وكان من نتائج هذه الدراسة أن أستخلص عشرة عوامل رئيسية هي :

العامل الأول - اختلاف و غرابة تصرفات المرضى النفسيين :

حيث النظر إلى المرضى النفسيين على أنهم مختلفون في تصرفاتهم وسلوكهم ومظهرهم عن الأسوياء، ومنخفضي الذكاء، ويضحكون دائما دون سبب، ومزعجون، ويولون اهتماما ضئيلا لمظهرهم الشخصي.

العامل الثاني - قوة الإرادة :

باعتبارها أساس التوافق الشخصي فهي مفقودة لدى المرضى النفسيين ويفشل الأطباء غالبا في تنمية الإرادة عندهم.

العامل الثالث - التمييز الجنسي :

حيث النظر إلى النساء على أنهم أميل إلى التعرض للإصابة بالاضطراب النفسي والانهيار العصبي من الرجال.

العامل الرابع - تحاشي الأفكار المرضية :

حيث يمكن الوقاية من المرض النفسي بخلق مناخ مناسب وعدم مناقشة ما يثير مشاكل المرضى. ويجب أن يتمتع الأطباء النفسيون بحس إكلينيكي مرهف في التعامل مع مرضاهم.

العامل الخامس – الإرشاد والتوجيه :

ويتضمن ذلك أن يوضح الطبيب النفسي للمريض منشأ متاعبه وأسباب مرضه وأن يصحح أفكاره الخاطئة.

العامل السادس – فقدان الأمل :

حيث هناك أمل ضعيف جدا في الشفاء من المرض النفسي، وأن القليل من المرضى يمكن رجوعهم الى العمل في المجتمع، ولا يستطيع الأطباء التنبؤ بشفاء هؤلاء المرضى.

العامل السابع – البيئة الخارجية المباشرة مقابل ديناميات الشخصية أو البيئة الداخلية :

وهو عامل ذو قطبين، يدور الأول حيث البيئة الخارجية بينما يهتم الثاني بالبيئة الشخصية. فهناك من يرجع المرض النفسي إلى الضغوط في بيئة المريض مقابل من يرجع المرض الى التاريخ الشخصي للمريض خاصة طفولته وما يتعرض له من مشكلات.

العامل الثامن – عدم الخطورة :

حيث النظر إلى المرض النفسي على أنه لا يسبب خطورة بالنسبة للشخص المريض نفسه. ولكن خطورته تتمثل فيما يسببه من مشاكل ومتاعب بالنسبة للمحيطين به.

العامل التاسع – دلالة الفعل أو الوظيفة :

حيث تتزايد المشاكل الانفعالية نتيجة لتزايد الاضطرابات الجسمية كما أن الأشخاص الكبار في السن أميل للتعرض للإصابة بالمرض النفسي من صغار السن.

العامل العاشر – الأسباب العضوية :

ويتضمن هذا العامل إرجاع الاضطرابات النفسية إلى العوامل العضوية مثل أمراض الجهاز العصبي وإصابات الدماغ ومن الدراسات التي أجريت أيضا بهدف التعرف على اتجاهات الجمهور العام نحو المرض النفسي دراسة ماهوني (Mahony,1979) وقد أهتم الباحث بدراسة تصورات واتجاهات الجمهور حيال المرضى النفسيين . وكان من نتائج الدراسة مايلي:

(أ) فيما يتعلق بالأنماط أو التصورات الشائعة حول "الأشخاص العصبيين" فهم مزعجون ومتقلبوا المزاج. أما الأشخاص "المجانين" فهم خطرون ومخيفون .

(ب) تبين أن هناك علاقة بين مستوى تعليم الفرد وتصوراته عن المرض النفسي .
 (ج) تبين كذلك أن هناك نوعا من الغموض و الخلط في استخدام مفهوم المرض النفسي لدى الجمهور. هناك كذلك نوع من الخلط بين المرض النفسي والتأخر العقلي.

إلا إن الوجه المقابل لذلك نجد بعض الدراسات التي أظهرت أن هناك اتجاهات إيجابية نحو المرضى النفسيين. من هذه الدراسات، دراسة ليماكو و كروستي (Lemkau & Croceetti, 1962) ، والتي أوضحت أن هناك اتجاهات إيجابية لدى الجمهور العام عن المرضى النفسيين وأن هناك تقبل لهم ولطرق علاجهم في المستشفيات التي يعالجون فيها .

الفئة الثانية – الدراسات التي تناولت المعتقدات والاتجاهات لدى أقارب المرضى النفسيين :

على الرغم من وجود العديد من الدراسات التي تناولت الاتجاهات نحو المرض النفسي لدى عينات الجمهور العام، فإنه لا يوجد سوى عدد قليل من الدراسات التي تناولت اتجاهات عائلات وأسر المرضى النفسيين نحو مرضاهم .

وقد أكد فريمان و سيمونز (Freeman & Simmons, 1963) أهمية دراسة اتجاهات هذه الأسر نحو مرضاهم ، وذلك باعتبار أن معرفة هذه الأسر لطبيعة المرض وأسبابه وطرق علاجه من العوامل التي تؤثر في عودة الشفاء للمرضى.

ومن الدراسات التي أجريت في هذا المجال دراسة يانسيلي وآخرون (Yannicelli, et. Al. 1980).

وكان من أهم نتائج هذه الدراسة ما يلي:

- ١ - تبين أن اتجاهات أسر وأقارب المرضى لا تتغير بمرور الزمن، ولا بمكان العلاج الذي تقدم فيه الخدمة.
- ٢ - لا توجد علاقة بين الناتج النهائي للعلاج واتجاهات أسر المرضى النفسيين ، فلا تتغير الاتجاهات سواء كان العائد من العلاج إيجابيا ، أو سلبيا .
- ٣ - هناك علاقة بين المركز الاقتصادي الاجتماعي و اتجاهات أسر المرضى، حيث تتأثر هذه الاتجاهات بالخلفية الثقافية أكثر من تأثرها بالظروف الموقضية التي تحدث في وقت متعين .

وتتفق مع نتائج هذه الدراسة ما توصل إليه كوهن وسترونج (Cohen & Struening, 1962) من أن الاتجاهات نحو المرضى النفسيين تتأثر بالطبقة الاجتماعية و الخلفية العرقية وجماعة الأقران أكثر من تأثرها بالخبرات اليومية لهؤلاء المرضى .

أما على المستوى العربي فنجد الدراسة التي أجراها الشربيني وآخرون سنة ١٩٨١ بهدف التعرف على آراء أسر المرضى النفسيين ومعرفتهم بهؤلاء المرضى و إتجاهاتهم نحوهم (El-sherbini,et.al.1981).

وكان من أهم نتائج تلك الدراسة ما يلي:

- ١) إن الصورة المأخوذة عن المرضى النفسيين أنهم أكثر الأفراد خطورة في المجتمع. ويرجع هذا إلى ارتباك المرض بالعنف والإثارة و التهيج والسلوك

الشاذ الغريب. كما أرجع الباحثون ذلك إلى تأثير وسائل الإعلام التي تصف المرضى النفسيين بالعنف والخطورة والشذوذ.

(٢) أوضحت الدراسة أن أقارب المرضى تقبل إقامة المريض في المستشفى عندما تجد سلوكه أصبح لا يطاق ولا يمكن تحمله. كما ترفض بعض الأسر التعامل مع المرضى النفسيين بمجرد الإصابة بالمرض ودخول المريض المستشفى، حيث ترفض زوجات المرضى النفسيين أزواجهن ويبررن هذا بأن هناك صعوبة في إقامة تفاعل معهم .

(٣) من النتائج المثيرة في هذه الدراسة أن الأسر تستجيب بطريقة مختلفة في وصف أسباب المرض النفسي في عموميته من ناحية وفي علاقتهم بمرضاهم من ناحية أخرى. فهم يميلون إلى إنكار وجود مرض ذهاني في مرضاهم باعتباره يمثل وصمة عار في تاريخ الأسرة الاجتماعي. وتقرر معظم الأسر أن المرض النفسي هو نتيجة لتعاطي المخدرات.

الفئة الثالثة - بحوث اتجاهات الطلاب حيال المرض النفسي:

من الدراسات التي أجريت في هذا المجال دراسة جوهانسن و آخرون (Johansen, et. al. 1964) والتي أجريت على عينة من طالبات التمريض لهن خبرة في مجال العمل مع المرضى النفسيين. تبين من الدراسة أن طالبات التمريض لديهن نوع من التسامح و المرونة حيال المرضى النفسيين.

يضاف إلى ذلك دراسة فلتشر (Fletcher, 1962) التي أجريت على (٣٥) من طالبات التمريض. وذلك بهدف معرفة اتجاهاتهن حيال المرضى النفسيين وأثر هذه الاتجاهات على تحسن أدائهن في العمل مع المرضى.

وكان من أهم نتائج هذه الدراسة ما يلي:

١. أن هؤلاء الطالبات يوجد لديهن في بداية العمل مع المرضى تصورات ترتبط بالخوف والابتعاد، وافتقاد المعرفة بأسباب المرض وطرق علاجه.

٢. أمكن من خلال برامج تدريبي (يتضمن مجموعة محاضرات) تغيير اتجاه هؤلاء الطالبات فأصبحت تتسم بالتقبل والإيجابية .

وعلى المستوى العربي هناك دراسة قام بها عبد الخالق وآخرون سنة ١٩٨٢م ، بهدف فحص العلاقة بين بعدي الانبساط و العصابية و الاتجاه نحو المرض النفسي ، وقد أجريت الدراسة على طلبة وطالبات من المعهد العالي للتمريض بجامعة الإسكندرية. وكان من نتائج هذه الدراسة ما يلي:

" أن الطالبات اللاتي حصلن على درجات مرتفعة على قياس العصابية اعتقدن أن مصدر المرض النفسي يكمن في مرحلة النضوج والشيخوخة، ومن ثم فإن هذا المرض غير قابل للشفاء، ولذلك فأنهن لا يوافقن على ضرورة التعجيل بإدخال المريض إلى المستشفى . أما فيما يتعلق بمقياس الانبساط فإن كل من المنبسطان والمنطويات اعتنقن بعض الاتجاهات السلبية نحو المرض النفسي ، فلم يكن لدى كل منهن أمل في الوقاية من المرض أو حتى إنقاص معدلات انتشاره ، وفضلا عن ذلك فأنهن كلهن احتفظن بمسافة اجتماعية بينهن وبين المريض النفسي (عبد الخالق وآخرون. ١٩٨٢).

إجراءات البحث :

١. مجتمع البحث : يتكون مجتمع البحث من الطلاب الجامعيين الدارسين في جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا ، طلاب المعهد الصحي بالكلأ وأقارب المرضى النفسيين المرافقين لهم المترددين في قسم الأمراض النفسية بمستشفى المكلا و العيادة الخارجية للأمراض النفسية بمستشفى بغيل باوزير.

٢. عينة البحث : تتكون عينة البحث من (١٠٠) فرد موزعة على النحو الآتي:
المجموعة الأولى :عينة أقارب المرضى النفسيين، بلغ عددهم (٥٠) فرد: (٤٥) من الذكور، و (٥) من الإناث. بمتوسط عمري ٤٠،٧ عاما. يتوزعون على النحو التالي:

جدول رقم (١) توزيع أفراد المجموعة الأولى حسب متغير الجنس (ذكور - إناث)

النسبة المئوية	المجموع	إناث	ذكور	المجموعة الأولى " أقارب مرضى نفسيين "
%٨٤	٤٢	-	٤٢	مستشفى المكلا " قسم الأمراض النفسية والعصبية "
%١٦	٨	٥	٣	مستشفى غيل باوزير

المجموعة الثانية: عينة الطلبة ، بلغ عددهم (٥٠) فرد: (١٨) من الذكور، و (٣٢) من الإناث. منهم (٢١) من جامعة حضرموت، و (٢٩) من المعهد الصحي بالمكلا. بمتوسط عمري ٢٣ ، ١ عاما.

جدول رقم (٢) توزيع عينة المجموعة الثانية حسب متغير الجنس (ذكور - إناث)

النسبة المئوية	المجموع	إناث	ذكور	المجموعة الثانية " طلاب "
%٤٢	٢١	١١	١٠	جامعة حضرموت
%٥٨	٩٢	٢١	٨	المعهد الصحي بالمكلا

جدول رقم (٣) توزيع المجموعتين حسب متغير العمر

أكبر من ٦٠ عاما	من ٣٠ إلى ٥٩ عاما	من ١٥ إلى ٢٩ عاما	المجموعات
٨	٣٠	١٢	" الأولى " أقارب المرضى النفسيين
-	٠١	٤٩	" الثانية " الطلبة

٣. أداة البحث:

أعتمد في هذا البحث على استخبار المعتقدات والاتجاهات نحو المرض النفسي الذي تم أعداده و استخدامه من قبل منظمة الصحة العالمية ، (WHO) (Multicountry Study, Wigg et, al.1980) يظهر هذا الاستخبار خمسة اضطرابات نفسية متنوعة وهي: التخلف العقلي، الصرع، الفصام الحاد ، الاكتئاب و الفصام الاضطهادي. وتدور بنود الاستخبار حول الجوانب التالية :

١. المعتقدات والاتجاهات نحو المرض النفسي وتشمل البنود أرقام (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦)

٢. المعتقدات والاتجاهات حيال كيفية تعاملنا مع المريض النفسي وكيف ننظر إليه، وتشمل البنود الأرقام (7,8,9).
٤. المعالجة الإحصائية :

تم معالجة البيانات إحصائياً باستخدام المعالجات الوصفية و التحليلية التالية : المتوسطات الحسابية، الانحرافات المعيارية و النسب المئوية.

جدول رقم (٤) يوضح الفرق بين الاتجاهات و المعتقدات حول المرض النفسي بين المجموعات

العلاقة	العدد	المتوسط	قيمة ف	قيمة ت
بين المجموعات	٢	١٨،١٨٣٦	٢،٣٧٧٣	❖٠،٠١٨٧
في المجموعات	٩٨	١٤٠،٤٩٤٢	-	-
المجموع العام	١٠٠	١٥٨،٦٧٨٠	-	-

❖ دالة عند مستوى 01. أو أكثر

جدول رقم (٥) يوضح الفرق بين الاتجاهات و المعتقدات حول المرض النفسي بين المجموعات حسب متغير الجنس (ذكور- إناث)

الجنس	العدد	المتوسط المعياري	الانحراف المعياري	الخطأ المعياري
الإناث	٣٧	٤،٨٢١٤	١،٢١٨٨	٠،٢٣٠٣
الذكور	٦٣	٣،٠٧٠٧	١،٨٢٩٣	٠،٣٢٨٥
المجموع العام	١٠٠	٤،٢٣٧٣	١،٦٥٤٥	٠،٢١٥٣

٥. إجراءات تطبيق البحث:

تم تطبيق البحث على أفراد المجموعة الأولى (أقارب المرضى النفسيين) في مستشفى المكلا ومستشفى غيل باوزير حيث تم الالتقاء بهم عند زيارتهم للعيادة النفسية كمرافقين مع مرضاهم ، أما طلبة الجامعة والمعهد الصحي (المجموعة الثانية) فكان يتم اللقاء بهم في أوقات المحاضرات. كان تطبيق استخبار البحث يتم بشكل فردي مع كل مفرص، وتستغرق الجلسة حوالي ٢٥ دقيقة. وقد تضمنت التمهيد لعملية تطبيق الاستخبار تقديمها عاما لأهداف البحث ومضمونه على النحو التالي :

" نقول للمفحوص نريد أن نتعرف منك على الأفكار التي عندك عن المرض النفسي وما هو شعورك نحو هذا المرض. وكل ما نرجوه منك هو أن تجيب بصراحة وصدق على الأسئلة التي سنقولها لك، يتبع ذلك أن تقوم بعرض صورة المريض النفسي مع توضيح الأعراض التي يعاني منها هذا المريض وتبيانها للمفحوص . بعدها نبدأ بتوجيه الأسئلة إليه وكتابة إجابته على صفحة استمارة الاستخبار المعدة بذلك.

(استمارة الاستبيان ملحق ١) .

وصف نتائج البحث :

يتضمن عرض نتائج البحث الجوانب التالية:

أولاً: عرض جوانب الاتفاق والاختلاف بين عينة أقارب المرضى النفسيين و عينة الطلاب من حيث المعتقدات والاتجاهات نحو المرض النفسي تشتمل على: تصنيف السلوك، أسباب المرض النفسي، خطورة المرض، إمكانية العلاج والمعالج المناسب.

ثانياً : العلاقة بين المعتقدات والاتجاهات للمجموعتين ببعض المتغيرات منها : المستوى التعليمي (الثقافة) و صلة القرابة ..

ثالثاً : المعتقدات والاتجاهات للمجموعتين نحو المريض النفسي وكيفية التعامل معه تشتمل على الجوانب الاجتماعية التالية: الزواج ، التأجير السكني والعمل ..

أهم نتائج البحث :

أولاً: عرض جوانب الاتفاق والاختلاف بين المجموعتين من حيث المعتقدات والاتجاهات نحو المرض النفسي وهو ما عنيت به الفرضية الأولى .

١ . المعتقدات والاتجاهات التي تدور حول أسباب المرض النفسي:

أ) كشفت نتائج البحث عن وجود اتفاق بين أقارب المرضى النفسيين و الطلاب حول الأسباب التي تؤدي إلى الذهان الحاد، الاكتئاب و الفصام

حيث اعتبر ٦٨٪ منهم أن هذه الاضطرابات تحدث نتيجة لأسباب نفس - اجتماعية.

(ب) بينت نتائج البحث وجود اختلاف بين أفراد المجموعتين حيال نظرتهم لأسباب التخلف العقلي و الصرع : حيث أعتبر ٦٤٪ أقارب المرضى النفسيين أن أسباب التخلف العقلي هي نفس - اجتماعية في حين أبدى ٦٤٪ من الطلاب تفهما علميا لأسباب هذا الاضطرابات عندما اعتبروا أن أسبابه عضوية. كما رأى ٤٢٪ من أقارب المرضى النفسيين إن أسباب الصرع نفس - اجتماعية اعتبر ٥٦٪ من الطلاب أنها عضوية .

قد ترجع هذه المعرفة العلمية في التعرف على الأسباب الحقيقية عن أسباب مرض التخلف العقلي و الصرع عند طلبة الجامعة من خلال المقررات الدراسية التي يدرسونها في الجامعة أو من خلال مطالعاتهم الخارجية الثقافية كل ذلك جعل الطلاب أكثر معرفة بأسباب الاضطرابات النفسية ، وتتفق هذه النتيجة مع ما توصلت له بعض الدراسات في هذا المجال منها دراسات (شقير ١٩٨٩ ، الطراوته ٢٠٠٢) و (Hollingshead & Redilch:1985) بينما تعارضت هذه النتيجة مع دراسات : (أمين ١٩٦٤ ، سويف ١٩٨٦ ، و Heider, 1989 .

٢. المعتقدات التي تدور حول علاج المريض النفسي:

(أ) لوحظ من نتائج البحث أن هناك فرقا بين أفراد المجموعتين حول معالجة التخلف العقلي، الصرع و الفصام حيث أبدى ٧٥٪ من أقارب المرضى النفسيين تفاؤلا في شفاء هؤلاء المرضى، أظهر ٣٠٪ من الطلاب تفاؤلا اقل في إمكانية علاج مريض الصرع و المتخلف عقليا، ربما أرتبط هذا الاتجاه بنظرتهم أن هذه الاضطرابات تعود إلى أسباب عضوية ولهذا فهي غير قابلة للعلاج وقالوا بتحسن هذه الحالات مستقبلا.

(ب) تبين نتائج البحث وجود تفاوت بين أفراد المجموعتين حول علاج المريض النفسي حيث ابدى ٨٤٪ من أقارب المرضى و ٦٢٪ من الطلاب بوجود فرص أفضل لشفاء مرضى الذهان الحاد و الاكتئاب.

تتفق هذه النتيجة مع دراسة أجراها (خليفة عبد الطيف ، ١٩٩٢) تبين أن هناك اتفاق بين الزائرين من أقارب المرضى و الغير زائرين يؤكدون أن الأمراض النفسية يمكن شفاؤها. وتتباين تلك النتائج مع دراسة بينتر وادجرتون وميلر (Bentz,Edgerton & Miller,1971) التي أوضحوا فيها أن هناك اتجاها سلبيا لدي الجمهور و المدرسين بشكل عام ، حيث يرى ٩٣٪ من المدرسين مقابل ٨٠٪ من الجمهور انه لا يحدث تحسن في علاج المرضى النفسيين.

٣. المعتقدات والاتجاهات التي تدور حول المعالج المناسب للمريض النفسي:

(أ) كشف البحث عن وجود اتفاق بين المجموعتين حيال جهة العلاج النفسي ، حيث ابدى ٧٣٪ من أقارب المرضى و ٦٢٪ من الطلاب أن المعالج المناسب والذي يجب أن نتجه إليه عند أصابتنا أو إصابة احد أقربائنا بمرض نفسي هو المعالج النفسي المتخصص.

(ب) لوحظ من نتائج البحث أن ٣٤٪ من أقارب المرضى ترى أن العلاج المناسب لمريض الصرع هو العلاج بالقرآن على اعتبار أن الصرع نوع من المس. تعكس هذه النتيجة واقع معالجة بعض الاضطرابات النفسية و الاتجاهات السلبية التي توجد عند عامة الناس تجاهها على اعتبار أنها أمراض مس شيطاني وليست أمراضا عصبية

ثانيا: العلاقة بين المعتقدات والاتجاهات للمجموعتين ببعض المتغيرات منها :

المستوى التعليمي، صلة القرابة ، منطقة السكن وثقافة المجتمع أو ما عنيته

به

الفرضية الثانية :

(أ) تبين من نتائج البحث أنه كلما ارتفع مستوى التعليم زاد وعي الفرد بأسباب المرض النفسي.

(ب) كشفت نتائج البحث بشكل عام على أن هناك دورا هاما لثقافة وتراث المجتمع وتأثيره على فهم الناس ورؤيتهم للاضطرابات النفسية وكيفية التعامل مع المرضى النفسيين. على سبيل المثال استخدم أقارب المرضى النفسيين مصطلحات متنوعة لوصف المريض النفسي كقولهم بأنه (مجنون، مسنون، مغرور، مخبول، مهستر... الخ) وهذا يعكس المناخ الثقافي الذي ينظر منه إلى المريض النفسي.

(ج) استخدم الطلاب المصطلحات العامة بشكل اقل مما استخدمها أقارب المرضى النفسيين، وكذلك توصل الطلاب إلى تشخيص الاضطرابات النفسية بشكل أدق من أقارب المرضى النفسيين.

(د) يعمم أقارب المرضى النفسيين المصطلح العامي الواحد على مجموعة من الاضطرابات النفسية مثل استخدامهم مصطلح (مسنون) للمتخلف العقلي، الذهان الحاد، الاكتئاب و الفصام الاضطهادي دون التمييز بينهما.

(هـ) وصفت بعض الاضطرابات النفسية من قبل أقارب المرضى النفسيين بأعراضها (Symptoms) مثل (مهلوس ، يتهيا، متوهم ... وهكذا) وليس بزماالتها (Syndrome)

(و) استخدم أقارب المرضى النفسيين العديد من المصطلحات التي تطلق على المريض النفسي بأكثر من تصريف على سبيل المثال (موسوس، وسوسه، وسواس- هستر، مهستر، هستره... الخ).

(ز) تميزت بعض المناطق و القرى باستخدام مصطلحها النفسية الخاصة في توصيف المريض النفسي . فمثلا يطلق أهل وادي العين على المتخلف

العقلي(هديله) ويطلق أهل الغيل والديس الشرقية والساحل على مريض الصرع (سواده) وهكذا...

ما سبق يعكس بدوره المناخ العام الذي يحيط بالمريض النفسي و الذي يرجع إلى الدور السلبي للمحيط الثقائي و التشويه الذي ينظر به إلى المرضى النفسيين وكذلك ما تقوم به بعض وسائل الإعلام في تشويه صورة المريض النفسي وتجعلها هدفا للتسلية كما وتعكس هذه الاتجاهات أيضا التاريخ الطويل للمرض النفسي الذي اتسم بسوء الفهم و الأفكار الخاطئة حول هذه الفئة من المرضى . .

ثالثا : المعتقدات و الاتجاهات للمجموعتين نحو المريض النفسي وكيفية تعاملهم معه تشتمل على العوامل الاجتماعية التالية: الزواج ، التأجير السكني و العمل أو ما عنيت به الفرضية الثالثة :

١. المعتقدات التي تدور حول الزواج من المريض النفسي:

(أ) يبين البحث وجود اتفاق ملحوظ من قبل أقارب المرضى النفسيين والطلاب بعدم الزواج من المريض النفسي. فقد اظهر ٩٦% من أقارب المرضى و ٨٤% من الطلاب بعدم رغبتهم بالزواج من المريض النفسي دون إعطاء أية اعتبار لدرجة المرض أو نوعه.

(ب) كما كشفت نتائج البحث أيضا أن ٩١% من الطلاب يرفضون الزواج من المريض العقلي، في حين ابدي ٢٧% موافقتهم من الزواج من المريض النفسي بالاككتاب و الصرع.

هذه النتيجة توافق نتائج البحث التي أجراها (خليفة عبد اللطيف، ١٩٩٢) بان الناس تخاف من أسرة بها مريض نفسي وتعتبر أن البنت تكون شاذة ومخالفة لتقاليد الأسرة إذا وافقت على الزواج من مريض نفسي .

٢. المعتقدات والاتجاهات التي تدور حول التأجير السكني للمريض النفسي:

- (أ) لوحظ أن ٨٦ ٪ من أقارب المرضى النفسيين يرفضون تأجير السكن للمريض العقلي ، في حين ابدى ٣٢ ٪ منهم موافقة لتأجير السكن لمريض الاكتئاب .
- (ب) كشفت نتائج البحث أيضا أن ٧٨ ٪ من الطلاب يرفضون التأجير الشخصي للسكن للمريض العقلي، في حين ابدى ٥٨ ٪ منهم موافقتهم لتأجير سكنهم الشخصي لمريض الاكتئاب و الصرع .
- (ج) بشكل عام أبدت المجموعتين اتجاها سلبيا حيال تأجير السكن لمريض التخلف العقلي ، الذهان و الفصام الاضطهادي في حين ابدى الطلاب اتجاها ايجابيا نحو مريض الصرع .

٣. المعتقدات التي تدور حول العمل مع المريض النفسي :

- (أ) تبين من البحث أن ٨٨ ٪ من أقارب المرضى النفسيين يرفضون العمل مع المريض العقلي، في حين وافق ٣٣ ٪ منهم فقط للعمل مع مريض الصرع .
- (ب) لوحظ أن ٧٩ ٪ من الطلاب يرفضون العمل مع المريض العقلي ، في حين ابدى ٣٦ ٪ موافقتهم للعمل مع المريض بالاكتئاب والصرع .
- هذا الاتجاهات السلبية في التعامل مع المريض العقلي تؤيده العديد من الدراسات التي أجريت حول العالم منها دراسة نونالي (Nunnally, 1961) على عينة من الجمهور العام بلغ عددها (٧٠٠) كشفت عن وجود هالة سلبية لدى الجمهور العام عن المرضى النفسيين حيث انعكس هذا في شكل اتجاهات سلبية حيال العمل معهم أو الزواج منهم وكذلك التأجير السكنى لهم ، عندما ينظر إليهم على أنهم مخيفون، و لا يمكن الثقة فيهم، كما أنهم يمثلون خطورة على من حولهم، ومنظرهم منفر وغير مقبول ولا يمكن فهم التنبؤ بمستقبلهم كما أنهم شاذون وغريباء. وهذه النتيجة تتفق مع ما توصل اليه الشربيني واخرون (El-Sherbini,etal.1981) على عينة من أقارب مرضى نفسيين

كان من نتائجها إن الصورة العامة المأخوذة عن هؤلاء المرضى توضح أنهم أكثر خطورة في المجتمع،

(ج) كما كشفت نتائج البحث على أن هناك نوعاً من التناقض الوجداني من قبل أفراد عينة البحث في اتجاهاتهم نحو المرضى النفسيين، فعلى سبيل المثال يبدي ٦٨% منهم اتجاهًا يتسم بالتفاؤل في شفاء المرضى النفسيين أو تحسن حالتهم مستقبلاً، في الوقت نفسه يرفضون إقامته إي علاقات معهم (٩٠% منهم يرفضون الزواج من المريض النفسي، ٨٤% منهم يرفضون العمل معه و٨٣% يرفضون تأجير السكن له). كذلك يرى ٦٧% من أفراد العينة أن المعالج النفسي هو الذي نلجأ إليه عند معالجة الاضطرابات النفسية في حين إنهم على مستوى الواقع يعارضون ذلك ويذهبون بالمريض النفسي أولاً للمعالج بالقرآن أو الطبيب العام ومن ثم إلى الطبيب النفسي أو ما يسمى (بمثلك المعالجة النفسية في حضرموت).

في ضوء النتائج التي توصل إليها البحث نضع التوصيات الآتية:

١. الاهتمام بنشر ثقافة الصحة النفسية و توعية أفراد المجتمع بها وجعلها ضمن سياسات الصحة العمومية لوزارة الصحة العامة والسكان.
٢. دعم الأبحاث والدراسات في مجالات الصحة والتنمية النفسية.
٣. تنمية السياسة الوطنية للوقاية من الاضطرابات النفسية وتعزيز مبدأ الصحة النفسية للجميع.
٤. التطوير العلمي لبرامج الصحة النفسية لتكون قادرة على دحض الشائعات و المفاهيم الخاطئة حول المرض النفسي وسبل علاجه.
٥. مساهمة الاختصاصيين في مجال الصحة النفسية والشيوخ في برامج التوعية الفاعلة للأسرة وأفراد المجتمع حول المرض النفسي وطرق التعامل السليم مع المريض النفسي.

٦. توعية المجتمع بأخطار الذهاب إلى الدجالين و المشعوذين في طلب المساعدة لعلاج المريض النفسي وانعكاساتها السلبية على المريض والمرضى النفسي.
- وقد أثار البحث العديد من المشكلات تتطلب المزيد من البحث و الدراسة لهذا نتقدم بهذه المقترحات :
- (١) إجراء دراسات أخرى لمعرفة ماهية العوامل التي ساعدت على تكوين تلك المعتقدات والاتجاهات السلبية نحو المرض النفسي.
 - (٢) تحديد دور الرأي العام (المرئي ، المسموع والمقروء) في صناعة تكوين الصورة النمطية عن المرض و المريض النفسي.
 - (٣) إقامة الدورات و الندوات العلمية حول المرض النفسي والنظر إليه في أبعادها لتكاملية (الطبية - الشرعية - الشعبية) يشارك فيها متخصصون في العلاج النفسي ، الشيوخ و معالجين بالقرآن.
 - (٤) إجراء دراسة عن دور الثقافة الشعبية في حضرموت وتأثيرها على تشكيل اتجاهات المجتمع المحلي نحو المرض النفسي .
 - (٥) بناء خطة علمية تحتوي على البرامج المعرفية والسلوكية و الاجتماعية التي تهدف إلى تحسين الاتجاهات و المعتقدات حيال المريض النفسي و كيفية التعامل معه.

بسم الله الرحمن الرحيم

(ملحق ١)

استمارة استبيان

بيانات أولية عن المجيب :

١. السن:
٢. الجنس: ذكر أنثى
٣. الحالة الاجتماعية: أعزب متزوج مطلق أرمل
٤. المهنة:

٥. المستوى التعليمي:

- أمي أمي قراءة وكتابة ابتدائي
- إعدادية ثانوي معهد متوسط
- جامعي عالي

٦. المنطقة (محل السكن):

٧. الملاحظات :

اسم الباحث/ التاريخ / /

١. هل سلوك هذا الشخص عادي أو مرضي ؟

عادي مرضي لا أعرف

٢. ما نوع هذا المرض ؟

٣. ما سبب هذا المرض في اعتقادك ؟

٤. هل هذا المرض من الأمراض الخطيرة ؟

٥. هل تعتقد إنه يمكن علاج هذا المرض ؟

يمكن علاجه غير ممكن علاجه تتحسن الحالة نسبياً

لا أعرف أخرى (حدد)

٦. لمن نلجأ لعلاج هذا الشخص ؟

طبيب أمراض نفسية طبيب عام طب شعبي الشيخ

لا أعرف أخرى (حدد)

٧. هل من الممكن أن نسمح لأولادنا بالزواج من شخص كهذا ؟

٨. إذا لديك شقة هل من الممكن أن توجرها لشخص كهذا ؟

٩. هل من الممكن أن تعمل مع شخص كهذا ؟

مراجع البحث العربية والأجنبية :

١. آدم، سلامة (١٩٨٠) مفهوم الاتجاه في علم النفس الاجتماعي: محاولة لتعريف إجرائي. المجلة الاجتماعية القومية. ٤٥- ٥٦.
٢. أراجيل، ميشيل (١٩٧٣). علم النفس ومشكلات الحياة الاجتماعية. ترجمة: عبد الستار إبراهيم، القاهرة: دار الكتب الجامعية.
٣. أنيس، إبراهيم وآخرون (١٩٧٣). المعجم الوسيط . القاهرة : دار المعارف، الطبعة الثانية.
٤. بركات، خليفة (١٩٨٧). الاختبارات والمقاييس العقلية. القاهرة: مكتبة مصر.
٥. البهي، السيد (١٩٥٥). علم النفس الاجتماعي. القاهرة: دار الفكر العربي، الطبعة الثانية.
٦. حسين، محي الدين (١٩٨١). القيم الخاصة لدى المبدعين. القاهرة: دار المعارف.
٧. الحفني، عبد المنعم (١٩٧٨). موسوعة علم النفس والتحليل النفسي. القاهرة: مكتبة مديولي، الجزء الثاني.
٨. خليفة عبدا لطيف (١٩٩٢). المعتقدات و الاتجاهات نحو المرض النفسي . القاهرة. دار الثقافة للنشر والتوزيع.
٩. زهران، حامد (١٩٧٧). العلاج النفسي والصحة النفسية. القاهرة: دار المعارف.
١٠. سوييف، مصطفى. (١٩٧٥) مقدمة في علم النفس الاجتماعي. القاهرة : الأنجلومصرية، الطبعة الرابعة.
١١. الشيخ، عبد السلام (١٩٧١). الإيقاع الشخصي والإيقاع في الشعر المفضل: دراسة نفسية لعملية التذوق الفني، جامعة القاهرة.
١٢. عطوف، ياسين (١٩٨٨) .أسس الطب النفسي الحديث. منشورات بحسون، بيروت.
١٣. عكاشة، أحمد (١٩٧٦). الطب النفسي المعاصر. القاهرة : الأنجلومصرية.

١٤. عبد الخالق وآخرون(١٩٨٢). بحوث في السلوك والشخصية.المجلد الثاني، القاهرة: دارالمعارف.
١٥. فراج، محمد و آخرون(١٩٧٤). السلوك الإنساني: نظرة علمية. القاهرة، دار الكتب الجامعية، الطبعة الأولى.
١٦. محمود، عبد الحليم(١٩٧٩). علم النفس الاجتماعي و الإعلام. القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر.
١٧. مدكور، إبراهيم وآخرون(١٩٧٥). معجم العلوم الاجتماعية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
١٨. هول، ليندزي (١٩٧١). نظريات الشخصية. ترجمة : فرج أحمد فرج وآخرون، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

المراجع الأجنبية :

19. Alexander,C.N,(1971) Attitudes and Behavior, England: PenguinBooks,Inc.317-322.
20. Allport, G. W,(1935) Attitudes, In: Worcester: Clark UniversityPress.798-844
21. Allport, G. W,(1954) The Historical Background of Modern Social Psychology, Cambridge, Mass: Addison-Wesley Publications,Ltd. 3-56.
22. Bagley, C.(1973), Attitudes, London :Benguin Books Ltd, 271-282.
23. Bentz, W. K & Edgerton, J. W,(1971) The Consequences of Labeling A person as Mentally Ill, Social Psychiatry, Vol No 1.29-33.
24. Brown, H. & Stevens, R. (1975) Beliefs and Attitudes: The Open University Press,363-364.
25. Boyanowski, E. O & Allen, L.(1986) Journal of Personality andSocialPsychology.Vol.25.408-418.

26. Campbell, D.T,(1963) Psychology: A study of A science, New York: McGraw-Hill Vol ,6.94-172
27. Changes during Psychiatric Nursing Affiliation(1964), Nursing Research, .Vol № 13.105-139.
28. Clausen, j. A.,(1976) Mental disorder. New York: Harcourt BraceTavanovich,Inc.,105-139.
- 29.Cohen,J.&Struening,E.L,(1965)Educational and psychological Measurement, Journal of Consulting Psychology,289-298.
30. Defleur, M. L & Westie, F. R,(1971) Attitudes and Behavior: Penguin Books, Inc295-311.
31. Droba, D. D,(1933) The Nature of Attitudes, Journal of SocialPsychology,444-463.
32. El-Sherbini, A. E & et.al,(1981) Knowledge of Opinions of Families about Mental Illness and Mental Patient, Egyptian Journal of Psychiatry. Vol № 4.120-128
33. English, H. B & English, A. C.(1958), A Comprehensive Dictionary of Psychological and Psychoanalytical Terms, New York: Longmans, Green & Co. Inc..
34. Erickson, R. C.(1975) Outcome Studies in Mental Hospital: Journal of Psychiatry. Vol № 82. 519-540
35. Ewalt. J. B, (1964)The Mental Health Message, The American Journal of Psychiatry. Vol № 5.416-421.
36. Farina, A. & Getter, H.,(1978) Some Consequences of Changing Peoples Views Regarding the Nature of Mental Illness, Journal of Abnormal Psychology. Vol № 87.272-279.
37. Fletcher, M. E,(1962) Attitudes of a group of Nursing Students toward a Clinical Affiliation in a public Hospital for the mentally Ill, The journal of Psychology. Vol № 54 .47-63.

38. Freeman, H. E & Kaplan, J. M,(1976) Social Psychology of Mental health, New York: American Publishing Co.
39. Freeman, H. & Simmons, O.,(1963) The Mental Patient Comes Home, New York: John Wiley.
40. Gittler, J. B,(1956) Understanding Minority Groups, New York:Johnwiley&Sons,Inc.126-137.
41. Greenwald, A. G, (1968)Psychological Foundations of Attitudes, New York: Academic Press.361-388.
42. Green, B. F,(1954) Attitude Measurement, Mass: Addison-WesleyPublishing Co 335-369.
43. Hollander, E. P,(1976) Principles and Methods of Social Psychology, New York: Oxford University Press.295-304.
- 44.Insko,C.A&Schopler,J,(1973)Experimental Social Psychology, New York: Academic Press.
45. Jaspars, J. M,(1978) The Nature and Measurement of Attitudes, New York: Penguin Books Ltd.256-267.
46. Johansen, W. J & Engel, M. C,(1964) Personality and Attitudinal during Psychiatric Nursing Affiliation, Nursing Research.Vol№13.343-345.
47. Julian, J.(1977), Social Problems, New Jersey: Prentice- Hall, Inc., 2nd.
48. Kelvin, P.,(1969) The Bases of Social Behavior, London: Holt, Rinehart&Winston Ltd..
49. Krech, D & Crutchfield, R. S,(1962) Individual in Society, New York: McGraw-Hill Book, Inc.
50. Krech, D. & Crutchfield, R. S,(1948) Theory and problems of Social Psychology, New York: McGraw-Hill Book Co.
51. Lambert, W & Lambert, E.(1964) Social Psychology. New Jersey:Prentic-Hall.

52. Latane, B & Wolf, S.,(1981) The Social Impact of Majorities and Minorities, Psychological Review,.Vol № 88.438-453.
53. Lemkau, P.V & Correlates, G. M,(1962) An Urban Populations Opinion and Knowledge about Mental Illness, American Journal of Psychiatry, Vol № 118.692-700.
54. Liberman, S.,(1975) The Effects of Changes in Roles on the Attitudes of Role Occupations, The Open University Press.397-416.
55. Mahony, P. D,(1979) Attitudes to the Mentally Ill, Social Psychiatry, Vol № 14.95-105.
56. Mc David, J. W & Harri, H,(1974) Psychology and Social Behavior, New York: Harper & Row, Publisher, Inc..
57. McGuire, W. J,(1975) The Nature of Attitudes and Attitudes Change, New Delhi: American Polishing Co., 2nd ed.136-214.
58. McGrath, J. E.,(1970) Social Psychology: A Brief Introduction, London:Holt&Rinehart&Winston,.
59. Newcomb,T.M,(1950) Social Psychology, New York: Holt, Rinehart&Winston..
60. Nunnally, J. C,(1961) Popular Conception of Mental health, New York: Holt, Rinehart & Winston, Inc.
61. Osgood, C. E,(1957) The Measurement of Meaning, Urbana: UniversityofIllinois Press,.
62. Parsons, T.,(1952) The Social System, England: TavistockPublications,Ltd..
63. Rachman, S.,(1980) Towards A New Medical Psychology, In: S.RachmanEd,Vol№1.1-7.
- 64.Rabkin,J.G.,(1972)Opinions about Mental Illness, PsychologicalBulletin ,Vol№77.153-171.

65. Rokeach, M.,(1967) Beliefs, Attitudes and Values: A Theory of Organization and Change, San Fransisco: Jossey-Bass Poplsher.
66. Rokeach, M.,(1980) Some Unresolved Issues in Theories of Beliefs, Attitudes and Values: University of Nebraska Press.
67. Sarnoff, I.(1960) Psychoanalytic and Social Attitudes, Public Opinion Quarterly.Vol,No.16.251-279.
68. Smith, M. B & White, R. W,(1956) Opinions and personality, NewYrok:Wiley.
69. Secord, P. F& Backman, C.W,(1964) Social Psychology, New York: McGraw-Hill Book Co.
70. Wicker, A. W,(1973) Attitudes, London: Benguin Books Ltd.167-194.
71. Warren, H. C,(1934) Dictionary of Psychology, Boston: HoughtonMifflin.
72. Wigg, et al., (1980)WHO. Multicountry Study.
73. Wolman, B. B,(1975) Dictionary of Behavioral Science, LondonTheMacmillanPressLtd.
74. Wrightsman, L. S & Deaux, K.,(1981) Social Psychiatry in the 80s, Monterey: Books- Cole Publishing Co.
- 75.Yannicelli, M. W & Scheff, B.,(1980) Family Attitudes toward Mental Illness,Orthopsychiatry,Vol№50. 151-155.

**آثار انضمام المملكة العربية
السعودية لمنظمة التجارة
العالمية على قطاع الخدمات**

**الدكتور/ محمد عمر باطويح
الدكتور / حمد صالح الطاسان
الدكتور / فضل عبد الكريم محمد**



(AUST)

آثار انضمام المملكة العربية السعودية لمنظمة التجارة العالمية على قطاع الخدمات

ملخص البحث :

انضمت المملكة العربية السعودية إلى عضوية منظمة التجارة العالمية في ١١/١١/٢٠٠٥ بعد مفاوضات استمرت ١٢ عاماً، واضعة الاقتصاد السعودي على أعتاب مرحلة جديدة، مما يعزز الطلب في الحصول على فرص عادلة لتنفيذ الأسواق العالمية، وزيادة الاستثمارات الداخلية والخارجية، وإيجاد فرص عمل للمواطنين. كما يتيح للشركات الوطنية الدخول في شراكة فاعلة مع الشركات العالمية، والاستفادة من خبراتها، إضافة إلى زيادة فرص وصول المنتجات والخدمات السعودية إلى الأسواق العالمية.

وينص الجزء الثاني من تلك الاتفاقية على جداول التزامات المملكة في قطاع الخدمات الذي يحتوي ١٢ قطاعاً رئيساً و١٥٥ نشاطاً فرعياً و٤ طرق لتقديم الخدمات، سواء كان ذلك التقديم عبر الحدود، مثل تقديم خدمات الاتصالات، أو من خلال الاستهلاك في الخارج مثل خدمات السياحة والتعليم، أو من خلال التواجد التجاري أي الاستثمار في الداخل، وإنشاء الشركات المختلطة، إضافة إلى تقديم الخدمات من خلال حركة الأشخاص الطبيعيين بتوفير العمالة الأجنبية لتقديم الخدمات بالمملكة.

ويعتبر الجزء الثاني من أكثر الوثائق تعقيداً؛ لما يحتويه من طرق شائكة لمعالجة قضايا العودة والاستثمار الأجنبي وفتح الأسواق المحلية لمقدمي الخدمات للأجانب تحت إطار النفاذ للأسواق، وتطبيق مبدأ المعاملة الوطنية. وكما هو الحال في جداول الالتزامات الخاصة بالسلع تخضع جداول الالتزامات في قطاع الخدمات إلى مبدأ حق الدولة الأولى بالرعاية بحيث تمنح المملكة العربية السعودية جميع الدول الأعضاء في المنظمة أفضل التزام لأي دولة في قطاع الخدمات.

ولأهمية قطاع الخدمات في التجارة الدولية، فقد ساد انطباع أن الانضمام لمنظمة التجارة العالمية من شأنه أن يفتح أبواب الخدمات على مصراعيه أمام التجارة الدولية، والصحيح أن الاتفاق لا يفرض إلغاء الحواجز التي تعترض تجارة الخدمات، بل يهدف إلى تحديدها وتقييدها قدر الإمكان في جداول الالتزامات. وتتوقع الإحصائيات الصادرة من وزارة التجارة والصناعة بالمملكة العربية السعودية مساهمة قطاع الخدمات في الناتج المحلي الإجمالي بـ ٧٠٪ إذا تم تجاوز تحديات توظيف العمالة، وتشجيع الاستثمار الأجنبي المباشر، وتخصيص الكثير من القطاعات الحكومية.

يقدم هذا البحث شرحاً مختصراً عن منظمة التجارة العالمية، ويركز على معرفة الآثار الاقتصادية لانضمام المملكة العربية السعودية لعضوية منظمة التجارة العالمية، على قطاع الخدمات، كما يساهم من خلال دراسة واقع هذا القطاع في إعادة هيكلته وفق رؤى تنسجم مع توجهات الحكومة، وتحقيق متطلبات العضوية في هذه المنظمة.

SUMMARY

Saudi Arabia joined the WTO membership in 11/11/2005 after negotiations lasted 12 years, and put this Convention Saudi economy on the threshold of a new phase, thus enhancing the demand to receive fair opportunities to access global markets, increased domestic and foreign investment, And creating job opportunities for citizens.

It also allows companies to join the national players to enter into partnership with international companies, taking advantage of its accumulated experience, in addition to increasing market access for products and services to global markets Saudi Arabia, along with the benefits to citizens of war selection of goods and services available in the local market, and increase opportunities The entry of Saudi products to the markets of member States of the Organization.

The text of Part II of the Convention signed by the Kingdom with the World Trade Organization on the agendas Kingdom's obligations in the service sector, which contains 12 sectors as active and 155 sub-4 and ways to provide services, whether cross-border delivery, such as the provision of telecommunications services, or through consumption abroad, such as Tourism services, education, or through commercial presence of any investment at home and the creation of mixed companies in addition to providing services through the movement of natural persons to provide foreign employment to provide services in Saudi .

The second part of a more complex view of the documents it contains ways to address the thorny issues of Saudisation and foreign investment and opening domestic markets to foreign service providers under the framework of market access and the principle of national treatment. As is the case in the schedules of commitments for goods under the schedules of

commitments in the services sector to the principle of the right MFN to give Saudi Arabia all members of the organization's commitment to the best of any given state in the service sector.

In the light of the critical importance of the services sector in international trade, there was the impression that the accession to the WTO would open the doors wide services to international trade, and the right to cancel the agreement does not impose barriers to trade in services, but aims to identify the obstacles and barriers and restricted As far as possible in the schedules of commitments. Expects to statistics from the Ministry of Trade and Industry, Saudi Arabia, the contribution of the services sector in gross domestic product by 70% if the settlement exceeded the challenges of employment and the promotion of foreign direct investment and the allocation of many government sectors.

This research provides a brief explanation on the World Trade Organization, focusing in particular on the knowledge of the economic implications of the Kingdom's accession to the World Trade Organization on the services sector also contributes through the study of the reality of this sector in the restructuring of the way the line with government guidelines and achieve at the same time requirements for membership In this international organization he restructuring in line with the visions according to government directions and achieves the same time requirements for membership in this international organization.

مقدمة :

تشكل تجارة الخدمات أهمية خاصة في التبادل التجاري بين الدول، مما أدى إلى إدراجها ضمن أجندة جولة الأروجووي لمفاوضات التجارة العالمية، التي بدأت في عام ١٩٨٦م. وقد أبرم لقطاع الخدمات اتفاق مستقل يعرف باتفاق التجارة في الخدمات، بدأ تطبيقه تحت مظلة منظمة التجارة العالمية في بداية عام ١٩٩٥م. وكان من نتائجه تحرير تجارة الخدمات التي تشكل في الوقت الراهن أكثر من ٤٠٪ من الناتج الإجمالي العالمي.

وتؤكد الإحصائيات الرسمية الصادرة في المملكة العربية السعودية، أن المملكة أحرزت مكانة متميزة بين الدول العربية في واردات الخدمات. إذ تبلغ مساهمة قطاع الخدمات ٤٠٪ من الناتج المحلي الإجمالي، ويتوقع أن ترتفع هذه النسبة تدريجياً بعد الانضمام لمنظمة التجارة العالمية. وتغطي تجارة الخدمات في المملكة جميع القطاعات عدا القطاعات التي تقع في نطاق صلاحيات الحكومة، مثل: خدمات المصارف، والتأمينات الاجتماعية، ومعاشات التقاعد، التي لا تقدم على أساس تجاري. ويشتمل اتفاق تجارة الخدمات على ١٢ قطاعاً رئيساً تتفرع إلى ١٥٥ قطاعاً فرعياً و٤ طرق لتقديم الخدمات سواء كان التقديم عبر الحدود، مثل تقديم خدمات الاتصالات، أو من خلال الاستهلاك في الخارج مثل خدمات السياحة أو التعليم أو العلاج، أو من خلال التواجد التجاري، أي الاستثمار في الداخل وإنشاء الشركات المختلطة، أو من خلال حركة الأشخاص الطبيعيين، أي توفير العمالة الأجنبية لتقديم الخدمات بالمملكة. كما تشير إحصائيات منظمة التجارة العالمية الصادرة في منتصف عام ٢٠٠٣م، أن المملكة أحرزت المركز (٢١) بين دول العالم في واردات الخدمات، وقد قدرت وارداتها السنوية بحوالي ١٨.٣ مليار دولار أمريكي، محتلة المركز الأول في واردات الخدمات عربياً، والمركز الثاني - بعد تركيا - إسلامياً.

إن انضمام المملكة للمنظمة سيتيح لها فرصة العمل مع البلدان ذات الأهداف المشتركة، في مقدمتها الدول النامية، واستخدام وزنها في توجيه مسار التجارة العالمية لصالحها قدر الإمكان، وستدعم تلك العضوية برنامجها للإصلاح الاقتصادي، من خلال فتح الباب للاطلاع على الاتفاقيات التي وقعتها؛ ومعرفة الحقوق والواجبات؛ في اتفاقية الانضمام للمنظمة. كما أن هناك آثار اجتماعية إيجابية للانضمام، هي توظيف الوظائف، وإيجاد فرص عمل، إذ تشكل حركة الأشخاص الطبيعيين وانتقال العمالة من دولة إلى أخرى الأسلوب الأمثل لتقديم الخدمات، لذلك تهدف الأنشطة في قطاع الخدمات على الصعيدين المحلي والدولي لتنمية الموارد البشرية ورفع معدل مشاركة المواطنين في تلك الأنشطة.

بعد تحقيق الانضمام للمنظمة تم فتح قطاع الخدمات أمام المستثمرين غير السعوديين، ونما بقوة، حيث تضاعف حجم واردات النقل وتشغيل السفن المملوكة للأجانب، وزاد الاستثمار الأجنبي المباشر. وطبقا لمقررات مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية المنعقد في عام ٢٠٠٧م، فقد ارتفع الاستثمار المباشر في السعودية من ٣١٢ مليون دولار في عام ١٩٩٣م إلى ٤.٦ مليارات دولار عام ٢٠٠٥. كما تشير تقارير صندوق النقد الدولي إلى أن الاستثمار الأجنبي المباشر في المملكة العربية السعودية، ارتفع إلى أكثر من ٥٠٪ خلال المدة ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦م، ليصل إلى ١٨.٣ مليار دولار. وبذلك تحتل المملكة العربية السعودية الموقع الـ ٢٣ كأفضل مكان للاستثمار في العالم، وأفضل دولة في العالم العربي. وطبقا لمؤشر البنك الدولي حول سهولة البدء بالشاريع التجارية، فقد تقدمت المملكة العربية السعودية عشر مراتب من المرتبة الـ ٣٣ في عام ٢٠٠٧ إلى ٢٣ في عام ٢٠٠٨.

ورغم ذلك، يواجه هذا القطاع عدة تحديات منها: أن نسبة كبيرة من العمالة فيه غير سعودية، ولا يتوفر حالياً العدد الكافي من العمالة الوطنية المدربة، رغم اتجاه الحكومة نحو إحلال هذه العمالة بعمالة وطنية، إضافة إلى

بطء تطبيق الأنظمة وإجراءات التقاضي، وضعف نظام التحكيم التجاري وتأخير إنفاذ الأحكام والقرارات، وعدم وجود محاكم متخصصة لبعض الأنشطة التجارية، وعدم وجود غطاء لحماية الأنشطة الخدمية حسب القوانين والتشريعات الحالية في المملكة، وقلة الدراسات الاقتصادية التي تبين نقاط القوة والضعف في الأسواق المحلية المفتوحة للاستثمار الأجنبي.

وتعتبر جداول الالتزامات الموحدة في قطاع الخدمات من أكثر الوثائق تعقيداً؛ لاحتوائها على طرق شائكة لمعالجة قضايا السعودية، والاستثمار الأجنبي، وفتح الأسواق المحلية لمقدمي الخدمات الأجانب تحت مظلة النفاذ للأسواق وتطبيق مبدأ المعاملة الوطنية. وتخضع تلك الجداول إلى مبدأ حق الدولة الأولى بالرعاية، ومعنى ذلك اختيار ومنح أفضل التزام للاستثمار منحه المملكة لأي عضو في المنظمة لجميع الدول الأعضاء دون تمييز بينهم.

ستأثر العديد من القطاعات من انضمام المملكة لمنظمة التجارة العالمية، في مقدمتها قطاع الخدمات المالية (بنوك، شركات تأمين، أسواق مالية) وقطاع التعليم، وتوطين العمالة، وتشجيع الاستثمار الأجنبي المباشر. ونظراً لأهمية هذه القطاعات، فقد تم إفرادها بالدراسة، وهذا لا يعني عدم أهمية القطاعات الأخرى، فهي مهمة ومتعددة، لكن يصعب تناولها في مثل هذه الدراسة، وحسب الباحثين فتح الباب لدراسات أخرى في قطاع الخدمات.

الدراسات السابقة

مرت أربعة أعوام على انضمام المملكة العربية السعودية لمنظمة التجارة العالمية في نوفمبر ٢٠٠٥م، بعد مضي ١٢ عاماً من المفاوضات، وبهذا تكون المملكة العضو (١٤٩) في المنظمة. وقد ظهرت خلال هذه المدة الكثير من المتغيرات على كافة القطاعات الاقتصادية، تناولتها بالنقد والتحليل العديد من الدراسات التي أشارت إلى أهمية انضمام المملكة إلى منظمة التجارة العالمية. منها ما كتبه (الملا، ١٩٩٦) و(العيسوي، ١٩٩٥) و (العبد الله، ١٩٩٨) حول الاتفاقية العامة

للتعريفات والتجارة، وأثرها على الاقتصاديات العربية، إضافة إلى التطرق إلى طبيعة نشاط المنظمة وأهدافها والاتفاقيات الأساسية التي تنطوي في إطارها. كذلك تناول (الشايح، ٢٠٠٥)، انضمام المملكة إلى اتفاقية باريس لحماية الملكية الصناعية وأثرها في حماية الاختراعات والابتكارات. إضافة إلى ذلك، هناك كثير من المقالات والتقارير المنشورة على الشبكة العنكبوتية ذات صلة بموضوع البحث، وتأثير ذلك على قطاع الخدمات، منها ما كتبه كل من (الحسني، ٢٠٠٥) و(الخليل، ٢٠٠٨) و(عثمان، ٢٠٠٦) و(صلاح، ٢٠٠٥) حول الآثار المتوقعة لانضمام المملكة إلى منظمة التجارة الدولية، بينما تطرق (المديرس، ٢٠٠٦) إلى أثر انضمام المملكة العربية السعودية إلى منظمة التجارة العالمية على المنشآت الاقتصادية في المملكة، فيما كتب (الحسني، ٢٠٠٥) عن واقع المملكة العربية السعودية والتحديات والالتزامات والاستثناءات التي حصلت عليها المملكة من خلال المفاوضات مع المنظمة. كما أعدت اللجنة المشرفة على منتدى الرياض الاقتصادي دراسة وثائقية عن جاهزية القطاع الخاص بالمملكة - بما في ذلك قطاع الخدمات - بمختلف أنشطته الإنتاجية للتعرف على مدى إمكانية جني مكاسب الانضمام وتخفيف أعباء تكاليفه، وكذلك كتب (الجرف، ٢٠٠٦) من خلال الإجابة على ١٠١ سؤال مرتبطة بعملية الانضمام وأثارها على المملكة. ورغم الدراسات السابقة والمقالات المتاحة على شبكة الإنترنت التي تناولت هذا الموضوع، إلا أن ما يميز هذا البحث هو تناوله وعرضه لآثار انضمام المملكة لمنظمة التجارة العالمية على قطاع الخدمات وهو جانب لم يئل حظاً من الدراسة في الكتابات السابقة ، كما يركز البحث على إبراز الفرص المتاحة والتحديات التي تواجه هذا القطاع الناشئ، وتقديم مقترحات تسهم مع غيرها في النهوض به وتطويره، إذ من المتوقع أن يسهم بنسبة كبيرة في الناتج المحلي الإجمالي.

مبررات البحث

لا توجد في الوقت الراهن دراسات لتحليل آثار انضمام المملكة العربية السعودية لمنظمة التجارة العالمية على قطاع الخدمات، علماً بأن هناك محاولات لدراسة الآثار الاقتصادية لهذا الانضمام، لكن كل منها يعالج الموضوع بشكل عام، ولم يتطرق بشكل واضح لتحليل آثار الانضمام على كل قطاع. لهذا، فالحاجة ماسة إلى دراسة تحليلية وافية من خلال حصر هذه الآثار على قطاع الخدمات، والحصول على أكبر قدر ممكن من البيانات الخاصة بهذا الموضوع.

أهداف البحث :

يهدف البحث إلى:

- ١) التعرف على نشأة منظمة التجارة العالمية وأنظمتها.
- ٢) دراسة متطلبات الانضمام لمنظمة التجارة العالمية.
- ٣) التعرف على بنود الاتفاقية المبرمة بين المملكة العربية السعودية والدول الأعضاء في المنظمة.
- ٤) التعرف على الفرص والتحديات التي تواجه قطاع الخدمات في الانضمام للمنظمة.
- ٥) التعرف على جاهزية قطاع الخدمات في الانضمام لمنظمة التجارة العالمية.
- ٦) دراسة الآثار الاقتصادية التي تعود على قطاع الخدمات بعد انضمام المملكة للمنظمة.

منهجية البحث :

أعتمد الباحثون على التحليل الوصفي والإحصائي لدراسة آثار انضمام المملكة العربية السعودية لمنظمة التجارة العالمية، وخصوصاً في قطاع الخدمات. ولقد واجهت الباحثين صعوبات في الحصول على البيانات الإحصائية لقطاع الخدمات، مما أدى إلى أخذ عينة من هذا القطاع؛ للاستدلال على مدى تأثير

عملية الانضمام عليه، ورغم ذلك أعطت البيانات المتاحة مؤشراً، تم الاستفادة منه في التحليل، وقد استخدم الباحثون الإحصائيات الحديثة ما أمكن.

الإطار العام للبحث ويشمل:

مشكلة البحث وأهميته. أهداف البحث . منهج البحث . الدراسات السابقة.

(١) نشأة منظمة التجارة العالمية.

(٢) انضمام المملكة العربية السعودية لمنظمة التجارة العالمية: الفرص والتحديات

(٣) الآثار الاقتصادية لانضمام المملكة العربية السعودية على قطاع الخدمات.

(٤) تأثير انضمام المملكة العربية السعودية للمنظمة على بعض القطاعات

الخدمية

(٥) الخلاصة.

المبحث الأول: نشأة منظمة التجارة العالمية

أولاً: تعريف بالمنظمة: نشأت منظمة التجارة العالمية عقب نهاية الجولة الثامنة من مفاوضات اتفاقية الجات GATT (جولة الأورجواي: ١٩٨٦ - ١٩٩٤م) التي انتهت في مراكش ليبدأ ميلاد منظمة التجارة في ١/١/١٩٩٥م، باسم منظمة التجارة العالمية (WTO)، وهي منظمة دولية، تُعنى بتنظيم التجارة بين الدول الأعضاء، وتشكل منتدى للمفاوضات متعددة الأطراف. وقد كُلفت بشكل أساس بتطبيق اتفاقيات جولة الأورجواي. وتهدف المنظمة إلى تحرير التجارة الدولية عبر إيجاد نظام تجاري دولي متعدد الأطراف يعتمد على قوى السوق، من خلال إزالة القيود التي تمنع تدفق حركة التجارة بين الدول، وهي تعتمد على أربعة مبادئ رئيسية هي: تجارة دون تمييز، شرط الدولة الأولى بالرعاية، تجارة حرة من خلال التفاوض، تعامل تجاري بشفافية واستقرار للتعرف على ما سيحدث في المستقبل القريب^(١).

١ - موقع منظمة التجارة العالمية على الشبكة العنكبوتية النسخة. العربية

http://www.wtoarab.org/Arabic_Country_Members.asp

أهداف المنظمة

تهدف منظمة التجارة إلى:

- ١) التفاوض لضمان التحرر التدريجي للتجارة.
 - ٢) تحقيق فرص التكافؤ بين الحقوق والواجبات.
 - ٣) طرح المبادرات، وتبني الموقف، وإدارة المفاوضات.
 - ٤) صياغة القرارات، وإنفاذ الاتفاقات الجديدة بين الدول.
 - ٥) رعاية التكتلات الاقتصادية، والتحالفات الإستراتيجية في المنظمة.
- وتغطي المنظمة بأحكامها واتفاقياتها مجالات وأنشطة متنوعة أكثر مما كانت تغطيه اتفاقية الجات، وهي: تجارة السلع وعددها ٧١٧٧٢ سلعة، وتحكمها اتفاقية ال(GATT)، وتجارة الخدمات، وتشمل ١٢ قطاعاً رئيسياً، و١٥٥ قطاعاً فرعياً، وحقوق الملكية الفكرية المتصلة بالتجارة، وتتكون من أربع اتفاقيات رئيسية من خلال اتفاقية ال(TRIPS)، وهذه الاتفاقيات الثلاث هي محور اتفاقيات منظمة التجارة العالمية (WTO). ومما يساعد في تحقيق أهداف المنظمة أنها تتحكم في ٨٩% من إجمالي التجارة العالمية، و٩٠% من حركة رؤوس الأموال المستثمرة، و ٩٣% من سوق الاتصالات وتقنية المعلومات، كما أنها تستحوذ على ٩٧% من براءات الاختراعات، وحقوق الملكية الفكرية، ويشكل حجم الخدمات المالية والتأمين في الدول الأعضاء في المنظمة ٩٢% من إجمالي الخدمات في العالم، و٨٨% من مشتريات العالم من الطاقة والألمنيوم والحديد والبتروكيماويات^(١).

أما النظام الأساسي للمنظمة فيحتوي على أكثر من ٦٠ اتفاقية ومبدأ وملحق ومذكرة تفاهم، أهمها (٢٨) اتفاقية متعددة الأطراف، تشمل مجال السلع: الزراعة، المنسوجات والملابس، العوائق الفنية أمام التجارة، الصحة

٢- عبد الفتاح الجبالي. دورة أوروغواي والعالم الثالث - حساب الربح والخسارة. مجلة السياسة الدولية، العدد ٤١١٨ أكتوبر/١٩٩٤، ص ١٩٨

والصحة النباتية، الفحص قبل الشحن، شهادات المنشأ، تراخيص الاستيراد، الإجراءات الوقائية الخاصة، مكافحة الإغراق، التجارة، وفي مجال الخدمات والاتفاقيات، وكذلك مجال حقوق الملكية الفكرية المتصلة بالتجارة وغيرها.

وعدد الأعضاء في المنظمة حتى أكتوبر ٢٠٠٩ م ١٥٢ دولة، منها ١٢٧ دولة كانت أعضاء في اتفاقية الجات، و٢٣ دولة انضمت فيما بعد وفق أسلوب التفاوض، وآخر دولتين انضمتا قبل توقيع المملكة هما نيبال وكمبوديا.

ثانياً هيكل المنظمة وعضويتها : يعتبر المؤتمر الوزاري (**Ministerial Conference**) الذي يمثل فيه وزراء التجارة والاقتصاد في الدول الأعضاء أعلى سلطة في المنظمة، وينعقد كل سنتين، ويعمل كحكومة للعالم في مجال التجارة. وللمنظمة مجلس عام (**General Council**) يقوم مقام المؤتمر الوزاري في حالة عدم انعقاده، وأمانة عامة، ومدير عام. ويتفرع من المجلس العام ثلاثة مجالس رئيسية، هي مجلس التجارة في السلع، وفي الخدمات، ومجلس خاص بالأمور التجارية المتعلقة بحقوق الملكية الفكرية، ويتبع هذه المجالس عديد من اللجان. ويجتمع المجلس العام على هيئتين: هيئة جهاز لمراجعة السياسات التجارية ومتابعة المراجعات العادية للسياسات التجارية لكل دولة، وهيئة جهاز لفض المنازعات التجارية، ومتابعة إجراءات حسم المنازعات. ويوجد حالياً اثنتا عشرة دولة عربية عضواً في المنظمة هي: (المغرب، وتونس، ومصر، وموريتانيا، وجيبوتي، والكويت، والإمارات العربية المتحدة، وقطر، والبحرين، والأردن، وعمان، والمملكة العربية السعودية)، وهناك ٢٤ دولة تفاوض للانضمام للمنظمة منها أربع دول عربية هي: (لبنان، والجزائر، والسودان، واليمن).

ثالثاً قرارات المنظمة : توجد مكاتب الأمانة العامة لمنظمة التجارة العالمية في جنيف، ويرأسها المدير العام. وبما أن الأعضاء فقط هم الذين يتخذون القرار، فليس للأمانة حق اتخاذ القرار. وتتمثل واجباتها في تزويد الإسناد الفني والمهني للمجالس واللجان المختلفة، وتوفير المساعدة الفنية للبلدان النامية، ومراقبة

وتحليل التطورات في التجارة العالمية، وتوفير المعلومات للجمهور ووسائل الإعلام، وتنظيم المؤتمرات الوزارية. كما توفر الأمانة العامة بعض المساعدة القانونية لتسوية المنازعات، وتقديم المشورة للحكومات الراغبة في الانضمام للمنظمة.^(٣)

رابعاً: محال التجارة الدولية للمنظمة : تتضمن مجال التجارة الدولية لدى المنظمة ثلاثة قطاعات هي: قطاع السلع، وقطاع الخدمات، وقطاع الجوانب المتصلة بالتجارة من حقوق الملكية الفكرية، وتعتمد اتفاقية التجارة في الخدمات على مبدئين هما: مبدأ النفاذ للأسواق الذي يتيح للشركات العاملة في قطاعات الخدمات إمكانية عرض خدماتها داخل أي دولة عضو في المنظمة ضمن ضوابط وقيود معينة. ومبدأ المعاملة الوطنية الذي يحظر التمييز في المعاملة بين مقدمي الخدمات للمواطنين والأجانب.

المبحث الثاني : انضمام المملكة العربية السعودية لمنظمة التجارة العالمية الفرص والتحديات

الهدف من انضمام المملكة لمنظمة التجارة

انضمت المملكة العربية السعودية إلى منظمة التجارة العالمية بعد عشر سنوات من المفاوضات، وتم التوقيع على وثائق الانضمام في المجلس العمومي للمنظمة خلال جلسته الاستثنائية في ٩ شوال ١٤٢٦هـ الموافق ١١ نوفمبر ٢٠٠٥م، لتصبح المملكة العضو رقم (١٤٩) في النظام التجاري العالمي^(٤). وتتكون الاتفاقية من ثلاثة أجزاء تنطوي تحت وثيقة بروتوكول الانضمام للمنظمة، يتمثل الجزء الأول من الاتفاقية في جداول التزامات المملكة في قطاع السلع الزراعية والصناعية، وعددها (٧١٧٧) سلعة، فيما التزمت المملكة بعدم رفع السقوف الجمركية إلا بعد إجراء مفاوضات جديدة مع الدول الأعضاء في المنظمة، كما أن السقوف الجمركية نتجت عن مفاوضات ثنائية بين المملكة مع الدول

٣ - عبد الفتاح الجبالي، المرجع السابق، ص ٢٠٢

٤- موقع وزارة التجارة والصناعة بالمملكة العربية السعودية على الشبكة العنكبوتية ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩

الأعضاء بالمنظمة، انتهت بالتوقيع على ٣٨ اتفاقاً ثنائياً. وينص الجزء الثاني من الاتفاقية على جداول التزامات المملكة في قطاع الخدمات، الذي يحتوي على (١٢) قطاعاً رئيسياً، و (١٥٥) نشاطاً فرعياً، و (٤) طرق لتقديم الخدمات، سواء عبر الحدود مثل تقديم خدمات الاتصالات، أو من خلال الاستهلاك في الخارج، مثل خدمات السياحة أو التعليم أو العلاج، أو من خلال التواجد التجاري، أي الاستثمار في الداخل، وإنشاء الشركات المختلطة، إضافة إلى تقديم الخدمات من خلال حركة الأشخاص الطبيعيين بتوفير العمالة الأجنبية لتقديم الخدمات بالمملكة.

وهذه الجداول من أكثر الوثائق تعقيداً، لما تحتويه من طرق شائكة لمعالجة قضايا السعودة والاستثمار الأجنبي، وفتح الأسواق المحلية لمقدمي الخدمات الأجانب تحت إطار النفاذ للأسواق، وتطبيق مبدأ المعاملة الوطنية.

ويعد تقرير فريق العمل وهو الجزء الثالث من الاتفاقية، ويحتوي على (٣١٦) فقرة تشرح السياسات التشريعية والنظامية والاستثمارية والاقتصادية والتجارية والمالية والفنية والصحية والبيئية بالمملكة. كما يحتوي على التزامات المملكة والاستثناءات التي حصلت عليها من خلال المفاوضات متعددة الأطراف مع فرق العمل وعددها (٥٢) فريقاً يمثلون الدول الأعضاء في المنظمة، وعددها (١٤٨) دولة، تشكل تجارتها العالمية ما نسبته (٨٩٪) من مجموع التجارة الدولية. وتعد الالتزامات جزءاً من تكاليف الانضمام. أما الاستثناءات فهي من مكاسبه. وعدد الالتزامات التي وردت في تقرير فريق العمل (٥٨) التزاماً، وحصلت على (٥٩) استثناءً، فمن الالتزامات تطبيق اتفاقيات المنظمة متعددة الأطراف تحت مبدأ الالتزام الشامل الموحد، والإبقاء على السياسات النقدية والمالية والضريبية وأسعار صرف العملات والتحويلات. أما أهم الاستثناءات التي حصلت عليها المملكة، فهي استخدام مبدأ النفاذ التدريجي للأسواق في زيادة رأس المال

الأجنبي المستثمر في نشاط الخدمات، واستثناء المملكة من تطبيق اتفاقية المشتريات الحكومية؛ لكونها اتفاقية محدودة العضوية.

انضمت المملكة العربية السعودية إلى المنظمة متأخراً، مما أدى إلى زيادة أعباء الانضمام، وتفاقم شروط ومتطلبات العضوية، إلى جانب انتهاء المرونة والمدد الانتقالية والمزايا التفضيلية التي كانت تعطى للدول لترغيبها للانضمام للمنظمة خلال مدة التأسيس.^(٥) وكان غريباً أن تبقى المملكة خارج النظام الذي يُنادى بتحرير التجارة العالمية، رغم قيادة المملكة في تطبيق الاقتصاد الحر، مما يؤهلها إلى أن تكون من أوائل الدول الأعضاء، حيث تتاجر المملكة عالمياً بنسبة (٧٠٪) من إنتاجها، وهي نسبة أكثر مما تتاجر به العديد من الدول الأعضاء في المنظمة. كما أن المنظمة غدت المحفل الدولي الذي يخطط وينفذ السياسات التجارية والاقتصادية والمالية العالمية. وحيث إن المنظمة توفر مبادئ النفاذ للأسواق دون تمييز، وضمن ضوابط تنطبق على الجميع بالتساوي. فمن الأجدى أن تستغل فرص فتح أسواق (١٤٨) دولة أمام الصادرات الوطنية، التي ستعامل معاملة غير تمييزية، عوضاً عن إثارة المخاوف من فتح الأسواق، أمام الواردات الأجنبية من سلع وخدمات.

وتهدف المملكة من الانضمام للمنظمة إلى بناء تكتلات اقتصادية مع الدول ذات المصالح المشتركة. وللاستفادة من استثناء هذه التكتلات من تطبيق مبدأ حق الدولة الأولى بالرعاية. أي أن المزايا والالتزامات التي تتحقق في هذه التكتلات لا تمنح للدول خارج هذه التكتلات، رغم عضويتها في المنظمة. وقد اعتمدت متطلبات انضمام المملكة العربية السعودية إلى المنظمة على ثلاثة محاور رئيسية، تمت مراحلها متزامنة مع عمليات الإصلاح الاقتصادي في المملكة. فالمحور الأول (المفاوضات الثنائية) حيث اتفقت المملكة بشكل ثنائي مع ٣٨ دولة، انتهت بالتوقيع الثنائي مع كل دولة للنفاذ للسوق في قطاعي السلع والخدمات.

٥ - محمد سعدو الجرف، ١٠١ سؤال حول انضمام المملكة إلى منظمة التجارة، معهد المحترفون، ١٤٢٧هـ ص ١١١.

والمحور الثاني (المفاوضات عديدة الأطراف) وتضمن هذا المحور تقرير فريق العمل، وبرتوكول الانضمام، حيث تم الاتفاق بين المملكة و٥٢ دولة بهذا الشأن. والمحور الثالث (المفاوضات متعددة الأطراف) وتضمن هذا المحور إجراء مفاوضات بين المملكة والدول الأعضاء في المنظمة، تضمنت المفاوضات التعديلات في الأنظمة واللوائح ومدى توافقها مع هذه الدول.

وقد تضمنت وثائق انضمام المملكة لمنظمة التجارة العالمية الالتزامات والاستثناءات في الجداول الموحدة لقطاع السلع الزراعية والصناعية، والجداول الموحدة لقطاع الخدمات، وتقرير فريق العمل وبرتوكول الانضمام. وتتضمن الأنظمة واللوائح التنفيذية الصادرة بالمملكة^(٦) المنافسة بين الشركات الوطنية والأجنبية؛ مما يحتم وضع إستراتيجية بعيدة المدى، لتحسين الأداء الاقتصادي للشركات الوطنية في مختلف القطاعات الخدمية لرفع كفاءتها، وزيادة قدرتها التنافسية لمواجهة التحديات والمنافسة المحلية والدولية، خاصة في ضوء النتائج المترتبة على انضمام المملكة لمنظمة التجارة العالمية. لذلك تم إعداد خطة إستراتيجية للتخصيص بهدف رفع كفاءة الاقتصاد الوطني، وزيادة الفرص الوطنية الاستثمارية للقطاع الخاص، وترشيد الإنفاق العام، وتخفيض أعباء ميزانية الدولة، واعتماد أساليب التشغيل المثلى للمرافق الخدمية. وفي إطار هذه الأهداف اعتمدت المملكة منهجية التخطيط الإستراتيجي للتخصيص على المدى البعيد استناداً إلى الدراسات المستقبلية التي تمت بمشاركة محلية ودولية ساهم فيها القطاع الخاص، وهدفت إلى وضع سلسلة من التصورات حول مسارات النمو المتاحة في ظل النظرة المستقبلية الشاملة على صعيد الاقتصاد الكلي.

٦ - عبد الستار العلمي الحسني، تجارة الخدمات وآثارها المتوقعة على الاقتصاد السعودي ورقة مقدمة لندوة الرؤية المستقبلية للاقتصاد السعودي، وزارة التخطيط، الرياض ١٣ - ١٧/٨/١٤٢٣ الموافق ١٩ - ٢٣ أكتوبر ٢٠٠٢م، ص ١٢

الاستثناءات التي حصلت عليها المملكة

حظيت المملكة في انضمامها لمنظمة التجارة العالمية على بعض الاستثناءات في بعض القطاعات كالتالي:

- ١) قطاع السلع: تم منع استيراد السلع المحرمة، وهي 65 سلعة، تمثل الخمور بأنواعها، ولحوم الخنزير ومشتقاتها، ولحوم الضفادع، وجميع الأغذية المحتوية على دماء الحيوانات، وعدم قبول أي رسوم جمركية عليها، حتى ولو كانت مرتفعة جداً.
- ٢) قطاع الخدمات: تم استثناء أحد الخدمات الرئيسية المسماة بخدمات أخرى، وعدداً من الخدمات الفرعية لأسباب دينية وأخلاقية وأمنية وصحية استناداً إلى الفقرة رقم (14) من اتفاقية الجات GATS. ومن أهم النقاط في ذلك:
 - أ - لم يتم فتح خدمات النشر والمطابع والإنتاج السينمائي والتلفزيوني للاستثمار الأجنبي في خدمات الأعمال السمعية والبصرية.
 - ب - تم حجب أنشطة صالات القمار، والبارات والأندية الليلية من الخدمات الثقافية والترفيهية والرياضية التي تصنف ضمن نشاط فرعي يسمى التسلية، ولم يفتح سوى خدمات الحدائق العامة والمنتزهات من الخدمات الترفيهية.
 - ج - تم استثناء الخدمات الاجتماعية من الصحة والخدمات ذات العلاقة؛ لحساسيتها في مجتمع المملكة المحافظ.
 - د - لم يتم فتح خدمات الحج والعمرة لغير السعوديين.
 - هـ - تم فتح نشاط التأمين في الخدمات المالية أمام الاستثمار الأجنبي وفق نظام التأمين التعاوني.
 - و - يتم تقديم الخدمات الرئيسية والفرعية لجميع المستثمرين وفق الأنظمة والضوابط والإجراءات المحلية.

ز - الإلزام بدفع الضرائب المقررة على أرباح المستثمرين الأجانب، أما المستثمرين السعوديين فعليهم دفع الزكاة فقط، ماعدا الاستثمار في الغاز وإنتاج الزيت والمواد الهيدروكربونية، فإن الجميع يخضع لنظام الضريبة.

(٣) قطاع حقوق الملكية الفكرية : يقصد بالملكية الفكرية منح أصحاب الأفكار الحق في تملكها والاستفادة المادية منها عن طريق حمايتها خلال مدة معينة، ومنع الآخرين من التعدي عليها دون موافقة أو ترخيص من مالكيها، وقد صارت إحدى مجالات التجارة الدولية خلال مفاوضات جولة الأوروغواي، التي انتهت بإعلان منظمة التجارة العالمية في مراكش، وتضمينها اتفاقية الجوانب المتصلة بالتجارة من حقوق الملكية الفكرية. وتنحصر هذه الاتفاقية في مجالات ثمانية هي: حقوق المؤلف والحقوق المتعلقة بها، العلامات التجارية، المؤشرات الجغرافية، المعلومات السرية (الأسرار التجارية)، النماذج الصناعية، ومدة الحماية المقدرة بعشر سنوات، وبراءات الاختراع، ومدة حمايتها ٢٠ سنة، التصميمات التخطيطية للدوائر المتكاملة، ومدة الحماية المقدرة بعشر سنوات، الأصناف النباتية، ومدة حمايتها بين ٢٠- ٢٥ سنة. وقد تعهدت المملكة أن تلتزم باتفاقية منظمة التجارة حول الأوجه التجارية المتعلقة بحقوق الملكية الفردية، وأن تنتمي لعدة اتفاقيات دولية حول الملكية الفكرية من ضمنها معاهدتي باريس وبيزن. أصلحت المملكة العربية السعودية كلياً نظامها التشريعي وإجراءاتها الإدارية لحماية الحقوق الفكرية، وجعلها متوافقة مع اتفاقية تريبس. والتزمت المملكة بتطبيق قوانين حماية الملكية الفردية في محاكمها والمؤسسات الحكومية والإدارية المسئولة.

واتخذ مكتب براءات الاختراع في المملكة إجراءات جوهرية للتقليل من العناصر المعيقة للقانون. من ضمن ذلك زيادة جوهرية في عدد مدققي براءات الاختراع. والتزمت المملكة بحماية معلومات اختبار المواد الصيدلانية

والزراعية والكيماوية التي تقدمها الشركات للحصول على موافقة التسويق.

(٤) قطاع الزراعة : وافقت المملكة على إدخال تحسينات في تنفيذها إجراءات الصحة النباتية، وضمن ذلك متطلبات مدة التخزين والإجراءات الأخرى التي أعاقت في الماضي الكثير من الصادرات الدولية للمملكة. وفيما يتعلق بالتعريفات الجمركية ستقوم المملكة بتقييد أكثر من ٩٠٪ من تعريفاتها الجمركية بحدود ١٥٪ أو أقل ٧٥. وستكون ٧٥٪ من الواردات الزراعية للمملكة مشمولة بالمعدلات الدنيا للضرائب. حيث سيكون معدل التعريفات مقيداً بحدود ٧٪.

(٥) الصحة النباتية والحيوانية : ألغت المملكة العربية السعودية حظر استيراد الأبقار ومنتجات اللحوم التي جاءت من حيوانات تم حقنها بهرمونات النمو. ووافقت على أن يكون الحد الأقصى من مخلفات الهرمونات الصناعية متطابقاً مع المقاييس الدولية. كما ألغت منع استيراد الطيور الحية (الدجاج بعمر يوم واحد). وألغت كذلك حظر استيراد المنتجات الغذائية التي يقل عمرها عن نصف المدة المتبقية لانتهاء الصلاحية. كما أعلن عن قبول المملكة للتواريخ التي يضعها المصنع على علب المواد الغذائية، وهو معيار معترف به دولياً باستثناء المواد الغذائية السريعة التلف وأغذية الأطفال.

(٦) السلع الصناعية: ستقلص التعريفات على البضائع، وبالتالي ستحقق الشركات الأجنبية مزيد من حرية الوصول للسوق السعودي. وقد وافقت المملكة على الانضمام لاتفاقية المعلومات التقنية، التي تلزم إلغاء التعريفات على أجهزة الكمبيوتر، وأشباه الموصلات، وغيرها من المنتجات المعلوماتية. وسيتم إلغاء جميع التعريفات على المواد الصيدلانية المستوردة. وستطبق المملكة معدلات التعريفات المقررة في الاتفاقية حول المواد الكيماوية. كما

وافقت المملكة على تقييد جميع الرسوم والضرائب على السلع الصناعية عند الرقم صفر.

(٧) المصارف و التأمينات : للمصارف الأجنبية تأسيس فروع لها على أساس رأس المال العالمي، وسيرتفع الغطاء الحالي لحصة رأس المال إلى ٦٠٪. تم تقديم ضمانات للشركات الأجنبية بعدم المعاملة التمييزية، أو كما تسمى المعاملة الوطنية. سمحت المملكة لشركات التأمين بإقامة فروع لها في المملكة، وتأسيس شركات يملكون فيها ٦٠٪ من رأس مالها.

(٨) الاتصالات : التزمت المملكة بحرية الوصول للسوق السعودي، دون وضع أي شروط على تجهيزات الخدمات العابرة للحدود. ووافقت على ورقة صادرة من المنظمة تؤيد التنافس في مجال الاتصالات.

(٩) قطاع الطاقة : قدمت المملكة مجموعة من الالتزامات ، أسفرت عن فتح سوق الطاقة بشكل كبير تتعلق باستكشافات النفط والغاز وتطويرها، وخطوط أنابيب نقل الوقود والإدارة والاستشارات والاختبارات الفنية وإصلاح الأجهزة والمعدات.

(١٠) خدمات التجارة : تعهدت المملكة بتحسين حرية وصول خدمات المهن وتجارة الأعمال، من ذلك المحامين والمهندسين والمحاسبين والاستشاريين والأطباء والعمال في قسم التسويق، حيث يدفع مجهزو الأعمال في المملكة ٧٥٪ من رأس المال المطلوب. وقدمت المملكة التزامات في مجال الحاسوب والخدمات المرتبطة به، تسمح باستثمار رؤوس أموال أجنبية بنسبة ١٠٠٪. وسيتم تحرير قطاعات مبيعات الجملة والتجزئة والإعفاءات.

الفرص والتحديات لانضمام المملكة الى منظمة التجارة

تتاجر المملكة عالمياً بنسبة (٧٠٪) من ناتجها المحلي الإجمالي، وهو أكثر مما تتاجر به العديد من الدول الأعضاء في المنظمة. وقد استطاعت المملكة أن تحقق مكاسب كثيرة من انضمامها للمنظمة على المستويين الداخلي والخارجي، ولا شك أن تلك المكاسب محاطة بعدد من التكاليف يمكن إيجازهما في النقاط التالية^(٧)

(١) المكاسب :

أ - سيتوسع نطاق التبادل التجاري بين المملكة والدول الأعضاء وسيفتح اقتصاد المملكة على الاقتصاد العالمي بشكل أكبر، بحيث تتمكن الصادرات السعودية من النفاذ بسهولة إلى أسواق الدول الأعضاء في المنظمة، لأن الرسوم الجمركية ستكون منخفضة أو ملغاة مع عدم التمييز في المعاملة بينها وبين منتجات أي دولة، وعلى هذا فإن الصادرات السعودية سوف تزداد إلى الأسواق العالمية، وكأمثلة على ذلك فإن الصين ارتفعت صادراتها بمقدار ٢٠٪ سنوياً وعمان ١٥٪ والأردن ١٠٪ بعد دخول هذه الدول إلى المنظمة^(٨).

ب - ستحسن عضوية المملكة في المنظمة من مناخ الاستثمار، وستدعم برنامج الإصلاح الاقتصادي الذي تنفذه الحكومة حالياً، لأنها ستجد نفسها ملزمة بتطبيق مبادئ المنظمة كمبدأ الشفافية، ووضوح الأنظمة والإجراءات، وتوفير الحماية اللازمة، كما سيؤدي تطبيق الاتفاقية المتعلقة بالاستثمار إلى خلق الظروف لجذب التدفقات الاستثمارية. حيث تفيد دراسات (الاونكتاد) أن أغلب الاستثمارات العالمية تتجه إلى الدول الأعضاء في منظمة التجارة العالمية، لما يفترض فيها من أسواق حرة وتشريعات حديثة. لذا من

٧ - سمير اللقماني. منظمة التجارة العالمية آثارها السلبية الايجابية على أعمالنا الحالية والمستقبلية بالدول الخليجية والعربية، ٢٠٠٤م، ص ٣

٨ - إبراهيم بن ناصر الناصر. منظمة التجارة العالمية وآثارها الثقافية وموقف المملكة منها ١٤٢٧هـ. د. ت. ص ٨

المتوقع تدفق الاستثمارات الأجنبية للسوق السعودي. وقد بدأ هذا التطور في الظهور خلال النصف الأول من هذا العام (٢٠٠٥م)، كما أكد ذلك تقرير الاونكتاد للعام ٢٠٠٥م، الذي احتلت فيه المملكة مكان الصدارة بين الدول العربية في مجال جذب الاستثمار.

ج - سيستفيد المستهلك من الانضمام إذ تتوفر أمامه خيارات أكبر من السلع والخدمات، بأسعار أقل، وجودة أعلى، وستزيد ثقته في السلع المتوفرة التي سينحسر عنها الغش التجاري والتقليد والتلاعب بالأسعار، حيث تخضع السلع المحلية والأجنبية إلى قواعد وضوابط قوية. ومن جهة أخرى فإن إضفاء المزيد من الانفتاح على السوق السعودي أمام السلع والخدمات الأجنبية يعجل بعملية الخصخصة وتعزيز مناخ المنافسة مما يحسن الإنتاجية ويخفض الأسعار.

د - سيزيد فتح الأنشطة الخدمية للاستثمار الأجنبي من كفاءة الاقتصاد السعودي، ويضمن تدفق الأموال والتقنية والخبرة في هذه الخدمات، ويضاعف القيمة المضافة المحلية. ومثال لذلك القيمة المضافة في أسواق الصين والأردن من تدفق الاستثمار الأجنبي التي بلغت ٢٢٪، ١٧٪ على التوالي بعد انضمامهما للمنظمة، وسيسهل الانضمام في تنشيط القطاع الخاص، ويحقق التنوع في الاقتصاد المحلي، ويساعد على توفير فرص العمل، مما يقلل من نسبة البطالة.^(٩)

هـ - الإبقاء على الوضع القائم لبعض السياسات والبرامج التنموية مثل تسعيرة الغاز، ووضع بعض المؤسسات المملوكة للدولة مثل الصوامع ومؤسسات أخرى، والصناديق الاقراضية، كصندوق التنمية الزراعي والصناعي، والسياسات العامة الزراعية، التي تشمل بناء السدود ومكافحة

٩ - أحمد بن حبيب صلاح. الآثار الاقتصادية المتوقعة لانضمام المملكة لمنظمة التجارة العالمية. وزارة التخطيط الرياض

الآفات والأبحاث والتطوير، ونحو ذلك، وتحديد نسبة العمالة الأجنبية بـ ٢٥٪، وتدريب العمالة الوطنية ومجالات دعم أخرى مسموح بها من خلال أنظمة المنظمة.

و - زيادة فرص النفاذ للأسواق الخارجية، حيث سيكون من حق الصادرات السعودية من السلع والخدمات النفاذ إلى أسواق الدول الأعضاء في المنظمة، والتمتع بمعاملة لا يشوبها التمييز وفق مبدأ الدولة الأولى بالرعاية (The Most Favored Nation Principle). كما ستمتع الصادرات السعودية بمعاملة لا تقل عن تلك التي توفرها الدول الأعضاء لمنتجاتها المحلية، تطبيقاً لمبدأ المعاملة الوطنية. إلا أن هذه الميزة تفرض في المقابل تحدياً يتمثل بأن منتجات الدول الأخرى الأعضاء ستحظى بذات المزايا في السوق السعودي، وهو ما سيخلق ضغوطاً على المنتجات الوطنية، ومن ثم يلزم الاستعداد لمواجهةها بسوق أكثر كفاءة، ومنتجات أكثر تنافسية.

ز - عضوية منظمة التجارة العالمية ستقي المملكة من الإجراءات الأحادية والسياسات التجارية التمييزية من جانب البلدان الأخرى. كما أن صادرات المملكة السلعية لن تخضع لرسوم مكافحة الإغراق أو الرسوم المضادة إلا بمقتضى الأحكام والتدابير القانونية الواردة في اتفاقيات المنظمة ذات الصلة. وسيكون للمملكة حق اللجوء إلى هذه التدابير من خلال آلية فض المنازعات في الدفاع عن مصالحها.

وكان لتلك المكاسب العديد من الآثار الإيجابية يمكن تلخيصها في الآتي:

(١) ارتفاع عدد الشركات الأجنبية والمختلطة المسجلة، فقد ارتفع عدد الشركات المحدودة الأجنبية من ٥٤ شركة في عام ٢٠٠٤ إلى ١٢١ شركة في عام ٢٠٠٧، وارتفعت نسبة الشركات ذات المسؤولية المحدودة والمختلطة من ١٤٨ في عام ٢٠٠٤ إلى ١٩٤ شركة في عام ٢٠٠٧، وارتفع عدد فروع الشركات المساهمة الأجنبية من تسع شركات في عام

٢٠٠٤ إلى ٢٤ في عام ٢٠٠٧، وارتفع عدد فروع الشركات الأجنبية المحدودة من ٣٦ في عام ٢٠٠٤ إلى ٥٨ في عام ٢٠٠٧م.

(٢) ٢ - زيادة عدد الشركات العاملة في قطاع النقل الجوي الداخلي من شركة واحدة إلى ثلاث شركات بنهاية عام ٢٠٠٧، وزيادة عدد مختبرات فحص السلع الواردة لأسواق المملكة من عشرة إلى ١٢٥ مختبراً، كما تضاعفت طلبات تسجيل العلامات التجارية، وعوائد تسجيلها من ٢٩ مليون ريال، وحوالي ٧٥٠٠ طلب تسجيل علامة تجارية في عام ٢٠٠٤ إلى حوالي ٤٥ مليون ريال، ونحو ١١.٦ ألف طلب تسجيل لعلامة تجارية.

(٣) ٣ - زيادة الصادرات غير النفطية بنحو ٢٥٠٪، وارتفعت قيمتها من ٥٧ مليار ريال عام ٢٠٠٤ إلى ١٢٨ مليار ريال عام ٢٠٠٧. هذا، وقد حققت المملكة المركز الثاني عشر كأكبر دولة مصدرة للسلع في العالم في عام ٢٠٠٨^(١٠).

(٤) ٤ - ارتفاع عدد التراخيص الممنوحة للجامعات والكليات الأهلية في قطاع التعليم من تسع جامعات حكومية، وعشر جامعات وكليات أهلية في عام ٢٠٠٤ إلى ٢١ جامعة حكومية، و١٢٠ جامعة وكلية أهلية.

(٥) ٥ - انخفاض تعريفه الاتصالات نتيجة فتح القطاع للمنافسة، حيث انخفضت أجور مكالمات الهاتف الثابت من عام ٢٠٠٤ إلى عام ٢٠٠٧ في حدود النصف. وانخفضت أجور الهاتف الجوال إلى أكثر من الربع في عام ٢٠٠٧.

(٦) ٦ - زيادة عدد تراخيص الشركات العاملة في قطاع الخدمات المالية، حيث ارتفع عدد أنشطة الخدمات المالية من ١١ نشاطاً في عام ٢٠٠٤

١٠ - فواز العلمي. كيف استفادت المملكة من عضويتها في منظمة التجارة ، ص ٢٢ .

إلى ٩٢ في عام ٢٠٠٧، وارتفع عدد شركات التأمين من شركة واحدة في عام ٢٠٠٤ إلى ١٤ شركة في عام ٢٠٠٧، كما زاد عدد الشركات الاستثمارية من لاشي في عام ٢٠٠٤ إلى ٥٦ شركة في عام ٢٠٠٧. وارتفع عدد البنوك التجارية من عشرة بنوك في عام ٢٠٠٤ إلى ٢١ بنكا في عام ٢٠٠٧^(١١).

(٢) التكاليف :

يتخوف البعض من آثار انضمام المملكة إلى المنظمة، لا سيما على المدى المتوسط والبعيد، حيث إن هذه الآثار لن تظهر بشكل واضح في المدى القصير؛ فالتأثير سيحدث بشكل تراكمي، ومن ثم يمكن القول إن التكاليف تتزايد بمرور الوقت. ففي دراسة قدمت لمنتدى الرياض الاقتصادي الثاني تبين أن ٩١٪ ممن شملهم الاستفتاء يعتقدون بأن تكاليف الانضمام أكبر بكثير من المكاسب، وأن ٩٠٪ من موردي الخدمات يرون أن قطاع الخدمات سوف يتأثر سلباً، وأن ٧٧٪ منهم لا يؤيدون الانضمام^(١٢)، وفيما يلي ذكر لبعض هذه التكاليف:

- أ - ارتفاع أسعار السلع المحمية بحقوق الملكية الفكرية، مثل: برامج الحاسب الآلي، والأدوية، والحبوب المعدلة جينياً، لأن القيود على استيراد المملكة للقائمة حديثة ستزداد تعقيداً في ظل اتفاقيات المنظمة، حيث ستلجأ كثير من الشركات المالكة لهذه التقنية لبيعها بمبالغ باهظة.
- ب - سيصبح للشركات الأجنبية وجوداً قوياً في السوق المحلي، خاصة في مجال الخدمات، وسينعكس هذا سلباً على بعض الشركات والمؤسسات المحلية الصغيرة، التي ستضطر للخروج من السوق لعدم قدرتها على المنافسة.

١١ - المرجع السابق ص ١١

١٢ - الملخص التنفيذي لدراسة جاهزية القطاع الخاص للانضمام لمنظمة التجارة العالمية، اللجنة المشرفة على منتدى الرياض الاقتصادي الثاني، ٢ - ٤ ذي القعدة ١٤٢٦ هـ، ص ٤؛

ج - تقليص الدعم المباشر للصادرات الزراعية والصناعية، وارتفاع نسبة الملكية الأجنبية في بعض الخدمات، ومنح حق المفاوضات الأول لبعض الدول على بعض السلع حسب المادة ٢٨ من اتفاقية الجات ٩٤ (٢٨١٧ سلعة من ٧٥٥٩ سلعة) سيزيد من أعباء وتكاليف الانضمام في قطاع التجارة المحلية.

د - التوجه في المفاوضات الحالية وفق أجندة الدوحة للتنمية، لتخفيض الرسوم الجمركية على السلع الزراعية والصناعية، وتخفيض الدعم الزراعي، وزيادة النفاذ لأسواق الخدمات، والالتزام باتفاقات على حساب الاتفاقات السابقة، مما سيؤثر على الالتزامات والاستثناءات التي حصلت عليها المملكة.

هـ - فتح بعض قطاعات الخدمات للاستثمار الأجنبي، ونفاذ السلع قد يترتب عليه آثار ثقافية، و تغيرات اجتماعية غير مرغوبة، وينطبق ذلك على سبيل المثال في قطاع التعليم، خاصة التعليم ما قبل المرحلة الجامعية إذ تحمل المدارس الأجنبية آثارها الثقافية والسلوكية التي تتعارض مع سياسة التعليم الوطنية.

هذه أهم المكاسب والتكاليف ويبقى الجدل قائماً في أي منهما أعظم، فيمكن أن يقال أنه من الممكن تفادي هذه السلبيات بالاستعداد الجيد وإنشاء التكتلات الاقتصادية المحلية الإقليمية، ودمج الشركات الوطنية مع بعضها البعض بما يحقق مزايا نسبية للإنتاج المحلي، ومنع ظهور آثار ثقافية سلبية بتطبيق الأنظمة المحلية والضوابط المقررة. ويعزو البعض أن سبب المخاوف من آثار الانضمام إلى المنظمة ناجم عن غياب الدراسات والأبحاث العلمية في هذا المجال التي تشرح طبيعة المنظمة ونشاطها ومميزات الانضمام إليها وسلبياتها. ففي دراسة منتدى الرياض الاقتصادي الثاني أجاب ٩٥٪ أنهم يجهلون مبادئ واتفاقيات المنظمة، والسبب الآخر لهذه المخاوف يعود إلى تصور البعض أن المملكة قدمت تنازلات تتعلق بالقيم والثوابت الدينية والاجتماعية، وهو أمر مبالغ فيه.

وفي كل الأحوال فإن المادة (١٥) من اتفاقية المنظمة تعطي الحق لأي دولة أن تنسحب من المنظمة عند تأكدها أن قوانين المنظمة تسعى للنيل من سيادتها. إلا أن هذه الميزة يقابلها التزام وتحدٍ يتمثلان بأن منتجات الدول الأعضاء لن تواجه داخل السوق السعودي بدعاوى مكافحة الإغراق ما لم تكن الشروط قائمة.

التحديات التي تواجه المملكة في قطاع الخدمات

هناك العديد من التحديات تواجه المملكة في قطاع الخدمات يمكن إيجازها في

الآتي:

- توطين العمالة : شكل حركة الأشخاص الطبيعيين، وانتقال العمالة من دولة إلى أخرى، الأسلوب الأمثل لتقديم الخدمات. لذلك تتسم الأنشطة الاقتصادية في قطاع الخدمات على الصعيدين المحلي والدولي بإطلاق العنان لهدف تنمية الموارد البشرية على المدى البعيد، حرصاً منها على رفع معدل مشاركة المواطنين في القوى العاملة، كعنصر أساس وفعال، في صياغة المنظور بعيد المدى للتنمية الاقتصادية والاجتماعية.

وتشير التقديرات الإحصائية في المملكة أن عدد السكان سيزيد بنسبة ٥٧٪ خلال العشرين عاماً القادمة. بينما سيزيد عدد المواطنين منهم بنسبة ٨٩٪ خلال المدة نفسها، ليصبح عدد السعوديين (٢٩.٧) مليون نسمة في عام ٢٠٢٠. مما يؤكد ضرورة تحقيق تنمية نوعية للموارد البشرية، وأهمية إيجاد فرص العمل للمواطنين في مختلف القطاعات. وفي ضوء ما تحمله هذه الزيادة السكانية من مضامين مهمة تتعلق بنمو الطلب على الخدمات الأساسية في مجال التعليم والصحة والنقل والاتصالات والبلديات والماء والكهرباء والصرف الصحي، تتأكد الحاجة إلى توجيه الموارد الاقتصادية لمقابلة متطلبات الإنفاق على الأصول الثابتة، باعتبارها مطلباً أساسياً لتنمية الطاقات الإنتاجية والمؤسسية.

وتؤكد الإحصائيات الرسمية في المملكة على أن القوى العاملة السعودية ستتمو بمعدل سنوي قدره (٤.٧٪) خلال العقدين القادمين، ليصل عددهم إلى أكثر من (٥) ملايين عامل في عام ٢٠٢٠، مما يشكل تحدياً يتمثل في ضرورة إحلال العمالة السعودية محل الوافدة في الأنشطة الاقتصادية لقطاع الخدمات^(١٣)

• تشجيع الاستثمار الأجنبي المباشر: إن النمو المتصاعد للتجارة الدولية هو المحرك الرئيس للنمو الاقتصادي العالمي على مدى نصف القرن الماضي. فقد تخلفت الدول التي عزلت نفسها عن المبادلات الدولية، وتمكنت الدول التي تبنت إستراتيجية للتكامل في الإطار العالمي من تحقيق نتائج إيجابية. وتؤدي الاستثمارات الأجنبية المباشرة دوراً مهماً في تعزيز النشاط الاقتصادي الدولي، وتبادل المنافع، عن طريق استخدام القدرة التنافسية، وتنمية الصادرات، تحت مظلة الارتباط القوي بين الميزات النسبية، والكفاءة الإنتاجية. مما يعني وجوب تحقيق الاستفادة مما تتمتع به المملكة من ميزات نسبية في الخدمات القطاعية التي تستخدم الطاقة بكثافة، استناداً لما هو متاح لديها من موارد ضخمة من النفط والغاز، ولتنويع القاعدة الإنتاجية للاقتصاد الوطني، وللإسهام في تنمية صادراتها من الخدمات.

وفي أوائل التسعينيات شهدت المملكة إصلاحات لتحسين مناخ الاستثمار، وخلق بيئة قانونية مواتية لتطلعات المستثمرين الأجانب، والاهتمام بتوسيع خدمات التجهيزات الأساسية وتحسينها. وهذا ما يؤكد التقرير السنوي عن الاستثمار العالمي لعام ٢٠٠٩، حيث تصدرت المملكة قائمة الدول العربية المستقطبة للاستثمار الأجنبي المباشر، التي بلغت ٣٨.٣ مليار دولار أمريكي خلال العام ٢٠٠٨ بزيادة مقدارها ٥٧.٢٪، وعلى أساس معدل النمو السنوي

١٣- الجرف، محمد سعدو. العولة ومعايير العمل الدولية. جامعة المنصورة، ٢٠٠٢/٣/٢٧. فواز بن عبد الستار العلمي الحسني. تجارة الخدمات وآثارها المتوقعة على الاقتصاد السعودي، ورقة مقدمة لندوة الرؤية المستقبلية للاقتصاد السعودي التي نظمتها وزارة التخطيط بالرياض ١٣- ١٧/٨/٢٠٠٢ الموافق ١٩- ٢٣ أكتوبر ٢٠٠٢م

المركب ارتفعت تدفقات الاستثمار الأجنبي المباشر الواردة إلى المملكة العربية السعودية بنسبة ١١٧.٩٪ خلال المدة ٢٠٠٣ - ٢٠٠٨، مما يبين الجهود التي تبذلها المملكة بهدف تنويع اقتصادها^(١٤).

• تشجيع عمليات التخصيص والإسراع في تنفيذ برامجها : يعتمد اتفاق التجارة في مجال الخدمات على مبدئين أساسيين هما: مبدأ النفاذ للأسواق، الذي يتيح للشركات الأجنبية العاملة في قطاعات الخدمات إمكانية عرض خدماتها داخل المملكة ضمن ضوابط وقيود متفق عليها. أما المبدأ الثاني فهو مبدأ المعاملة الوطنية، الذي يحظر التمييز في المعاملة بين مقدمي الخدمات المواطنين والأجانب، ويؤدي هذا إلى زيادة حدة المنافسة بين الشركات الوطنية والأجنبية، مما يحتم وضع إستراتيجية بعيدة المدى لتحسين الأداء الاقتصادي للشركات الوطنية في مختلف القطاعات لرفع كفاءتها، وزيادة قدراتها التنافسية لمواجهة التحديات، والمنافسة المحلية والإقليمية والدولية، خاصة في ضوء النتائج المترتبة على انضمام المملكة لمنظمة التجارة العالمية. وبالفعل، قد تم إعداد خطة إستراتيجية للتخصيص تنفيذاً لقرار مجلس الوزراء في عام ١٤١٨هـ، تهدف إلى رفع كفاءة الاقتصاد الوطني، وزيادة الفرص الوطنية الاستثمارية للقطاع الخاص، وترشيد الإنفاق العام، وتخفيض أعباء الميزانية العامة للدولة، واعتماد أساليب التشغيل المثل للمرافق الخدمية، الأمر الذي يتطلب ما يأتي:

- ❖ تعبئة المدخرات الخاصة، وتوجيهها لتمويل المشروعات العامة التي تعاني من مشكلات تمويلية.
- ❖ التوسع في منح القطاع الخاص عقود الإدارة والتشغيل للمشروعات العامة.

١٤- تقرير الاستثمار العالمي، الأمم المتحدة، ٢٠٠٩.

- ❖ توسيع مشاركة المواطنين في الأصول المنتجة، ونقل ملكية المشروعات الخدمية من القطاع الحكومي إلى القطاع الخاص؛ لتدار على أسس تجارية.
- ❖ توفير الحوافز وتطوير سوق الأوراق المالية.
- ❖ تعزيز قدرة الاتصالات والمعلوماتية، وتشجيع البحث والتطوير وتوطين التقنية.
- ❖ إن تحرير قطاع الخدمات يمثل نقطة تحدي أمام الدول النامية؛ لحدة المنافسة، إذ تؤكد الحقائق أن العالم يسير لتدويل هذا القطاع. ومع ذلك، فلا ينبغي أن تقلل هذه التحديات من أهمية المردود الإيجابي لتحرير هذا القطاع، المتمثل في:
- ❖ رفع كفاءة أداء قطاع الخدمات بفرعه، وخفض تكاليف الإنتاج لصالح المستهلك.
- ❖ تيسير الحصول على خدمات متميزة بين أطراف متباعدة من خلال وسائل الاتصال المتطورة، مثل: الخدمات العلاجية وخدمات التعليم والتدريب والهندسة والبحث والتطوير.
- ❖ تهيئة المناخ والظروف المواتية التدفقات الاستثمارية المصحوبة بالتقنيات والمعرفة المتقدمة.
- ❖ زيادة فرص العمل لذوي المؤهلات العالية والمهارات الفنية في مجال الخدمات المختلفة.
- ❖ تنظيم العلاقة بين الدول الأعضاء المتعاملين في مجال الخدمات، وفق قواعد متفق عليها^(١٥).

١٥- الجرف، محمد سعدو. العولمة ومعايير العمل الدولية. جامعة المنصورة، ٢٧/٣/٢٠٠٢

ومن أهم الخطوات التي يمكن اتخاذها لرعاية وتطوير قطاع الخدمات، مايلي:

- تطوير الخدمات القطاعية وتطبيقاتها العملية، دون المساس بثوابت وقيم المجتمع السعودي.
- إعداد الكوادر المتخصصة، والحرص على بناء القدرات الوطنية من خلال التعاون مع مراكز البحث والتطوير المتقدمة، والدخول في شراكة حقيقية معها.
- اتخاذ خطوات للإسهام في تطوير الأنظمة والقوانين ذات الصلة بقطاع الخدمات، ووضع مدونة لضوابط وسلوكيات ممارسة الخدمات؛ لتكون منسجمة مع القواعد المهنية الدولية المستقرة.
- تطوير قدرات المتخصصين والجمعيات المهنية والأكاديمية؛ لتكون بمثابة بيوت خبرة تسهم في إعداد الكوادر المؤهلة، وتقديم المشورة والدعم الفني؛ لتعزيز قدرتها على الارتقاء بخدماتها، والالتزام بمعايير الجودة، ولتعيينها على الصمود في وجه المنافسة القادمة.

المبحث الثالث: الآثار الاقتصادية لانضمام المملكة العربية السعودية على قطاع الخدمات

الخدمات هي الأنشطة التجارية في سلع غير حسيّة، مثل: الاتصالات والتعليم والبنوك. وتحكمها الاتفاقية العامة للخدمات في اتفاقية الجات. ويغطي قطاع الخدمات جميع الأنشطة الخدمية عدا الخدمات التي تقع في نطاق صلاحيات الحكومة، كخدمات المصارف المركزية، والتأمينات الاجتماعية، ومعاشات التقاعد، التي لا تقدم على أساس تجاري^(١٦). ويصنف قطاع الخدمات في المنظمة إلى ١٢ قطاعاً رئيسياً، و١٥٥ قطاعاً فرعياً. وتعتبر أسواق الخدمات في الدول المتقدمة كاستراليا وسويسرا وأمريكا ودول الاتحاد الأوروبي من أكبر أسواق الخدمات في العالم، بينما أقلها في الدول النامية، كمصر والهند وإندونيسيا.

١٦ - فواز بن عبد الستار العلمي الحسني. تجارة الخدمات وآثارها المتوقعة على الاقتصاد السعودي، ورقة مقدمة لندوة الرؤية المستقبلية للاقتصاد السعودي التي نظمتها وزارة التخطيط الرياض ١٣ - ١٧/٨/١٤٢٣هـ الموافق ١٩ - ٢٣ أكتوبر ٢٠٠٢م. ص٦

أما في المملكة فقد تم فتح ١١ قطاعاً رئيساً، و١١١ قطاعاً فرعياً في اتفاق المملكة مع المنظمة، وتم حجب الباقي لأسباب دينية وأمنية وصحية وبيئية، استناداً إلى المادة (١٤) من اتفاقية الجات. وقطاعات الخدمات الرئيسية هي: خدمات الاتصال، ومن ضمنها الاتصالات الهاتفية والسمعية والبصرية والبريد. وخدمات الإنشاءات، وما يتعلق بها من خدمات هندسية، وخدمات الأعمال ومن ضمنها الخدمات المهنية والعقارية، وخدمات التأجير وخدمات التوزيع ومن ضمنها خدمات البيع بالوكالة، وتجارة الجملة والتجزئة، وعقود الامتياز، والخدمات التربوية، وتشمل التعليم بكافة مراحل. والخدمات البيئية، ومنها الصرف الصحي، وتصريف النفايات. والخدمات المالية ومن ضمنها التأمين والبنوك. والخدمات الاجتماعية ذات العلاقة، وخدمات السياحة والسفر، وما يتعلق بها، والخدمات الثقافية والترفيهية والرياضية، وخدمات النقل ومن ضمنها النقل البحري والبري والجوي، وخدمات أخرى غير واردة في أي قطاع مثل الخدمات المتصلة بالتجارة الإلكترونية، وإدارة الموارد الطبيعية كالطاقة، والخدمات المقدمة من أجهزة حكومية مثل: إدارة الجوازات، شؤون الطيران المدني، والقواعد واللوائح الخاصة بالهجرة من بلد إلى آخر^(١٧).

وتبلغ مساهمة قطاع الخدمات السعودي في الناتج المحلي الإجمالي ٤٠٪، وهي نسبة متواضعة إذا قورنت بمثيلاتها في الدول المتقدمة التي تصل إلى ٨٥٪. ويتوقع أن ترتفع هذه النسبة في المملكة خلال العقدين القادمين بعد الانضمام للمنظمة إلى ٧٠٪، حيث يشكل الانضمام رافداً لكافة الخدمات القطاعية الراجعة في زيادة مردودها الاقتصادي، وتأمين الحد الأدنى لتهيئة الظروف لتحقيق أهدافها بين الدول في واردات الخدمات لتصل إلى (١٨.٣) مليار دولار، وبذلك

تحتل المملكة المركز الأول عربياً، والمركز الثاني، بعد تركيا إسلامياً في واردات الخدمات^(١٨).

إيجابيات تحرير تجارة الخدمات

هناك العديد من الإيجابيات الناتجة عن تحرير تجارة الخدمات تتمثل في

الآتي:

- رفع كفاءة أداء قطاع الخدمات، وخفض تكاليف الإنتاج.
 - تيسير الحصول على خدمات جديدة ومتميزة من خلال وسائل الاتصال المتعددة، مثل الخدمات العلاجية والتعليم والتدريب والخدمات الهندسية، وخدمات البحث والتطوير.
 - تهيئة المناخ والظروف المواتية لجذب التدفقات الاستثمارية المصحوبة بالتقنيات والمعرفة المتقدمة.
 - زيادة فرص العمل لذوي المؤهلات العالية والمهارات الفنية في مختلف مجالات الخدمات.
 - تنظيم العلاقة بين الدول الأعضاء في المنظمة التي تتعامل في قطاع الخدمات، وفق القواعد المتفق عليها.
- ولأهمية هذا القطاع ، ودوره فهناك بعض المؤشرات تساعد على تطويره يمكن إيجازها في الآتي:

- تطوير الخدمات القطاعية وتطبيقاتها العملية دون المساس بثوابت وقيم المجتمع.
- إعداد وتأهيل الكوادر المختصة في مجال قطاع الخدمات، والحرص على بناء القدرات الوطنية الذاتية من خلال التعاون مع مراكز البحث والتطوير في الدول المتقدمة، والدخول في شراكة حقيقية معها.

١٨ - عبد المنعم بن إبراهيم العبد المنعم. المملكة العربية السعودية ومنظمة التجارة العالمية متى النهاية؟ مجلة دراسات اقتصادية" جمعية الاقتصاد السعودية ، السنة الأولى، العدد الثاني، يناير ٢٠٠٤م.

- اتخاذ خطوات للإسهام في تطوير الأنظمة والقوانين ذات الصلة بقطاع الخدمات لتنسجم مع القواعد المهنية الدولية.
- تطوير قدرات المختصين والجمعيات المهنية والأكاديمية، لتكون بمثابة بيوت خبرة تسهم في إعداد الكوادر المؤهلة، وتقديم المشورة والدعم لتعزيز قدرتها على الارتقاء بخدماتها والالتزام بمعايير الجودة لتصمد في وجه المنافسة.

التزامات المملكة في قطاع الخدمات

بموجب اتفاقية الخدمات التزمت المملكة بتقديم الخدمات في هذا القطاع بأشكالها المختلفة. ولا شك أن التأثير على القطاعات المختلفة يعتمد على مدى تحرير كل نوع من هذه القطاعات ومدى جاهزيته لمواجهة المنافسة الأجنبية الناجمة عن تحريره، حيث إن الانضمام للمنظمة يتطلب وضع حدود جمركية على السلع من أجل تحرير مجموعات سلعية معينة. ومن أهم التزامات المملكة في قطاع الخدمات ما يلي: ^(١٩)

(١) خدمات التوزيع (بما فيها الوكالات التجارية)

- ألا تزيد المساهمة في رأس المال الأجنبي المستثمر على ٥١٪ فور الانضمام و٧٥٪ بعد ثلاث سنوات من الانضمام.
- أن لا يزيد عدد مراكز التوزيع عن مركز واحد فقط في كل منطقة.
- ألا يقل رأس المال الأجنبي المستثمر عن ٢٠ مليون ريال سعودي.
- أن تشكل نسبة السعوديين العاملين في المراكز حوالي ٧٥٪ من مجموع العاملين.

١٩ - الجرف، محمد سعدو. ١٠١ سؤال حول انضمام المملكة العربية السعودية لمنظمة التجارة العالمية. مرجع سابق ص ٥٨

(٢) الخدمات المالية (البنوك والتأمين)

أ - الخدمات البنكية

- السماح للبنوك الأجنبية بتأسيس فروع يتم تنظيمها على أساس رأس المال العالمي مع إمكانية تحقيق مرونة إضافية في ملكية رأس المال، بحيث يطبق على أساس كل حالة على انفراد.
- تم منح الشركات الأجنبية ضمانات بعدم المعاملة التمييزية، ومعاملتها المعاملة الوطنية في قطاعات الخدمات المالية.
- السماح للمؤسسات المالية الأجنبية بتأسيس صناديق للمعاشات إضافة لصندوق المعاشات العام.
- عدم السماح للبنوك الأجنبية بإدارة صناديق المعاشات باعتبار أن تلك مسئولية مؤسسة النقد العربي السعودي.

ب - خدمات التأمين

في ظل الانضمام للمنظمة سُمح لشركات التأمين الأجنبية بالعمل بالمملكة في ظل الشروط التالية:

- إقامة فروع من قبل مزودي خدمة التأمين الأجنبي. وبإمكان المؤمن الأجنبي تأسيس شركة تأمين تعاونية في المملكة يملكون فيها ٦٠٪ من رأسمالها. وللشركة الحق في الحفاظ على نسبة ٩٠٪ من الأرباح وتوزيع ١٠٪ على حملة الأسهم.
- حصول شركات التأمين الأجنبية على حقوق المعاملة الوطنية.
- السماح لمزودي خدمة التأمين الأجنبي الذين يعملون حالياً في المملكة بمواصلة أنشطتهم في الشركات التجارية القائمة من دون التأثير على أعمالها الحالية.
- تطبيق الالتزامات في قطاع التأمين بطريقة تتلاءم مع معايير صناعة التأمين المعترف بها دولياً.

(٣) خدمات النقل

التزمت المملكة بفتح أسواقها في قطاع خدمات النقل البحري والجوي، لكنها لم تسمح للشركات الأجنبية بالدخول لسوق النقل البري، لكنها فتحت المجال للاستثمار في السكك الحديدية ضمن ترتيبات معينة، وفق نظام (BOT). كما قدمت التزامات في مجال النقل الجوي والبحري، منها ما يلي:

- فتحت المجال أمام الشركات الأجنبية لتقديم خدمات صيانة وإصلاح الطائرات.
- سمحت للشركات الأجنبية بتقديم خدمات أنظمة الحجز الإلكتروني.

(٤) الخدمات المرتبطة بقطاع المقاولات

تشير البيانات الرسمية للمملكة إلى أن قطاع المقاولات يضطلع بدور مهم، حيث يقوم بتشديد البني الأساسية، ويتولى أعمال الإنشاءات الصناعية والزراعية والعقارية، كما يقوم بخدمات التشغيل والصيانة اللازمة. ويعتبر قطاع المقاولات أكبر مستهلك للمواد الخام للمنتجات المصنعة محلياً، التي تعتمد عليها أغلب الصناعات الوطنية. ويضم قطاع المقاولات العديد من الأنشطة مثل: التشييد والبناء، وأعمال توصيلات المياه والكهرباء، وأعمال الصيانة، وأعمال النظافة. ووفقاً للاتفاقية العامة للتجارة في الخدمات المنبثقة عن المنظمة، فقد تم تصنيف أعمال المقاولات تحت عنوان التشييد والخدمات الهندسية المرتبطة به، وهذه الأعمال تشمل: أعمال الإنشاءات العامة للمباني، وأعمال الإنشاءات العامة للهندسة المدنية، وأعمال التركيب والتجميع، وأعمال التكملة والتشطيب، والأعمال الأخرى المرتبطة. وقد قامت المملكة بتحرير هذا القطاع قبل الانضمام للمنظمة، حيث اتخذت خطوات لاستيفاء متطلبات الانضمام للمنظمة، ولعل نظام الاستثمار الأجنبي الجديد الذي فتح المجال أمام المستثمر الأجنبي للاستثمار في قطاع المقاولات، يعد أهم مظاهر التغيرات التي سبقت انضمام المملكة للمنظمة. وقد حل هذا النظام محل العديد من الأنظمة التي

كانت تضع قيوداً على الاستثمار الأجنبي في قطاع المقاولات، وتلزمهم بالتعاقد مع مقاولين سعوديين من الباطن.

(٥) خدمات الطاقة

تعتبر المملكة سوقاً رئيسياً لشركات خدمات الطاقة الأجنبية، ويعد فتح المملكة أسواقها في مجال الطاقة من أهم التحديات التي تواجه الشركات السعودية التي تقدم هذا النوع من الخدمات. وقد قدمت المملكة التزامات كبيرة بشأن خدمات الطاقة، أسفرت عن فتح خدمات الطاقة في السوق السعودي. وبموجب هذه الالتزامات سيتاح لشركات خدمات الطاقة الأجنبية التنافس على مشاريع تلك الخدمات. ومن ضمن التزامات المملكة ما يلي:

- خدمات استكشاف النفط والغاز وتطويره.
- خدمات نقل الوقود عبر الأنابيب.
- خدمات الإدارة والاستشارات، والتحليلات والاختبارات الفنية، وإدامة وإصلاح الأجهزة والمعدات.

ويعتبر انضمام المملكة للمنظمة فرصة للشركات السعودية التي تعمل في هذا المجال؛ لتصدير خدماتها، والبحث عن فرص تصدير للدول التي في طور الانضمام للمنظمة، وهي فرصة كبيرة للشركات السعودية لنقل وجهة نظرها لوزارة التجارة في هذا المجال.

(٦) خدمات الاتصالات

تتلخص التزامات المملكة في قطاع الاتصالات في السماح للشركات الأجنبية بتقديم خدماتها عبر الحدود. وتبني تشريعات لفتح قطاع الاتصالات بالمملكة تدريجياً، وزيادة سقف الملكية الأجنبية لرأس المال في شركات الاتصالات المزمع إنشائها لتصل إلى ٦٠٪ في نهاية عام ٢٠٠٨م.

وتشمل هذه الالتزامات تحرير خدمات الاتصالات وفقاً لما يلي:

- خدمات الاتصالات الأساسية، والقيمة المضافة إلى خدمات الاتصالات بأي وسيلة من وسائل التكنولوجيا.
- التزام المملكة بتضمين الالتزامات في ورقة إضافية مرجعية صادرة من منظمة التجارة. كما التزمت المملكة بتطبيق الورقة بحيث تؤسس مرجعية قانونية للالتزامات السعودية في قطاع الاتصالات.
- إصدار مجموعة تشريعات لمنع شركة الاتصالات من القيام بأي ممارسات احتكارية.

(٧) الخدمات السمعية والبصرية

سوق الخدمات السمعية والبصرية من الأسواق الواعدة في المملكة، وقد يستقطب شركات أجنبية للاستثمار فيه؛ مما يتطلب من الشركات السعودية الوقوف وبشكل مستمر على تطوراتها، ومتابعة الفرص المتاحة فيه؛ للدخول في شراكات، واغتنام فرصة الاستفادة من فتح السوق لنقل التكنولوجيا للسوق السعودي، والاطلاع على تجربة الشركات الأجنبية لتطوير هذه الصناعة محلياً. وتحرير تلك الخدمات من التحديات التي تواجه الشركات السعودية؛ لذا عليها اكتساب خبرات واسعة؛ لمنافسة الشركات الأجنبية. وأهم التزامات المملكة في هذا القطاع ما يلي:

- خدمات توزيع الأفلام، وأفلام الفيديو، بما فيها أشرطة الفيديو، وأجهزة الفيديو المشفرة رقمياً.
- خدمات الإنتاج والتوزيع الإذاعي والتلفزيوني من إنتاج البرامج الإذاعية والتلفزيونية وتوزيعها.
- ترخيص برامج الراديو والتلفزيون، المنقولة مباشرة، أو مسجلة أو على تسجيلات عادية، أو رقمية مشفرة بالفيديو لل بث بواسطة الأقمار الصناعية لل بث التلفزيوني، أو بواسطة الأسلاك، أو بوسائل أخرى، و يشمل ذلك

جميع البرامج والقنوات الخاصة بالبرمجة، سواء كانت للتسلية أو الترويج، أو أنها تنتج بشكل عادي في استوديوهات التلفزيون.

(٨) خدمات البريد

التزمت المملكة بتحرير الخدمات البريدية، ومن ضمن الالتزامات:

- التسليم غير المقيد (دون عوائق قانونية) للوثائق، والرزم، والطرود، والبضائع وغيرها من المواد البريدية.
- معاملة مزودي الخدمات البريدية الأجانب معاملة تلك الممنوحة للعاملين في خدمات البريد المحلية.
- فتح السوق السعودي أمام الشركات الأجنبية التي تعمل في مجال خدمات البريد.

(٩) خدمات البيئة

التزمت المملكة بتحرير سوق خدماتها في مجال البيئة. ووفقاً لهذه الالتزامات يستطيع مزودو خدمات البيئة غير السعوديين تقديم الكثير من خدمات البيئة في السوق السعودي. وتشير هذه الالتزامات إلى إمكانية وصول شركات أجنبية إلى داخل السوق، وبملكية أجنبية ١٠٠ ٪، وستعامل الشركات السعودية وفق مبدأ المعاملة الوطنية. مما يتطلب من الشركات السعودية العاملة في مجال خدمات البيئة تطوير خدماتها والبحث عن خطوط تسويقية وأسواق جديدة. ومن أهم الخدمات التي تم تحريرها في هذا المجال: خدمات مياه الصرف، وخدمات تقليل الضجيج.

(١٠) الخدمات السياحية

قطاع السياحة في المملكة من القطاعات الواعدة، وهو في تطور مستمر، لذا التزمت المملكة بفتح أسواقها لتشجيع الاستثمار الأجنبي فيه. وهذا يخلق فرصاً أمام رجال الأعمال لتطويره، والاستفادة من انفتاح السوق لتحسين تلك الخدمات. وقد أبقّت المملكة نشاط خدمات الحج والعمرة حكراً على السعوديين.

وبالتالي فالشركات العاملة فيه تتمتع بالحماية، ولن تتأثر بانضمام المملكة للمنظمة. بينما الشركات التي تعمل في المطاعم والاستراحات السياحية والخدمات الفندقية قد تتأثر نتيجة الانضمام. حيث يكون للشركات الأجنبية ذات الخبرة فتح فروع لها بالمملكة. ولاشك أن الشركات السعودية العاملة سيتأثر بهذا التنافس، مما يتطلب قيامها بإجراء الدراسات لواقع السوق، وتحسين خدماتها، ورفع جودة منتجاتها؛ لتستطيع المنافسة.

(١١) الخدمات المهنية والاستشارية

يعتبر هذا القطاع من القطاعات المهمة في الاقتصاد السعودي، فالطفرة التي صاحبت ارتفاع أسعار النفط، وما صاحبها من تغيرات عمرانية واقتصادية، مهدت الطريق لبروز هذا النوع من الخدمات. ومن خلال قراءة التزامات المملكة في مجال الخدمات المهنية والاستشارية (القانونية الخارجية، والمحاسبة، والهندسة، والهندسة المعمارية)، يلاحظ أنها التزمت بفتح السوق أمام موردي الخدمة الأجانب، وبحدود ملكية أجنبية لا تتجاوز ٧٥٪، في حين أن خدمات الحاسوب، وخدمات الإعلان، والاستشارات الإدارية فتحت بالكامل. مع الأخذ في الاعتبار أن المملكة احتفظت بحقها في تطبيق برنامج السعودية، واشترط حصول موردي الخدمة الأجانب على تأشيرة دخول للمملكة. ووضعت شروطاً حول مدة إقامة الخبراء والمتخصصين الأجانب بالمملكة لا تزيد على ١٨٠ يوماً قابلة للتجديد. كما اشترطت عدم السماح للمحامين الأجانب بالتمثيل أمام المحاكم السعودية للدفاع عن موكلهم.

(١٢) خدمات أخرى

هناك خدمات أخرى غير واردة في أي قطاع مثل الخدمات المتصلة بالتجارة الإلكترونية وإدارة الموارد الطبيعية كالطاقة، والخدمات المقدمة من أجهزة حكومية مثل إدارة الجوازات، شؤون الطيران المدني، كذلك القواعد واللوائح الخاصة بالهجرة من بلد إلى آخر.

المبحث الرابع: آثار انضمام المملكة العربية السعودية لمنظمة التجارة العالمية على بعض القطاعات الخدمية

قطاع الخدمات المالية

شهد النظام المالي في المملكة العديد من التطورات، كإشياء هيئة لسوق المال، وسوقا مالية مستقلة، وتأسيس قطاع التأمين بصفة نظامية، وتحرير تدريجي للقطاع المصرفي. ونستعرض في النقاط التالية التأثير الذي حدث في هذا القطاع بعد انضمام المملكة العربية السعودية إلى منظمة التجارة العالمية.

١- المصارف السعودية

بلغ عدد المصارف العاملة بالمملكة العربية السعودية بنهاية عام ٢٠٠٧م ١٨ مصرفا، ١٢ مصرفا محليا و٦ مصارف أجنبية لكل منها فرعا واحداً، باستثناء بنك الخليج الدولي الذي تمتلك حكومات دول الخليج حصصا فيه، فله فرعان. وتشير إحصائيات مؤسسة النقد العربي السعودي إلى أن عدد فروع هذه المصارف بلغ ١٣٥٣ فرعا بنهاية عام ٢٠٠٧، مقابل ١٢٨٩ فرعا في نهاية عام ٢٠٠٦م. وقد نجحت المصارف الوطنية في تعزيز مراكزها المالية طوال السنوات الأخيرة، حيث ارتفع إجمالي موجوداتها ليصل إلى نحو ١٠٧.٥٢ مليار ريال مقابل ٨٦.١ مليار ريال عام ٢٠٠٦، و٥٠٨.٢ مليار ريال عام

آثار انضمام المملكة على القطاع المصرفي

بدأت المصارف السعودية مرحلة جديدة في عام ٢٠٠٧م انطوت على جملة من المتغيرات المهمة في تحديد مسار النشاط المصرفي والمالي للتكيف مع المتطلبات الجديدة لانضمام المملكة لمنظمة التجارة العالمية. وقد حققت المصارف السعودية تقدما في مجال تقديم التمويل للمشاريع في ظل تراجع إيرادات الأنشطة المرتبطة بالأسهم المحلية. كما استطاعت تمويل مشاريع جميع القطاعات الاقتصادية، بل إن نشاطها امتد إلى الأسواق العربية لتوسيع نطاق أعمالها، وتنوع مصادر دخلها، كمصرف الراجحي الذي وصل نشاطه إلى ماليزيا،

ويستهدف فتح ٥٠ فرعاً بها بحلول عام ٢٠١٠م، ومجموعة سامبا المالية التي استحوذت على ٦٨٪ من ملكية بنك كريسينت الباكستاني^(٢٠).

ومن أهم التحولات التي حدثت في القطاع المصرفي بعد انضمام المملكة العربية السعودية لمنظمة التجارة هو التوسع في تمويل القطاع الخاص، حيث توسعت في تقديم الائتمان والخدمات المصرفية له، وأصبح يمثل هذا القطاع العميل الأول لهذه المصارف في معظم الخدمات التي تقدمها، ويتضح ذلك من البيانات التالية:

١ - حصول القطاع الخاص على نصيب كبير من الائتمان المصرفي، حيث ارتفع إجمالي مطلوبات المصارف من القطاع الخاص ليصل إلى نحو ٥٧٧٨٨٢ مليون ريال في نهاية عام ٢٠٠٧، مقابل ٤٧٦٠٢٠ مليون ريال في عام ٢٠٠٦، وبذلك تشكل تلك المطلوبات أكثر من ٧٥٪ من إجمالي المطلوبات المستحقة للمصارف لدى القطاعين الحكومي والخاص، والمؤسسات المالية غير النقدية، في حين تمثل نسبة المطلوبات على القطاع العام الحكومي نحو ٢٥٪، مقابل ٦٤٪ للقطاع الخاص، و٣٦٪ للقطاع العام في عام ٢٠٠٤م. والسبب الأساسي في ذلك هو توسع نشاط القطاع الخاص في الاقتصاد الوطني، وزيادة احتياجه للتمويل المصرفي، ولقاء الفراغ الناتج عن تراجع دور القطاع العام في الاستثمار والنشاط الاقتصادي^(٢١).

٢ - تنوعت مطلوبات المصارف على القطاع الخاص بين ائتمان مصرفي، وقروض وسلفيات، وكمبيالات مخصصة، واستثمارات في أوراق مالية خاصة، والملاحظ أن مبالغ الائتمان المصرفي والقروض والسلفيات الممنوحة للقطاع الخاص ارتفعت بشكل ملحوظ خلال السنوات الأخيرة.

٢٠- مجلة اتحاد المصارف العربية. العدد الثاني سبتمبر، ٢٠٠٩م ص ٨٦

٢١ - التقرير الإحصائي السنوي مؤسسة النقد العربي السعودي، مرجع سابق، ص ٢٧

٣ - يلاحظ من توزيع الائتمان المصرفي الممنوح للقطاع الخاص، أن النشاط التجاري يستحوذ على النصيب الأكبر منه، وأنه في تزايد بشكل ملحوظ، يليه نشاط التمويل، ثم النشاط الصناعي، يليه قطاع البناء والتشييد، ثم قطاع النقل والاتصالات، رغم تراجع حصته من الائتمان المصرفي الممنوح للقطاع الخاص بشكل ملحوظ.

٤ - أسهم القطاع المصرفي في تمويل واردات القطاع الخاص، وارتفع إجمالي التمويل المقدم لهذا الغرض بشكل ملحوظ، حيث وصل إلى ١٦٨٥١٨ مليون ريال في عام ٢٠٠٧م مقابل ١٣٢٢٩٢ مليون ريال في عام ٢٠٠٦م. والملاحظ أن النصيب الأكبر من هذا التمويل تم توجيهه إلى واردات السلع الغذائية، تليها واردات السيارات، ثم مواد البناء، والآلات، والمنسوجات والأجهزة. ويقوم القطاع المصرفي في المملكة بدور كبير؛ لذا يجب أن يولي اهتماما للخدمات المصرفية المتنوعة، وتوفير التمويل اللازم لقيام القطاع الخاص بدوره المتزايد في مسيرة التنمية الاقتصادية، وحتى يحقق القطاع المصرفي ذلك عليه التغلب على مجموعة التحديات التي يواجهها هذا القطاع، من أبرزها^(٣٢).

أ) زيادة رؤوس أموال المصارف : هناك نسبة لا يمكن تجاوزها لمستويات الإقراض التي تستطيع البنوك تقديمها كنسبة من حقوق المساهمين ورأس المال، لذا فإن المخرج أمام البنك للتوسع في الإقراض أن يقوم برفع رأسماله. لذلك بدأت البنوك في عام ٢٠٠٦م بزيادة رؤوس أموالها، للمحافظة على وجودها الفاعل في تمويل الشركات، ولواكبة توجه هذه الشركات لإصدار سندات أو صكوك تمويل مشاريعها، وحتى ينعكس ذلك على أرباحها، و لرفع مستوى تصنيفها وفقاً لمعايير الملاءة المالية للجنة بازل. لذا فإن نجاح المصارف في استغلال الطفرة الراهنة، وارتفاع السيولة لرفع رؤوس أموالها، يعد أحد المهام

٢٢ - تقرير مجلس الغرف السعودية. ستة تحديات أمام القطاع المصرفي السعودي

<http://www.mstaml.com/manage/user>

التي تستوجب على المصارف الوطنية أن تنتهياً لرفع رؤوس أموالها، لتمويل المشاريع المخطط إنجازها خلال المرحلة المقبلة.

ب) مواجهة المنافسة الداخلية والخارجية: تشتد المنافسة التي تواجهها المصارف الوطنية سواءً في ما بينها، أو مع المصارف الدولية، وهذه المنافسة مفيدة للمصارف والعملاء معاً، حيث تدفع المصارف لتحسين الخدمات التي تقدمها للعملاء. ومع ذلك ففتح الباب للمصارف الأجنبية وزيادة المنافسة في مجال الخدمات المصرفية يجب أن يكون خاضعاً للضوابط الدولية ومن فوائد المنافسة أنها تجعل إدارة كل مصرف تهتم بالمحافظة على أموال ومصالح العملاء، وعلى مواجهة أي تقلبات في الأسواق المحلية والدولية. ومن ثم يجب أن يكون المعيار الأساسي في هذه المنافسة الالتزام والمسؤولية المصرفية طويلة الأجل.

ج) استغلال فرصة الدخول في مجال البنوك الاستثمارية: يلاحظ محدودية عدد الفروع التي فتحتها البنوك التي دخلت السوق السعودي حديثاً (باستثناء بنك البلاد). فهذه البنوك لديها توجه استراتيجي وهو تفاذي استهداف سوق التجزئة المصرفية، والتركيز على تقديم الخدمات للشركات، خاصة خدمات القروض المجمعمة وإدارة الثروات الخاصة، وخدمات البنوك الاستثمارية، كعمليات الدمج والاستحواذ، والاستثمار الخاص في شركات دولية، ورفع رأس المال (هذا لا ينفي احتمال زيادة المنافسة بين المصارف المحلية الأجنبية في المستقبل على تقديم الخدمات المصرفية للأفراد، خاصة في مجال الودائع والحسابات الجارية). وهذا يعني أن هذه البنوك تسعى لتقديم خدماتها التي تتميز بارتفاع عائدها، وقلّة الحاجة إلى العمليات المطلوبة لإتمامها، كما يوضح أن خدمات البنوك الاستثمارية تعد من الخدمات الواعدة في النشاط المصرفي في المملكة. وقد بدأت البنوك الوطنية بمبادرات للدخول في نشاط البنوك الاستثمارية، حيث قامت بإنشاء

وتطوير وحدات البنوك الاستثمارية، تمهيداً لفصل هذه الوحدات والترخيص لها كبنوك استثمارية متخصصة. ويتبين من ذلك أن الخدمات المصرفية الجارية هي فرصة إستراتيجية أمام البنوك الوطنية، ومصدر للأرباح التي قد تغير النتائج المالية للقطاع المصرفي، ومن ثم يبقى التحدي القائم أمام البنوك الوطنية متمثلاً في الولوج إلى هذا النوع من الخدمات، والنجاح في منافسة شركات الوساطة المالية التي تم الترخيص لها بالدخول في هذا المجال التي زاد عددها عن ٤٠ شركة، واستغلال ما يتوافر لديها من خبرات وإمكانيات وموارد وعلاقات مع القطاع الخاص لحسم هذه المنافسة لصالحها.

(د) دراسة كيفية التغلب على منافسة البنوك الأجنبية عمولات على الحسابات الجارية الخاصة بدفع : تشكل الحسابات الجارية نسبة كبيرة من الموارد المالية التي تعتمد عليها البنوك الوطنية في استثماراتها، وهي حسابات لا تدفع عليها البنوك عمولات حتى الآن، ولكن في ظل سعي البنوك الأجنبية في تنافسها مع البنوك الوطنية لاستقطاب الحسابات الجارية، قد تجد بعض البنوك الأجنبية مبرراً يسمح لها بدفع عمولات على الحسابات الجارية، وهو ما قد يفقد البنوك الوطنية جزءاً من هذه الحسابات. لذا فالبنوك الوطنية مطالبة بالإسراع لدراسة كيفية التغلب على هذا المشكل، حيث إن دفع تلك العمولات ينطوي على مخالفات شرعية.

(هـ) تحقيق أمن المعلومات والتغلب على عمليات الاحتيال المصرفي : استحوذت التعاملات الإلكترونية على نحو ٨٠٪ من إجمالي العمليات المصرفية في المملكة العربية السعودية في عام ٢٠٠٦م، حيث نفذت البنوك السعودية نحو ٧٠٠ مليون عملية إلكترونية، تصل قيمتها إلى ١٤ ألف مليار ريال، تمت من عدة منافذ، منها أجهزة الصراف الآلي والإنترنت ونقاط البيع، وقد نجحت البنوك الوطنية في ذلك من خلال إرساء بنية إلكترونية مصرفية متطورة، ورغم الجهود التي قامت بها المملكة للتغلب على عمليات الاحتيال والاختراق

المصرفي، إلا أن هناك تحدياً يتمثل في زيادة درجة تأمين البنوك لهذه التعاملات، وحماية نظام المعلومات المصرفية من الاختراق والمخاطر المصاحبة له، خاصة من خلال شبكة الإنترنت، حيث يأتي ما بين ٥٠% إلى ٧٠% منها من الخارج. وتتمثل أهم المخاطر في استدراج العملاء، والتجسس، وسرقة الهوية أو كلمة السر، واستخدامهما في سرقة الحسابات.

(و) الحذر من خطورة انكشاف المصارف على قطاع العقارات : رغم عدم تأثر البنوك الوطنية بأزمة الرهن العقاري الأمريكي، التي ضربت مصارف عديدة، ورغم تحمل البنوك الوطنية للهزة التي تعرضت لها سوق الأسهم. إلا أن هناك خطورة قد تتعرض لها تلك المصارف في حالة تعرض سوق العقار لهزة مالية، حيث تزايد التمويل المصرفي لقطاع العقار في المدة الأخيرة. فرغم أن هذا القطاع يعد محركاً للنمو، فقد يكون محركاً لزيادة المخاطر للقطاع المصرفي، خاصة إذا ارتفع سعر الفائدة بشكل يرفع أعباء ديون المستثمرين في القطاع العقاري، ويحد من فرص حصولهم على التمويل بتكلفة مناسبة لاستكمال مشاريعهم.

١- قطاع التأمين

بلغ عدد شركات التأمين التي تعمل في المملكة العربية السعودية حالياً ١٩ شركة، بإجمالي رؤوس أموال تزيد على ٤ مليارات ريال. وتشير دراسة أجراها علي عبد الرحمن السبيهي لسوق التأمين في المملكة عام ٢٠٠٦، إلى أن حجم سوق التأمين في المملكة يبلغ ١.٦٦٧ مليون دولار. وهو يشكل حصة تقدر بحوالي ٣٤% من إجمالي أسواق التأمين الخليجية البالغة ٤.٩٠٩ مليون دولار. كما يشكل السوق السعودي ما نسبته ١٨% من إجمالي أسواق التأمين في الدول العربية التي يقدر حجمها بحوالي ٩.٢٥٩ مليون دولار.^(٢٣) ويحتل سوق التأمين في السعودية المرتبة الثانية خليجياً وعربياً بعد سوقه في الإمارات، الذي يصل

٢٣ - علي بن عبد الرحمن السبيهي. أسواق التأمين في المملكة والدول العربية والخليجية. دراسة غير منشورة. ٢٠٠٦م، ص ١٥

حجمه إلى ١.٨٦٢ مليون دولار. ورغم ذلك يعتبر سوق التأمين في المملكة متراجعا، فإجمالي حجم السوق الذي يقدر بحوالي ١.٧ بليون دولار يقل كثيراً عن حجم أعمال بعض الشركات العالمية الكبيرة منفردة. كذلك تعد المملكة من أقل دول العالم من حيث إنفاق الفرد السنوي على التأمين، الذي يقدر بمبلغ ٥٧ دولاراً سنوياً، في حين يصل في بعض الدول الغربية إلى ١٥٠٠٠ دولار، كما أن حصة نشاط التأمين من إجمالي الناتج المحلي للمملكة تبلغ أقل من ١٪، بينما تصل في بعض الدول إلى ١٥٪^(٢٤) ولقد التزمت السعودية بتحرير قطاع التأمين بعد الانضمام لمنظمة التجارة العالمية، وتطبيق قواعد المنظمة الخاصة بمنح الشركات الأجنبية العاملة بالسعودية المزايا نفسها الممنوحة للشركات السعودية العاملة، غير أن السعودية وضعت بعض القيود على الوجود التجاري للشركات الأجنبية، حيث وضعت قيوداً على الملكية الأجنبية في هذه الشركات التي تعتبر قيوداً على الأجانب للاستثمار في هذا القطاع.

٢- آثار انضمام المملكة لمنظمة التجارة العالمية على قطاع التأمين

ولقد وضعت اتفاقية انضمام المملكة لمنظمة التجارة تفاصيل عمل المصارف، وشركات التأمين داخل المملكة، حيث سترتفع حصة رأس المال الأجنبي في المشاريع المشتركة في قطاع المصارف من ٤٠٪ إلى ٦٠٪. ويسمح لشركات التأمين الأجنبية بدخول المملكة، إما كفروع للشركة الأم، أو كشركات تأمين تعاونية تصل فيها حصة رأس المال الأجنبي إلى ٦٠٪. ويتوقع أن تصبح المملكة العربية السعودية أكبر سوق للتأمين التكافلي في العالم، استناداً إلى تقارير شركة KPMG، بحجم أقساط تقارب ١٥ مليار ريال في عام ٢٠٠٩م. وهذه النتيجة غير مستبعدة حيث إن السوق السعودي نما خلال العام الماضي بنسبة ٨٠٪^(٢٥)، وفي ظل هذا الوضع، فإن شركات كبيرة الحجم ستحاول اختراق السوق، وانتزاع

٢٣ - المرجع السابق ص ١٨

٢٥ - موسى مصطفى القضاة. التأمين التكافلي بين دوافع النمو ومخاطر الجمود. ورقة مقدمة للمنتقى التأمين، الهيئة الإسلامية العالمية للتمويل. بالتعاون مع البنك الإسلامي للتنمية، الرياض، ٢٣- ٢٥- محرم ١٤٣٠هـ. ص ٩

ححص لها من أعمال التأمين، إما بتقديم منتجات مبتكرة، وتحسين مستوى الخدمة، أو باستخدام ممارسات غير مقبولة، لكسب رضاء العملاء، وهذا النوع من الممارسات يضر بقطاع التأمين ككل. لذلك أصدرت مؤسسة النقد العربي السعودي لوائح لتنظيم قطاع التأمين بعد انضمام المملكة لمنظمة التجارة، من أهمها: اللائحة التنظيمية لسلوكيات سوق التأمين، التي نظمت استثمارات شركات التأمين بحيث لا تتعرض لمخاطر كبيرة، غير محسوبة، وبحيث ينصب التركيز الأكبر للشركات على تحقيق الأرباح من النشاط الرئيس لها وهو التأمين، ولائحة مكافحة الاحتيال، ولائحة إدارة المخاطر، إضافة إلى قواعد مكافحة غسل الأموال.

وأكدت المؤسسة على أهمية الملاءة المالية والإدارة الفاعلة للمخاطر في توطيد استقرار سوق التأمين في المملكة، وطالبت اللائحة التنفيذية لنظام مراقبة شركات التأمين التعاوني شركات التأمين العاملة في المملكة بتحليل ودراسة المخاطر المحيطة بها بشكل دوري، واتخاذ الإجراءات المناسبة لإدارة تلك المخاطر، ولقد اتخذت المؤسسة عددا من الإجراءات والضوابط الرقابية والإشرافية؛ لتعزيز الملاءة المالية لشركات التأمين في السعودية، وفاعلية إدارتها للمخاطر التي تواجهها ومن أبرز تلك الضوابط ما يلي:

- ألا يقل رأس المال المدفوع لشركة التأمين عن ١٠٠ مليون ريال، ولا يقل عن ٢٠٠ مليون ريال لشركة إعادة التأمين.
- تخصيص ٢٠% على الأقل من أرباح الشركة السنوية كاحتياطي نظامي، إلى أن يصل إجمالي الاحتياطي إلى ١٠٠% من رأس المال المدفوع.
- ألا يزيد إجمالي اكتتابات الشركة على عشرة أضعاف مجموع رأسمالها المدفوع، واحتياطياتها إلا بموافقة كتابية مسبقة من مؤسسة النقد، إضافة إلى تقويم أصول الشركات وفقاً لمعايير محددة متحفظة.

- التأكيد على الاحتفاظ بهامش الملائة المطلوب وفقاً لطرق محفزة بناء على نوعية التأمين الذي تمارسه الشركة، والرقابة من مؤسسة النقد على ذلك الهامش، والتدخل لاتخاذ إجراءات تصحيحية عند انخفاضه عن مستويات معينة.
- تحديد الشركة للمخصصات الفنية الأساسية التي تعمل على تكوينها، وقيامها بشكل ربع سنوي بتقويم مدى كفاية المخصصات الفنية، وإشعار المؤسسة مباشرة عند كفايتها أو الحاجة إلى استخدام الحد الأدنى لرأس المال.
- منح الصلاحية لمؤسسة النقد باتخاذ عدد من الإجراءات اللازمة في حال تبين لها قيام الشركة بإتباع سياسة من شأنها التأثير بصورة خطيرة على قدرتها على الوفاء بالتزاماتها.

التحديات التي تواجه قطاع التأمين في المملكة :

رغم النمو في قطاع التأمين إلا أنه يواجه بعد الانضمام لمنظمة التجارة عدداً من التحديات يمكن إيجازها في عدم توفر الأيدي السعودية المدربة في ظل توجه الدولة لسعودة الوظائف، وغياب التنسيق بين مخرجات التعليم وحاجة سوق العمل، كما أن تأهيل الشباب السعودي للعمل في مجال التأمين يتطلب تكاليف كبيرة، ومدة طويلة، لا تستطيع غالبية الشركات توفيرها. لذا فكثير من شركات التأمين غير قادرة على ترتيب نسبة السعودة المحددة ب ٣٠٪.

٣- هيئة سوق المال

تبرز التغيرات التي طرأت على سوق المال كأهم التطورات التي شهدتها النظام المالي، فقد أسس نظام سوق رأس المال الصادر في يونيو عام 2003م بنية مؤسساتية تتمثل في هيئة سوق المال التي تحظى بالصلاحيات التشريعية والقضائية لتنظيم ومراقبة السوق. وعلى خلفيات هذا النظام تشكل قطاع الخدمات المالية، ويضم المؤسسات المصرح لها لممارسة الأنشطة المالية عبر

التعامل في الأوراق المالية، وحفظها، وإدارتها، وترتيبها، وتقديم المشورة المتعلقة بها. ويتطلع القائمون على سوق المال إلى تحول كبير بعد ممارسة شركات الخدمات المالية لأعمالها، حيث يؤمل من تلك الشركات الإسهام في معالجة الخلل الهيكلي في السوق، من خلال زيادة عمق السوق وتنظيم عملياتها، وتغليب الاستثمارات المؤسسية للحد من المضاربة الفردية غير المسؤولة.

وبالنظر إلى أعداد الشركات المصرح لها بتقديم الخدمات المالية، يبرز حجم المنافسة، إذ وصل مجموعها إلى ٥٤ شركة سعودية، منها ٣٠ شركة للتعامل في الأوراق المالية، و٢٥ لممارسة إدارة الأوراق المالية، وتم منح ٢٣ شركة رخصة حفظ الأوراق المالية، ووصل عدد الشركات المرخص لها بترتيب الأوراق المالية إلى ٤٠ شركة، فيما بلغ عدد تراخيص الاستشارة ٤٦ ترخيصاً، ويتوقع أن تلقي المنافسة بظلالها على نمو القطاع المالي، ولعل البنوك تملك ميزة تنافسية لكونها تملك خبرة تربو على عقدين من الزمان، وتحظى بقاعدة عملاء كبيرة، ورغم ذلك فالشركات الجديدة تملك فرصاً يمكن استغلالها بتقديم منتجات مبتكرة للمستثمر، لاسيما أن حجم إسهام القطاع المالي في إجمالي الناتج المحلي يمثل ٤٪، وتعد هذه النسبة متدنية نوعاً ما، ويشير ذلك إلى الفرص الكامنة المتاحة في قطاع الخدمات المالية.

تملك الشركات الجديدة فرصاً في عمليات التقييم المالي للشركات والاككتابات الأولية التي تشهد نمواً مطرداً، كما أن قطاع الاستشارات المالية يملك فرصاً بوجود عدد من الشركات الخاصة والعائلية التي ترغب في التحول إلى شركات مساهمة، حيث يربو عدد الشركات ذات المسؤولية المحدودة على ١٤٢٠ شركة، منها ١٠٠ شركة مؤهلة للتحول إلى شركات مساهمة. ومن جهة أخرى، فالشركات الإقليمية والدولية تمتلك ميزة تنافسية في مزاوله أعمال الترتيب والاستشارات في ظل امتلاكها الخبرة الواسعة في هذا المجال.

آثار انضمام المملكة لمنظمة التجارة العالمية على سوق المال

أولت هيئة سوق المال انضمام المملكة لمنظمة التجارة العالمية اهتماماً خاصاً، لما له من تأثيرات إيجابية على المستويين العام والخاص. فعلى المستوى العام تبين العلاقة أن هناك مؤشراً إيجابياً لمصادقية البيئة الاقتصادية والمالية والتشريعية للمملكة، ويتوقع أن يؤدي ذلك إلى تعزيز ملحوظ للبيئة الاستثمارية في المملكة، وزيادة القيمة المضافة للاقتصاد السعودي بشكل عام. وعلى المستوى الخاص سيزيد الانضمام لمنظمة التجارة العالمية من مستوى الثقة في سوق المال في السعودية، ويحفز الشركات المؤهلة للدخول فيه، خصوصاً على المدى الطويل. ويعد الانضمام حدثاً مهماً لكافة القطاعات الاقتصادية في المملكة، ومن أهم تلك القطاعات الخدمات المالية، وعلى رأسها أعمال الأوراق المالية المتعلقة بسوق المال في المملكة. وتأتي تلك الأهمية من الالتزامات المترتبة على الانضمام، مما سيعزز البيئة الاستثمارية بشكل عام.

لقد أتت تلك الالتزامات منسجمة مع الأهداف العامة التي وضعها نظام سوق المال، الصادر بالمرسوم الملكي رقم م/٣٠ وتاريخ ٢٠١٤/٦/٢هـ، إذ تم تفعيل الجانب المتعلق بفتح المجال أمام المؤسسات المالية غير البنكية لممارسة أنشطة مهمة تتعلق بأعمال الأوراق المالية في المملكة (كأنشطة التعامل والإدارة) وهو ما ينسجم مع الأهداف الإستراتيجية التي وضعتها هيئة سوق المال في هذا المجال.

ويعتبر الاستثمار في سوق المال السعودي متاح أمام الراغبين من غير مواطني دول مجلس التعاون الخليجي من خلال صناديق الاستثمار، وبالتالي لم تتضمن الالتزامات فتح سوق المال في السعودية بشكل كامل للأجانب. وهناك خطة لدى الهيئة لدراسة تلك الالتزامات أولاً، وتحليلها، ثم تفعيلها ومتابعة تطبيقها، علماً أن كثير من تلك الالتزامات يتطلب التنسيق المباشر مع جهات حكومية معنية^(٢٦).

إيجابيات وسلبيات الانضمام للمنظمة في القطاع المالي :

إن انضمام المملكة للمنظمة وما يصاحبه من تحرير للنظام المالي سيعود ببعض الآثار السلبية في الأجل القصير على النظام المصرفي. وستواجه البنوك الوطنية منافسة تؤدي إلى انخفاض حصتها السوقية، وهبوط سيولتها وأرباحها، وقد يؤدي بإعادة تنظيم أو خروج بعضها من السوق، خاصة تلك التي تمتلك قاعدة رأسمالية ضعيفة. ومن جهة أخرى، فإن الانضمام إلى المنظمة سيعود بمزايا في المدى الطويل. لعل أبرزها هو رفع كفاءة النظام المصرفي من خلال زيادة المنافسة بين البنوك الوطنية والأجنبية التي ترغب في ممارسة أعمالها في المملكة. لأجل ذلك ستسعى البنوك المحلية إلى تعزيز قدرتها التنافسية بتطوير العمليات المصرفية، وتقديم منتجات جيدة، وطرح خدمات استثمارية مبتكرة لتلبية المتطلبات العالمية المتجددة. كما سينتج عن هذا الانضمام فتح السوق السعودي للشركات والبنوك الأجنبية، وسيعمل الكل على تقديم أفضل ما يمكن من خدمات للعملاء لجذب أكبر عدد منهم. وطبقاً لنتائج دراسة مقدمة لكلية الاقتصاد والإدارة بجامعة الملك عبد العزيز بجدة حول آثار انضمام المملكة على القطاع المصرفي، فإن المسؤولين في البنوك السعودية يرون ما يلي: (٣٧)

❖ إن تكاليف الخدمات المصرفية ستنخفض بعد انضمام المملكة لمنظمة التجارة العالمية.

❖ إن الخدمات المصرفية في البنوك السعودية ستتحسن وستتنوع بشكل أكبر بعد انضمام المملكة للمنظمة.

كما أشارت الدراسة إلى الآثار المتوقعة على القطاع المصرفي في حالة عدم مواكبة القطاع المصرفي السعودي للتغيرات التي ستحدث في السوق نتيجة دخول البنوك الأجنبية للسوق السعودي، بما يلي:

٣٧ - خالد بن عبد الله سنور. منظمة التجارة العالمية وآثارها على الاقتصاد المصرفي السعودي: دراسة ميدانية علي اتجاهات آراء الإدارة العليا بالبنوك السعودية، رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد والإدارة، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، ١٤٢٣هـ ، ص ٣

- ١- هيمنة المصارف الأجنبية على القطاع المصرفي السعودي؛ لما تتمتع به من كفاءة وإمكانيات وخبرات أكبر من المصارف السعودية.
- ٢- إغلاق المنشآت الأقل كفاءة.
- ٣- ضرورة توجه البنوك الصغيرة من حيث رأس المال السعودية إلى الاندماج؛ لتتمكن من مواجهة التحديات التي ستنتج بعد انضمام المملكة العربية السعودية لمنظمة التجارة العالمية، فالاندماج غالباً سيؤدي إلى نتائج إيجابية كتخفيض تكلفة الخدمات، وتحسين نوعيتها، وتنوعها، وهذه بدوره سيؤدي إلى المحافظة على العملاء، واستقطاب عملاء جدد.

قطاع الخدمات التعليمية

ينقسم التعليم في المملكة إلى قسمين:

❖ القسم الأول وهو التعليم العام، وينقسم إلى ثلاث مراحل، المرحلة الابتدائية وتتكون من ست سنوات دراسية. المرحلة المتوسطة، وتتكون من ثلاث سنوات دراسية. المرحلة الثانوية وتتكون من ثلاث سنوات دراسية.

❖ القسم الثاني وهو التعليم العالي، ويتكون من، الدراسة الجامعية لمرحة البكالوريوس. والدراسة الجامعية لشهادة الماجستير. والدراسة الجامعية لشهادة الدكتوراه.

كما يتوفر التعليم المتخصص في المرحلة الابتدائية في تحفيظ القرآن الكريم وكذلك المتوسطة والثانوية و التعليم الصناعي والتعليم التجاري والتعليم الزراعي.

وتشرف وزارة التربية والتعليم على مراحل التعليم العام. كما تشرف وزارة التعليم العالي على مراحل التعليم الجامعي. كما أصدرت المملكة منذ عدة سنوات مشروع خادم الحرمين للابتعاث الخارجي وهو برنامج ضخم وطموح وقد بلغ عدد المبتعثين ٤٠ الف مبتعثاً في العديد من دول العالم. (يحظى التعليم في المملكة العربية السعودية باهتمام ورعاية من الحكومة السعودية، وقد تضمنت

الخطة السادسة للتنمية (١٤١٥ - ١٤٢٠هـ) ضمن أهدافها الاهتمام بتوسيع قاعدة التعليم العالي، ومشاركة القطاع الخاص في افتتاح الكليات الأهلية، والمؤسسات التعليمية التي لا تهدف إلى الربح على أسس علمية. وقد بلغ عدد الجامعات الحكومية في المملكة ٢١ جامعة، ترتبط بوزارة التعليم العالي. بينما بلغ عدد الجامعات الأهلية ٨ جامعات، والكليات الأهلية ٢٠ كلية^(٢٨). في حين بلغ عدد المدارس الثانوية حوالي ٢٤٠٠٠ مدرسة، وعدد كبير من المعاهد التدريبية والمهنية. وفي المملكة تعليم أجنبي في المستوى قبل الجامعي، حيث بلغ عدد المدارس الأجنبية ١٧٠ مدرسة، منها ٤٠ مدرسة في الرياض. ويمثل التعليم بكافة مراحلها معظم قطاع الخدمات التربوية التي تم الاتفاق على تحريرها في اتفاق المملكة مع المنظمة بـ لا قيود. وقد تم فتح هذا المجال للاستثمار الأجنبي، وفتحه مثير للجدل، فهو من أخطر المجالات التي تتحفظ الدول عادة في فتحها، فالدول النامية لم يفتح سوى ٢٠٪ منها ، بل إن عدداً من الدول المتقدمة لم تفتحه بصورة كبيرة، وبلغت نسبة الدول التي فتحت هذا المجال من مجموع دول المنظمة ٣١٪ فقط. ومعلوم أن أحد أوجه تميز التعليم في المملكة كونه ينبع من غرس الهوية الإسلامية في نفوس الطلاب من خلال البيئة التعليمية، وغني عن البيان ما لتلك البيئة من تأثير على الهوية، أهمها العقيدة واللغة والثقافة، وتحصين أبناء المجتمع ضد ما يتعرض له من تشويه لهويته، والرقي بالمجتمع من خلال تطوير مخرجات المناهج الدراسية استجابة لمتطلبات التنمية وتحديات العصر.

التحديات التي تواجه قطاع التعليم العالي في المملكة

رغم التطور الذي يمر به التعليم العالي، إلا أنه يواجه العديد من المشكلات؛ نتيجة للمتغيرات العلمية والتقنية والاجتماعية، وما يتطلبه من تطوير التعليم

العالي ليصبح أكثر ملائمة للمتطلبات الاجتماعية والاقتصادية، بما في ذلك حاجات التعليم قبل الجامعي وإيجاد الكوادر البشرية المؤهلة لسد حاجة سوق العمل وفق المعايير العالمية. وأهم هذه المشكلات هي ضعف العلاقة بين التعليم العالي والتنمية، والنمطية في مؤسسات التعليم العالي، وتعدد جهات الإشراف عليه، والاهتمام بالكم على حساب الكيف. فالسائد هو إتباع إستراتيجية النمو الكمي، وهي إستراتيجية لم تف بحاجات التعليم الكمية، ولم تبق على نوعية التعليم وجودته، وكذلك عدم مرونة هيكل التعليم وبنيته، وإن الجهود المبذولة والسياسات المطبقة يتوقع أن تسهم في التغلب على هذه المشكلة، لكن على المدى البعيد. بالإضافة إلى تحديات العولمة، وانخفاض معدل الكفاءة للجامعات، وعدم وضوح السياسة التعليمية في المرحلة الجامعية للبنات، وزيادة الإقبال على التعليم العالي، ونقص الإمكانيات، خاصة في مجال التمويل^(٢٩)

قطاع الخدمات السياحية

تظهر إحصاءات منظمة التجارة العالمية أن قطاع السياحة يعتبر من أكبر القطاعات التي قدمت فيه الدول الأعضاء في المنظمة التزامات من بين قطاع الخدمات المختلفة، فقد قدمت ١٢٨ دولة وتمثل ٨٦٪ من إجمالي الدول الأعضاء في المنظمة في خدمات السياحة^(٣٠)

بلغت مساهمة قطاع السياحة (٥.٥٪) من الناتج المحلي الإجمالي للمملكة العربية السعودية في عام ٢٠٠١م. وقدرت إسهامات قطاع الصناعة التحويلية بـ ٣٧ بليون ريال، أي بنسبة (٥.٧٪) من الناتج المحلي الإجمالي. وبذلك تقارب نسبة إسهام القطاع السياحي في المملكة نسبة إسهام قطاع الصناعة التحويلية في

٢٩ - محمد بن محمد الحربي الموائمة بين مخرجات التعليم العالي واحتياجات سوق العمل بالمملكة العربية السعودية

جامعة الملك سعود الرياض، ص ١٢

٣٠ - موقع منظمة التجارة العالمية ٢٠٠٤م

الناتج المحلي الإجمالي، مما يدل على أهمية هذا القطاع في الاقتصاد الوطني، حيث يأتي في المرتبة الثالثة بعد قطاعي النفط والصناعة التحويلية.

تعتبر خدمات السياحة ضمن القطاعات الرئيسية للاتفاقية العامة لتجارة الخدمات، وتمثل خدمات السفر والسياحة القطاع التاسع بحسب ترتيب منظمة التجارة العالمية. وبالرغم من أن هذا القطاع يبدو مستقلاً إلا أنه يرتبط بغيره من القطاعات كقطاع الخدمات المالية وخدمات الاتصالات وخدمات النقل وغيرها. ويتفرع قطاع السياحة إلى قطاعات فرعية أخرى هي:

(أ) قطاع الفنادق والمطاعم (ب) قطاع وكالات السفر لخدمات السياحة.

(ب) قطاع خدمات الإرشاد السياحي (ج) قطاعات أخرى لم تصنف

أشكال توريد الخدمات السياحية

حددت اتفاقية منظمة التجارة العالمية أربعة أشكال لتوريد الخدمات

السياحية هي كالتالي:

- التوريد عبر الحدود ويعني انتقال الخدمة فقط دون انتقال المورد أو المستهلك كتقديم خدمات السفر والسياحة في الدول الأخرى ودفع قيمتها دون انتقال أي من الطرفين، ويمكن أن، يستخدم في ذلك البريد الإلكتروني، أو الفاكس أو حتى البريد العادي.
- الاستهلاك الخارجي وطبقاً لهذا البند ينتقل المستهلك إلى بلد مورد الخدمة ويدخل في ذلك انتقال المواطن والمقيم من المملكة لممارسة أنشطة سياحية في دول أخرى ويترتب على هذا الالتزام عدم وضع قيود على سفر المواطنين والمقيمين بغرض السياحة
- التواجد التجاري وفي هذا البند ينتقل المورد من بلد المنشأ إلى دولة أخرى كأن يقوم بإنشاء فندق في المملكة، ويحظى هذا الشكل بدرجة تحرير عالية في أغلب الدول رغبة منها في جذب الاستثمارات.

• تواجد الأشخاص الطبيعيين، ويتمثل في الانتقال المؤقت للعاملين من الدول الأعضاء للعمل في الشركات السياحية مثل انتقال المرشدين السياحيين^(٣١)

التزامات المملكة بالأنشطة السياحية

لم تقدم المملكة أي التزامات لتحرير بعض القطاعات المرتبطة بالسياحة، وقد قدمت التزامات بعدم تقييد نفاذ الموردين الأجانب إلى أسواق الخدمات السياحية وكذلك التزامات بمعاملة الموردين الأجانب معاملة وطنية في القطاعات الرئيسية وتشمل هذه الالتزامات الأشكال الثلاثة الأولى للتوريد، وهي التوريد عبر الحدود، الاستهلاك الخارجي، التواجد التجاري. كما قدمت التزامات مماثلة في قطاعات مرتبطة بالسياحة، والاستثناء الرئيس هو قطاع وكلاء السفر الذي هو قيد النفاذ للسوق المحلي عبر الشكل الثالث للتوريد (التواجد التجاري) بشرط اختيار الحاجات الاقتصادية الذي يعني تقييد النفاذ للسوق المحلي بمدى الحاجة لدخول مورد خدمة جديد للسوق. كما أن المملكة اتخذت موقفا متحفظا فيما يتعلق بتواجد الأشخاص الطبيعيين بهدف توفير فرص أفضل لتوظيف المواطنين في جميع قطاعات الخدمات ومن بينها السياحة.

آثار انضمام المملكة لمنظمة التجارة على قطاع السياحة

سيؤدي فتح سوق خدمات السياحة للمنشآت الأجنبية إلى توفر الخدمات كما وكيفا بسبب المنافسة العالمية، كما سيتم نقل التقنية وتطويرها مع دخول المنشآت الأجنبية المتطورة. فقطاع السياحة في المملكة قطاع حديث وناشئ، لذلك فإن قدرته على مواجهة المنافسة الخارجية تتطلب دعما حكوميا لمبادرات الهيئة العليا للسياحة خاصة في تحسين بيئة الاستثمار، وتنمية الموارد البشرية

٣١ - ورقة عمل - تحرير تجارة الخدمات السياحية في ظل التزامات المملكة باتفاقية منظمة التجارة: الهيئة العليا

للسياحة، موقع الهيئة العليا للسياحة على الانترنت ، <http://www.scta.gov.sa>

العاملة في قطاع السياحة، ويأتي في مقدمة هذه المبادرات تحفيز شركات التنمية السياحية لتجهيز المواقع السياحية، إضافة إلى توعية رجال الأعمال والمستثمرين في الأنشطة السياحية بانعكاسات انضمام المملكة لمنظمة التجارة العالمية على قطاع السياحة والتنسيق معهم لتحسين فرص نفاذ الخدمات السياحية الوطنية للأسواق العالمية وفي المقابل فإن تزايد نفوذ موردي الخدمات الأجانب في سوق الخدمات السياحية المحلية قد يؤدي في بعض الحالات إلى هيمنة أجنبية على بعض القطاعات السياحية. كما أن تحرير القطاعات الأخرى خاصة القطاع المالي والاتصالات يساعد على نمو القطاع السياحي^(٣٢)

قطاع خدمات التوزيع وخدمات البيع بالوكالة وتجارة الجملة والتجزئة

برزت ظاهرة الوكالات في منطقة الخليج العربي نتيجة لتزايد واردات دول المنطقة التي صاحبت الطفرة النفطية خلال السبعينات والثمانينات من القرن الماضي، حيث أقبلت دول المنطقة على تنظيم الوكالات التجارية بقصد وضع القواعد التي تكفل حسن أداء الوكلاء لواجباتهم، وحماية المستهلكين، وحماية حقوق الوكلاء والشركات الأصلية الموكلة. وتعتبر الوكالات التجارية ظاهرة مميزة لقطاع الأعمال بدول مجلس التعاون الخليجي، حيث برزت كبرى الشركات التجارية من خلال تمثيل الشركات العالمية واستيراد منتجاتها للأسواق المحلية، مستفيدة من نظام الوكالات التجارية. ويهدف نظام الوكالة التجارية إلى إدخال سلعة أو خدمة في سوق معين، أو إلى تنشيط وترويج سلعة معينة موجودة أصلاً في السوق، وهي بذلك تساهم في تنمية الاقتصاد الوطني، وخلق فرص عمل جديدة بإنشاء الفروع والمراكز التجارية وورش الصيانة، ومخازن قطع الغيار، كما أنها تشجع المنافسة في السوق.^{٣٣}

٣٢ موقع الهيئة العليا للسياحة. المرجع السابق

٣٤ - طارق الزهد، مستقبل الوكالات التجارية بالمملكة في ظل التطورات التجارية الدولية، وأحمد منير فهمي،

الوكالات التجارية في النظام السعودي، مجلس الغرف السعودية، الرياض، 1985.

وبالرغم من ما تحقق من انجازات في قطاع خدمات التوزيع في السوق السعودي، إلا أن هناك بعض المعوقات تعترض نشاط الوكلاء باعتبارهم ممثلين للشركات ، إذ يجد هؤلاء الوكلاء في كثير من الأحيان أنفسهم مضطرين لمواكبة النمو الذي أحدثته الشركة الأم، في منتجاتها، مما يستوجب إجراء تغييرات في الهياكل الإدارية والتسويقية للوكالات التجارية. وقد لا تدرك في بعض الأحيان الشركة الأم الجهود التسويقية الضخمة التي تبذل من جانب الوكيل المحلي، خاصة عندما يكون المنتج جديدا في الأسواق، مما يتطلب حملة تسويقية كبيرة من أجل التعريف به، وربما تساهم الشركات الأم في تكاليف هذه الحملة بنسبة طفيفة لا تتجاوز في أحسن الحالات الـ ٣٪. بالإضافة إلى عدم إدراك المانحين لطبيعة السوق والمنافسة الموجودة من الشركات الأخرى.

آثار انضمام المملكة لمنظمة التجارة على قطاع خدمات التوزيع

يعتبر قطاع خدمات التوزيع وخدمات البيع بالوكالة وتجارة الجملة والتجزئة من أهم الأنشطة التجارية في اتفاقية تجارة الخدمات في منظمة التجارة العالمية، و يحتوي على أربعة أنشطة رئيسية هي: نشاط الوكالات التجارية، نشاط التوزيع بالجملة، نشاط التوزيع بالتجزئة، نشاط التوزيع عن طريق استخدام الاسم التجاري الأصلي.

وبعد انضمام المملكة العربية السعودية لمنظمة التجارة العالمية تعهدت المملكة بفتح أنشطة التوزيع بالجملة والتجزئة واستخدام الاسم الأصلي للاستثمار الأجنبي ضمن ضوابط وشروط تحمي الأسواق السعودية من المنافسة في هذا القطاع. وقد أتاح هذا التعهد للأجانب حق الاستثمار في أنشطة التوزيع لكافة السلع بالجملة والتجزئة، في ضوء اتفاقية منظمة التجارة العالمية التي حددت الضوابط والشروط بالنسبة للمستثمرين الأجانب في المملكة العربية السعودية، وفق النقاط التالية:

أولاً: يتم توزيع المنتجات الأجنبية داخل السعودية من خلال شركات مختلطة (سعودية أجنبية) ونسبة استثمار أجنبي لا تزيد عن ٥١٪، فور انضمام المملكة لمنظمة التجارة العالمية، قابلة للزيادة إلى ٧٥٪ بعد ثلاث سنوات من الانضمام. وقد تعهدت المملكة بتطبيق 58 التزاماً، وحصلت على ٥٩ استثناء، ومن أهم هذه الالتزامات تطبيق اتفاقيات المنظمة متعددة الأطراف.

ثانياً: أن لا يقل الحد الأدنى للاستثمار الأجنبي في هذه الأنشطة عن ٢٠ مليون ريال، وأن لا يزيد عدد مراكز التوزيع عن مركز واحد في كل حي كحد أقصى.

ثالثاً: أن يلتزم المستثمر الأجنبي بتوظيف نسبة لا تقل عن ٧٥٪ من المواطنين السعوديين من إجمالي الموظفين العاملين في شركته، وأن يقوم بتدريب ١٥٪ منهم سنوياً^(٣٤).

و في ضوء تلك الشروط نجد أن الوكالات التجارية بالمملكة العربية السعودية لن تكون بمنأى عن تداعيات الانضمام لمنظمة التجارة العالمية سلباً أو إيجاباً، شأنها شأن جميع الأنشطة الاقتصادية الأخرى، إلا أن الوكالات التجارية المرتبطة بخدمات ما بعد البيع، وما تحتاج إليه من استثمارات ضخمة سيجعلها أقل تأثراً من غيرها من الوكالات التي لا تمارس خدمات ما بعد البيع، وفي كل الأحوال تنتهج الشركات الكبرى المنتجة مبدأ الاعتماد المتبادل، بحيث يكون لها وكلاء يقومون بالعمليات التسويقية لمنتجاتها.

نظام الوكالات التجارية بالمملكة بين الإلغاء والإبقاء

هناك اختلاف في وجهات النظر حول نظام الوكالات التجارية في المملكة ، فالبعض يرى إلغاءه، بينما يرى آخرون إبقاءه. فالذين يريدون إلغائه يرون أنه يخالف المبادئ الرئيسة لمنظمة التجارة العالمية، حيث إن الانضمام لعضوية

المنظمة يعني من الناحية النظرية السماح للشركات الأجنبية دخول الأسواق السعودية دون الحاجة إلى وكيل سعودي، إقراراً لمبدأ النفاذ للأسواق دون تمييز. وعملياً فنظام الوكالات التجارية منذ صدوره لم يطله التغيير، كما طال غيره من الأنظمة والتشريعات التجارية الأخرى . فقد أصدرت المملكة العربية السعودية في السنوات القليلة الماضية ما يقرب من (٤٢) نظاماً في جميع المجالات التجارية والمالية والاستثمارية والاقتصادية، وكان لها بالغ الأثر في تسهيل مسيرة الانضمام للمنظمة، و كان من متطلبات الانضمام تعديل البنية التشريعية لتتلاءم مع طبيعة المنظمة ومبادئها، ولم يكن من ضمنها نظام الوكالات التجارية، بل إن جميع دول الخليج العربي التي سبقت المملكة في الانضمام للمنظمة هي بدورها لم تعدل قوانين الوكالات التجارية، إلا أن ذلك لا يعني أن الموضوع تم تجاوزه و لن يثار مستقبلاً، فموضوع الوكالات التجارية يمكن أن يبرز بمجرد وصول قضية واحدة إلى هيئة حسم المنازعات التجارية بالمنظمة من أحد الدول الأعضاء ضد السعودية.^{٣٥}

كما أنه وفي ظل عدم نشر كامل الاتفاقيات الموقعة بين المملكة والمنظمة والدول الأعضاء، فإن عقود الوكالات التجارية الحالية مع الوكلاء المحليين السعوديين ستستمر دون تعديل، لأنها عقود تبرم بين أفراد وشركات وليست دولاً، خاصة في ظل عدم تعديل نظام الوكالات التجارية الحالي. أما الشركات الأجنبية التي ترغب في تسويق منتجاتها في السوق السعودي وليس لها ارتباطات تعاقدية مع وكلاء سعوديين فمن وجهة نظر المنظمة ومبادئها سيكون لها الخيار بين التسويق المباشر لمنتجاتها في الأسواق السعودية من غير وكلاء، أو التعاقد مع وكلاء محليين لتسويق منتجاتهم، لذا يمكن أن تعرض القضية على المنظمة للمطالبة بذلك عن طريق الدولة التي تنتمي إليها. بينما يرى البعض

٣٥ - محمد بن عبد الله السهلي، بعد انضمام السعودية إلى «التجارة العالمية»: الوكالات الحصرية في خطر <http://www.al-majalla.com/ListNews.a...21&&Ordering>

أن الشركات الأجنبية كثيراً ما تفضل التسويق في الدول النامية عن طريق وكلاء محليين لديهم معرفة جيدة بالأسواق . إضافة إلى ذلك يرى بعض أصحاب الوكالات التجارية أن إلغاء هذه الوكالات التجارية سيصب في مصلحة المستهلك السعودي لأن من المتوقع انخفاض أسعار هذه السلع، حيث إن الوكيل يتقاضى عمولة من بيع وتوزيع تلك المنتجات داخل المملكة، وهذه العمولة ترفع أسعار السلع. إلا أن هذا العامل لا يؤخذ في حسابان الشركات الأجنبية دائماً، مادام أن حجم المبيعات والأرباح مرض لها.

وهناك رأي لدى بعض وكلاء الشركات العالمية في السوق السعودي مخالف للرأي الأول، يرى عدم وجود مبررات كافية لإلغاء نظام الوكالات التجارية، في ظل أي ظرفٍ حتى بعد الانضمام لمنظمة التجارة العالمية، لعدة اعتبارات، من أهمها: أن نظام الوكالات التجارية ينظم العلاقة بين الوكيل المحلي والموكل الأجنبي، ويحدد حقوق الطرفين من خلال عقود الوكالات التجارية ويخدم رعاية المصالح الوطنية، وحماية المستهلك، حيث يدعم الوكلاء جهود الجهات الرقابية والتنفيذية لكونهم حلقة الاتصال بين المنتجين والمستهلكين، إلا أن هذا النظام قد يحتاج إلى إدخال بعض التعديلات ليتواءم مع شروط الانضمام للمنظمة إذا لم يكن قد تم (استثناؤه) وفقاً لاتفاقية الخدمات، حيث اقتصر نشاط الوكالات التجارية على السعوديين والشركات ذات رأس المال السعودي الخالي من أي شراكة أجنبية، وعلى كل من هو مقيد في السجل التجاري فقط. كما أن للوكالات التجارية عامة وللوكالات الحصرية فوائد متعددة، فهي تحقق مصالح المستهلكين ورجال الأعمال ، وتتيح فرص العمل لآلاف الشباب ، ومن المتوقع وبعد انضمام المملكة إلى اتفاقية منظمة التجارة العالمية، أن تستمر أهمية الوكالات التجارية وليس إلى كسادها، حيث ستستمر حاجة الشركات والمصانع الأجنبية للوكلاء الوطنيين الذين لديهم الخبرة الدقيقة بالأسواق، وهو أمر لا يتوفر للشركات الأجنبية، لذلك يتوقع أن

يساهم نشاط الوكالات التجارية في تحسين سوق العمل وزيادة دخل أصحاب هذه الوكالات وبالتالي زيادة الدخل القومي.

إضافة إلى ذلك فإن تجربة الوكيل تعتبر مفيدة للمستهلك لأنها تضمن له خدمة جيدة من ناحية توفر قطع الغيار وأعمال الصيانة والدعم الفني للمنتج. و أن مثل هذه الخدمات خاصة خدمات ما بعد البيع لا تتوفر إلا بنظام الوكالة، لذلك ، فإن ما حدث من دخول مكثف للعديد من المنتجات - من الصين وبعض دول شرق آسيا للسوق السعودي - لم تستطع منافسة الماركات العالمية المعروفة لأنها تركز على الجودة بالدرجة الأولى. لذلك يتوقع أن يكون تطبيق اتفاقية منظمة التجارة العالمية و انضمام السعودية، في صالح الشركات العاملة بنظام الوكالة، و أن تأثيرها سيكون ايجابيا وليس سلبيا، نظرا لتسابق الشركات العالمية نحو شركاء مؤهلين لهم حضور في السوق السعودي، و سيكون هذا التوجه في مصلحة السوق والمستهلك معا لأن المنافسة ستؤدي إلى الإتقان و التركيز على الجودة وتطوير الخدمات.

قطاع خدمات الاتصالات

يساهم قطاع الاتصالات وتقنية المعلومات بالمملكة العربية السعودية ، بنسبة مقدرة في الناتج المحلي الإجمالي للمملكة، ويأتي ترتيبه من حيث الأهمية بعد النفط، لذلك أولته الحكومة اهتماما متزايدا للارتقاء بأدائه ، من خلال السعي الجاد لبناء مجتمع معلوماتي يتميز بشكل أساسي بإنتاج المعلومات ومعالجتها، والعمل على انتشارها، باستخدام برامج اتصالات متطورة ونظم تقنية معلومات متقدمة.

وتتوجها لجهود الحكومة في تطوير هذا القطاع، الذي يشهد نموا وتطورا كبيرا، تم إعداد الخطة الوطنية للاتصالات وتقنية المعلومات، التي اشتملت على رؤية مستقبلية لقطاع الاتصالات وتقنية المعلومات، وسبعة أهداف عامة، إضافة إلى الخطة الخمسية الأولى للاتصالات وتقنية المعلومات، التي اشتملت

على ستة وعشرين هدفاً ، واثنين وستين سياسة تنفيذية، وثمانية وتسعين مشروعاً.

وتتكون الخطة الوطنية للاتصالات وتقنية المعلومات من محورين رئيسيين هما: (١) رؤية مستقبلية للاتصالات وتقنية المعلومات في المملكة، (٢) الخطة الخمسية الأولى للاتصالات وتقنية المعلومات في المملكة.

وتشتمل الرؤية المستقبلية للاتصالات وتقنية المعلومات على أهداف عامة، في حين تعمل الخطة الخمسية الأولى على التقدم نحو الرؤية المستقبلية للاتصالات وتقنية المعلومات. وتم بلورة سبعة أهداف رئيسية عامة لتخدم الرؤية المستقبلية، بغية تطوير الخدمات العامة، والرفع من إنتاجية القطاعات الأخرى، بالشكل الذي يؤدي إلى زيادة الناتج المحلي الإجمالي، ويحقق زيادة الرفاهية في المجتمع، علماً بأن جميع الأهداف تركز على تنظيم قطاع الاتصالات وتقنية المعلومات بشكل عادل ومتوازن وجاذب للاستثمارات، بما في ذلك توفير الدعم اللازم للبنية التحتية، وتشجيع الإبداع والتطوير لتنويع مصادر الدخل القومي، الذي يؤدي بدوره ، إلى دعم النمو الاقتصادي الذي تشهده المملكة العربية السعودية، والعمل على تحقيق التنمية المستدامة، من خلال توليد فرص عمل جديدة في سوق العمل، والرفع من كفاءة التعليم والتدريب، إضافة إلى إعداد الكوادر الوطنية المؤهلة للإسهام في التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

تهدف الرؤية المستقبلية بعيدة المدى للاتصالات وتقنية المعلومات في المملكة العربية السعودية، إلى تضييق الفجوة بين شرائح المجتمع السعودي المختلفة، من خلال تمكينهم من الوصول إلى خدمات الاتصالات وتقنية المعلومات ببسر وسهولة وبتكاليف معقولة، إضافة إلى تعزيز الهوية الوطنية والانتماء الوطني ودعم انتشار اللغة العربية وتعزيز رسالة الإسلام الحضارية.

إضافة إلى رسم الخطة الخمسية لتطوير هذا القطاع، التي كللت بالنجاح إلى حد كبير. ولعل خير شاهد على ذلك النجاح، ما أشارت إليه تقارير صادرة

عن هيئة الاتصالات وتقنية المعلومات السعودية من نمو كبير وواضح في مؤشرات انتشار خدمات الاتصالات وتقنية المعلومات خلال وقت قصير ، حيث شهدت خدمة تقنية الاتصال المتنقل نمواً كبيراً خلال السنوات القليلة الماضية، من حيث الانتشار، وزيادة أعداد المشتركين، حيث ارتفعت نسبة الانتشار لتتجاوز ٨١ %، بينما ارتفع عدد المشتركين ليصل إلى نحو ١٩.٦ مليون مشترك في نهاية عام ٢٠٠٦. وبالنسبة لخدمة اتصال الإنترنت، فقد نمت هي الأخرى وفق تقديرات عدد المستخدمين من نحو مليون مستخدم في عام ٢٠٠١، إلى نحو ٤.٧ مليون مستخدم في نهاية عام ٢٠٠٦، بنسبة انتشار بلغت نحو ١٩.٦ %، وبمتوسط نمو تجاوز ٣٦ % سنوياً خلال الأعوام الخمسة الماضية.

التحديات التي تواجه قطاع الاتصالات

حقق قطاع الاتصالات وتقنية المعلومات في المملكة، نجاحاً وتقدماً ملحوظاً خلال السنوات القليلة السابقة، تجسيدا لتطلعات الرؤية المستقبلية لتنميته وتطويره، وتنفيذا لموجبات الخطة الخمسية الأولى. فالحكومة السعودية تعول كثيراً على هذا القطاع في المستقبل القريب ، ويتوقع وصول مبيعات منتجات الاتصالات وتقنية المعلومات المطورة محلياً إلى خمسة مليارات ريال سعودي، وكذلك زيادة الاستثمارات المحلية والأجنبية فيه إلى أكثر من ٣٠ مليار ريال ، وزيادة عدد الوظائف ، لتصل إلى أكثر من ٣٠ % من إجمالي عدد الوظائف العامة، مما يسهم بشكل فاعل في تقليل نسبة البطالة في سوق العمل، وتوفير فرص عمل للنساء.

وبالرغم من اهتمام الدولة بهذا القطاع، فلا تزال هناك العديد من التحديات التي تواجه نموه، من بينها ، عدم تناسب أو اتساق مستوى الخدمات من حيث الجودة والتنوع والتعددية، بما في ذلك مستوى الأسعار ونسبة الانتشار، وعدم التوافق مع المعايير الدولية، وكذلك عدم توافر آلية متابعة لتنفيذ البرامج والمشاريع، والعمل على إيجاد مؤشرات لمقارنة التحول إلى

مجتمع معلوماتي، إضافة إلى عدم الهيكلية المعلوماتية المناسبة للمنشآت، وكذلك عدم توفير البنية التشريعية والتنظيمية والقانونية الكفيلة بجذب الاستثمارات المحلية والأجنبية على حد سواء، وكذلك جهل المجتمع بالاستخدامات المثلى لتقنيات الاتصالات المختلفة بالشكل الذي يحقق الهدف المنشود، وتجنب سوء الاستخدام.

آثار انضمام المملكة العربية على قطاع خدمات الاتصالات

يعتبر قطاع الاتصالات من أهم القطاعات الخدمية التي تحتاج إلى استثمارات كبيرة وتقنيات متقدمة يمكن استقطابها من خلال الاستثمار الأجنبي ، فهو يشتمل على ١٨ نشاطا فرعيا. لذلك طالبت بعض الدول الأعضاء في المنظمة بفتحه للاستثمار الأجنبي فور انضمام أي دولة للمنظمة، بنسبة استثمار أجنبي ٤٩ % ،على أن ترتفع هذه النسبة تدريجيا لتصل ١٠٠ %، علما بان بعض الدول الأعضاء التي انضمت حديثا للمنظمة مثل: الصين والأردن وعمان وافقت على فتح هذا القطاع بنسبة استثمار أجنبي تتراوح بين ٥١% و ١٠٠%. لذلك وافقت المملكة على فتح هذه الأنشطة للاستثمار الأجنبي طبقا للشروط والقيود التي وافقت عليها الدول الأعضاء في المنظمة.

يؤدي فتح هذا القطاع للاستثمار الأجنبي إلى تحقيق فرص استثمارية جديدة، في السوق السعودي، وزيادة تدفق الاستثمارات الأجنبية المباشرة، وارتفاع إيرادات الخزانة العامة للدولة، وزيادة نموه أفقيا وراسيا، وتوفير المزيد من فرص التوظيف والتدريب، وتوطين وتطوير خدمات وصناعة الاتصالات وتقنية المعلومات، إضافة إلى زيادة المنافسة التي تؤدي إلى تقديم خدمات أفضل بتكاليف أقل، وبالتالي زيادة رفاهية المواطن وتعزيز جدوى وكفاءة المشاريع الخدمية والإنتاجية في القطاعات الاقتصادية المستخدمة لهذا القطاع.

إن التزامات المملكة العربية السعودية تتلخص في قطاع الاتصالات في السماح للشركات الأجنبية للاتصالات بتقديم خدماتها عبر الحدود، وتبني تشريعات

جديدة حول الوجود التجاري بصورة تدريجية ليتم السماح برفع سقف الملكية الأجنبية لرأس المال إلى ٧٠ ٪ في نهاية ٢٠٠٨م، وتشمل هذه الالتزامات خدمات الاتصالات الأساسية، والقيمة المضافة و خدمات الاتصالات الأخرى بأي وسيلة من وسائل التكنولوجيا، والموافقة على تضمين الالتزامات بورقة إضافية مرجعية صادرة من منظمة التجارة العالمية تشجع المنافسة في مجال الاتصالات، وإصدار مجموعة تشريعات لمنع شركة الاتصالات من القيام بأي ممارسات احتكارية. كما التزمت المملكة العربية السعودية بتطبيق الورقة بشكل شمولي بحيث تؤسس الورقة مرجعية قانونية للالتزامات المملكة العربية السعودية في قطاع الاتصالات .

كما أن انضمام المملكة العربية السعودية لمنظمة التجارة سيحرر قطاع خدمات السمعية والبصرية، ومن المجالات التي تم تحريرها في هذا القطاع خدمات توزيع الأفلام، وأفلام الفيديو بما فيها أشرطة الفيديو، وأجهزة الفيديو المشفرة رقمياً، وخدمات الإنتاج والتوزيع الإذاعي والتلفزيوني من إنتاج البرامج الإذاعية والتلفزيونية وتوزيعها وترخيص برامج الراديو والتلفزيون، سواء كانت هذه البرامج حية أو مسجلة، أو على تسجيلات عادية، أو رقمية مشفرة بالفيديو للبت بواسطة الأقمار الصناعية للبت التلفزيوني، أو بواسطة الأسلاك، أو بوسائل أخرى، ويشمل ذلك جميع البرامج والقنوات الخاصة بالبرمجة، سواء كانت لأغراض التسلية المنزلية أو لأغراض الترويج، أو أنها تنتج بشكل اعتيادي في استوديوهات التلفزيون^(٣٦).

٣٦ الجودة وتراجع التكلفة يقودان «قطاع الاتصالات» في المملكة إلى مراكز متقدمة عالمياً، دراسة منتدى الرياض الاقتصادي الثاني، الرياض

خاتمة

إن انضمام المملكة لمنظمة التجارة العالمية وما يصاحبه من تحرير قطاع الخدمات بمستوياته المختلفة، يتطلب قدراً من رعاية الدولة واهتمامها، إضافة إلى تضافر مؤسسات القطاع الخاص، ومن أهم الخطوات التي يقترحها فريق البحث لرعاية هذا القطاع ما يلي:

- الاهتمام بتطوير الخدمات القطاعية بمختلف مستوياتها وتطبيقاتها العملية بما يتماشى مع أنظمة وقوانين منظمة التجارة العالمية، دون المساس بثوابت وقيم المجتمع السعودي.
- ضرورة إعداد الكوادر المتخصصة، والحرص على بناء القدرات الوطنية من خلال التعاون مع مراكز البحوث المعنية بتطوير قطاعات الخدمات المختلفة كالتعليم والصحة والاتصالات وغيرها من القطاعات والدخول في شراكات معها بغرض تطوير هذه القطاعات من خلال إجراء البحوث والدراسات المشتركة وإقامة الدورات التدريبية.
- ضرورة الإسراع في تطوير الأنظمة والقوانين ذات الصلة بقطاع الخدمات، لتكون منسجمة مع الأنظمة والقوانين الدولية، وهذا من شأنه أن يساهم في إيجاد بيئة قانونية سليمة تساهم في معالجة كافة الإشكاليات القانونية التي يمكن أن تعيق من تقدم قطاع الخدمات.
- تطوير قدرات المتخصصين والجمعيات المهنية والأكاديمية؛ لتكون بمثابة بيوت خبرة تساهم في إعداد الكوادر المؤهلة، وتقديم المشورة والدعم الفني؛ لتعزيز قدرتها على الارتقاء بخدماتها، والالتزام بمعايير الجودة، ولتعزيزها على الصمود في وجه المنافسة القادمة.
- ضرورة الإسراع بنقل وتوطين التقنية، من خلال جذب المزيد من الاستثمار الأجنبي حيث تحتل التقنية دوراً حاسماً في زيادة الإنتاجية، مما ينعكس مباشرة على المقدرة التنافسية للمنتجات بمختلف أنواعها.

الخلاصة

قدمت الدراسة تعريفا مختصرا لمنظمة التجارة العالمية من حيث النشأة والأهداف والهيكل التنظيمي وآلية اتخاذ القرار فيها ، فهي تهدف إلى تحرير التجارة الدولية عبر إيجاد نظام تجاري دولي متعدد الأطراف، يعتمد على قوى السوق، من خلال إزالة القيود التي تمنع تدفق حركة التجارة بين الدول عبر ثلاثة قطاعات هي: قطاع السلع، وقطاع الخدمات، وقطاع الجوانب المتصلة بالتجارة من حقوق الملكية الفكرية.

تعرضت الدراسة لانضمام المملكة العربية السعودية لمنظمة التجارة العالمية من حيث الفرص والتحديات، وبالرغم من أن الانضمام للمنظمة جاء متأخرا، وأدى إلى زيادة أعباء الانضمام، وتفاقم شروط ومتطلبات العضوية، إلا أنه حمل بين طياته العديد من المكاسب والفرص ، مقابل العديد من التحديات. فقد أتاح للمملكة فرصة العمل مع البلدان ذات الأهداف المشتركة وفي مقدمتها الدول النامية، واستخدام وزنها في توجيه مسار التجارة العالمية لصالحها قدر الإمكان. كما أنه فتح آفاقاً جديدة أمام الصادرات السعودية من السلع والخدمات، إضافة إلى تحسين مناخ الاستثمار في الأنشطة الخدمية. كما تعرضت الدراسة للاستثناءات التي حصلت عليها المملكة من جراء انضمامها لمنظمة التجارة العالمية.

ركزت الدراسة بشي من التفصيل على الآثار الاقتصادية لانضمام المملكة العربية السعودية على قطاع الخدمات، والفوائد الناتجة عن تحرير هذا القطاع، المتمثلة في رفع كفاءة أدائه ، وخفض تكاليف الإنتاج، وتيسير الحصول على خدمات جديدة ومتميزة، من خلال وسائل الاتصال المتعددة. كما أشارت إلى التحديات التي تواجهها المتمثلة في عدم توفر العمالة الوطنية المدربة وضعف نظام التحكيم التجاري ، وتأخير إنفاذ الأحكام والقرارات، وقلة الدراسات

الاقتصادية التي تبين نقاط القوة والضعف في الأسواق المحلية المفتوحة للاستثمار الأجنبي.

كما تناولت الدراسة التزامات المملكة في قطاع الخدمات من خلال تناول الالتزامات في أحد عشر قطاعاً منها: قطاع حقوق الملكية الفكرية، وقطاع الزراعة، وقطاع الطاقة. إضافة إلى مناقشة المكاسب التي ستعود على المملكة من جراء انضمامها لمنظمة التجارة، بجانب التكاليف التي يرى البعض بأنها أكبر بكثير من المكاسب.

وفي الختام تناولت الدراسة بشيء من التفصيل الآثار الاقتصادية لانضمام المملكة العربية السعودية لمنظمة التجارة على بعض القطاعات الخدمية، كالقطاع المالي، - وأهم التحولات التي حدثت فيه بعد الانضمام للمنظمة من حيث التوسع في تمويل القطاع الخاص -، وقطاع التعليم، وقطاع السياحة، إضافة إلى قطاع خدمات التوزيع وخدمات البيع بالوكالة وتجارة الجملة والتجزئة. كما خلصت الدراسة إلى بعض المقترحات التي يمكن أن تساهم مع غيرها في تحسين قطاع الخدمات.

المراجع

- الأمم المتحدة. تقرير الاستثمار العالمي، ٢٠٠٩.
- الجبالي، عبد الفتاح. دورة أورجواي والعالم الثالث، حساب الربح والخسارة، مجلة السياسة الدولية، العدد ١١٨، أكتوبر، ١٩٩٤.
- الجرف، محمد سعدو. ١٠١ سؤال حول انضمام المملكة إلى منظمة التجارة، معهد المحترفون، ١٤٢٧هـ.
- الجرف، محمد سعدو. العولمة ومعايير العمل الدولية. جامعة المنصورة، ٢٠٠٢/٣/٢٧.
- الجرف، محمد سعدو. ١٠١ سؤال حول انضمام المملكة العربية السعودية لمنظمة التجارة العالمية. دار الخزامي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٦.
- الحربي، محمد بن محمد. الموائمة بين مخرجات التعليم العالي واحتياجات سوق العمل بالمملكة العربية السعودية، جامعة الملك سعود الرياض. د. ت
- حسني، فواز بن عبد الستار العلمي. تجارة الخدمات وآثارها المتوقعة على الاقتصاد السعودي، ورقة مقدمة لندوة الرؤية المستقبلية للاقتصاد السعودي وزارة التخطيط، الرياض ١٣ - ١٧/٨/١٤٢٣ الموافق ١٩ - ٢٣ أكتوبر، ٢٠٠٢.
- الخليل، سعد بن عبد الله الخليل. عودة إلى فضاءات، جريدة الوطن، ٢٠٠٨م.
- السبيهي، علي بن عبد الرحمن. أسواق التأمين في المملكة والدول العربية والخليجية، دراسة غير منشورة، ٢٠٠٦.
- الزهد، طارق . مستقبل الوكالات التجارية بالمملكة في ظل التطورات التجارية الدولية ، دن، د. ت.
- سنيور، خالد بن عبد الله. منظمة التجارة العالمية وآثارها على الاقتصاد المصري السعودي: دراسة ميدانية علي اتجاهات آراء الإدارة العليا بالبناوك السعودية، رسالة ماجستير، كلية الاقتصاد والإدارة، جامعة الملك عبد العزيز جدة، ١٤٢٣هـ.

- السهلي، محمد بن عبد الله، بعد انضمام السعودية إلى «التجارة العالمية» الوكالات الحصرية في خطر
- الشايح، شايح بن علي. انضمام المملكة إلى اتفاقية باريس لحماية الملكية الصناعية، وأثره في حماية الاختراعات والابتكارات، اللقاء الثالث للمخترعين السعوديين، جدة، ١٤٢٥هـ.
- صلاح، أحمد بن حبيب. الآثار الاقتصادية المتوقعة لانضمام المملكة لمنظمة التجارة العالمية، وزارة التخطيط، الرياض ٢٠٠٥.
- عبد الله، مصطفى. الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة وأثرها على الاقتصاديات العربية، مجلة الفكر السياسي، العدد ٢، ١٩٩٨.
- العبد المنعم، عبد المنعم بن إبراهيم. السعودية ومنظمة التجارة العالمية، متى النهاية؟ مجلة اقتصاديات، السنة الأولى، العدد الثاني، يناير ٢٠٠٤.
- عثمان، أسامة أحمد. الآثار المتوقعة لانضمام المملكة إلى منظمة التجارة، ٢٠٠٦.
- العسكر، عبد الله إبراهيم. المملكة ومنظمة التجارة العالمية، جريدة الرياض، ٢٠٠٥ / ١١ / ١٦.
- العيسوي، إبراهيم. الغات وأخواتها، النظام الجديد للتجارة العالمية ومستقبل التنمية العربية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٥.
- فهمي، أحمد منير. الوكالات التجارية في النظام السعودي، مجلس الغرف السعودية، الرياض، ١٩٨٥.
- القضاة، موسى مصطفى. التأمين التكافلي بين دوافع النمو ومخاطر الجمود، ورقة مقدمة للملتقى التأمين، الهيئة الإسلامية العالمية للتمويل بالتعاون مع البنك الإسلامي للتنمية، الرياض، ٢٣ - ٢٥ محرم، ١٤٣٠هـ.
- اللقمانى، سمير. منظمة التجارة العالمية: آثارها السلبية والايجابية على أعمالنا الحالية والمستقبلية بالدول الخليجية والعربية، ٢٠٠٤.

- مجلة اتحاد المصارف العربية، تقرير مجلس الغرف السعودية، ستة تحديات أمام القطاع المصرفي السعودي. العدد سبتمبر، ٢٠٠٩.
- المديرس، عبد الرحمن بن إبراهيم. أثر انضمام المملكة العربية السعودية إلى منظمة التجارة العالمية على المنشآت الاقتصادية في المملكة، حلقة نقاش انضمام المملكة العربية السعودية إلى منظمة التجارة الدولية، وانعكاساتها الجغرافية والاقتصادية والتربوية، ٢٠٠٦.
- ملا، نبيل بن أمين. منظمة التجارة العالمية والاتفاقيات المنبثقة عنها المتعلقة بالتقييس، جدة، ١٩٩٦.
- مؤسسة النقد العربي السعودي، التقرير الإحصائي السنوي، ٢٠٠٧.
- ناصر، إبراهيم بن ناصر. منظمة التجارة العالمية وآثارها الثقافية، وموقف المملكة منها، ١٤٢٧هـ.
- اللجنة المشرفة على منتدى الرياض الاقتصادي الثاني، الملخص التنفيذي لدراسة جاهزية القطاع الخاص للانضمام لمنظمة التجارة العالمية. المواقع الالكترونية
- موقع منظمة التجارة العالمية على الشبكة العنكبوتية النسخة. العربية
www.wtoarab.org/ArabicCountry_Members.aspx
- موقع وزارة التجارة والصناعة بالمملكة العربية السعودية على الشبكة العنكبوتية
www.commerce.gov.sa ٢٠٠٩
- موقع وزارة التعليم العالي على الانترنت
www.mohe.gov.sa/ar/studyinside/GovernmentUniversities
- موقع هيئة سوق المال على الشبكة الالكترونية
http://www.cma.org.sa/cma_ar/
- موقع الهيئة العليا للسياحة <http://www.scta.gov.sa>،
موقع
- <http://www.al-majalla.com/ListNews.a...21&&>

**بلاغة القرآن وآدابه الرفيعة
في حديثه عن الخصوصيات
الزوجية والممارسات الجنسية**

الدكتور/ رشيد منصور الصباحي

أستاذ التفسير (المساعد)

كلية الآداب - جامعة اب

قسم الدراسات الإسلامية وعلوم القرآن



(AUST)

بلاغة القرآن وآدابه الرفيعة في حديثه عن الخصوصيات الزوجية والممارسات الجنسية

أولاً : ملخص البحث :

دار البحث حول بلاغة القرآن وآدابه الرفيعة في حديثه عن الخصوصيات الزوجية ، والممارسات الجنسية ، حيث تبين من خلال جميع آيات الموضوع ودراساتها ، أن للقرآن الكريم منهجاً خاصاً ، وأدباً رفيعاً عالياً في تناوله القضايا التي تتعلق بخصوصيات الزوجين من نكاح ونحوه ، والمسائل المتعلقة بالممارسات الجنسية المحرمة ، له طريقة مميزة في عرض ذلك والحديث عنه تتميز عن كل كلام البشر ، وتعتبر الطريقة الأرقى والأسمى والأكثر تعظفاً في انتقاء الألفاظ، وصياغة الآيات وتحديد السياق ، تحقيقاً لقوله سبحانه : ﴿لَا يُجِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾^(١) حيث أكد البحث خلو القرآن الكريم – وخاصة آيات الموضوع – من كل لفظ قبيح تمجده الأسماع ، وتنفر منه الفطر السليمة ، وتآباه معاني القيم والحياء والعفة .

بل أثبت البحث استفاضة كلام الله الحكيم بكل ألفاظ الطهر والنقاء والسمو ، وهو يتحدث عن أخص خصوصيات الزوجين من جماع وملاعنة ، وغيرها ، ويتحدث عن فاحشة الزنى وفاحشة عمل قوم لوط، والحوادث الجنسية المتعلقة بقصة يوسف عليه السلام ، وكذا اتهام مريم وعائشة عليهما السلام بما لا يليق بهما .

ثانياً : مشكلة البحث (أهميته) وأسباب اختياره : -

تتضح أهمية البحث من خلال حاجة المجتمع المؤمن بالقرآن ، المهتدي به ، إلى معرفة منهج القرآن ووحى الرحمن في التعبير عن القضايا التي تمس العورات الجنسية ، وتعلق بالغرائز والشهوات ، ليلتمس كل متأدب بالقرآن ما أمكن من آدابه الرفيعة وقيمه العالية ، وأسلوبه الطاهر العفيف في تناوله لمسائل

(١) النساء آية (١٤٨).

الجنس وخصوصيات الزوجين ، التي لا يطلع عليها إلا خالقهما ، كما قال سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمٌ ﴾ ^(٢) وقال : ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٣) .

أما أسباب اختيار البحث فمن أهمها :

(١) غياب كثير من آداب المعاشرة الجنسية بين الزوجين في كثير من الديار والأسر .

(٢) فساد عدد من القنوات الفضائية وبرامجها ووسائل الإعلام والقائمين عليها بكشف العورات التي أمر الله بسترها ، وتعليل ذلك باسم الفن والمتعة والسياحة والجمال .

(٣) فشو الألفاظ القبيحة ، والمناظر الفاضحة ، في كثير من الأماكن والمؤسسات في العالم الإسلامي ، وانتشار بداءة القول ، واستمرار فحش اللسان حتى صار المنكر معروفاً .

ولهذا جاء هذا البحث لمعالجة هذه القضايا

ثالثاً : أهداف البحث :

(١) كشف ما في القرآن من أدب رفيع ، وتعبير بليغ ، وأسلوب عال في تناوله القضايا المستورة التي يتناسب معها التلميح دون التصريح ، والإشارة دون تفصيل العبارة ويظهر جمالها في إجمالها ، وإبداعها في طيها واختصارها وكنائتها .

(٢) تأكيد تميز كلام الله عن كلام البشر في القضايا الجنسية ، والخصوصيات الزوجية ، في غرفة النوم ، بل على فراش الزوجين وما يدور بينهما ، دون أن يثير حديث القرآن عن ذلك شيئاً من الغرائز الجنسية عند قارئه أو سامعه .

(١) الإسراء : ٩ .

(٢) البقرة : ١ .

٣) حمل الزوجين المسلمين والمجتمع المسلم بشكل عام على التأدب بآداب القرآن قولاً وفعلاً، بالتعفف في الكلمات الجنسية، والتستر في الممارسات الزوجية، والاهتداء بهدي القرآن.

رابعاً : منهج البحث : استخدام الباحث منهجاً علمياً في الموضوع كمايلي : -

- منهج الاستقراء والحصر لما أمكن من آيات الموضوع .
- منهج التصنيف للآيات حسب خطة البحث .
- منهج الدراسة التفسيرية لآيات البحث .
- منهج الاستنباط لما في آيات الموضوع من ذوق رفيع وأدب عالي في اختيار ألفاظها وصياغة عباراتها .

خامساً : خطة البحث اشتملت خطة بحث بلاغة القرآن وآدابه الرفيعة في حديثه عن الخصوصيات الزوجية والممارسات الجنسية على الباحث والمطالب التالية :

❖ المبحث الأول : تعريفات ومصطلحات :

المطلب الأول : المقصود ببلاغة القرآن .

المطلب الثاني : المقصود بآداب القرآن الرفيعة .

المطلب الثالث : المقصود بالخصوصيات الزوجية .

المطلب الرابع : المقصود بالممارسات الجنسية .

❖ المبحث الثاني : بلاغة القرآن وآدابه الرفيعة في حديثه عن الخصوصيات الزوجية

المطلب الأول : بلاغة القرآن وأدبه الرفيع في حديثه عن الجماع وما يتعلق به .

أولاً : استخدام الكناية والتعريض بدلاً عن التصريح المباشر .

ثانياً : استخدام العبارات المبهمة المضممة .

ثالثاً : استخدام أسلوب الاستعارة والتشبيه .

رابعاً : التنوع في الألفاظ والسياقات .

المطلب الثاني : بلاغة القرآن وأدبه الرفيع في حديثه عن الطلاق بين الزوجين
والملاعنة بينهما :

أولاً : أدب القرآن في حديثه عن الطلاق بين الزوجين .

ثانياً : أدب القرآن في حديثه عن الملاعنة بين الزوجين .

◆ المبحث الثالث : بلاغة القرآن وأدبه الرفيعة في حديثه عن الممارسات الجنسية
المحرمة

المطلب الأول : بلاغة القرآن وأدبه الرفيع في حديثه عن التحرش الجنسي
بيوسف عليه السلام

أولاً : انتقاء الألفاظ الدالة على إرادة الفاحشة والعزم عليها دون التصريح بها

ثانياً : وصف المشاهد المحرمة عن الإعداد للفاحشة والمطالبة بها دون ذكرها

ثالثاً : تبين مدى الثورة الجنسية منتهاها دون التلطف بفحش القول

رابعاً : التعبير عن الفاحشة بوصفها الدال على قبحها وفداحتها

خامساً : الاعتماد على حذف ألفاظ الفحش والتفحش بعد ذكر ما يشير إليها

المطلب الثاني : بلاغة القرآن وأدبه الرفيع في حديثه عن الاتهامات الجنسية
الباطلة

أولاً : بلاغة القرآن وأدبه الرفيع في صياغته لقصة مريم وولادتها بعيسى
عليهما السلام

ثانياً : بلاغة القرآن وأدبه الرفيع في ذكر حادثه الافك وتبرئة عائشة عليها
السلام

المطلب الثالث : بلاغة القرآن وأدبه الرفيع في حديثه عن ممارسة الفواحش

أولاً : أدب القرآن الرفيع في حديثه عن فاحشة الزنا .

ثانياً : أدب القرآن الرفيع في حديثه عن فاحشة اللواط .

تمهيد :

جعل الله كلامه - القرآن الكريم - معجزة للخلق أجمعين إلى قيام الساعة لما فيه من فصاحة وبلاغة ، شهد لها المؤمنون والمشركون وعجزوا عن مجاراتها ، وتوالت الدراسات القرآنية لكتاب الله ، لكشف ما فيه من أحكام وإعجاز وهدي وبيانات للناس ، بل لتأكيد ما فيه من إحكام وإتقان وإبداع وبيان .

وإذا كان السابقون والمعاصرون الذين أفنوا أعمارهم في دراسة القرآن العظيم قد كشفوا كثيراً من وجوه إعجازات القرآن البيانية والغيبية والتاريخية والتشريعية وغيرها ، فإن لكتاب الله سمة خاصة في التعبير القرآني عن القضايا التي يتناولها ، لا يتذوقها إلا من استغرق في نصوصه وآياته ، بكل مشاعره وأحاسيسه ، بقلبه وعقله ، متدبراً ما فيه من آيات بالغات بليغات ، ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ ﴾^(٤) .

ولهذا فلا عجب أن يصف الوليد بن المغيرة كتاب الله بعد أن فكر وقدر ، قائلاً: ((والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإن أسفله لمغدق ، وإن أعلاه لمثمر ، وإنه ليعلو ولا يُعلى عليه ..))^(٥) .

وهذه الحلاوة يتذوقها كل من عاش مع القرآن في القرآن كله ، ومن ذلك حديث القرآن عن أخص خصوصيات العلاقة الزوجية والممارسات الجنسية ، حيث عرض كلام الله لذلك وتناوله بطريقة عالية رفيعة عفيفة راقية ، تبليغ المقصود وتبليغ الأفهام، وتحكم الأحكام ، دون أن تثير الغرائز الجنسية ، ودون أن تهبط بآيات الله عن مستواها الرفيع بطريقة تمجها الأسماع ، أو تنضر منها الفطر السليمة ، والقلوب الصافية ، وهذا ما نشرحه بالتفصيل في هذا البحث .

(٤) العنكبوت : ٤٣ .

(٥) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٢/٢٠٠ باب جماع أبواب المبعث عن عكرمة رضي الله عنه ، انظر دلائل النبوة للبيهقي ، تحقيق د/ عبدالمعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٩٨م ، بيروت - لبنان .

المبحث الأول : تعريفات ومصطلحات :**المطلب الأول : المقصود ببلاغة القرآن**

المقصود بالبلاغة لغة واصطلاحاً : -

البلاغة لغة من البلاغ ، وهو الوصول إلى المراد ، والبلاغ ما يتوصل به إلى الشيء وينتهي إليه ، والبلاغة الفصاحة ، وفلان بليغ أي حسن الكلام ، وفصيحته ، يبلغ بعبارة لسانه كأنه ما في قلبه^(٦) .

أما البلاغة اصطلاحاً فتعني : مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، أي الأمر الداعي إلى التكلم^(٧) ، وهي التعبير عن المعنى الصحيح لما طابقه من اللفظ الرائق من غير مزيد على المقصد ، ولا انتقاص عنه في البيان^(٨) .

أما القرآن فهو كلام الله المنزل على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، المكتوب في المصاحف ، المنقول إلينا بالتواتر ، بلا شبهة^(٩) ، المبدوء بالفاتحة ، المختوم بالناس .

وبناءً على ما سبق فالمقصود ببلاغة القرآن : فصاحته وحسن تعبيره عن الشيء الذي يتناوله .

المطلب الثاني : المقصود بأدب القرآن الرفيعة

أولاً : المقصود بالأدب لغة واصطلاحاً :

الأدب لغة جمع أدب ، والأدب هو حُسن التناول للشيء ، وأصل الأدب الدعاء ، ومنه يقال للوليمة مأدبة بالفتح والضم لأن الناس يدعون إليها ، ... ويقال للبعير إذا ذلل أديب ومؤدب^(١٠) .

(٦) لسان العرب لابن منظور ١/٤٨٦ للإمام محمد بن مكرم بن علي ، دار إحياء التراث العربي ، ط ٣ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م بيروت - لبنان .

(٧) التعريفات للجرجاني ص ٤٦ الشريف علي بن محمد ، دار الكتب العلمية ، ط ٣ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م ، بيروت - لبنان .

(٨) الكليات للكفوي ص ٢٣٦ ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ ، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ، بيروت - لبنان .

(٩) التعريفات للجرجاني ص ١٧٤ .

(١٠) لسان العرب لابن منظور ١/٩٣ مادة ادب .

والأدب اصطلاحاً هو : علم يحترز به عن الخلل في كلام العرب لفظاً أو كتابه^(١١)، وله أصول .

أما المقصود بالرفيعة لغة فهي مأخوذة من الرفع وهو ضد الوضع ، ونقيض الخفض، وارتفع الشيء أي علا ، والرفعة نقيض الذلة ، والرفعة خلاف الضعة ، والرفيع الشريف ، والمرفوع المعظم^(١٢) .

وبناء على ما سبق فالمقصود بأدب القرآن الرفيعة أي علو عباراته وعظمتها معنى ومبنى في تناولها للشيء.

المطلب الثالث : المقصود بالخصوصيات الزوجية : -

خص لغة بمعنى أفرد ، وخصصه واختصه أفرده ، به دون غيره ، واختص بالأمر انفرد به^(١٣)، وخصوصيات جمع خصوصية ، التاء للمبالغة ، والياء للنسبة، أو مصدرية^(١٤) .

أما الزوجية لغة : مشتقة من زوج ، وهو خلاف الفرد ، والزوج الإثنان ، والزوج الفرد الذي له قرين ، ويطلق على الذكر والأنثى^(١٥) .

وبناءً على ما سبق فالمقصود بالخصوصيات الزوجية أي ما انفرد به الزوجان الذكر والأنثى دون غيرهما من نكاح ونحوه .

المطلب الرابع : المقصود بالممارسات الجنسية :

الممارسة لغة من مرَّسَ ، والمرَّس السير الدائم ، وله معاني أخرى ، والمرس والمراس الممارسة وشدة العلاج^(١٦) .

واصطلاحاً : المداومة وكثرة الانشغال بالشيء^(١٧) .

(١١) الكلبيات للكفوي ص ٦٨ .

(١٢) لسان العرب لابن منظور ٢٦٨/٥ مادة رفع .

(١٣) لسان العرب لابن منظور ١٠٩/٤ .

(١٤) الكلبيات للكفوي ص ٤٢٣ .

(١٥) لسان العرب لابن منظور ١٠٧/٦ .

(١٦) لسان العرب لابن منظور ٧٧/١٣ .

(١٧) الكلبيات للكفوي ص ٨٧٤ .

أما الجنسية لغة فهي مؤنث الجنس ، ومشتقه منه ، والجنس هو الضرب من كل شيء ، وهو أعم من النوع ، ويجمع على أجناس وجنوس ، وهو لفظ يدل على الكثرة تضمناً^(١٨) ... والجنس الخشن أي الرجال ، والجنس الناعم أو اللطيف أي النساء^(١٩) ، والجنسية لها معان أخرى^(٢٠) .

أما الجنسية اصطلاحاً فتعني المتعلقة بجنس الذكور وجنس الإناث بشكل عام ، أو التي تعني الاتصال الشهواني بين الذكر والأنثى^(٢١) ، أو بين المثليين ذكر مع ذكر ، وأنثى مع أنثى .

والأفلام الجنسية أي التي تغرق في عرض المشاهد الجنسية والعورات التي تفرق الذكر عن الأنثى^(٢٢) .

وبناءً على ما سبق فيمكن تعريف الممارسات الجنسية بأنها :

الاتصالات الجنسية المتكررة سواء بين الذكور والإناث ، أو بين الذكور مع بعضهم البعض ، أو بين الإناث مع بعضهم البعض .

إذا يمكن تعريف عنوان البحث :

(بلاغة القرآن وآدابه الرفيعة في حديثه عن الخصوصيات الزوجية والممارسات الجنسية) .

بأن المقصود به هو :

بلوغ القرآن مراده ومنتهاه في حديثه عن نكاح الزوجين ، والاتصالات الجنسية بين غيرهما ، بأفصح العبارات وأعلاها وأجملها مبنى ومعنى ، وبأشرف التعبيرات وأحسنها ، دون خلل في الكلام بزيادة أو نقصان ، ودون خدش للحياء أو إسفاف في التعبير .

(١٨) الكليات للكفوي ص ٣٣٩ ، لسان العرب ٢/٣١٣ .

(١٩) معجم اللغة العربية عالم المعرفة ٣/٤٢١ ، تأليف أديب اللجمي وآخرون ، مطبعة المحيط ، ط ١ ، ١٩٩٥ م ، بيروت - لبنان .

(٢٠) انظر : الكافي معجم عربي حديث ص ٣٤٣ ، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ، ط ١ ، ١٩٩٢ م ، بيروت - لبنان .

(٢١) معجم اللغة العربية لأديب اللجمي ٣/٤٢١ .

(٢٢) انظر معجم اللغة العربية لأديب اللجمي ٣/٤٢١ .

وهذا ما نشرحه بالتفصيل في المباحث التالية :

المبحث الثاني : بلاغة القرآن وآدابه الرفيعة في حديثه عن الخصوصيات الزوجية :

لم تكن الخصوصيات الزوجية بين الزوجين بمنأى عن بلاغة القرآن وفصاحته وعلو عباراته وروعيتها - كما هو منهج القرآن في كل آياته - والمتأمل لآيات القرآن المتعلقة بذلك يجد منهجاً خاصاً اتخذته القرآن الكريم في التعبير عن الخصوصيات الزوجية ، والتوجيه ، والوعظ ، والتنبيه ، والتحذير ، والأمر والنهي ، والتحليل والتحريم ، والندب ، والحث على فعل شيء معين ، والدفع إليه والمنع منه ، وكل ما يتعلق بخصوصيات الزوجين المستورة عن أعين الناس ، وكما أن الله تعالى قد أمر بستر العورات ، وحجب كل الممارسات المتعلقة بها بين الزوجين وهو السستير سبحانه ، فإنه قد اتخذ نفس النهج في التعبير عن ذلك ، فأخفى وحجب وستر ووارى وجمل كل العبارات التي تشرح العمليات أو الممارسات الخاصة بين الزوجين ، إمعاناً في الستر ، وتأديباً في العرض ، وتفناً في البيان .

وحتى يتضح هذا الأمر رأى الباحث تقسم هذا المبحث إلى المطلبين التاليين :

المطلب الأول : بلاغة القرآن وآدابه الرفيعة في حديثه عن الجماع وما يتعلق به :

تعددت آيات القرآن التي تناولت الممارسة الجنسية بين الزوجين ، وتنوعت ألفاظها واختلفت سياقاتها بحسب موضوعاتها ومقاصدها ، وكلها حافظت على طابع القرآن وذوقياته الرفيعة في الحديث عن ذلك ، ولم تصرح آياته بلفظ الجماع مطلقاً في جميع المواضع والمواضيع التي تحدثت عن ذلك ، إنما استخدمت عدة ألفاظ بعدة صيغ وأساليب كما يلي :

أولاً : استخدام الكناية والتعريض بدلاً عن التصريح المباشر

ويتضح هذا في عدة آيات ، كما في قوله تعالى : ﴿ نَسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَاتُوا حَرْثَكُمْ أَنِّي شِسْمٌ وَقَدِمُوا لَأَنْفُسِكُمْ ... ﴾ (٢٣) قال ابن جرير رحمه الله ((يعني تعالى ذكره بذلك : نساؤكم مزدرع أولادكم ، فأتوا مزدرعكم كيف شئتم ، وأين شئتم ، وإنما عني بالحرث المزدرع ، والحرث هو الزرع ، ولكنهن لما كن من أسباب الحرث جعلن حرثاً ، إذ كان مفهوماً معنى الكلام ... ثم قال في تفسير بقية الآية ... والإتيان في هذا الموضع كناية عن اسم الجماع)^(٢٤) وقال ابن عاشور رحمه الله : هذا من "الكنايات اللطيفة والتعريفات المستحسنة ، وهذه أشباهها في كلام الله آداب حسنة ، على المؤمنين أن يتعلموها ويتأدبوا بها ، ويتكلفوا مثلها في محاورتهم ومكاتبتهم...^(٢٥).

إن المتأمل في الآيات السابقة تتضح له بلاغة التعبير القرآن في حديثه عن الممارسات الجنسية بين الزوج وزوجته من خلال استخدامه لفظ (فأتوا) بدلاً من التصريح بالجماع وما في معناه ، ومن خلال مجيئه بلفظ الحرث الذي يدل دلالة -قاطعة على أن المقصود بذلك هو إباحة إتيان المرأة في قبلها - وليس في دبرها كما وهم بعض الجاهلين ، فإن انتقاء اللفظ القرآني مقصود لذاته ليدل على ما وضع لأجله.

ثانياً : استخدام العبارات المهمة المفهمة :

من الآيات التي تحدثت عن الجماع ومتعلقاته ، وأدت المقصود بإفهام قارئها وسماعها ، مما جاء في قوله تعالى :

(٢٣) البقرة : ٢٢٣ .

(٢٤) جامع البيان في تأويل القرآن ، ٣٩٨/٤ ، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠هـ) ، تحقيق أحمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، بيروت - لبنان .

(٢٥) التحرير والتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور ٢٦٦/١ ، محمد الطاهر بن محمد (ت١٣٩٣هـ) ، مؤسسة التاريخ العربي ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م ، بيروت - لبنان .

﴿ أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيِّمِ الرَّفَثَ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لَبَاسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَابِئْسَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ (٢٦) .

قال الشنقيطي رحمه الله : " والأظهر في معنى الرفث في الآية أنه شامل لأمرين : أحدهما : مباشرة النساء بالجماع ومقدماته ؛ والثاني : الكلام بذلك" (٢٧) وقال المراعي : " وقد علمنا الله النزاهة في التعبير عن هذا الأمر حين الحاجة إلى الكلام فيه بعبارة مبهمة كقوله : لامستم النساء ، أفضى بعضكم إلى بعض ، دخلتم بهن ، فلما تعشاها حملت .." (٢٨) وقال سيد قطب رحمه الله بعد أن شرح معنى الرفث بنحو ما قلنا : " ولكن القرآن لا يمر على هذا المعنى دون لمسة حانية رفاقة ، تمنح العلاقة الزوجية شفافية ورفقاً ونداوة ، وتناهي بها عن غلظ المعنى الحيواني وعرامته ، وتوقظ معنى الستر في تسيير هذه العلاقة" (٢٩) .

ثالثاً : استخدام أسلوب الاستعارة والتشبيه :

يظهر هذا الأسلوب في كثير من الآيات ، كما في بقية الآية السابقة في قوله تعالى : ﴿ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ ﴾ (٣٠) قال صاحب روائع البيان بعد ذكره عدة لطائف في تفسير الآية : (اللطيفة التاسعة : عبر المولى عزوجل عن المباشرة الجنسية التي تكون بين الزوجين بتعبير سام لطيف ، لتعليمنا الأدب في الأمور التي تتعلق بالنساء ﴿ هُنَّ لَبَاسُ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ فالتعبير هنا على طريقة الاستعارة ، والمراد اشتغال بعضهم على بعض كما تشتمل الملابس على الأجسام) (٣١) .

(٢٦) البقرة : ١٨٧ .

(٢٧) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ١٣/٥ ، لمحمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي (١٣٩٣هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ، بيروت - لبنان .

(٢٨) تفسير المراعي ، الشيخ أحمد مصطفى المراعي ، ٧٨/٢ ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط (بدون) د.ت - مصر .

(٢٩) في ظلال القرآن ١٧٤/١ ، سيد قطب إبراهيم ، دار الشروق ، ط (بدون) ، د.ت - القاهرة .

(٣٠) البقرة : ١٨٧ .

(٣١) روائع البيان في تفسير آيات الأحكام ٨٤/١ ، محمد بن علي الصابوني .

وقال الشيخ عطية محمد سالم : وانظر قوله تعالى : ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾ وكيف غطى وأخفى في هذا الأسلوب ما يستحي منه ، وأبرزه بلباسه في التشبيه بما يتقى به ، ومدى مطابقتها معنى اللباس بحاجة كل من الزوجين (لآخر ..) (٣٢) .

رابعاً : التنوع في الألفاظ والسياقات :

أعتمد عليه القرآن في التعبير عن عملية الممارسات الجنسية بين الزوجين وما يستحيا من ذكره ما جاء في آيات كثيرة مبثوثة في كتاب الله حيث يشير القرآن إشارات متعددة متنوعة إلى الممارسة الجنسية بين الزوجين بألفاظ يلها الحياء والستر والتعفف. وسياق يتجلى فيه البعد عن كل كلمة بذينة فاحشة، أو فضة غليظة ، أو نابية ممجوحة ، وبأسلوب بليغ لا يثير الشهوات ، ولا يحرك مكامن الغرائز الجنسية ، ولا يخرج القارئ والسماع عن الأدب والحياء ، أو يخرجه عند قراءة تلك العبارات وسماعها وبما لا يחדش عفة كل عفيف وعفيفة ، وبطريقة تحفظ اللسان من قبيح العبارات ، وسيئ الكلمات ، ونكارة الألفاظ ، وفحش القول ويتضح هذا في الآيات التالية:

- في قوله تعالى : ﴿ فَأَعْزَلُوا النِّسَاءَ فِي المَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ ﴾ (٣٣)

- وقوله : ﴿ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللّهُ ﴾ (٣٤) .

- وقوله جل شأنه في سياق حديثه عن تجويزه مجيء الرجل زوجته ليالي

الصيام : ﴿ وَلَا تَبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي المَسَاجِدِ ﴾ (٣٥) .

(٣٢) تنمة أضواء البيان ٩٣/١ ، عطية محمد سالم .

(٣٣) البقرة: ٢٢٢ .

(٣٤) البقرة: ٢٢٢ .

(٣٥) البقرة: ١٨٧ .

- وقوله جل في علاه : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴾ (٣٦) .

- وقوله عز من قائل : ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ، وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ (٣٧) .

- وقوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ اللَّائِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمْ اللَّائِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّائِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَخَالَاتُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ (٣٨) .

- وغيرها من الآيات ، ونختتم بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ . . . وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا . ﴾ (٣٩)

نلاحظ في كل الآيات السابقة أن الله تعالى الستير يعبر عن خصوصيات العلاقة الزوجية من نكاح وما يتعلق به ، بأسلوب خاص مقصود متميز في اختيار ألفاظه ، وصياغة عباراته وتحديد سياقاته ، بتنويع الكلمات تجديداً لذهن القارئ والسامع ، وإظهاراً لبلاغة القرآن وفصاحته ، وجرياً بألفاظه وعباراته على

(٣٦) الأعراف ١٨٩ .

(٣٧) النساء: ٢٠- ٢١ .

(٣٨) النساء: ٢٣ .

(٣٩) النساء: ٤٣.. ونحوها في المائدة : ٦ .

الذوقيات الرفيعة الراقية والأدب الجم العظيم ، كما هي كل آيات القرآن الكريم .

إن كل الآيات السابقة تتحدث عن الممارسة الجنسية بين الزوج وزوجته ، لكنها لم تصرح بالجماع ولا في لفظ واحد ، الذي هو مقصد ومقصود النكاح بين الزوجين ، بل تارة تعبر عن النهي عن نكاح الحائض بلفظ ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ ولفظ ﴿يَطْهُرْنَ﴾ وتارة تشير الآيات إلى لفظ الجماع بالمباشرة أو الغشي أو الإفضاء أو الملامسة ، أو الدخول ، ونحوها من الألفاظ ، وكلها ألفاظ في غاية التلميح والتأدب والسمو ، وفي سياقات وعبارات تهدي للتي هي أقوم ، وتهذب سلوك الأمم ، وتضع قواعد وأسس راسخة لأساليب الخطاب الجنسي الراقى . دون تصريح بألفاظ الجماع أو كشف وتعريية لمواضع العورة .

المطلب الثاني : بلاغة القرآن وأدبه الرفيع في حديثه عن الطلاق بين الزوجين والملاعنة بينهما : -

لا يزال القرآن الكريم - كما هو منهجه - يحتفظ بطابعه الخاص الرفيع وذوقياته العالية في حديثه عن خصوصيات الزوجين ، سواء في حال الاتفاق - كما سبق ذكره - أو في حال الافتراق كما نبينه هنا ، والفرق بين الزوجين قد يكون بطلاق ، أو بتفريق وغيره كما في الملاعنة بينهما ، ونبدأ بشرح الحالة الأولى :

أولاً : أدب القرآن في حديثه عن الطلاق بين الزوجين : -

تعددت آيات الطلاق في القرآن الكريم ، وبعضها تناولت أو أشارت إلى ما كان بينهما من المعاشرة الجنسية الخاصة ، ولكن بأدب جم ، ويتضح هذا من قوله تعالى : ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَقْرُبُوهُنَّ فَرِيضَةً وَمَعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدْرُهُ مَاعَاً بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ، وَإِن طَلَقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ

فَرَضْتُمْ لِهِنَّ فَرِيضَةً فَنَصَفْ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يُعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى
وَلَا تَتَسَوَّأُ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ .

عبر المولى عزوجل في هاتين الآيتين عن مباشرة الرجل زوجته أو عدم مباشرته لها بلفظ ﴿ تَسْوَهُنَّ ﴾ وهذا اللفظ كما هو معلوم ومحسوس أنه لفظ لطيف خفيف سهل رقيق حتى في مخارجه ومعناه ودقة حروفه ودلالته ، ولم يصرح القرآن بألفاظ الجماع ، قال القاسمي : (وإنما كنى تعالى بقوله : ﴿ تَسْوَهُنَّ ﴾ عن المجامعة ، تأديباً للعباد في اختيار أحسن الألفاظ فيما يتخاطبون به)^(٤٠) .

ثانياً : أدب القرآن في حديثه عن الملاعنة بين الزوجين :

إن كلام الله تعالى البالغ غايته في الرفعة وعلو الشأن في التعبير السامي يستمر في ذلك حتى في أشد حالات النزاع بين الزوجين ، وذلك كما هو عند التلاعن بينهما ، ويتضح هذا من قوله تعالى في آيات الملاعنة : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ، ﴿ وَالْخَامِسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ وَيَدْرَأُ ﴾^(٤٢) ذكر ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير ما نصه : (هو الرجل يرمي امرأته بالزنا)^(٤٣) أو يرميها باللواط^(٤٤) .

(٤٠) البقرة ٢٣٦ - ٢٣٧ .

(٤١) محاسن التأويل ٢٨٠/٣ محمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ) ، وقف على طبعه محمد فؤاد عبدالباقي ، دار الفكر ، ط٢ ، ١٣٩٨ - ١٩٧٨م ، بيروت - لبنان .

(٤٢) النور٦ - ٧ .

(٤٣) تفسير ابن أبي حاتم ٨ / ٢٥٣٣ الإمام الحافظ محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي ، تحقيق أسعد محمد الطيب ، المكتبة العصرية ، ط (بدون) ، دت ، صيدا - لبنان .

(٤٤) سلسلة التفسير ١٨ / ٣٣ أبو عبدالله مصطفى العدوي المصري .

وقال القرطبي : (عام في كل رمي ، سواء قال : زנית أو زانية أو رأيتها تزني أو هذا الولد ليس مني فإن الآية مشتملة عليه)^(٤٥) .

وهنا نلاحظ أن القرآن الكريم عبر عن اتهام الزوج لزوجته بفاحشة الزنا بلفظ (يرمون) .

ثم حذف اللفظ المقصود أو الفعل المذموم ، ويمكن تقديره هنا بـ(فاحشة الزنا) إننا نجد أن القرآن الكريم قد تحدث عن الفحش والفواحش بشكل عام - كما هو في آيات أخرى - فصرح بألفاظها الصريحة كالزنى ونحوه ، ولكنه لم يفعل هذا في مقام حديثه عن الزواج الذي أسس على التقوى من أول يوم ، وقام على الحق والخير ، والطهر والعفاف ، فإنه حتى وإن عبر عن اتهام الزوج لزوجته بفاحشة الزنى ، فلا يزال القرآن الكريم يحافظ على جو العفاف والتعفف ، فلا يصرح بالزنى ونحوه ، بل يكتفي بإطلاق كلمات تفهم إشاراتها ، وتقدر ببقية عباراتها المحذوفة قصداً ، وهذه لطيفة قرآنية تؤكد منهج القرآن في ستر كل قبيح والتعبير الأجل عن الفعل الأقيح ، والصياغة المحمودة للأفعال المذمومة .

إننا نلاحظ أن القرآن الذي ينكر فاحشة الزنى يتنكر لذكر هذا اللفظ في معرض حديثه عن الحياة الزوجية حتى وإن شابتها الشوائب واشتدت حالات النزاع فيها وبلغت منتهاها بالتلاعن بين الزوجين .

(٤٥) الدر المنثور في التفسير المأثور ١٢/١٨٥ ، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق مركز هجر للبحوث ، دار هجر ، ط (بدون) ، ت ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م ، مصر .

المبحث الثالث : بلاغة القرآن وآدابه الرفيعة في حديثه عن الممارسات الجنسية المحرمة :

تحدث القرآن الكريم عن كثير من الممارسات الجنسية المحرمة ، تحدث عن التحرش الجنسي والاعتصاب ، والفتنة والإغراء والإغواء للوقوع في الفاحشة ، وتحدث عن البغاء والزنى الذي يعني إيلاج ذكر في فرج أنثى ، وتحدث عن اللواط (عمل قوم لوط) الذي يعني إيلاج ذكر في دبر ذكر مثله أو أنثى ، وتحدث عن الخليلات والصديقات والأخلاء والأصدقاء الذين يمارسون الفاحشة ، لكنه في حديثه عن هذا كله وأمثاله عندما ما يتحدث عن الممارسة الجنسية والأفعال المحرمة منها ، لم يأت بلفظ واحد يهبط بالقرآن عن مستواه الرفيع العالي - وإن كان قد ذكر مسمى الزنا ، بل تناولها جميعاً بطهارة في انتقاء الكلمات وصياغتها ، تجلت في ذلك كله بلاغة الكلمة في التعبير القرآني وأدبها بطريقة لا مثيل لها كما يتضح من المطالب التالية : -

المطلب الأول : بلاغة القرآن وآدابه الرفيعة في حديثه عن التحرش الجنسي

بيوسف عليه السلام :

سجل القرآن الكريم حادثة امرأة العزيز مع يوسف عليه السلام ، وسعيها جاهدة للإيقاع به في الفاحشة معها ، بعد أن فتنت به فتنة عظيمة ، وبدلت ما في وسعها لجره للافتتان بها ، وبدأت معه ما يسمى في عصرنا الحاضر بالتحرش الجنسي ، كما قال تعالى : ﴿ وَكَمَا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ، وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ ، قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ ، وَقَدَّ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ، وَأَسْبَقَنَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ، قَالَ هِيَ رَاوَدْتَنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ

شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ، وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ، فَلَمَّا رَأَى قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ، يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ، وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ، فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ، قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ لَيَسْجُنَ وَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّاغِرِينَ ، قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ، فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤٦﴾ .

ففي هذا المقطع الطويل يبرز أدب القرآن الرفيع في حديثه عن مشاهد من الإغراءات الجنسية، والممارسات المغرية، والمثيرة للغرائز، ورغم قوة تلك المشاهد والحوادث أو الوقائع الجنسية، إلا أن كلماتها وعباراتها القرآنية، المعبرة عنها، بل وطريقة صياغتها، لا تحدث شيئاً من الإثارة الجنسية لدى قارئها أو سامعها مطلقاً، ولا يتبادر إلى الذهن أنها خرجت عن العفة والتعفف والطهر والنقاء .
فنحن نلاحظ أن الآيات السابقة تنوعت ألفاظها الدالة على النكاح والجماع أو المعاشرة الجنسية المحرمة والدعوة إليها، ولكنها لم تصرح بشيء من ذلك، بل جاءت ألفاظها تشير إشارة إلى هذا الفعل بشتى الطرق كما يلي: -

(٤٦) (يوسف: ٢٢- ٣٤) .

أولاً : انتقاء الألفاظ الدالة على إرادة الفاحشة والعزم عليها دون التصريح بها :

تحدث القرآن الكريم عن محاولة امرأة العزيز الإيقاع بيوسف عليه السلام في فاحشة الزنا معها ، لكنه لم يصرح بذلك مطلقاً بل استخدم عدة أساليب ، وانتقى عدة ألفاظ ، وصاغ عبارات عدة ، لشرح ذلك ، دون وصف الفعل صراحة ، ومن ذلك استخدامه بعض الألفاظ الدالة على إرادة الجماع والعزم عليه ، وهذا كما في قوله تعالى عن امرأة العزيز : ﴿ وَرَأَوْنَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ . . . ﴾^(٤٧) ، أي (على نفسها وعلى يوسف في أمر الجماع) كما قال أهل التفسير^(٤٨) فنلاحظ هنا أن الآيات القرآنية لم تصرح بلفظ الزنا الذي أرادته المرأة من يوسف عليه السلام ، وسعت بكل جهدها لتحقيقه ، بل جاءت الآيات بلفظ المرادة ، وأصل المرادة الإرادة والطلب برفق ولين^(٤٩) ، وهذا اللفظ يوحي بالمخادعة والحرص والإلحاح كما قال المفسرون^(٥٠) ، وقد تكرر هذا اللفظ بعدة صيغ في القرآن في سورة يوسف ، وعدة اشتقاقات، وكلها دالة على أن المقصود به هو إرادة الجماع والنيكاح لا سواه ، فتارة يسجل القرآن قول يوسف عليه السلام دفاعاً عن نفسه أمام عزيز مصر عندما افترت عليه امرأة العزيز إرادته السوء بها ، قائلاً : ﴿ هِيَ رَأَوْتَنِي عَنْ نَفْسِي ﴾^(٥١) وتارة يذكر القرآن مقالة النسوة في المدينة كما قال سبحانه على لسانهن ﴿ امْرَأَةٌ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾^(٥٢) ، وتارة يكرر القرآن مقالة امرأة العزيز مرة ثانية أمام النسوة قائلة :

(٤٧) يوسف : ٢٣ .

(٤٨) الدر المنثور للسيوطي ١٦٢٠/٩ .

(٤٩) يوسف : ٢٣ .

(٥٠) الدر المنثور للسيوطي ١٦٢٠/٩ .

(٥١) نفسه ونفس الصفحة .

(٥٢) انظر : تفسير القرآن الحكيم - تفسير المنار ١٢/٢٢٧ ، محمد رشيد بن علي رضا (ت١٢٤٥هـ) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،

ط. (بدون) ، ت ١٩٩٠م ، القاهرة - مصر .

﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاودَتْهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾^(٥٣) ففي كل هذه المواضع يستخدم القرآن لفظ المراودة بدلاً من التصريح بالزنا والنكاح أو الجماع ليبقى جو القرآن صافياً نقياً من كل الألفاظ التي تعكر صفاءه، وتتعارض مع كل أدب وحياء وعفة.

ثانياً: وصف المشاهد المعبرة عن الإعداد للفاحشة والمطالبة بها دون ذكرها:

بلغ القرآن الكريم مبلغاً عظيماً في التصوير للأحداث، والتعبير عن الأفعال، لدرجة أن القارئ لكلام الله يكاد يتخيل نفسه يشاهد الحدث، أو يعيش فيه، ويستشعره بكل جوارحه، وربما يثير فيه عواطفه وأحاسيسه وانفعالاته، وهذا كثير في آيات القرآن، ومن ذلك وصفه لسلوكيات امرأة العزيز وتصرفاتها لإرواء شهوتها، وإشباع نهمها وغريزتها الجنسية من يوسف عليه السلام، ولكن دون أن يهتك الأستار، أو يفضح الأسرار، ويصرح بالعبارات التي تخدش الحياء، وتكشف العورات، ويتضح هذا جلياً من تعبيره سبحانه عن الحالة النفسية، والتصرفات الفعلية التي سادت مشهد امرأة العزيز، وسعيها للوقوع في الفاحشة، وإيقاع يوسف عليه السلام بها، كما قال تعالى عنها ﴿... وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتُ لَكَ...﴾^(٥٤). جاء في قراءة أخرى ﴿هَيْتُ لَكَ﴾ بكسر الهاء، وفي قراءة ثالثة ﴿هَيْتُ لَكَ﴾ بفتح الهاء وضم التاء، وفي قراءة رابعة ﴿هَيْتُ لَكَ﴾ بسكر الهاء وضم التاء مهموزاً وعلى كل القراءات^(٥٥) فإن المفهوم منها أنها هيأت نفسها له، ودعته إلى نكاحها^(٥٦)، بل وحشته على ذلك، والقرآن الكريم لم يصرح أبداً

(٥٣) يوسف : ٢٦ .

(٥٤) يوسف : ٢٣ .

(٥٥) انظر: النشر في القراءات العشر ٣٣١/٢، للحافظ أبي الخير محمد بن محمد الدمشقي، الشهير بابن الجزري (٨٣٣هـ)، أشرف على تصحيحه على محمد الصباغ، دار الكتب العلمية، ط (بدون)، دت بيروت - لبنان.

(٥٦) انظر: معالم التنزيل ٢٢٧/٤، محيي السنة أبو محمد بن الحسين بن مسعود البغوي (٥١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه محمد عبدالله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط ٤، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، البلد (بدون).

بلفظ النكاح والجماع (الزنى) ، تحاشياً من استخدام ألفاظ وعبارات لا تناسب مقام السمو والطهر الذي انتهجه القرآن في مثل هذه الأحوال.

ثالثاً : تبين مدى بلوغ الثورة الجنسية منتهاها دون التلفظ بفحش القول : -

تمر بنا في سورة يوسف مواقف ومشاهد تبين مدى ما وصلت إليه امرأة العزيز من الشغف بيوسف عليه السلام ، وسعارها الجنسي المتقد ، وجنونها الشهواني الغريزي، ويعبر القرآن الكريم عن ذلك كله بأسلوب فريد رائع يؤدي المطلوب دون أن يحرك ساكناً في جسد قارئ هذه السورة أو سامعها ، نجد هذا بارزاً في قوله تعالى عن يوسف وامرأة العزيز في بيان مدى ما وصلت إليه الحالة الجنسية المستعرة ، ﴿ وَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾^(٥٧) . اختلف المفسرون اختلافاً كبيراً في المقصود بهم يوسف عليه السلام ، وتوضيح المعنى الراجح بشأنه ، وتبرئته مما افتراه عليه بعض أهل الكتاب ، وغلط فيه بعض أهل التفسير^(٥٨) ، والذي يعيننا هنا بيان التعبير القرآني عن قوة وشدة التوتر والاستعداد النفسي لامرأة العزيز ، بل وإقبالها الجسدي العارم على يوسف ، وجهادها الكبير وهي تراود فتاها عن نفسه، لتروي ظمأها منه ، وتقضي شهوتها ونهمها فيه ، حيث كشف القرآن عن بلوغ ثورتها الجنسية منتهاها ، بالمجيء بلفظ ﴿ هَمَّتْ بِهِ ﴾ دون التصريح بمقصود همها وتفاصيله ، أو التلفظ بفحش القول ، قال أهل التفسير في معنى ﴿ هَمَّتْ بِهِ ﴾ : (همت بيوسف حين استلقت على فراشها للجماع)^(٥٩) .

(٥٧) يوسف ٢٤.

(٥٨) انظر تفاصيل ذلك في : زاد المسير في عالم التفسير ٤١٥/٣ ، جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧هـ)، و: مفاتيح الغيب ٩٢/١٨ ، للإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي () ، دار الكتب العلمية ، ط (١) ، ت ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م ، بيروت - لبنان .

(٥٩) تفسير مقاتل بن سليمان ١٤٥/٢ ، أبو الحسن مقاتل بن سلمان بن بشير الأزدي بالولاء البلخي ، تحقيق أحمد فريد ، دار الكتب العلمية ، ط (١) ، ت ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م ، بيروت - لبنان .

ويتضح بلوغ همها الجنسي مبلغاً عظيماً من بقية الآيات ، قال تعالى :
﴿وَأَسْبَقَ الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ . . . ﴾^(٦٠) .

ورغم هذا المشهد القوي بتفاصيله ودلالاته ، إلا أن القرآن الكريم قد أعرض عن ذكر ألفاظ الفحش والتفحش ، واكتفى بما دل عليه من لفظ الهم ، وهكذا هو كلام الله في تبينه كل المواقف الحرجة ، ووصفه لكل المشاهد الفاضحة ، بأسلوب هادئ رقيق رفيع ، سائر .

رابعاً : التعبير عن الفاحشة بوصفها الدال على قبحها وفداحتها :

من المسلم به أن القرآن الكريم يأتي بألفاظه بطريقة هادفة مقصودة تؤدي أكثر من معنى في وقت واحد ، ويأبلغ وأقوى العبارات والصيغات ، وهذا ما نجده بوضوح في تعبيره عن الفاحشة (الزنا) في سورة يوسف بلفظ وأسلوب يحقق النفور منها ، ويبين قبحها وكبير إثمها ، حيث قال سبحانه عن يوسف عليه السلام مبيناً فضل الله عليه ، ﴿ . . . كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾^(٦١) ، ذكر ابن القيم أن مقصود السوء العشق ، ومعنى الفحشاء الزنا^(٦٢) ، وقال الشنقيطي: (السوء مقدمات الفاحشة كالقبلة ، والفحشاء الزنا)^(٦٣) ، وأياً كان معنى السوء ، فإن المفسرين قد اتفقوا أن معنى الفحشاء في هذه الآية الزنا ، وهذا اللفظ قد أعرض القرآن الكريم عن ذكره هنا ، بل وعن ذكر ألفاظ العشق والقبلة ونحوها ، وإنما جاءنا بلفظ (السوء والفحشاء) للإشارة إلى معانيها المستقبح ذكرها في كلام الله وكتابه ، والفحشاء هو ما

(٦٠) يوسف ٢٥ .

(٦١) يوسف ٢٤ .

(٦٢) التفسير القيم لابن القيم ٧٠/٢ ، جمع وترتيب الشيخ محمد أويس الندوي .

(٦٣) أضواء البيان ٢١٥/٢ .

فحش من المعاصي وكبر، وعظم جرّمه، وخطره، وعقابه، قال أبو السعود (والفحشاء الزنى لأنه مفرط في القبح) (٦٤).

إننا نجد أن القرآن الكريم يؤثر ذكر لفظ (السوء) في كثير من مواضعه، على ذكر الألفاظ النابية الشاذة كما قال تعالى:

﴿لَا يَجِبُ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ...﴾ (٦٥).

للتعبير عن المعاني المذمومة، المستقبحة عقلاً، كقوله تعالى على لسان امرأة العزيز لزوجها: ﴿... قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٦٦). قال الشوكاني رحمه الله: (والمراد بالسوء هنا الزنا) (٦٧) لكنها حكمة الله باختيار أعذب الألفاظ وأجملها، وأكثرها تهديباً لإفهام خلقه ما أنزله إليهم من كتاب وحكمة.

خامساً: الاعتماد على حذف ألفاظ الفحش والتفحش بعد ذكر ما يشير إليها:

لا يزال القرآن الكريم صاحب الجمال في مضمونه وأهدافه وصياغة آياته وانتقاء عباراته، لا يزال يتفنن في إخفاء كل ما يחדش الحياء، ويفسد الفطرة، ومن ذلك اعتماده وهو يتحدث عن الفحشاء، والفحش والتفحش على الحذف والإضمار والتضمين والطي والاختصار والإجمال، ونحو ذلك، يقدم ذلك كله وأمثاله على عكسه ونقيضه من ذكر، وإظهار، وتصريح، ونشر، وبسط، وتفصيل، ونحو ذلك، مكتفياً بما سبق الحديث عنه وأسلف ذكره مما يشير إليه، ومن هذا، ما جاء في قوله تعالى على لسان امرأة العزيز

(٦٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ٢١/٣، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ)، مطبعة (بيروت)، دت، البلد (بدون).

(٦٥) النساء: ١٤٨.

(٦٦) يوسف: ٢٥.

(٦٧) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير (٢١/٤)، محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٠).

تهديداً ليوسف ﴿... وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرَهُ لُبِسُجْنٍ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّاعِرِينَ﴾^(٦٨). وتقدير بقية الآية (ولئن لم يفعل ما أمره من الزنا أو الفاحشة) ليسجنن، إلا أن القرآن حذف هنا ما قدرناه وذكرناه، كونه سبقت الإشارة إليه، والحديث عنه، وحتى لا يكرر أو يطنب دون حاجة، وتحاشياً من ذكر الألفاظ التي يكون سترها أفضل من كشفها، ومواراتها أولى من إظهارها واكتفاءً بالإشارة بدلاً من طول العبارة.

ومثل ما سبق ما جاء في دعاء يوسف لربه أن يعصمه من فتنة الفحشاء وكيد أهلها مؤثراً السجن على الفاحشة كما قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَالْأَتْرَفُ عَنِّي كَيْدُهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(٦٩). لم يصرح القرآن بمضمون ﴿يَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾ ولا بمضمون ﴿كَيْدُهُنَّ﴾ لكنه مفهوم من سياق الآيات السابقة، وموضوعها الذي دارت حوله، وهو مراودتهن إياه على نفسه بالزنا كما قال أهل التفسير^(٧٠)، لقد حذف القرآن ألفاظ الفحش والتفحش وذكر ما يشير إليها من ضمائر الإشارة لما سبق ذكره كما جاء في قوله: ﴿يَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾^(٧١).

وخلاصة القول: أن آيات التحرش الجنسي بيوسف عليه السلام من امرأة العزيز في سورة يوسف قد بلغت أكثر من عشر آيات، وقاربت الصفحتين تقريباً إلا أنها رغم طولها وتفصيل أحداثها وحديثها عن امرأة العزيز ونسوتها، اللائي حاولن إيقاع يوسف في الفاحشة - فاحشة الزنا - هذه الآيات لم تصرح أبداً في ثناياها بألفاظ الفحش والزنا وما يتعلق به، بل كانت كلها تأتي بألفاظ دالة

(٦٨) يوسف ٣٢ .

(٦٩) يوسف ٣٣ .

(٧٠) جامع البيان ١٣/١٤٤ للطبري .

(٧١) الدر المنثور للسيوطي ٨/١٩١ .

عليه ، أو مشيرة إليه ، بكناية وتعريض وصفة ، ونحو ذلك ، وهذا يؤكد تعطف النص القرآني أثناء حديثه عن الجنس الإنساني الغريزي عن كل ما لا يليق ذكره والتصريح به .

إن القارئ لسورة يوسف ، والسامع لها ، والمتأمل لقصته ، والمتدبر لأحداثها مع نسوة مصر مهما كرر قراءتها وسماعها وتدبرها ، يجد نفسه يتمتع بمشاهدها وتفصيلها ، ويأخذ العظة والعبرة منها ، دون أن تثار فيه غريزته ، أو تشتعل شهوته ، رغم أن بعض هذه الآيات قد شرح تفاصيل ما وقع في غرفة امرأة العزيز من نزع الثياب ، واستلقاء على الفراش ، وزينة فاتنة ، ودعوة ماجنة ، ومع هذا كله فكما أن الله تعالى قد عصم يوسف عليه السلام من التأثر بهذه الفتنة كلها ، وحفظه من الوقوع في الفاحشة ، فإنه سبحانه قد عصم كل قارئ لسورة يوسف وقصتها من التأثر السيء غير المحمود عند قراءته لأحداث الفتنة والإغراء فيها ، وتأملها ، وتخيله لمشاهدها ، كما تفعله وتتسبب فيه القصص الغرامية ، أو العبارات الجنسية ، التي يكتبها البشر في مؤلفاتهم أو يسجلونها في وسائل إعلامهم أو يرسمونها في عقولهم ، ذلك أن القرآن كلام الله الذي ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾^(٧٢) .

المطلب الثاني بلاغة القرآن وأدبه الرفيع في حديثه عن الاتهامات الجنسية

الباطلة

كما أن القرآن الكريم قد حافظ على الجو الإيماني العفيف، وهو يتحدث عن اتهام الزوج لزوجته بالزنا ، وقذفه لها بالفاحشة في آيات الملاعنة بينهما ، فإنه كذلك يحرص كل الحرص وهو يسرد قصص الأبرياء السابقين الذين اتهموا بطهارتهم وعفتهم ، وطعنوا في عرضهم وشرفهم ، يحرص على تسجيل ذلك وسرده وتصويبه بأسلوب بليغ ، يحقق العظة والعبرة ، ومنهج سام يربأ

(٧٢) فصلت ٤٢ .

بكلام الله أن يهبط إلى الأدنى وهو يتحدث عن القضايا الدنيوية والمسائل الدنيا ،
الذميمة الوضعية ، فالقرآن الكريم يتناولها بأسلوب عال رفيع رائع ، وهذا ما
تجلى بشكل كبير في قصة مريم عليها السلام مع ولدها عيسى ، وقصة الإفك
التي اتهمت فيها عائشة رضي الله عنها بالفاحشة ، كما يتضح من الفقرتين
التاليتين .

أولاً : بلاغة القرآن وأدبه الرفيع في صياغته لقصة مريم وولادتها بعيسى
عليهما السلام .

تناول القرآن الكريم قصة مريم وعيسى عليهما السلام في أكثر من سورة
وموضع ، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : ﴿ إِذِ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ
بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ، وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ
وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ، قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا
قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾ (٧٣) .

وقال تعالى في موضع آخر : ﴿ وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَبَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ،
فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ، قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنِ
كُنْتَ تَقِيًّا ، قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ، قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ
وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ، قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ، فَحَمَلَتْهُ
فَاتَّيَبَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ، فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا
مَنْسِيًّا ، فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ، وَهَرَبِي إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ
عَلَيْكَ رُطْبًا غَنِيًّا ، فَكَلِمِي وَأَسْرِبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا

(٣) آل عمران ٤٥- ٤٧ .

فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمِ إِنْ سَبَّيَا ، فَآتَتْ بِهِ فَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ، يَا أُخْتُ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ
 امْرَأًا سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا ، فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ، قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ
 آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ، وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ، وَبِرَأْسِ
 بَوَالِدَيْي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ، وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ، ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ
 مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمُرُّونَ ﴿٧٤﴾ .

وقال تعالى في موضع ثالث : ﴿ وَمَرْيَمُ ابْنْتِ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ
 رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا مِنْ الْقَانِنِينَ ﴾ (٧٥) .

هذه أهم الآيات التي تناولت قصة مريم وولادتها بعيسى عليهما السلام -
 بدون أب ، وهذا الأمر لم يرق لقومها في زمانها ، ولم تقبله عقولهم ، فكذبوه ،
 وأنكروه ، بل آذوا السيدة مريم عليها السلام باتهامها بالوقوع في الفاحشة حتى
 حملت بعيسى ابن مريم ، فلنتأمل النصوص القرآنية السابقة في سرد هذه
 المشاهد ، ومعالجة هذا الافتراء على مريم عليها السلام ، بأعذب العبارات المهذبة
 ، وألطف الكلمات الرقيقة الراقية ، ولن نخوض في موقف أهل الكتاب من هذه
 القضية إنما البحث هنا يدور حول بلاغة التعبير القرآني في صياغة قصة مريم
 عليها السلام وولادتها لعيسى ، فعند التأمل في الآيات السابقة نجد الآية الأولى
 تخاطب فيها مريم عليها السلام ربها ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَكْدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي
 بَشْرٌ... ﴾ (٧٦) وتقول في الآية الثانية ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشْرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ (٧٧)

(٧٤) مريم: ١٦- ٣٤ .

(٧٥) التحريم: ١٢ .

(٧٦) آل عمران: ٤٧ .

(٧٧) مريم: ٢٠ .

فقد عبرت مريم عليها السلام عن حملها بدون نكاح رجل بلفظ ﴿وَلَمْ يُمْسَسْنِي﴾ وقد سبق شرح ما في هذا التعبير من عضة ولطافة وذوقيات رفيعة ، بدلاً من التصريح بالجماع ، بما يعني عن إعادته هنا وعندما نتأمل الآيات الأخرى المتعلقة بالموضوع ، والله عزوجل يسجل اتهامات أهل الكتاب في زمانها لها بالوقوع في الفاحشة حتى حملت ، نجد النص القرآني لا يصرح بشيء من ألفاظ الزنى أو الجماع ونحوه ، بل كما قال تعالى في معرض حديثه عن جرائم أهل الكتاب وكفرهم بآيات الله ، وغير ذلك قال : ﴿وَيَكْفُرُهُمْ وَقَوْلُهُمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾^(٧٨) .

والمعنى اتهموها بالزنا وقذفوها به وهي منه براء^(٧٩) ، لكن القرآن يعرض عن ذكر لفظ الزنا أو الفاحشة إلى سواه ، فيذكر لفظ البهتان الذي يعني القول أو العمل الذي لا يتوقع ولا يوجد له جواب كما قال أهل التفسير^(٨٠) ، فهو (الخبر الكذب الذي يبهت السامع)^(٨١) .

إن القرآن يستخدم هذا اللفظ لعدة مقاصد بلاغية وأدبية ، منها الإعراض عن فحش القول ، ومنها بيان أن زعم قومها فيها كذب ، ومنها تعظيم وتهويل افتراءهم عليها ، وغير ذلك .

ثانياً : بلاغة القرآن وآدابه الرفيع في ذكر حادثة الإفك وتبرئة عائشة عليها السلام: -

تناول القرآن الكريم حادثة اتهام عائشة أم المؤمنين زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفاحشة ، في عشر آيات ، في عشر آيات من سورة النور هي قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ

(٧٨) النساء/١٥٦ .

(٧٩) انظر : الجامع لأحكام القرآن ١٢/١٧٣ ، أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر ، شمس الدين القرطبي (٦٧١هـ) ، تحقيق أحمد البردوني وغيره ، دار الكتب المصرية ، ط ٢ ، ١٢٨٤هـ - ١٩٦٤م - القاهرة - مصر .

(٨٠) التحرير والتنوير ٤/٣٠٤ .

(٨١) نفسه ١٨/١٤٦ .

مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ، لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ، وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، إِذْ تَلَقَوْهُ بِالْإِسْنِيقِ يُقَالُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ، وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ، يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ، إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ، وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رُووفٌ رَحِيمٌ ﴿٨٢﴾ .

ولسنا هنا بصدد الحديث عن سبب النزول ، وما فيها من أحكام وآداب ونحو ذلك ، إنما القصد بيان أدب القرآن وسمو ألفاظه وتعبيراته عن هذه الحادثة ، فمن المعلوم أن المقصود بـ (الإفك) الوارد في الآيات هو إتهام عائشة رضي الله عنها بالوقوع في فاحشة الزنا ، والإفك هو أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء^(٨٣) ، أو أشنع الكذب وأفحشه^(٨٤) ، وهو مشتق من الأفك بفتح الهمزة وهو قلب الشيء^(٨٥) .

وإذا تأملنا الأسلوب القرآني في التعبير عن هذه الفاجعة بحق أم المؤمنين نجد أدباً رفيعاً وذوقاً عالياً في نصوص القرآن التي نزلت كما يلي :

١) الاستغناء بلفظ (الإفك) عما سواه من ألفاظ الفاحشة وما في معناها .

(٨٢) النور: ١١ - ٢٠ .

(٨٣) مفاتيح الغيب للرازي ٢٣/٣٣٧ .

(٨٤) التفسير الوسيط للقرآن الكريم ٩٣/١٠ ، د. محمد سيد طنطاوي (شيخ الأزهر) دار النشر (بدون) .

(٨٥) التحرير والتنوير لابن عاشور ١٨/١٣٦ .

(٢) المجيء بضمير الإشارة (الهاء) وهو في قوله: ﴿... لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ...﴾ (٨٦).

(٣) المجيء بضمير الإشارة المتصل (الهاء) مرة أخرى في قوله تعالى: ﴿... وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٨٧).

(٤) المجيء بضمير الإشارة المتصل (الهاء) مرة ثالثة في قوله سبحانه وتعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ...﴾ (٨٨).

(٥) ذكر اسم الإشارة المنفصل (هذا) في قوله سبحانه: ﴿... وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ (٨٩).

(٦) تكرار ذكر لفظ (إفك) كما في الآية السابقة.

(٧) إثبات ضمير الإشارة المتصل في قوله: ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ...﴾ (٩٠).

(٨) حذف موضوع الكذب في إخباره سبحانه عن الذين جاؤوا بالإفك بقوله: ﴿... فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (٩١) أي الكاذبون في اتهامهم لعائشة بالفاحشة.

(٩) الاكتفاء بضمير الإشارة المتصل في قوله سبحانه: ﴿... لَمَسْكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٩٢).

(٨٦) النور ١١.

(٨٧) النور ١١.

(٨٨) النور ١٢.

(٨٩) النور ١٢.

(٩٠) النور ١٣.

(٩١) النور ١٣.

(٩٢) النور ١٤.

١٠) إثبات ضمير الإشارة المتصل في قوله سبحانه: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا...﴾ (٩٣). وفي قوله: (تلقونه) و(به) و(تحسبونه).

١١) ذكر ضمير الإشارة المنفصل في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (٩٤).

١٢) إعادة ذكر ضمير الإشارة المتصل في قوله سبحانه: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ...﴾ (٩٥).

١٣) تكرار لفظ (هذا) ضمير الإشارة المنفصل في قوله عزوجل: ﴿... قَلَّمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَكَلِّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ (٩٦).

١٤) التعبير عن اتهام عائشة بالفاحشة بلفظ (بهتان عظيم) دون التصريح بالفاحشة كما جاء في قوله سبحانه: ﴿... سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ (٩٧).

١٥) تكرار ضمير الإشارة (الهاء) في قوله سبحانه: ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٩٨).

إننا نجد في كل الآيات السابقة أن القرآن الكريم تحدث عن الفاحشة - فاحشة الزنا - ورمي أم المؤمنين بها ، في أكثر من ستة عشر موضعاً ، ولم يصرح بذلك في أي موضع منها ، إنما كان يعتمد على اللفظ الدال على فاحشة الزنى ، والمبين كذب ذلك، وعظمته ، ووضوح زعمه ، وعقوبته ، كاستخدامه

١٣) النورة ١٠.

١٤) النورة ١٥.

١٥) النورة ١٦.

١٦) النورة ١٦.

١٧) النورة ١٦.

١٨) النورة ١٧.

للفظ (إفك) سواء بالتعريف أو التنكير، ويعتمد على تكرار ضمائر الإشارة المنفصلة (هذا) أو المتصلة (الهاء) أكثر من مرة، ليشير بذلك إلى هذه الفاحشة التي لم يصرح بها، ولا مرة واحدة، من أول الآيات إلى آخرها .
فهل بعد هذا الأدب القرآني والذوق الرفيع والبلاغة العالية أدب أعظم مما هو في كتاب الله ؟

إن القرآن الكريم لم يكتف بإخفاء لفظ الفحش والزنا في هذه الآيات، تعظيماً لمقام أمنا السيدة عائشة رضي الله عنها، وتنقية لكتاب الله من الألفاظ التي يمكن الاستغناء عنها فأفضل منها مما يشير إليها، بل أخفى القرآن أسماء الذين جاؤوا بالإفك ليستر القول والقائل والمقول فيه وهي أمنا عائشة رضي الله عنها .

ويكشف الحكم والآداب التي تهم المسلمين، وتهديهم سواء الصراط .
فكما أن الله تعالى قد طهر أمنا عائشة من كل دنس وسوء، ونقاها من كل فحش وقبح، فإنه سبحانه قد صفى كتابه وكلامه من كل ما يطعن في عرضها وشرفها ومقامها العالي .

المطلب الثالث : بلاغة القرآن وأدبه الرفيع في حديثه عن ممارسة الفواحش :

تحدث القرآن الكريم كثيراً عن الفواحش وكبائر المعاصي، ومنها فاحشة الزنى، وفاحشة اللواط، بأسلوب فريد قيم ويتضح هذا من الفقرتين التاليتين:

أولاً: أدب القرآن الرفيع في حديثه عن فاحشة الزنا : -

تحدثت آيات القرآن عن فاحشة الزنا كما يلي : -

١ - إما أن تصرح بلفظ (الزنى) وبعض مشتقاته كاسم الفاعل (الزاني) و(الزانية) أو الفعل المضارع (يزنون - يزنين) وقد تبين من خلال حصر واستقراء آيات الزنى أن القرآن الكريم لم يزد على الألفاظ المذكورة أعلاه - وإن كرر، بعضها .

- وهو كذلك قد أعرض صفحاً عن ذكرها بصيغة المخاطب (تزنون - تزنين).
- ولم يُصغ منها أسماء جمع وجموع (زواني - زناة) إنما كان يكتفي بالاسم المفرد منها .
- ولم يصرح بممارسة فعل الزنى إلا في موضعين اثنين فقط بصيغة الفعل المضارع ، وبصيغة الغائب كقوله تعالى في شأن الذكور المسلمين ﴿... وَلَا يَتْلُونَ الْفُسَّ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ...﴾^(٩٩).
- وقوله سبحانه في شأن الإناث المسلمات : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَاعِنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئاً وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ...﴾^(١٠٠).
- ٢- وإما أن يذكر هذه الجريمة بأوصاف تدل على قبحها وجرمها وفداحتها وحكمها الشرعي ، كما جاء في ذكره للفاحشة والفواحش في كثير من المواضع كقوله سبحانه : ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نَسَائِكُمْ فَاستَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ...﴾^(١٠١) وقوله سبحانه : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ...﴾^(١٠٢).
- ٣- أو أن يعبر عن الزنا بلفظ آخر يدل عليه :
- كما جاء في قوله سبحانه : ﴿... وَلَا تُكْرَهُوا قِتْيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّناً...﴾^(١٠٣) والمقصود بالبيغاء هنا هو الزنا كما قال المفسرون^(١٠٤).

(٩٩) الفرقان ٦٨ .

(١٠٠) الممتحنة ١٢ .

(١٠١) النساء ١٥ .

(١٠٢) آل عمران ١٣٥ .

(١٠٣) النور ٣٣ .

٤ - أو أن يحذر من فاحشة الزنى بلفظ (لاتقربوا) كقوله سبحانه : ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانِيَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(١٠٥) وقبل أن نبين بلاغة القرآن وأدبه الرفيع في حديثه عن الزنا نذكر .

ثانياً: أدب القرآن الرفيع في حديثه عن فاحشة اللواط : -

تناول القرآن الكريم موضوع اللواط وما يتعلق به في بعض آياته كما يلي:

١ - إما أن يأتي بلفظ (لوط) دون أي اشتقاق له ، بل يذكره بالإضافة إلى غيره أو مفرداً كقوله تعالى : ﴿... لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾^(١٠٦). وقوله : ﴿فَأَمِّنْ لَهُ لُوطٌ...﴾^(١٠٧).

وكما جاء في كثير من الآيات ، فلم يأت بلفظ (اللواط) بهذه الصيغة مطلقاً أي المصدر .

- ولم يصغ منه أفعال الممارسة الجنسية المحرمة (يلوط) أو (لاط) ونحو ذلك أبداً .
- ولم يشتق منه أسماء الفاعل لا بصيغة الإفراد (لوطي - لاطئ) ولا بصيغة الجمع (لوطية - لوطيون) .
- ولم يأت في القرآن بأسلوب المخاطب أو الغائب ، ولا بالإفراد أو التثنية أو الجمع .

^(١٠٤) انظر: تفسير القرآن العظيم ٥٤/٦ ، أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت١٧٧هـ) ، تحقيق سامي بن محمد سلامة ، دار طيبة للنشر ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .

^(١٠٥) الإسراء ٣٢ .

^(١٠٦) هود ٧٠ .

^(١٠٧) العنكبوت ٢٦ .

٢ - وإما أن يذكر هذه الجريمة بأوصاف تدل على حرمتها وشناعتها - كما فعل في فاحشة الزنى - كقوله تعالى على لسان لوط منكراً على قومه ومحذراً لهم ﴿... أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾^(١٠٨).
وقوله داعياً قومه إلى الزواج ببنت زمانه بدلاً من ممارسة اللواط : ﴿قَالَ هُوَ لَأَبْنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾^(١٠٩). قال المفسرون : (أمرهم لوط أن يتزوجوا النساء ، وأراد أن يقي أضيافه ببنته)^(١١٠) .

وبعد كل ما سبق من نصوص القرآن المتحدثة عن فاحشتي الزنا واللواط نجد أن القرآن الكريم تناول ذلك في غاية الأدب والألفاظ المهذبة والأسلوب الرائع كما يلي: -

١ - اقتصر في حديثه عن الزنا واللواط على أقل الألفاظ ، واختصرها كثيراً بأعداد لا تقارن بحديثه عن الكفر والشرك وغير ذلك من كبائر المعاصي ، بل الاختصار واضح جداً وخاصة في حديثه عن فاحشة اللواط ، فلم يذكر مشتقات لفظ لوط) مطلقاً ، ولم يصرح بممارسة هذا الفعل ولا بأسماء الفاعل والمفعول ، ولم يأت بمصدره ، ولم يذكر مثناه ولا جمعه ، ولا حاضره ولا غائبه. وكان المناسب لهذا المقام هو الاختصار والاقتصار على الضروري فقط لتبيين الأحكام .

٢ - اعتمد القرآن كثيراً في تعبيره عن هذه الممارسات بوصفها بأوصاف مشيرة إليها، دالة على قبحها وجرمها وحرمتها وكبرها ، دون التصريح بها ، إنما بتسميتها بالفاحشة أو الفواحش. أو (البغاء) المأخوذ من البغي والتجاوز بغير الحق .

(١٠٨) الأعراف ٨٠.

(١٠٩) الحجر ٧١.

(١١٠) جامع البيان للطبري ٩١/١٤ .

٣ - استخدم القرآن في تحذيره من هاتين الفاحشتين ، وتحريمهما ألفاظاً مهذبته ، لطيفة على الأسماع ، محافظة على الحياء مميزة للمؤمنين عن المجرمين في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرُبُوا الزَّوْجَ . . . ﴾^(١١١) . وقوله في إنكار لوط على قومه ممارسة فاحشة اللواط ﴿ . . . إِنَّكُمْ لَأَتُونَ الْفَاحِشَةَ . . . ﴾^(١١٢) . ودعوته لهم إلى التمتع بالحلال عن الحرام والاكتفاء بما شرع الله قائلاً : ﴿ . . . هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ . . . ﴾^(١١٣) . وقال : ﴿ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴾^(١١٤) .

فالملاحظ أن قوله : (تأتون) وقوله : (فاعلين) وقوله سبحانه قبل ذلك (لا تقربوا) كلها ألفاظ لا توحى أبداً بفحش القول أو نكارتة ، وتدل على المقصود تحريمه والتحذير منه دون الحاجة للتصريح بالأفعال والممارسات الجنسية المحرمة . وبهذا يكون الباحث قد انتهى من شرح بلاغة القرآن وآدابه الرفيعة في حديثه عن الخصوصيات الزوجية والممارسات الجنسية حيث تبين لنا أن كلام الله قد بلغ الدرجات العلى في عرض المحاسن وغيرها ، وشرح الحقائق وخفاياها .

والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على النبي الأمين .

(١١١) الإسراء ٣٢ .

(١١٢) العنكبوت ٢٨ .

(١١٣) هود ٧٨ .

(١١٤) الحجر ٧١ .

**دور التعليم العالي في
خدمة المجتمع
في الجمهورية اليمنية**

د / زيد علي الغيلي

د/ شرف أحمد الشهاري

أستاذ أصول التربية المشارك
كلية التربية – قسم التربية وعلم نفس
جامعة صنعاء

أستاذ أصول التربية (المشارك)
كلية التربية – قسم العلم التربوية
جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا



(AUST)

دور التعليم العالي في خدمة المجتمع في الجمهورية اليمنية

الخلاصة : هدف هذا البحث إلى إبراز دور التعليم العالي في خدمة المجتمع ومعرفة التحديات والمشكلات التي أعاقت تطبيق خدمة المجتمع في الجامعات اليمنية وسبل معالجتها .

واتبعت هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لأنه الأنسب لتحقيق أهداف البحث وقد توصل الباحثان من خلال البحث إلى عدد من النتائج منها :

- ١) إن للتعليم العالي دورا مهما في خدمة المجتمع، وتنميته اجتماعيا واقتصاديا وتعليميا
- ٢) تحديد أهم المجالات الخدمية التي يمكن أن تقدمها الجامعة للمجتمع، والتي توثق العلاقات بين الجامعات والمجتمع في اليمن..
- ٣) تحديد أهم العوامل والأسباب الموجودة في التعليم العالي في اليمن وخاصة الجامعات والتي قد تعيق الجامعة عن تقديم خدماتها للمجتمع..
- ٤) اقتراح آلية تساعد على تطبيق خدمة المجتمع في الجامعات اليمنية، وتعزيز وتوثيق العلاقة بين الجامعات والمجتمع في اليمن.
- ٥) تحديد الوسائل والأدوات التي تساعد الجامعات في تطبيق خدمة المجتمع، والتي من أهمها
- ٦) تطبيق إدارة الجودة الشاملة في الجامعات.
- ٧) التعرف على نشأة التعليم العالي في الجمهورية اليمنية وتطوره وأهدافه التي تؤكد نظريا على خدمة المجتمع..

كما ذكر الباحثان عددا من التوصيات منها :

- تحويل دور الجامعات اليمنية من دور تقليدي يختص بالتدريس فقط إلى دور متكامل يهتم أيضا بالبحث العلمي وخدمة المجتمع ...
- زيادة الوعي بمفهوم خدمة المجتمع وأهميته في مؤسسات التعليم العالي لجمع العاملين في هذه المؤسسات وذلك من خلال الندوات والمؤتمرات وغيرها ...
- التركيز على تطبيق إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات التعليم العالي في اليمن..
- العمل على الاهتمام بالبحث العلمي في الجامعات اليمنية من حيث توفر الإمكانيات..
- تفعيل وتوثيق العلاقة بين الجامعات والمجتمع من خلال المشاركة في مختلف الفعاليات..

المقدمة : لم يعد يقتصر دور التعليم العالي في الوقت الحاضر على تقديم الخدمات التعليمية والبحثية فحسب إنما أصبح له دور أساسي في خدمة المجتمع، وتنمية العلاقة بينه وبين المجتمع بكل فئاته ومؤسساته، لكن الملاحظ أن هذه العلاقة يسودها الضعف والفتور.

أن للتعليم العالي من خلال مؤسساته وخاصة الجامعات دوراً مهماً في تنمية وتوثيق هذه العلاقة وذلك من خلال مخرجات الجامعات، والتعليم المستمر لأبناء المجتمع، ومشاركة الجامعات في حل المشكلات في المجتمع، ومساهمتها في فعاليات ونشاطات المجتمع، ودورها في عقد الندوات والمحاضرات والمؤتمرات التي تشارك فيها فئات ومؤسسات المجتمع، كذلك تقوم الجامعة بعقد الدورات التدريبية والتعليمية لأبناء المجتمع داخل الجامعة أو خارجها.

إن العلاقة متبادلة بين الجامعة والمجتمع، فكما أن للجامعة دوراً مهماً في خدمة المجتمع تعليمياً وبحثياً وخدميًا، فإن للمجتمع أيضاً دوراً مهماً في تقوية العلاقة مع الجامعة، والتعاون مع الجامعة في حل المشكلات التي تواجهها سواء المشكلات التعليمية أو الإدارية أو المادية أو الاجتماعية.

ستتناول هذه الدراسة واقع العلاقة بين التعليم العالي والمجتمع، وأهم السبل والمجالات التي من شأنها توثيق العلاقة بين الجامعة والمجتمع، مع تحديد أهم الخطط والوسائل التي تساعد على تحقيق ذلك ثم نعرض على أهم العوائق التي تعيق تقوية العلاقة بين الجامعة والمجتمع وطرق إزالتها، واقتراح آلية لتعزيز وتوثيق العلاقة بين الجامعة والمجتمع.

أهمية البحث: تأتي أهمية البحث من خلال أهمية الموضوع نفسه، وهو دور التعليم العالي المتمثل بالجامعات اليمنية في خدمة المجتمع. ومن خلال الخدمة العامة كوظيفة للجامعة المتمثلة في الآتي:

(١) كونها أداة لتطبيق المعرفة في شتى الميادين، وترجمتها إلى واقع ملموس يسهم في تقدم الحضارة الإنسانية وازدهارها.

٢) أهميتها للجامعة نفسها من خلال البعد الفلسفي، وهو مبدأ مسئولية الفرد نحو مجتمعه والمشاركة في المجتمع الديمقراطي الذي ينتمي إليه، والخدمة العامة واجب وطني وضريبة على الجامعة وأساتذتها وطلبتها نحو المجتمع للمحاسبة والمسائلة الذاتية بما يقدم كل أستاذ وكل طالب ومسؤول في الجامعة لمجتمعه ووطنه.

٣) من خلال عمل الأساتذة والطلبة في الخدمة العامة يتيح لهم الفرصة الثمينة في أن يعيشوا مشكلات مجتمعهم ويوائموا بين النظرية والواقع لتعديل مناهجهم وأساليب تعليمهم وتعلمهم وتطويرها، وتوجيه أبحاثهم ودعمها بما يتناسب مع حاجات مجتمعهم.

٤) أهمية الخدمة العامة للمجتمع من خلال استقلال كل الموارد البشرية والفكرية والمادية المتاحة في الجامعة كأهم مؤسسة من مؤسساته للحصول على خدمة مميزة، في كل المجالات.

٥) إن الانفتاح والتعاون بين الجامعة والمجتمع يعزز الثقة بينهما، ويسهم في بناء نواة وطنية للعلم والتكنولوجيا تعنى بتطوير الصناعات والخدمات الوطنية والارتقاء بها إلى مستوى الاعتماد على الذات (التل، ١٩٩٧، ٥٦٢).

مشكلة البحث: يتحدد دور الجامعة في ثلاثة جوانب رئيسية هي: التعليم، والبحث العلمي، وخدمة المجتمع، لكن من المعروف أن الجامعة تركز الآن على الجانب الأول وهو التعليم، ولا تهتم كثيراً بالجانبين الآخرين، البحث العلمي، وخدمة المجتمع، وأكثر الجوانب إهمالاً هو خدمة المجتمع، حيث أن دور الجامعة اليمنية في هذا الجانب ضعيف جداً في بعض الكليات، وقد يكون معدوماً في كليات أخرى، فلا نرى أي دور للجامعة أو كلياتها في خدمة المجتمع، أو مساعدة مؤسسات المجتمع في النهوض بها إبداعياً وحضارياً، وتدريبياً، واقتصادياً، واجتماعياً.

ولذلك فإن هذا البحث سيتعرض لهذه المشكلة من خلال معرفة الوسائل التي ينبغي للجامعة القيام بها في خدمة المجتمع، ووسائل تقويتها، كما سيتعرض للأسباب التي تحدد تقوية العلاقة بين الجامعة والمجتمع، ثم تقترح الدراسة آليات محددة للنهوض بالجامعات في القيام بدورها الأساسي لخدمة المجتمع في اليمن.

أهداف البحث: يهدف البحث إلى ما يأتي:

(١) تنمية العلاقة وتقويتها بين الجامعات اليمنية والمجتمع وفق أسس سليمة وأساليب واضحة.

(٢) تحديد مجالات خدمة المجتمع وسبل تعزيزها في اليمن.

(٣) معرفة التحديات والمشكلات التي أعاقت تطبيق خدمة المجتمع في الجامعات وسبل معالجتها.

(٤) اقتراح آلية لتقوية العلاقة بين المجتمع والجامعات وتنميتها من خلال تقديم الخدمات للمجتمع.

(٥) التعرف على نشأة الجامعات في الجمهورية اليمنية وتطورها وأهدافها

منهج البحث: استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، وهو الأنسب لتحقيق أهداف هذا البحث، حيث يحاول الباحثان تحديد طبيعة العلاقة القائمة بين التعليم العالي (الجامعات) والمجتمع في اليمن..

حدود البحث: يتحدد البحث بدور التعليم العالي في خدمة المجتمع في الجمهورية اليمنية، من خلال الخدمات التي تقدمها الجامعات للمجتمع داخل الجامعة وخارجها، للعام ٢٠١١ م.

مصطلحات البحث: التعليم العالي: هو كل تعليم يمنح درجة علمية بعد مرحلة التعليم الثانوي. لذلك يدخل في مفهوم التعليم العالي الجامعات، المعاهد العليا، الكليات، وغيرها من مؤسسات التعليم العالي التي تمنح درجة علمية بعد الثانوية (مذكور، ٢٠٠٠ م - نقلا عن عبدالله، ٢٠٠٧، ٢٦٤). لهذا يشمل التعليم

العالي جميع المؤسسات التي تراعي مرحلة التخصص العلمي بعد مرحلة التعليم العام بكافة أنواعه ومستوياته وتسهم في سد احتياجات المجتمع من القوى البشرية (القبلان، ١٤٢٢هـ، ٣٦).

ويقصد بالتعليم العالي (إجرائياً) في هذه الدراسة الجامعات في الجمهورية اليمنية، التي تقدم برامج أكاديمية وتدريبية بعد مرحلة الثانوية، وتشمل (١٠) جامعات حكومية و (١٧) جامعة أهلية، مجموعها (٢٧) جامعة منتشرة في أنحاء اليمن، تقدم شهادات جامعية على مستوى الدبلوم، والبكالوريوس، والماجستير، والدكتوراه، في مجالات وتخصصات مختلفة.

المجتمع: هو جمع من الناس مختلفي الأنواع والأنماط، يعيشون في بقعة واحدة، ولهم ولاءات ورغبات ومشكلات مشتركة يحسون بإحساسات متقاربة، ويعيش هؤلاء الناس في جماعات وفي داخلها كل أنواع العلاقات بحيث يكون المجتمع متكاملًا (شوقي، دت، ٧)

مفهوم الخدمة العامة: الخدمة العامة للمجتمع تعد من الموضوعات الهامة في هذا العصر، وخاصة الخدمات التي يقدمها التعليم العالي للمجتمعات، حيث (بدأ ظهور مفهوم الخدمة العامة في النصف الأخير للقرن التاسع عشر في الولايات المتحدة الأمريكية...وهو حلقة الوصل بين المجتمع (الميدان) والوحدات الأكاديمية في الجامعة، التي تركز الاهتمام على الأبحاث التطبيقية الموجهة لخدمة المشكلات الزراعية والصناعية والاقتصادية والاجتماعية إلى غير ذلك. واستمر هذا الدور بالنمو والاتساع ليشتمل على برامج الجامعة التعليم المستمر والدراسات المسائية، لمن فاتهم القطار للالتحاق ببرامج الجامعة النظامية، وعلى الدورات التدريبية لمختلف فئات المجتمع من البالغين في اللغات والمحاسبة والكمبيوتر وإدارة الأعمال وأعمال البنوك والشركات والمصانع وأعمال السكرتارية والطباعة وإدارة المكتبات وأعمال الزراعة والتجارة والاقتصاد. وغير

ذلك من المستجدات العلمية والتكنولوجيا... في القطاعين العام
والخاص...)) (التل، ١٩٩٧، ٢٠٢)

نشأة الخدمة العامة في الجامعات : لقد أصبح من المعروف أن للجامعات ثلاثة وظائف رئيسية هي: التعليم، والبحث العلمي، والخدمة العامة، ولكن المتبع أن الجامعة لا تقوم بهذه الوظائف كاملة إذ يتركز اهتمامها غالباً على وظيفة التعليم، ثم بشكل متواضع وظيفة البحث العلمي، أما الوظيفة الثالثة وهي خدمة المجتمع التي تؤدي إلى تقوية العلاقة بين الجامعة والمجتمع فإنها تكاد تكون معدومة في بعض الجامعات، وضئيلة في جامعات أخرى، إن الوظيفة الثالثة وهي خدمة المجتمع هي موضوع البحث، والمتبع لتطور مفهوم دور الجامعة يجد أن هذا الدور كان بسيطاً ومقتصراً على التعليم لنقل المعرفة...، ثم تلا ذلك البحث العلمي بعد ظهور المنهج العلمي النظري والتطبيقي في بداية عصر النهضة الأوروبية، بهدف اكتشاف معارف جديدة وإثراء الفكر الإنساني بمجالات المعرفة التقليدية في التعليم الجامعي. وكان التركيز آنذاك على الأبحاث الأساسية وبخاصة في العلوم الرياضية.

إلا أن التزاوج بين البحث العلمي والتدريس كان شبه معدوم، فالأساتذة كانوا يقومون بهاتين المهمتين: التعليم بمناهج تكاد تكون مستقرة وثابتة، والبحث العلمي لأغراض ترقيةهم ونشر أبحاثهم، أي أن المهمتين كانتا مستقلتين استقلالاً تاماً.

وعند بدء الثورة الصناعية والتكنولوجيا ساهمت بعض الجامعات من خلال برامج البحث العلمي والأبحاث التطبيقية الموجهة في خدمة الصناعات، وتطويرها وبخاصة العسكرية منها، كما حصل في ألمانيا في مطلع القرن العشرين، ولكن على نطاق محدود.

واستمر هذا التوجه بدرجات متفاوتة بين الجامعات من بلد لآخر، حيث كان التوجه متسارعاً في أمريكا وبطيئاً في أوروبا، ومع نهاية القرن التاسع عشر وبداية

القرن العشرين وبدء الثورة العلمية والتكنولوجيا وما صاحبها من تغييرات سياسية واجتماعية واقتصادية هائلة بدأت بعض الجامعات تستجيب لهذه المستجدات وتخرج عن دورها التقليدي، وصورتها كبرج عاجي يقتصر العمل فيه على التعليم والبحث العلمي، إلى مجال جديد رحب وخصب أطلق عليه مصطلح الخدمة العامة، تتصدى من خلاله الجامعة لحل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية لمجتمعها، خارج أسوارها وتحسس الحاجات التعليمية والتدريبية والثقافية لهذا المجتمع والعمل على تلبيتها، بحشد الطاقات والإمكانات الفكرية والفنية والمادية المتاحة لها (التل، ١٩٩٧، ٥٥٧).

إن خدمة المجتمع في الجامعة كما سبق وأشرنا ضعيف جداً بل قد يكون معدوماً في بعض الجامعات ومنها الجامعات اليمنية، وقد يكون السبب عدم فهم معنى الخدمة العامة في الجامعات وعدم تصور ذلك نظرياً وعملياً وهذا ما أكده سعيد التل وزملاؤه بقولهم: ((ورغم استجابة بعض الجامعات ووعيها لدورها في الخدمة العامة، إلا أن مفهوم الخدمة العامة لا يزال غير واضح أو غير معروف على المستوى النظري عند الكثيرين من أساتذة الجامعات والمسؤولين عن أدارتها، وغير ممارس من الكثير من الجامعات على المستوى العملي)) (التل، ١٩٩٧، ٥٥٨).

ومقارنة تطبيق هذه الخدمة في جامعات العالم والجامعات العربية، نرى هناك تفاوتاً كبيراً في ذلك، حيث ((نجد أن التباين واضح في مدى استجابة هذه الجامعات الأوروبية، وبعضها مستجيب ومنفتح، استوعب هذا الدور وبلوره وطوره ووسع آفاقه، ليشمل الخدمة العامة على نطاق عالمي، كما هو الحال في الجامعات الأمريكية، أما الجامعات في دول العالم الثالث، فأغلبها غير مدرك لهذا الدور لأن القديم منها يسير أصلاً على النهج الأوربي، والحديث منها يسير على النهج الأمريكي، وفي كلتا الحالتين لم يتسن لهذه الجامعات استيعاب هذا الدور وإدراك أهميته بشكل يمكنها من التكيف مع ظروفها السياسية والثقافية

والاجتماعية والاقتصادية والإسهام في خدمة مجتمعاتها وتطويرها))
(التل، ١٩٩٧، ٥٥٨).

الدراسات السابقة: دراسة الصاوي ، محمد وجيه (٢٠٠٠م) بعنوان: أهداف جامعات دول مجلس التعاون الخليجي (دراسة تحليلية مقارنة في ضوء بعض المعايير)

هدفت الدراسة إلى الإجابة على عدد من الأسئلة منها:

- ١) ما مدى اشتمال الأهداف لوظائف الجامعة ورسالتها؟
 - ٢) ما مدى اشتمال الأهداف لحاجات المجتمع، وطلبة الجامعة؟
- وأظهرت الدراسة أن أهداف الجامعات الخليجية في حاجة إلى إعادة صياغة..
وفي مجال الوظيفة الثالثة للجامعة وهي (خدمة المجتمع) التي لها علاقة بهذا البحث فقد توصلت الدراسة إلى ما يلي :

((خدمة المجتمع : وهي الوظيفة الثالثة للجامعة رغم أهمية هذا الجانب لم تنص كثير من الجامعات صراحة في أهدافها على هذه الوظيفة من هذه الجامعات: الملك سعود، والجامعة الإسلامية، وجامعة الملك فهد، وجامعة الملك عبد العزيز، وجامعة الإمام، وجامعة أم القرى. غير أن هناك جامعات أشارت بشكل غير مباشر إلى هذا الجانب مثل جامعة الملك سعود بصياغة عامة مثل (تفاعل دائم مستمر مع المجتمع السعودي)، وجامعة الملك فهد أكدت على (أن تسهم في تقدم المجتمع السعودي)، وجامعة الإمام تشير إلى: (تلبية حاجات البلاد الإسلامية إلى تخصصات..). وأكدت باقي الجامعات - خاصة جامعة السلطان قابوس - على (تطوير المجتمع والمحافظة عليه.. السعي إلى خدمة المجتمع العماني وتطويره... خدمة البيئة)).

وكذلك قانون الجامعات اليمنية الصادر عام ١٩٩٥م حدد بأن من أهداف الجامعات اليمنية خدمة المجتمع وتقوية الروابط بينها وبين المؤسسات

المجتمعية (كما سيأتي) لكن لا يوجد تطبيق على أرض الواقع بالمستوى المطلوب.

دراسة حسن، أميرة (٢٠٠٧) بعنوان: نحو توثيق العلاقة بين الجامعة والمجتمع، ومن أهداف هذه الدراسة: إظهار المجالات التي يمكن تساعد في توثيق العلاقة بين الجامعة والمجتمع وكشف الطرق والوسائل التي تستخدمها الجامعة لتحقيق التزاوج بينها وبين المجتمع.

ومما توصلت إليه هذه الدراسة:

أ - أن الحديث عن المجالات التي تعزز من توثيق العلاقة بين الجامعة والمجتمع هي من أهم المجالات في تحقيق النجاح في المجالات المختلفة.. ومن هذه المجالات: الجامعة والعودة، الموجهات العامة للجامعة، الربط بين الجامعة ومشكلات المجتمع..

ب - أن هناك عدة طرق ووسائل تستخدمها الجامعة لتحقيق التزاوج بينها وبين المجتمع منها:

- ١) أهداف الجامعة لا بد أن تتلاءم مع المتطلبات الأساسية للمجتمع..
- ٢) التواصل بين الجامعة والمؤسسات العلمية في الدولة..
- ٣) تركيز الجامعة على الإمكانيات المحلية المتوفرة المادية والبشرية التي بدورها تركز على القيادة المحلية وتدريبها..
- ٤) الانفتاح على أفراد المجتمع والتعامل مع المزيد من مؤسساته وهيئاته المختلفة، والمساهمة في تقديم الحلول لمشكلاته.

دراسة الشخي، عبد القادر (١٩٨٢) بعنوان: الجامعة في خدمة المجتمع - المراكز الجامعية لخدمة المجتمع، هدفت الدراسة إلى استعراض ماهية مراكز خدمة المجتمع ووصلت الدراسة إلى أن مراكز خدمة المجتمع لها دور في خدمة المجتمع في النواحي الصحية والدراسات الهندسية فيما يختص بالفرع العلمي، أما الفرع الإنساني فيضم الدراسات اللغوية والإدارية.

مجالات تقوية العلاقة بين الجامعات اليمنية والمجتمع : سيتناول الباحثان هنا سبل تعزيز العلاقة بين الجامعات اليمنية والمجتمع من خلال الوظيفة الثالثة فقط للجامعة وهي الخدمات التي تقدمها الجامعة للمجتمع في مجالات مختلفة. إن المكانة المرموقة التي تحتلها الجامعات في مجتمعتها، تمنحها حق الريادة والتأثير، ويترتب عليها في الوقت نفسه مسئولية النهوض بالمجتمع المحيط بها وتنميته، وتتعرز العلاقة بين الجامعات والمجتمع من خلال قيام الجامعات بتقديم خدماتها للمجتمع من خلال مجالات متعددة منها:

أولاً: المؤتمرات والندوات والمحاضرات العامة والخاصة:

من المجالات التي تهتم بها الجامعة في خدمة المجتمع وتعزيز العلاقة بينها وبين المجتمع تنظيم الندوات والمؤتمرات والمحاضرات واللقاءات العلمية، وهذا يتطلب وجود كوادر متخصصة من الهيئة التدريسية في شتى المجالات داخل الجامعة حتى تستطيع أن تنظم وتشارك في مثل تلك الفعاليات، داخل الجامعة أو خارجها. ووجود الكادر المتخصص يكون قادراً على إقامة مثل هذه الفعاليات بالدراسات والأبحاث التي يعدها في أي من هذه الفعاليات، وكذلك يكون قادراً على الحوار والنقاش وإثراء الموضوع بالأفكار المناسبة المدعمة بالأدلة والبراهين، كما أن المشاركة في مثل هذه الفعاليات من قبل الأساتذة والمختصين تكون سبباً لتنمية معارفهم وشهرتهم في تخصصاتهم، وتكون أيضاً فرصة للتعارف وتبادل الخبرات.

وتلك الفعاليات كالمؤتمرات والندوات والمحاضرات تناقش موضوعاً أو موضوعات خاصة أو عامة، تهتم المجتمع المحلي أو الإقليمي أو (الدولي) وقد تكون داخل الجامعة أو خارجها في المجتمع المحلي، أو مشاركة في أي دولة مهتمة بهذا الجانب.

وقد تعالج مثل هذه الفعاليات جوانب ومواضيع متعددة، كالجوانب الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية وغير ذلك.

((وقد يصاحب هذه المؤتمرات والندوات معارضة علمية، وثقافية، وصناعية، وزراعية وغيرها، مما يعتبر وسيلة لنقل صورة عن الحديث في عالم الصناعة والزراعة والتكنولوجيا في مختلف المجالات حيث تفتح هذه المعارض أبوابها على هامش المؤتمرات للرواد من داخل الجامعة ومن خارجها، وتوزع فيها المنشورات والإرشادات عن موجوداتها وكيفية الحصول عليها واستخدامها، فتصبح المعارض بذلك وسائل تعليمية توضيحية لنقل المعرفة والتكنولوجيا من عالم (لآخر)) (التل، ١٩٩٧، ٥٨٧) وهذه الفعاليات وما يصاحبها من أنشطة ومعارض وأبحاث تعد خدمة المجتمع من الأمور التي تقوي العلاقة بين الجامعة والمجتمع.

ثانياً: الاحتفالات بالمناسبات العامة:

تقوم الجامعة عادة بتنظيم الاحتفالات بالمناسبات المختلفة، الدينية، والوطنية، والقومية، والعالمية، والجامعة تهتم بهذه المناسبات وإبرازها، وتقيمها داخل الجامعة وتدعو لها الأساتذة والطلبة والعاملين بالجامعة، كما تدعو لها من خارج الجامعة المكاتب والمؤسسات الحكومية والخاصة، والمنظمات والأحزاب، أو الشخصيات الاجتماعية وأفراد المجتمع ((ورغم أن مثل هذه الاحتفالات تحمل في ظاهرها مظاهر اجتماعية وطقوس معينة، إلا أنها في الحقيقة وسيلة لصياغة المواطن الصالح لمجتمعه وأمته وللعالم أجمع، فمثل هذه المناسبات تفرس في نفوس الطلبة والمواطنين الانتماء للجامعة وللوطن وللأمة، وهي مظهر من مظاهر الاعتزاز الوطني أو الديني أو القومي دون تعصب أو غلو، كذلك تنمي هذه الاحتفالات روح التعاون والدافعية والمشاركة والحسن الجامعي والتآخي والعمل بروح الفريق)) (التل، ١٩٩٧، ٥٨٧).

وهذه الفعاليات التي تقيمها الجامعة لها دور كبير في تعريف المجتمع بأنشطة الجامعة، وإمكانياتها، وكذلك إبراز الاهتمام بالقضايا والمناسبات الدينية والوطنية والاجتماعية والمناسبات الإقليمية والعالمية، وقيام الجامعة بمثل هذه

الفعاليات يشجع طلبة الجامعة وأساتذتها على العطاء والإنتاج ومضاعفة الجهود خاصة عندما يجدون من الجامعة الدعم والتشجيع المادي والمعنوي. ومن خلال هذه المناسبات تشارك الجامعة مجتمعها المحلي داخل الجامعة وخارجها بفعاليات متنوعة مثل:

الفرق الفنية كالأناشيد الوطنية والدينية، وفرق المسرح، والفرق الرياضية، وفرق الجواله، والخدمات العامة، وكذلك المشاركة بالكلمات والآراء والأفكار. كما أن مثل هذه الفعاليات لها دور كبير في تعزيز العلاقة بين الجامعة والمجتمع، وإحساس المجتمع بأن الجامعة تهتم بالمناسبات المختلفة، وأنها تشارك المجتمع في هذه الفعاليات.

ثالثا: الخدمات الإرشادية والتوعوية: تعد الجامعة مؤهلة للقيام بهذه الخدمات لما يتوفر لها من طاقات بشرية وأجهزة، ويتم ذلك من خلال ((برامج وندوات ومحاضرات تعني بجوانب الإرشاد الأسري والتنشئة الاجتماعية، وبرامج التوعية الصحية بما في ذلك التوعية بأخطار المخدرات والكحوليات والتدخين وغيرها. ولا شك أن مثل هذه البرامج تولد شراكة تثقيفية من الجامعة بصفتها مركز إشعاع وتنوع علمي، وبين الشرائح والفئات الاجتماعية المختلفة، وكذلك إقامة جسور تعاونية بين الجامعات ومؤسسات المجتمع)) (السلطان، ٢٠٠٥م، ١٢)، ويضاف إلى هذه الخدمات الإرشادية والتوعوية التي تقوم بها الجامعات: الدعوة الإسلامية، والقضايا الدينية والجماعية.

رابعا: البحث العلمي في الجامعات اليمنية:

من المعروف أن مجال البحث العلمي من أهم الروافد التي يمكن للجامعة أن تقدم من خلالها خدمة للمجتمع، حيث يوسع الآفاق للتراف على مشكلات المجتمع وقضاياها

لكن مشاريع البحوث العلمية في الجامعات اليمنية ومراكزها تعاني من ضعف في تمويلها ومن ثمّ إما أن يتم إلغاؤها أو يقتصر على عدد محدود من هذه

المشاريع. ولو نظرنا في قوائم ما ينفق على البحث العلمي في عالمنا الإسلامي مقارنة بما تنفقه الدول المتقدمة فربما أصبنا بنوع من خيبة الأمل، إذ سنكون في ذيل القائمة. على الرغم من أن كثيراً من الدراسات خلصت إلى أن أكبر استثمار مريح هو الاستثمار في البحث العلمي، واتضح من نتائج هذه الدراسات أن ما ينفق من أموال على التعليم والبحث العلمي يتم تعويضه خلال ٩ أو ١٠ سنوات في حين أن تعويض القروض الطبيعية التي تؤخذ من أجل التنمية تحتاج إلى فترة تتراوح بين ١٢ - ١٨ سنة، وأن برامج استصلاح أراضٍ جديدة لا يمكن أن تُسدَّ نفقاته قبل ١٢ - ١٥ سنة (سفر، ١٩٨٤، ١٣٣).

وتشير في هذا الصدد بعض الدراسات إلى أن الدول المتقدمة صناعياً تنفق ما بين ٤ و ٣٪ من إجمالي ناتجها القومي في توظيف البحث العلمي من أجل التنمية على حين أن الدول الإسلامية لا يتعدى ما تنفقه في هذا المجال ٠.٣٪ (النجار، ١٩٨٩، ٢٦).

ولقد أدى ضعف الإنفاق على البحث العلمي إلى ركود حركة الثقافة وقلّة أعداد الكتب والعلماء الناشرين في العالم الإسلامي، وهذا انعكس بطبيعة الحال سلباً على خدمة المجتمع ودراسة مشاكله وحلها عن طريق البحث العلمي.

خامساً: المرافق والتسهيلات الجامعية:

تشتمل الجامعة عادة على مرافق وتجهيزات وخدمات كثيرة، ومن خلال هذه الأشياء تقدم الجامعة خدمات متميزة للمجتمع، ومن ذلك: الملاعب الرياضية، بأنواعها، والصالات الرياضية، والمساح، وقاعات الاجتماعات والاحتفالات التي تستخدم أيضاً من قبل المجتمع، وكذلك النشاطات الثقافية والفنية والاجتماعية، والمطاعم والنوادي للعاملين وللأساتذة وللخريجين وللطلبة (إن حصر استخدام هذه المرافق والتسهيلات بأسرة الجامعة من أساتذة وإداريين وطلبة هدر لهذه الطاقات وهذه الإمكانيات، فلا بد من تعظيم المردود من هذه

الاستثمار بإتاحة الفرصة للمجتمع المحلي للاستفادة من هذه المرافق وهذه (التسهيلات)) (التل، ١٩٩٧، ٥٨٦).

وهذه المرافق يمكن استخدامها في أوقات مناسبة كالفترات المسائية، والعطل الأسبوعية والسنوية والمناسبات، وتستخدم لأبناء الجامعة نفسها. وتستخدم أيضاً لفئات وأفراد من خارج الجامعة من أبناء المجتمع، من خلال عقد المؤتمرات والندوات والمحاضرات واللقاءات العامة لصالح مؤسسات أو هيئات أو منظمات أو نقابات أو اتحادات في تلك المرافق داخل الجامعة، إما مجاناً أو بمبالغ رمزية لتغطية نفقات عمال النظافة والصيانة، وقد يستفيد المشاركون في مرافق الجامعة من مطعم وبوفية الجامعات بأسعار الكلفة فقط.

إن مثل هذه الفعاليات والنشاطات داخل الجامعة من خلال استخدام المرافق والتجهيزات والتسهيلات من شأنه أن يعزز العلاقة بين المجتمع والجامعة، وتعرف المجتمع بكل فئاته على إمكانيات الجامعة وتوفرها للمرافق والتجهيزات والتسهيلات التي هي أيضاً في خدمة المجتمع.

سادساً: التعليم المستمر:

يعد هذا المجال الأكثر شيوعاً لمفهوم الخدمة العامة التي تقدمها الجامعة للمجتمع، كما أن هذا المجال له دور مهم في تعزيز العلاقة بين الجامعة والمجتمع، ولأهمية هذا المجال أنشأت بعض الجامعات مراكز وإدارات خاصة للتعليم المستمر، والتعلم المستمر مجال واسع في التعليم والتدريب التي تقوم به الجامعة للمجتمع أفراداً وهيئات ومؤسسات، للكبار والصغار للرجال والنساء، للموظفين والمعلمين، للعاملين والعاطلين، وتقدم الجامعة هذه الخدمة داخل الجامعة، وخارجها، صباح ومساءً، في أوقات الدوام وخارجها، وفي العطل والإجازات الطويلة والقصيرة، ويتم ذلك (باتصال مباشر مع المتعلمين أو عن بُعد، وباستخدام وسائل الإعلام المختلفة وتكنولوجيا التعليم المتطورة، تقدمها للراغبين في إكمال دراستهم النظامية أو للراغبين في التعليم والتدريب في أي

مجال من مجالات الحياة التي يحتاجون إليها، للمختصين في حقولهم أو للمبتدئين الراغبين في تعلم شيء جديد، للراغبين في تعلم حرفة أو مهنة جديدة أو للراغبين في تغيير مسارات حياتهم المهنية والفنية بسبب ظروف العمل، إزاء ذلك كله تحاول الجامعة تقدير الخدمات التعليمية والتدريبية التي تلبي حاجات هذه الفئات المختلفة في المجتمع)) (التل، ١٩٩٧، ٥٧٠).

ومن الأنواع التعليمية والتدريبية التي تقدمها خدمة التعليم المستمر في الجامعة ما يأتي:

أ - الدراسة المسائية النظامية.

ب - التعليم عن بعد.

ج - دورات وبرامج مهنية ومتخصصة.

د - دورات فنية للعمال المهرة والفنيين.

هـ - دورات عامة لخدمة المجتمع.

سابعاً: الاستشارات والدراسات:

قيام الجامعة بتقديم الاستشارات والدراسات تعد قفزة نوعية في مجال التحديث والتطوير للمؤسسات العامة والخاصة، في أنواع مختلفة إدارية وفنية ومهنية، يقوم بهذا العمل أساتذة الجامعة المختصين ومختبرات ومعامل الجامعة، إن الجامعة تقوم بـ(تقديم الاستشارات العلمية للهيئات والشركات والمؤسسات الحكومية والأهلية، وهذا لن يتم إلى إذا استوعبت الجامعات حاجات القطاعات الصناعية والعمرانية والتجارية من الخبرات والدراسات، وعملت على تلبيتها)) (بكار، ٢٠٠١، ٢٣٤) (إن إتاحة الفرص لأساتذة الجامعات للعمل كمستشارين أو باحثين أو إداريين في المؤسسات العامة والخاصة للدولة هو واجب وطني يترتب على الدولة القيام به، وسن التشريعات اللازمة لدعمه وتأكيد، وعلى الجامعة الاستجابة له ووضع كافة إمكانياتها في خدمته. وبغير ذلك ستبقى مؤسساتنا رهناً للممارسات التقليدية في إدارتها وقدرتها على التحديث

والتطوير، وغير قادرة على إحداث التغيير المنشود في أهدافها وإجراءاتها وأساليب إنتاجها)) (التل، ١٩٩٧، ٥٧٤).

إن الجامعة قادرة على القيام بهذا المجال ليس على المستوى الوطني فقط ولكن حتى على المستوى الإقليمي أو العالمي، فتجرى الدراسات وتقديم الاستشارات من خلال المشاركة الجماعية بلجان عمل أو المشاركة الفردية.

فعلى المستوى الوطني تقدم الجامعة الدراسات والاستشارات للمؤسسات والمقطاعات الحكومية والخاصة، ففي القطاع الحكومي تمارس الجامعة دورها الريادي في التحديث والتطوير في مؤسسات الدولة المختلفة فمثلاً تقوم الجامعة بإجراء الدراسات التي تساعد في تحديث وتطوير مؤسسات الدولة إدارياً ومالياً وفنياً، وذلك من خلال أساتذة الجامعة وبالتنسيق مع مسئولى تلك الأجهزة والمؤسسات والمعنيين.

أما القطاع الخاص فإن للجامعة دوراً كبيراً في هذا الجانب، حيث تقدم الدراسات والاستشارات في مجالات مختلفة كالمشاريع التجارية والصناعية والاقتصادية، حيث تستند الجامعة في البداية على معلومات صحيحة تستند عليها في إجراء دراسات لأي مشروع حتى تكون النتائج سليمة والتقييم والتطوير صحيحة لمثل هذه المشاريع، وهذا يعني أنه لا بد أن تكون لدى الجامعة قدرة على الدخول في مثل هذا العمل، وأن يكون لدى أساتذة الجامعة خبرة ومعرفة فنية وعلمية، ومتابعتهم لكل جديد، ومشاركتهم في المؤتمرات والاستشارات وتبادل الخبرات محلياً وإقليمياً وعالمياً.

إن الجامعة قادرة على القيام بالدراسات والاستشارات من خلال كلياتها المختلفة، مثلاً كلية التربية تستطيع المشاركة في الدراسات التي تساعد في تطوير وتحديد العملية التربوية على مستوى الوطن، فتشارك مثلاً في تقييم وصلاحيات المدخلات والعمليات والمخرجات للنظام التربوي، وتقديم الاستشارات اللازمة لتطوير هذا النظام.

وكلية الاقتصاد قادرة على تقديم الدراسات والاستشارات في مجال دراسة الجدوى في المشاريع الاقتصادية ومدى نجاحها من عدمه، وكذلك باقي الكليات العلمية والمهنية والإنسانية قادرة على تقديم الدراسات والاستشارات في مجال تخصصها من خلال أساتذتها المتخصصين والتميزين.

أما على المستوى الإقليمي والعلمي فإن بعض الجامعات ذات الشهرة المتميزة والجودة العالية، تعقد اتفاقيات وعقود مع مؤسسات ومنظمات وهيئات خارج الوطن، بغرض تقديم الاستشارات وإجراء الدراسات لتطويرها وتحديثها وتقييمها، كما تقوم بعض الجامعات بتشجيع أساتذتها على العمل خارج الوطن في مراكز استشارية وبحثية مساهمة منها في خدمة المجتمع الإقليمي والعالمي، ولتأهيل أساتذتها بالخبرات اللازمة.

ثامنا: الرعاية الصحية:

عادة تقوم الجامعات العريقة بتقديم خدماتها للمجتمع، ومن ذلك الرعاية الصحية، سواء عن طريق مستشفياتها التعليمية، أو مراكزها الصحية، أو المعلمين والمتعلمين والمتدربين في مجالات الصحة، وتقدم الجامعات الخدمات الصحية للمجتمع للزود والأسرة والمجتمع.

تجارب عربية في قيام الجامعات بخدمة المجتمعات : اهتمت الدول المتقدمة وبعض الدول النامية بالجامعات، وسعت إلى تحسين الجامعات وتطويرها من خلال الاهتمام بجودة مدخلاتها، وعملياتها، ومخرجاتها، فأدخلت بعض الجامعات في الدول المتقدمة خدمة المجتمع بأساليب مختلفة داخل الجامعة وخارجها، ونجحت نجاحاً باهراً في هذا الجانب.

لكن بعض الجامعات في الدول النامية والعربية منها واجهت تحديات ومشكلات في تطبيق خدمة المجتمع، فهي وإن كانت تسعى إلى تطبيقه بشكل أفضل مما هو عليه الآن، إلا أنها تواجه بعض التحديات، والصعوبات، والسلبيات، فالاهتمام

بخدمة المجتمع وإن وجد فهو بشكل ضعيف جداً، وهذا لا يمنع من وجود جامعات مهتمة جداً بخدمة المجتمع.

ومن هنا، فإن على جميع الجامعات أن تسعى إلى تطبيق خدمة المجتمع في كل المجالات وبكل الأساليب الممكنة، وذلك من خلال القضاء على السلبيات الموجودة في الجامعات، ومن خلال تطوير وتحسين كل مدخلاتها وعملياتها ومخرجاتها. ونذكر هنا تجارب بعض الدول العربية في الاهتمام بتقوية العلاقة بين الجامعات والمجتمع من خلال الخدمات المتميزة التي تقدمها الجامعات للمجتمع كما يأتي:

١ - جامعة الملك عبد العزيز: أنشأت جامعة الملك عبد العزيز في عام ١٤١٨هـ (عمادة خدمة المجتمع والتعليم المستمر) وتعتبر خدمة المجتمع والتعليم المستمر بجامعة الملك عبد العزيز إحدى المراكز المهمة في خدمة المجتمع والتعليم المستمر في الجامعات السعودية، لقد أولت الجامعات السعودية بما فيها جامعة الملك عبد العزيز خدمة المجتمع والتعليم المستمر اهتماماً بالغاً فأنشئت بها العمدات المستقلة لتنظيم كل ما له صلة بالعلاقة بين المجتمع والجامعة، وتسعى العمادة إلى عمل كل ما من شأنه النهوض بالمجتمع في سائر نواحيه تلبية لحاجاته ومتطلباته وذلك من خلال:

- توفير برامج في مجال الخدمات التعليمية والتدريبية وبرامج التعليم المستمر في شكل دورات وبرامج تأهيلية تطويرية وتدريبية لتنمية القوى البشرية بالمملكة على مختلف مستويات تأهيلها، إضافة إلى تقويمها وتقديم المساعدات المهنية والمساندة العلمية.

- نشر الثقافة والمعرفة والوعي العلمي والتقني لمختلف قطاعات المجتمع.
- تنظيم المؤتمرات والندوات والحلقات وورشات العمل ونشر المعلومة بواسطة وسائل الإعلام المقروءة والمرئية والمسموعة بهدف نشر الوعي العام بين أفراد المجتمع بالتعاون مع الجهات ذات العلاقة.

٢ - جامعة النجاح الوطنية: جامعة النجاح الوطنية في فلسطين من الجامعات التي اهتمت بخدمة المجتمع، حيث أنشأت (مركز الخدمة المجتمعية) والذي من خلاله تقدم الخدمات المتميزة للمجتمع، لقد أسست الجامعة ١٥ مركزا علميا وبحثيا وجدت لخدمت الطلبة والمجتمع المحلي. ويبلغ عدد طلبة الجامعة حوالي ١٥٠٠٠ طالبا وطالبة، تشكل الطالبات نسبة ٥٦% من المجموع الكلي. تقوم رسالة جامعة النجاح الوطنية كغيرها من الجامعات على تحقيق الجانب الأكاديمي والجانب الخدماتي المجتمعي. من خلال الإسهامات التالية:

- رفد مؤسسات المجتمع المحلي بالكفاءات.
- الخدمات المجتمعية التي تقدمها الجامعة من خلال مراكزها العلمية والبحثية.
- إذاعة صوت النجاح.
- برنامج التبادل الشبابي زاجل: يقوم على أساس استضافة العديد من العناصر الشابة والقيادية في المجتمعات المحلية والعربية والعالمية.
- مساق خدمة المجتمع في الجامعة: تخصص الجامعة ضمن خطتها التدريسية مساق يسمى خدمة المجتمع وهو لكافة طلبة الجامعة، وقد أوكلت الجامعة مركز الخدمة المجتمعية بتنظيم الطلبة المسجلين في المساق.
- التوعية المجتمعية وتقديم الاستشارات من خلال وسائل الإعلام المختلفة.
- المشاركة في المؤتمرات والأنشطة التي تقيمها مؤسسات المجتمع (الحمد لله ، ٢٠٠٦ ، أنت).

٣ - الجامعة الأردنية: الجامعة الأردنية من الجامعات العربية التي اهتمت بخدمة المجتمع، فقد أنشأت لهذا الغرض (مكتب خدمة المجتمع)، واعتبرت خدمة المجتمع مقرا إجباريا للتخرج (دون دفع رسوم) يدرسه جميع طلبة البكالوريوس بالجامعة الأردنية. وقد أصدرت الجامعة في ٢٠٠٢م لائحة تعليمات

باسم (تعليمات خدمة المجتمع في الجامعة الأردنية)، وقد حددت التعليمات أهداف متطلب خدمة المجتمع، ومهام المكتب، حيث أن مكتب خدمة المجتمع لا يقتصر دوره على الإشراف على المتطلب المقرر ولكن أناطت التعليمات بالمكتب أيضا مهام الإشراف على خدمة المجتمع المتمثلة فيما يأتي:

- أ - عقد ورشات عمل مفتوحة لطلبة السنة الأولى.
- ب - في الجامعة تغطي موضوعات مختلفة مثل: المواطنة، الديمقراطية، الجامعة والمجتمع الجامعي، سلوك الطالب الجامعي،
- ج - مهارات التعليم، خدمة المجتمع، مهارات الاتصال، ويكون حضور هذه الورشات اختياريا تطوعياً للطلبة.
- د - الإعلان في بداية كل فصل دراسي عن المشاريع المعتمدة في الجامعة لخدمة المجتمع، وتحدد في هذا الإعلان طبيعة المشروع ومكان وتاريخ تنفيذه، والعدد الذي يحتاجه تنفيذ المشروع على أن يتقدم الطالب للمكتب لتسجيل اسمه بالمشروع الذي يرغب المشاركة فيه.
- هـ - إرسال كشف بأسماء الطلبة الذين أنجزوا متطلب خدمة المجتمع في نهاية كل فصل دراسي إلى وحدة القبول والتسجيل (مجلس العمداء، ٢٠٠٢).
- ٤ - جامعة القديس يوسف اللبنانية: أحد الأدوار المهمة للجامعة هو التزامها بالمحيط الذي ترتبط به، وتجربة الجامعة اليسوعية اللبنانية تأتي من خلال المركز الجامعي للصحة العائلية والمجتمعية، وهي تأكيد لهذا الدور، وهي بالطبع ليست التجربة الأولى في هذا المجال؛ فقبله جاء مركز طب الأسنان، وغيره..

والخدمات التي يقدمها المركز الجامعي للصحة العائلية والاجتماعية في الجامعة اللبانية على النحو التالي (سعد الدين، ٢٠٠٧م، ٢٢):

- ١ - الخدمات الطبية.
- ٢ - الخدمات التمريضية.
- ٣ - الخدمات الاجتماعية.
- ٤ - الخدمات الغذائية.
- ٥ - الخدمات الوقائية والصحية.

تطبيق خدمة المجتمع في الجامعات وواقع التعليم الجامعي في اليمن : قبل الولوج في مسألة توصيف واقع التعليم الجامعي وتشريحه تجدر الإشارة أن الأنموذج الذي يعينني في هذه الدراسة وهو المستهدف بهذا التوصيف هو أنموذج الجامعات اليمنية.

ومن ثم أرى ضرورة التعرض للعوامل التي أعاققت تطبيق خدمة المجتمع مع التطرق لإشكاليات التعليم الجامعي في الوطن العربي، وتخصص الحديث عن المظاهر السلبية لواقع التعليم الجامعي بنموذج للدراسة هو الجامعات اليمنية.

١) العوامل التي أعاققت تطبيق خدمة المجتمع في الجامعات اليمنية:

هناك عوامل متعددة أسهمت في وجود بعض الإشكاليات أو الأزمات في التعليم الجامعي في اليمن، والتي تجعل من معالجتها وتصحيحها أمرا لا بد منه من أجل تعزيز العلاقة بين الجامعة والمجتمع، ومن أبرز تلك العوامل ما يلي:

- ١ - ندرة أو شح التمويل.
- ٢ - انعدام ارتباط محتوى وطرائق التدريس الجامعي بحاجات المجتمعات لاسيما في عصرنا الحالي الذي يشهد تطورات متسارعة في مجال المعرفة بوجه عام، ومجال تكنولوجيا المعلومات على وجه الخصوص.
- ٣ - بطالة خريجي الجامعات أو البطالة المقنعة للخريجين.

٤ - المطالبة الاجتماعية بأن تتحمل الجامعات المسؤولية، وضرورة خضوعها لنظام الرقابة والمساءلة الإدارية.

٥ - الضغوطات الاجتماعية على مؤسسات التعليم الجامعي لكي تحقق مبدأ الكلفة/ الفاعلية (الخطيب، ٢٠٠١، ٢٥١).

وسيحاول الباحث هنا الإشارة باختصار إلى السلبيات الموجودة في التعليم العالي في اليمن وخاصة الجامعات والتي قد تعيق الجامعة عن تقديم خدماتها للمجتمع ومن ذلك ما يأتي:

- ١ - ضعف التمويل الجامعي.
- ٢ - ضعف تسويق الخدمات الجامعية.
- ٣ - الأوضاع العلمية والمهنية للأستاذ.
- ٤ - ضعف الاهتمام بالبحث العلمي.
- ٥ - علاقة الجامعات اليمنية بغيرها من المؤسسات شبه معدومة.
- ٦ - فقدان التنافس بين الجامعات تعليميا وإداريا وفنيا..
- ٧ - تدني مستوى النشاطات والمبادرات الجامعية.
- ٨ - ضعف الموازنة بين مخرجات التعليم العالي واحتياجات سوق العمل.
- ٩ - غياب استراتيجيات تطوير وتنمية أعضاء الهيئة التدريسية في الجامعات.
- ١٠ - ضعف الحافز لدى أعضاء هيئة التدريس.
- ١١ - كثرة الأعباء الملقاة على عاتق عضو هيئة التدريس.

٢) وسائل وأدوات تساعد الجامعات في تطبيق خدمة المجتمع من خلال تطبيق إدارة الجودة الشاملة في الجامعات:

إن الجامعة التي تستطيع القيام بتقوية العلاقة بينها وبين المجتمع من خلال تقديم الخدمات المتميزة في شتى المجالات هي تلك الجامعة التي تطبق إدارة الجودة الشاملة من خلال التحسين والتطوير لمدخلاتها وعملياتها ومخرجاتها، ((ولن يكون بمقدور الجامعات أن تقوم بهذا كله على نحو جديد ما لم تتم إعادة

تنظيمها من جديد من خلال إجراء تغييرات جذرية كثيرة في كل أوضاعها، إلى جانب: إعادة رسم أهدافها على نحو أكثر شمولاً ووضوحاً)) (بكار، ٢٠٠١، ٢٣٥) ومن أهم وسائل إدارة الجودة الشاملة وأدواتها في الجامعات، التي تساعد بشكل كبير على تطبيق خدمة المجتمع ما يأتي(النجار، ١٩٨٩، ٧٨):

- ١ - التدريب والتعليم المستمر
- ٢ - التقييم الذاتي.
- ٣ - التركيز على خدمة المجتمع.
- ٤ - المشاركة في اتخاذ القرارات.
- ٥ - التخطيط والتوجيه.
- ٦ - القيادة الديمقراطية.
- ٧ - حلقات الجودة وروح الفريق.
- ٨ - الاتصالات.
- ٩ - المكافآت والحوافز.
- ١٠ - التعاون بين القيادات والكليات.
- ١١ - التجديد والتحسين المستمر.
- ١٢ - قياس الجودة بصفة دورية.
- ١٣ - الاعتراف بالأداء الفعال.
- ١٤ - الرؤية الثقافية.
- ١٥ - المقارنات التجديدية.
- ١٦ - التكامل مع العمل.
- ١٧ - إدارة العمليات والتحسينات.
- ١٨ - المنافسة مع الجامعات الأخرى.
- ١٩ - تطبيق التفكير المنتظم.
- ٢٠ - مراقبة وتوكيد الجودة.

إن تلك الأدوات مهمة جداً بوصفها آليات ومعايير لإدارة الجودة الشاملة في الجامعات، وهي معايير شاملة ومتنوعة، وجديرة بالدخول في المنافسة إذا ما طبقت وروقت تطبيقها، وجودتها.

وبعض الجامعات المتقدمة نجحت في إدارة الجودة الشاملة من خلال تلك الآليات، والمعايير، لأن هذه المعايير، والآليات يمكن قياسها، والتأكد من جودتها بصفة مستمرة، ودورية، من أجل الوصول إلى التحسين والتطوير المستمرين.

٣) آلية تطبيق خدمة المجتمع في الجامعات اليمنية:

ينبه الباحثان إلى أن مجرد الدعوة لاستخدام نظام فعال، وجيد لا يكفي إذ لا بد من تطبيق هذه الدعوة على أرض الواقع، ولعل أبرز ما يواجه هذه الدعوة التي نادى بها بعض الجامعات العربية هي آلية التطبيق، ويقترح الباحث الآلية الآتية

لتطبيق خدمة المجتمع في الجامعات اليمنية من أجل تعزيز العلاقة بين الجامعة والمجتمع.

- ١) إنشاء قطاع أو مركز رئيسي لخدمة المجتمع في وزارة التعليم العالي، وبرئاسة وزير التعليم العالي في الدولة.
- ٢) يكون لهذا القطاع أو المركز فروع أو عمادات ممثلة له في الجامعات ويكون على اتصال مباشر معه، كما هو في بعض الجامعات العربية والأجنبية.
- ٣) تمنح هذا العمادة أو المركز صلاحيات واسعة في مجالات عدة، وتكون لهذه المراكز موارد مالية خاصة بها لتتمكن من إدارة أعمالها وتقديم خدماتها بالشكل المطلوب.
- ٤) تنشأ في كل كلية نيابة أو إدارة خاصة بخدمة المجتمع، تتبع العمادة أو المركز المختص بخدمة المجتمع، وترفع له التقارير الدورية.
- ٥) تفعيل التوازن بين مبدأي الثواب والعقاب في تقديم الخدمات للمجتمع وتعزيز العلاقة معه.
- ٦) تكون هذه العمادات أو المراكز في الجامعات ملزمة برفع تقارير مفصلة دورية عن عملها إلى القطاع أو المركز الرئيسي بوزارة التعليم العالي مع متابعة هذه التقارير والتدقيق فيها.
- ٧) بناء نظام للمكافآت والمحضرات وبشكل سنوي للجامعات والكليات التي تعتمد وبدرجة متميزة أساليب خدمة المجتمع وربطه بالجامعة.

نشأة التعليم العالي في الجمهورية اليمنية وتطوره وأهدافه :

أولاً : نشأت الجامعات اليمنية وتطورها:

كانت اليمن محرومة من التعليم العالي الحديث بل من التعليم العام قبل ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م في الشمال، وقبل الاستقلال عام ١٩٦٧م في الجنوب، ومنذ ذلك الحين بدأت اليمن في توسيع وانتشار التعليم العام ، كما أنه منذ ذلك

التاريخ بدأ التفكير في إنشاء التعليم العالي نظرا للحاجة إليه ، وليواكب مخرجات التعليم العام.

كما شعرت وزارة التربية والتعليم في صنعاء وعدن بالإقبال المتزايد على التعليم في المرحلتين الأساسية والثانوية ، وأصبحت في حاجة ماسة إلى معلمين وإداريين تربويين للتدريس في تلك المدارس ، كما أن بعض مؤسسات الدولة كانت في حاجة إلى كوادر متخصصة للعمل فيها بدلا من الاعتماد على غير اليمنيين ، فبدأ التفكير والإعداد لإنشاء كلية للمعلمين في كل من صنعاء وعدن ، تتولى ان تخريج المعلمين المؤهلين للتدريس في المرحلتين الأساسية والثانوية.

وكانت هاتان الكليتان اللتان فتحتا عام ١٩٧٠م هما النواة الأولى لإنشاء كل من جامعتي صنعاء وعدن، ثم توالى افتتاح الكليات والأقسام في الجامعتين إلى قيام الوحدة المباركة عام ١٩٩٠م.

وبعد تحقيق الوحدة المباركة تم إنشاء عدة جامعات أخرى حكومية وأهليه على مستوى اليمن كله وصل عددها إلى الآن (٢٨) جامعة، منها (١٠) جامعات حكومية إلى عام ٢٠٠٩م ، (١٨) جامعات أهلية .

لهذا بدأت الجامعات الأهلية في اليمن بعد الوحدة المباركة حيث أنشئت أول جامعة أهلية عام ١٩٩٢م ثم تتابع إنشاء الجامعات الأهلية حتى وصل عددها في العام ٢٠٠٩م إلى (١٧) جامعة إضافة إلى كليتين خيريتين ، تحتوي الجامعات الخاصة على (٦٦) كلية نظرية وعلمية .

والدرجات التي تمنحها الجامعات والكليات الحكومية والأهلية هي : درجة الدبلوم المتوسط لمدة سنتين ودرجة البكالوريوس لمدة أربع سنوات في التخصصات الإنسانية والاجتماعية ومن خمس إلى ست سنوات في تخصصات الهندسة والطب البشري والصيدلة وطب الأسنان، ودبلوم تأهيلي بعد البكالوريوس لمدة سنة، ودبلوم عالي لمدة سنتين، ودرجة الماجستير والدكتوراه في بعض الجامعات.

جدول رقم (٢٧) يوضح نشأة وتطور الجامعات الحكومية لعام ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩م

م	اسم الجامعة	سنة التأسيس	عدد كليات	عدد أقسام	عدد الطلاب	التدرسيين يمني + غير يمني
١	جامعة صنعاء	١٩٧٠	١٨	١١٥	٧٣٦٠٧	٢٠٦٧
٢	جامعة عدن	١٩٧٠	٢٠	١١٠	٢٩٠٧٠	١٦١٩
٣	جامعة تعز	١٩٩٤	١٢	٨٦	٢٧٣٥٨	٧٢٥
٤	جامعة الحديدة	١٩٩٥	١٣	٥٠	١٦٧٤٦	٥٥٠
٥	جامعة إب	١٩٩٦	٨	٤٩	١٠٥٢٩	٣٨٩
٦	جامعة ذمار	١٩٩٧	١٣	٥٦	١٥٣٩٥	٦٢٧
٧	جامعة حضرموت	١٩٩٧	١٣	٣٧	٩٩٩٤	٦٦٦
٨	جامعة عمران	٢٠٠٧	٧	٣٥	٢٣٣٥٣	٢٣٧
	الإجمالي		١٠٤	٢٤٨	٢٠٦٠٥٢	٦٨٨٠
	عدد الإناث منهم				٦٤١٩٤	١١٦٠
	نسبة الإناث				%٣١,٢	

من خلال الجدول السابق الخاص ببيانات عام ٢٠٠٨/٢٠٠٩م نجد أن عدد الجامعات الحكومية (٨) جامعات ، وبعد ذلك فتحت جامعتان: جامعة البيضاء المتفرعة من جامعة ذمار فتحت عام ٢٠٠٩م، وجامعة حجة المتفرعة من جامعة عمران فتحت عام ٢٠١٠م.

ونجد أن عدد الكليات في الجامعات الحكومية (١٠٤) كلية تحتوي على (٢٤٨) قسما فيها (٢٠٦٠٥٢) طالب وطالبة.

ونجد أن إجمالي أعضاء هيئة التدريس ومساعدتهم في الجامعات الحكومية (يمنيين وغير يمنيين) بلغ (٦٨٨٠) عضوا، منهم (٧٢٣) عضوا غير يمنيين. ولذلك فإن هيئة التدريس ومساعدتهم اليمنيون فقط في الجامعات الحكومية بلغ (٦١٥٧) منهم (٥٠٩٦) ذكور، و (١٠٦١) إناث.

كما يشمل إجمالي هيئة التدريس المساعدة (مدرسين ومعيدين) عدد (١٤٧٨) عضوا موفدين لدراسة الماجستير والدكتوراه في الخارج.

وتجدر الإشارة أنه توجد إلى جانب الجامعات الحكومية (العشر) توجد أيضا جامعات أهلية وعددها إلى العام ٢٠٠٨ / ٢٠٠٩ م (١٦) جامعة، وفيها (٦٤) كلية و (٢٥٥) قسم، وفيها (٦٨٧٧٥) طالب وطالبة، الإناث منهم (١٦٧٤٨) طالبة، بنسبة ٢٤,٤ %.

وبلغ إجمالي أعضاء هيئة التدريس ومساعدتهم في الجامعات الأهلية للعام ٢٠٠٨/٢٠٠٩ م بلغ (١٩٤٠) عضوا، منهم (١٧٤٤) ذكور، و(١٩٦) من الإناث بنسبة (٩٠,٤%) و(٩,٦%) على التوالي (المجلس الأعلى لتخط التعليم، ٢٠١٠، ٦٦ - ٨١).
جدول رقم (٢٧) يوضح تطور الجامعات الأهلية لعام ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩ م

م	اسم الجامعة	سنة التأسيس	عدد كليات	عدد أقسام	عدد الطلاب
١	جامعة العلوم والتكنولوجيا	١٩٩٢	٥	٤٩	٢٨٨٠٧
٢	جامعة الإيمان	١٩٩٣	٤	١٥	٤٥٨١
٣	الجامعة اليمنية	١٩٩٣	٤	٢٢	٨٦٦٠
٤	جامعة دار العلوم الشرعية	١٩٩٤	٤	٤	١١١٧
٥	الجامعة الوطنية	١٩٩٤	٦	٢٤	٨٤٦٣
٦	جامعة سبأ	١٩٩٤	٥	٢٠	٦٠٦٠
٧	جامعة العلوم التطبيقية والاجتماعية	١٩٩٤	٤	١٩	١١٧٦
٨	جامعة الأحقاف	١٩٩٤	٥	١٠	١٢٠٤
٩	جامعة الملكة أروى	١٩٩٦	٥	١٨	١٨٥٦
١٠	جامعة الأندلس للعلوم والتقنية	٢٠٠٣	٣	٨	١٣٢٤
١١	جامعة المستقبل	٢٠٠٤	٣	١٢	٢٤١٤
١٢	جامعة العلوم الحديثة	٢٠٠٤	٢	٩	١٥١١
١٣	الجامعة اللبنانية الدولية	٢٠٠٦	٤	٢٢	٥٥٧
١٤	جامعة العربية للعلوم والتقنية	٢٩٩٧	٤	٦	٢٢٤
١٥	جامعة آزال للعلوم والتكنولوجيا	٢٠٠٧	٢	٦	٢١٧
١٦	جامعة اليمنية الأردنية	٢٠٠٨	٤	١١	٦٠٤
	الإجمالي		٦٤	٢٥٥	٦٨٧٧٥
	عدد الإناث منهم				١٦٧٤٨
	نسبة الإناث				٢٤,٤%

من خلال الجدول السابق الخاص ببيانات عام ٢٠٠٨/٢٠٠٩ نجد أن عدد الجامعات الأهلية (١٦) جامعة، وبعد ذلك فتحت (جامعة دار السلام) عام ٢٠٠٩م.

ونجد أن إجمالي أعضاء هيئة التدريس ومساعدتهم في الجامعات الأهلية للعام الجامعي ٢٠٠٨/٢٠٠٩م بلغ (١٩٤٠) عضواً، منهم (١٧٤٤) ذكور، و(١٩٦) من الإناث، بنسبة (٩٠.٤%) و(٩.٦%) على التوالي (المجلس الأعلى لتخطيط التعليم، ٢٠١٠م (٦٦ - ٨١)).

ويلاحظ على الجامعات الأهلية ما يلي:

- ١) ست جامعات أهلية تجارية من أهدافها الربح والإستثمار .
- ٢) جامعتان أهليتان خيريتان (جامعة الإيمان + جامعة الأحقاف) الدراسة فيهما مجاناً بدعم من أهل الخير ، وتركزان على العلوم الشرعية .
- ٣) توجد إضافة إلى الجامعات الأهلية كليتان خيريتان مجانيتان هما :
 - أ - الكلية العليا للقرآن الكريم ، ومقرها صنعاء .
 - ب - كلية العلوم الشرعية ، ومقرها الحديدة .
- ٤) كل الجامعات الأهلية مقرها العاصمة صنعاء ماعدا الجامعة الوطنية مقرها تعز وجامعة الأحقاف مقرها حضرموت /سيئون .

ثانياً: أهداف الجامعات اليمنية وتأكيداً على خدمة المجتمع:

تهدف الجامعات اليمنية بشكل عام إلى تنشئة مواطنين متمسكين بعقيدتهم الإسلامية منتمين لوطنهم وأمتهم متحلين بالمثل العربية الإسلامية السامية، مطلعين على تراث أمتهم وحضاراتها معتزين بهما، ومتطوعين للاستفادة الواعية والإفادة من الحضارة العربية الإسلامية ومن التراث الحضاري الإنساني إجراء البحوث العلمية وتشجيعها، وتوجيهها لخدمة المجتمع للمساهمة في تقدم المعارف والعلوم والآداب والفضول وتوثيق الروابط العلمية والثقافية مع الجامعات

والهيئات العلمية داخل البلاد وخارجها . كما تعمل الجامعات بوجه خاص على تحقيق الأهداف التالية:

- ١) إتاحة فرص الدراسة المتخصصة والمتعمقة للطلاب في ميادين المعرفة المختلفة تلبية لاحتياجات البلاد من التخصصات والفنيين والخبراء....
- ٢) العناية باللغة العربية وتدريبها وتطويرها وتعميم استعمالها كلفة علمية وتعليمية في مختلف مجالات المعرفة والعلوم وذلك باعتبارها الوعاء الحضاري للمعاني والقيم والأخلاق لحضارة الإسلام ورسالته.
- ٣) تطوير المعرفة بإجراء البحوث العلمية في مختلف مجالات المعرفة سواء على المستوى الفردي أم الجماعي، وتوجيهها لخدمة احتياجات المجتمع وخطط التنمية.
- ٤) الاهتمام بتنمية التقنية (التكنولوجيا) وتطويرها والاستفادة منها في تطوير المجتمع.
- ٥) تشجيع حركة التأليف والترجمة والنشر في مختلف مجالات المعرفة مع التركيز بوجه خاص على التراث اليمني.
- ٦) الإسهام في رقي الآداب والفضون وتقديم العلوم.
- ٧) إيجاد المناخ الأكاديمي المساعد على حرية الفكر والتعبير والنشر بما لا يتعارض مع الإسلام وقيمه السامية، ومثله العليا.
- ٨) تقوية الروابط بين الجامعات والمؤسسات العامة والخاصة في البلاد بما يكفل التفاعل المتبادل والبناء للمعارف والخبرات والموارد والمشاركة التي تكفل الإسهام الفعال في إحداث التنمية الشاملة في البلاد.
- ٩) توثيق الروابط العلمية، والثقافية مع الجامعات والهيئات العلمية ومراكز البحوث والتطوير العربية والأجنبية بما يساعد على تطوير الجامعات اليمنية وتعزيز مكانتها.

- ١٠ تقديم الدراسات والاستشارات الفنية والمتخصصة لمختلف أجهزة الدولة ومؤسساتها العامة والمختلطة.
- ١١ المساهمة في تطوير السياسات وأساليب العمل في مؤسسات الدولة وأجهزتها والقطاعين العام والخاص وتقديم النماذج والتجارب المبتكرة لحل المشاكل المختلفة.
- ١٢ رفع كفاءة العاملين في مؤسسات الدولة وأجهزتها والقطاعين العام والخاص وذلك من خلال المساهمة في برامج الإعداد والتأهيل أثناء الخدمة (وزارة الشؤون القانونية، ٢٠١٠، ٦).
- ١٣ من خلال تلك الأهداف نجد أنها أكدت على خدمة المجتمع في شتى المجالات، لكن على الواقع العملي والخدمة الاجتماعية نلاحظ ضعفا في تحقيقها، فالمجتمع لم يلمس من الجامعات مع كثرتها وتنوع تخصصاتها إلا التعليم التقليدي ، أما تقديم الخدمات للمجتمع ومؤسساته فهو ضعيف جدا، اجتماعيا واقتصاديا وتنمويا.

الختامة :

أهم النتائج ؛ لقد توصل الباحثان من خلال البحث إلى عدد من النتائج أهمه

- (١) إن للتعليم العالي دورا مهما في خدمة المجتمع وحل مشاكله
- (٢) أهمية دور الجامعات في خدمة المجتمع وتنميته اجتماعيا واقتصاديا وتعليميا
- (٣) تحديد أهم المجالات الخدمية التي يمكن أن تقدمها الجامعة للمجتمع، والتي توثق العلاقات بين الجامعات والمجتمع في اليمن ومنها:
 - المؤتمرات والندوات. - المحاضرات العامة والخاصة. - الاحتفالات بالمناسبات العامة. -الخدمات الإرشادية والتوعوية. - البحث العلمي في الجامعات اليمنية. -المرافق والتسهيلات الجامعية. - التعليم المستمر. - الاستشارات والدراسات. -الرعاية الاجتماعية والصحية.
- (٤) تحديد أهم العوامل والأسباب الموجودة في التعليم العالي في اليمن وخاصة الجامعات والتي قد تعيق الجامعة عن تقديم خدماتها للمجتمع ومن ذلك: ضعف التمويل الجامعي. - ضعف تسويق الخدمات الجامعية. - تردّي الأوضاع العلمية والمهنية والاقتصادية للأستاذ الجامعي. - ضعف الاهتمام بالبحث العلمي. - تدني مستوى النشاطات والمبادرات الجامعية.
- (٥) ضعف الموازنة بين مخرجات التعليم العالي واحتياجات سوق العمل...
- (٦) اقتراح آلية تساعد على تطبيق خدمة المجتمع في الجامعات اليمنية، وتعزيز وتوثيق العلاقة بين الجامعات والمجتمع في اليمن.
- (٧) إيراد بعض التجارب العربية التي اهتمت جامعاتها بخدمة المجتمع للاستفادة منها لجامعاتنا اليمنية..
- (٨) تحديد الوسائل والأدوات التي تساعد الجامعات في تطبيق خدمة المجتمع، والتي من أهمها تطبيق إدارة الجودة الشاملة في الجامعات.

٩) التعرف على نشأة التعليم العالي في الجمهورية اليمنية وتطوره وأهدافه التي تؤكد نظريا على خدمة المجتمع..

التوصيات والمقترحات:

أهم التوصيات والمقترحات التي توصل إليها الباحثان من خلال البحث ما يأتي:

- تحويل دور الجامعات اليمنية من دور تقليدي يختص بالتدريس فقط إلى دور متكامل يهتم أيضا بالبحث العلمي وخدمة المجتمع ...
- زيادة الوعي بمفهوم خدمة المجتمع في مؤسسات التعليم العالي لمجتمع العاملين في هذه المؤسسات وذلك من خلال الندوات والمؤتمرات ...
- التركيز على إدارة الجودة الشاملة في مؤسسات وزارة التعليم العالي من أجل ضبط عناصر النظام التربوي بكافة جوانبه وعناصره ،
- الربط بشكل جاد وتحقيق ما بين الجامعات وعمليات التنمية في كافة المجالات والقطاعات وتحويلها إلى فعل يتغلغل إلى صلب النظم التربوية وربطها بالإنتاج بشكل عقلائي فعلي
- العمل على الاهتمام بالبحث العلمي في الجامعات من حيث توفر الإمكانيات المادية والبشرية اللازمة للبحث العلمي وإيجاد المناخ الملائم لإطلاق الطاقات الإبداعية في الجامعة
- تفعيل وتوثيق العلاقة بين الجامعات والمجتمع من خلال المشاركة في مختلف الفعاليات والأنشطة والمساهمة في مختلف المناسبات مساهمة فعالة وفتح الجامعات أمام المجتمع والاحتفالات وعقد الدورات والندوات.
- اقتراح إجراء دراسة تتناول مساهمة الجامعة في توثيق الصلة بينها وبين المجتمع في وجهة نظر أفراد المجتمع والطلبة
- اقتراح إجراء دراسة للمعوقات التي تحد من إنجاح الجامعة في توثيق علاقتها بالمجتمع ووضع الحلول المناسبة .

والله نسأل التوفيق والسداد في القول والعمل

قائمة المراجع

- (١) باعباد، علي هود: التعليم في الجمهورية اليمنية، ط٧، صنعاء: مكتبة الإرشاد، ٢٠٠٣م.
- (٢) بكار، عبد الكريم: حول التربية والتعليم، ط١، دمشق: دار القلم، ٢٠٠١م.
- (٣) التل، سعيد وآخرون: قواعد التدريس في الجامعة، ط١، عمان: دار الفكر، الأردن، ١٩٩٧م.
- (٤) حسن، أميرة محمد علي أحمد: نحو توثيق العلاقة بين الجامعة والمجتمع، وثائق المؤتمر التربوي السادس، (التعليم العالي ومتطلبات التنمية: نظرة مستقبلية)، مجلة البحرين، جامعة البحرين، كلية التربية، المجلد الأول، ٢٠٠٧م.
- (٥) الخطيب، أحمد: الإدارة الجامعية (دراسة حديثة)، ط١، الأردن: إربد، مؤسسة حمادة، ٢٠٠١م.
- (٦) الخياط، محمد جميل: الجامعات الإسلامية، دراسة مسحية تحليلية تقييمية، مكة المكرمة، ط/١، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.
- (٧) سعد الدين، محمد منير: الجامعة وخدمة المجتمع، تجارب لبنانية، نحو توثيق العلاقة بين الجامعة والمجتمع، وثائق المؤتمر التربوي السادس، (التعليم العالي ومتطلبات التنمية: نظرة مستقبلية)، مجلة البحرين، جامعة البحرين، كلية التربية، المجلد الأول، ٢٠٠٧م.
- (٨) سفر، محمود: إنتاجية المجتمع، جدة، المملكة العربية السعودية، ط/١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.
- (٩) السلطان، فهد بن سلطان: المتطلبات الهيكلية والتنظيمية لشراكة مجتمعية فاعلة، الملتقى العربي الثاني للتربية والتعليم (التعليم العالي: رؤية مستقبلية)، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، مؤسسة

- الفكر العربي، بيروت، ٢٤- ٢٧ شعبان الموافق ٢٨ سبتمبر - ١ أكتوبر، ٢٠٠٥م.
- (١٠) شوقي، عبد المنعم: تنمية المجتمع وتنظيمه، معهد الإدارة العامة، مصر، (د ت).
- (١١) الشیخی، عبد القادر: الجامعة في خدمة المجتمع - المراكز الجامعية لخدمة المجتمع، مجلة اتحاد الجامعات العربية، عدد ١٨، شهر إبريل، سنة ١٩٨٢م.
- (١٢) الصاوي، محمد وجيه: أهداف جامعات دول مجلس التعاون الخليجي (دراسة تحليلية مقارنة في ضوء بعض المعايير)، المجلة التربوية، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، العدد (٥٥)، المجلس الرابع، ربيع ٢٠٠٠م).
- (١٣) عبدالله، فيصل حميد الملا عبدالله: واقع التعليم العالي في مملكة البحرين ومدى اتساقه مع متطلبات التنمية، وثائق المؤتمر التربوي السادس، (التعليم العالي ومتطلبات التنمية: نظرة مستقبلية)، مجلة البحرين، جامعة البحرين، كلية التربية، المجلد الأول، ٢٠٠٧م.
- (١٤) علي، عمر محمد: رؤية مستقبلية لدور التعليم والبحث العلمي من أجل تحقيق التنمية المستقبلية، دمشق: دار طلاس، ط/١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.
- (١٥) القبلان، نجاح: التجهيزات الآلية لمكتبات التعليم العالي في المملكة العربية السعودية، دراسة لواقع التطبيقات الحاسوبية، الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٢هـ، ص ٣٦.
- (١٦) لقاء مع الدكتور رامي الحمد الله، رئيس جامعة النجاح الوطنية، بتاريخ ٢٠/١١/٢٠٠٦م، الإنترنت.
- (١٧) المجلس الأعلى لتخطيط التعليم: مؤشرات التعليم في الجمهورية اليمنية، ٢٠١٠م.
- (١٨) مجلس العمداء: تعليمات خدمة المجتمع في الجامعة الأردنية، رقم القرار (٢٠٠٢/٢١٨) تاريخ ١٢/٨/٢٠٠٢م).

- ١٩) مدكور، علي: التعليم العالي في الوطن العربي: الطريق إلى المستقبل، القاهرة، دار الفكر العربي، ٢٠٠٠م.
- ٢٠) النجار، زغلول: قضية التخلف العلمي والتقني في العالم الإسلامي المعاصر، سلسلة كتاب الأمة، الدوحة، قطر، ط/١، ١٤٠٩هـ.
- ٢١) وزارة الشؤون القانونية: تشريعات التعليم العالي والبحث العلمي، قانون الجامعات اليمنية، رقم (١٨) لسنة ١٩٩٥م وتعديلاته لعامي ١٩٩٧ و٢٠٠٠م، ٢٠١٠م.

الإستثمار في رأس المال البشري من منظور مالي

الدكتور / عبدالله علي القرشي

رئيس قسم إدارة الأعمال
كلية العلوم الإدارية - جامعة ذمار



(AUST)

الاستثمار في رأس المال البشري من منظور مالي

الملخص : يعد رأس المال البشري أحد الأصول المكونة لثروة الشركة إلى جانب الأصول المالية والبشرية، ولقد تزايد الاهتمام في الآونة الأخيرة برأس المال البشري كمصدر لتعظيم قيمة الشركة، الذي يعد أحد الأهداف الاستراتيجية التي تسعى الإدارة المالية إلى تحقيقه على مستوى المنظمة. وهدفت الدراسة إلى التعرف على قرارات الاستثمار في رأس المال البشري من منظور مالي في إطار المبادلة بين المخاطرة والعائد كأحد القرارات المالية، في ظل تزايد الاهتمام من قبل الباحثين في البحث في إمكانية تطبيق العديد من النظريات والنماذج المستخدمة في حقل التمويل على الاستثمار في رأس المال البشري. وقدمت الدراسة مجموعة من التوصيات، أبرزها: التعامل مع قرار الاستثمار في رأس المال البشري في إطار المبادلة بين المخاطرة والعائد، مع الاستعانة بالنماذج والنظريات المالية بغرض الوصول إلى قرارات تعظم قيمة الشركة.

Abstract:

Human capital is one of the assets created wealth company along with financial and human assets, we have been growing attention in recent human capital as a source to maximize the value of the company, which is one of the strategic objectives of financial management is seeking to achieve at the level of the organization.

The study aimed to identify the investment decisions in human capital from a financial perspective in the context of trade-off between risk and return as a financial decision, in light of the growing interest by researchers in the research into the possibility of the application of a variety of theories and models used in the field of finance to invest in human

capital. The study provided a set of recommendations, most notably: Dealing with the decision to invest in human capital in the context of trade-off between risk and return, with the use of models and theories for access to financial decisions maximize the company's value.

مقدمة :

يوصف رأس المال البشري بأنه أحد أصول الشركة الذي يستخدم لخلق وتطبيق المعرفة اللازمة لتعزيز قيمة المنظمة، وبذلك من المنظور المالي فإن الأساس المنطقي الذي يقوم عليه يتمثل في قدرته على خلق القيمة. ولأن تعظيم القيمة يعد الهدف الاستراتيجي للإدارة المالية فإن قرار الاستثمار في رأس المال البشري كأحد الأصول الأساسية المكونة للثروة يشكل أحد القرارات المالية المهمة على مستوى المنظمة، وبناء على هذا التصور المنبثق من المنظور المالي لرأس المال البشري، فإن فهم العلاقة بين رأس المال البشري وتعظيم القيمة يحتم على الإدارة المالية الاستفادة من المبادئ والنماذج والنظريات المطبقة في حقل التمويل عند اتخاذ قرارات الاستثمار في رأس المال البشري .

لذا سيتم تناول الموضوع ضمن المحاور الآتية:

- ١) منهجية الدراسة.
- ٢) مفهوم وأهمية رأس المال البشري.
- ٣) قرارات الاستثمار في رأس المال البشري في إطار المبادلة بين المخاطرة والعائد
- ٤) بعض النماذج والنظريات في حقل التمويل وتطبيقها على الاستثمار في رأس المال البشري
- ٥) دور رأس المال البشري في تعظيم قيمة الشركة
- ٦) نماذج قياس رأس المال البشري بالاعتماد على مدخل القيمة
- ٧) الخاتمة والتوصيات.

أولاً: منهجية الدراسة :**١. مشكلة الدراسة:**

لقد تغيرت النظرة المعاصرة إلى أصول الشركة التي تخلق القيمة للشركة وتعظم من قيمتها السوقية ، حيث لم تعد تقتصر فقط على الأصول الحقيقية والمالية، فقد أصبحت الأصول البشرية احد أهم مكونات رأس مال الشركة. لقد ترتب على اعتبار رأس المال البشري أحد أصول الشركة، أهمية اتخاذ القرارات المالية المتعلقة بالاستثمار في رأس المال البشري في ضوء المخاطرة والعائد وبما يحقق هدف تعظيم قيمة الشركة الذي يمثل الهدف الاستراتيجي للإدارة المالية ومحوراً لاتخاذ القرارات المالية.

وتتجلى مشكلة الدراسة في الإجابة على التساؤلات التالية:

- كيف يمكن تطبيق مفاهيم الإدارة المالية على الاستثمار في رأس المال البشري؟
- ما هي طبيعة قرارات الاستثمار في رأس المال البشري في إطار المبادلة بين المخاطرة والعائد؟
- كيف يمكن خلق القيمة من خلال الاستثمار في رأس المال البشري؟

٢. أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى تحقيق ما يلي:

- (١) التعرف على كيفية ربط المفاهيم والنظريات المالية بالاستثمار في رأس المال البشري.
- (٢) زيادة المعرفة بطبيعة قرارات الاستثمار في رأس المال البشري في ضوء المبادلة بين المخاطرة والعائد.
- (٣) إظهار دور رأس المال البشري في تعظيم قيمة الشركة .

٣. أهمية الدراسة : تستمد هذه الدراسة أهميتها من جانبين :

الأول : ويتمثل بأهمية موضوع الاستثمار في رأس المال البشري الذي يمثل العنصر الهام في رأس المال الفكري، كما يعد محرك الإبداع والموارد الحاسم للقيمة في الشركة في ظل الاقتصاد القائم على المعرفة.

الثاني : هو كونه محاولة لربط مفاهيم ونظريات ونماذج الإدارة المالية بالاستثمار في رأس المال البشري، وأن الوعي بهذه المفاهيم وتطبيقاتها في مجال رأس المال البشري يسهم في اتخاذ قرارات استثمارية ناجحة في مكون مهم من ثروة الشركة تتعاضد الأهمية له كشرط للانتقال إلى مجتمع واقتصاد المعرفة الجديد .

٤. أسلوب الدراسة : اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي Analytical Descriptive Approach لموضوع الدراسة، لتحليل الأفكار والآراء والنظريات المطروحة من خلال الاطلاع على عدد من الأدبيات والبحوث والدراسات المرتبطة بالدراسة، وإخضاعها للتحليل والمناقشة بما يخدم أهداف الدراسة ، ومن ثم اقتراح بعض التوصيات التي قد تساهم في إعطاء مرجعية مفيدة لموضوع الاستثمار في رأس المال البشري من منظور مالي كأحد الأصول البشرية التي تسهم في خلق القيمة للشركة .

ثانياً : مفهوم رأس المال البشري وأهميته من منظور مالي

١. مفهوم رأس المال البشري:

بما يتفق مع الأدب المالي ، عرف رأس المال البشري بأنه الأسم غير الملموسة من المهارات التي تتجسد في العاملين. في عصر التكنولوجيا والمعلومات، أصبحت الأصول البشرية هي المصدر الرئيسي لتحقيق قيمة مضافة للشركات. إن قيمة رأس المال البشري عبارة عن القيمة الحالية للتدفقات النقدية المستقبلية المتمثلة في دخل الشركة الناجم عن الاستثمار في رأس المال البشري.

(Rashad,2003,2) وينسب (Ashton, 2005) رأس المال البشري في المنظمة

إلى المعارف والمهارات والخبرات المتراكمة عند العاملين التي تخلق مهارات القيادة والقدرة على حل المشاكل واتخاذ القرارات الرشيدة والتعامل مع المخاطر ، وعلية فهو يعكس فاعلية المنظمة في إدارة مواردها الملموسة وغير الملموسة ، للحصول على الخبرة والثقافة والمعرفة اللازمة لتحقيق الميزة التنافسية وخلق القيمة للشركة. (الفضل، ١٧٥، ٢٠٠٩).

و يعتبر رأس المال البشري العنصر الهام في رأس المال الفكري لكونه يعد محرك الإبداع والموارد الحاسم للقيمة غير الملموسة في عمر المعرفة ويتمثل في القوى العاملة التي تمتلك القدرة والتفكير والتجديد والابتكار وذلك بفعل المعرفة الضمنية الكامنة في أذهان العاملين.

كما يعتبر رأس المال البشري واحداً من أهم البنى لرأس المال الفكري. وعلى وجه الخصوص يمثل الأسهم الفردية للمعرفة الكامنة في القدرة الجماعية للشركة لاستخراج أفضل الحلول من أفرادها العاملين. (Seleim and Ashour, 2007, 790).

إذاً يمكن تعريف رأس المال البشري على أنه العنصر الهام في رأس المال الفكري، و يتكون من المعارف والمهارات والقدرات والمواقف والخبرات اللازمة لتحقيق الميزة التنافسية وخلق القيمة للشركة؛ وتبعاً لذلك يمكن القول بأن رأس المال البشري هو :

- واحداً من المكونات الأساسية لرأس المال الفكري
- جزء من رأس مال الشركة
- يتكون من مجموع المهارات العمالية، الخبرة، والقدرات، والمعرفة الضمنية.

٢. أهمية رأس المال البشري :

المنظمات لديها ثلاثة أنواع من الموارد: المالية، الحقيقية، والبشرية. وكلها على نفس القدر من الأهمية. ولأنه من الصعب قياس قيمة الموارد البشرية، لأنه ليس لها إهلاك كالموارد المادية ولا تستخدم لتعكس القيمة الصافية للمنظمة مثل

الموارد المالية، فالإدارة غالباً لا تنظر لها بمستوى الأهمية لبقية الموارد. في السنوات الأخيرة تزايد الاهتمام برأس المال البشري، ولقد أصبح هناك اعتراف متزايد بالأهمية التي يكتسبها رأس المال البشري كمصدر لتحقيق الميزة التنافسية وخلق القيمة للشركة يفوق غيره من المزايا التنافسية الأخرى (أي تكنولوجيات وعمليات الإنتاج) نتيجة لارتفاع موانع التقليد. إن رأس المال البشري يتكون من المعارف والمهارات والقدرات والمواقف والخبرات المطلوبة لإنجاز مهمة المنظمة. كما يشمل أيضاً قدرة المنظمة على توظيف واستبقاء الموظفين. (Huang et.al,2012,360).

يعتقد الباحثون بأن من أهم نتائج ثورة المعلومات والتكنولوجيا وحركة المتغيرات العالمية، أن بدأت ظاهرة مختلفة في المنظمات وهي ارتفاع الأهمية النسبية للأصول غير المادية أو ما يطلق عليه الأصول البشرية، إذ أصبحت تمثل النسبة الأكبر من أصولها.

كما أن الاتجاهات المعاصرة في الإدارة الحديثة تتجه نحو معالم موضوع جديد يهتم بالأصول البشرية أكثر من الأصول المادية، لأن الإضافة والتعظيم في الأصول المادية يأتي بفعل توافر الأصول البشرية، وهذا الموضوع بأبعاده الجديدة هو رأس المال البشري. (نعمة، ٢٠١٠، ٣).

هذه الأهمية الكبيرة لرأس المال البشري وما يترتب عليه من نتائج دفع العديد من المنظمات للتوجه إليه واعتباره مورداً استثمارياً يمكن أن يحقق للمنظمة عوائد لا تقل قيمة عن عوائد باقي الأصول الأخرى رغم أن تكلفة الاستثمار فيه هي بالتأكيد أقل بكثير من الاستثمار في غيره قياساً للعوائد.

إن أهمية رأس المال البشري تبرز كحقيقة لا تقبل الشك بأن له عائد مجز على المدى الطويل ولكي يتحقق هذا العائد يجب أن تكون هناك تكلفة تتحملها المنظمة نظير حصولها على هذا العائد. (لعور، ٢٠١١، ٧).

لذا فإن الأفراد والمنظمات والدول تعترف على نحو متزايد أن مستويات عالية من المهارة والكفاءة ضرورية لمستقبل آمن وناجح. ومن الشائع أن اكتساب الأفراد لمزيد من التعليم والتدريب خلال حياتهم، يدفع رأس المال البشري نحو إنتاج السلع والخدمات، فضلاً عن الابتكارات الجديدة في السوق. (Seleim and Ashour,2007,790).

ثالثاً: قرارات الاستثمار في رأس المال البشري في إطار المبادلة بين المخاطرة والعائد :

١. تعريف الاستثمار في رأس المال البشري

يعرف الاستثمار في رأس المال البشري " بأنه الإنفاق على تطوير قدرات ومهارات ومواهب الإنسان على نحو يمكنه من زيادة إنتاجيته. " (وهيبة وعبد الحميد، ٢٠١١، ٧).

كما يعرف " بأنه مجموعة المفاهيم والمعارف والمعلومات من جهة والمهارات والخبرات وعناصر الأداء من جهة ثانية والاتجاهات والسلوكيات والمثل والقيم من جهة ثالثة التي يحصل عليها الإنسان عن طريق نظم التعلم النظامية وغير النظامية، والتي تساهم في تحسين إنتاجيته وتزيد بالتالي من المنافع والفوائد الناجمة من عمله". (العبد، ٢٠١١، ١١)

كما يعرف الاستثمار في رأس المال البشري بأنه عملية إنفاق مالي حالي على تكوين وتعليم المورد البشري، ينتج عنها إضافة قيمة مضافة للشركة عن طريق التميز والابتكار في الإنتاج أو تقديم لخدمات.

عموماً، فإن مصطلح "رأس المال البشري" والذي يفهم منه المهارات، والمعرفة، والقدرة وخبرة الأفراد لأداء وظائفهم. لذلك، فإن الاستثمار في رأس المال البشري هو تحسين المهارات والكفاءة للأفراد من خلال توفير التدريب والتعليم والإدارة الجيدة لرأس المال البشري. جميع أنواع الأفعال التي تهدف إلى تحسين المهارات والجودة والكفاءة للموظفين هي عملية استثمار في رأس المال البشري.

إن نجاح الشركة وتحقيقها للأرباح يعتمد إلى حد كبير على الاستثمار في رأس المال البشري. (Abdullah,2012,65).

وفيما يلي عرض لأهم مكونات رأس المال البشري والذي يؤدي إدارتها واستثمارها إلى تعزيز القدرة التنافسية للمنظمة من خلال رفع كفاءة أداءها :
(الصفار، ٢٠٠٨، ٨٩)

١. معرفة العاملين : وتشمل الأفراد القادرين على فرز، جمع وتفسير استخدام المعلومة المقبولة وذات القيمة، والاستفادة منها. ويمكن التمييز بين نوعين من المعرفة هما:

- المعرفة الصريحة : والتي يمكن تجسيدها وتخزينها في وسائل مادية.
- المعرفة الضمنية: وهي ثمرة الخبرة الشخصية، ويمكن التعبير عنها بالمهارات الموجودة في العقول والتي يصعب نقلها أو تحويلها إلى الآخرين.

٢. خبرة العاملين : ويقصد بها مستوى ما يتمتع به الأفراد العاملون من معارف متراكمة مكتسبة من الوظائف الحالية والوظائف السابقة.

٣. مهارة العاملين : وتمثل القدرات التي تُكتسب بالتمرين والتجربة في العمل.

٤. معنويات العاملين : وهو اتجاه يحمله الأفراد والجماعات في المنظمة يساعدهم على العمل سوياً كفريق واحد.

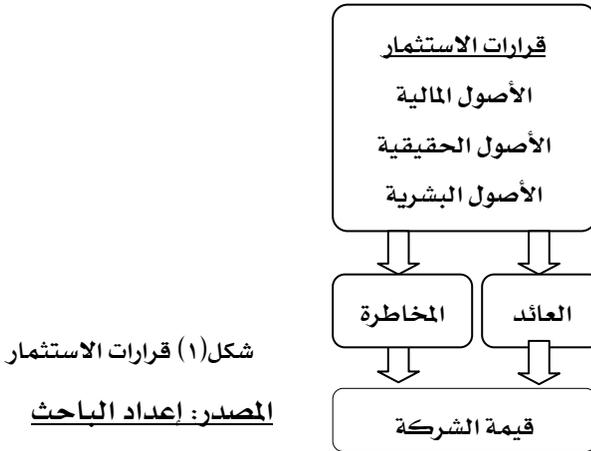
٥. الابتكار والتجديد للعاملين : ويعكس مدى إدخال التحسينات على الخدمات والمنتجات التي تقدمها المنظمة ، وهو يشير إلى العملية التي يمكن فيها نقل الفكرة الجديدة إلى الواقع العملي ، بحيث يؤدي إلى إنتاج السلعة وتقديم الخدمة أو أي نشاط وبشكل فعلي.

٢. قرارات الاستثمار في رأس المال البشري في إطار المبادلة بين المخاطرة والعائد:

تعد الأصول البشرية من الأصول ذات القيمة التي تمتلكها المنظمات لغرض تعظيم قيمة المنظمة، وذلك من خلال استثمار مواردها في تلك الأصول من

أجل تحقيق العوائد، إلا ان عملية الاستثمار في الأصول البشرية لا تختلف عن عملية الاستثمار في الأصول المالية أو الحقيقية من ناحية توافر احتمالية تعرض تلك العملية للعديد من حالات المخاطرة، وارتفاع حجم حالات عدم التأكد المتعلقة بإمكانية تحقيق تلك الاستثمارات لعوائد توازي تحمل المخاطرة الناجمة من الاستثمار في الأصول البشرية. لذا فإن قرار الاستثمار في رأس المال البشري يمثل عملية مبادلة بين المخاطرة والعائد.

وهناك العديد من المخاطر المرتبطة بضعف الاستثمار في رأس المال البشري منها ما هو داخلي ومنها ما هو خارجي. ومن الأمثلة على المخاطر الداخلية، مخاطر التعيين، إذ أن تعيين موظف غير كفؤ قد يؤدي إلى خسائر كبيرة يصعب رصدها. فأى مدير مالي غير كفؤ قد يعرض موجودات الشركة المختلفة للضياع أو الخسائر الكبيرة. كما أن تعيين مدير للإنتاج غير مؤهل قد ينتج قراراً خاطئاً مؤداه توقف جزئي أو كلي في الإنتاج أو زيادة في كلفة المنتج أو خطأ في مواصفات المنتج يؤثر على بيعه أو ربما رفضه من المستهلك. ومن الأمثلة على المخاطر الخارجية المخاطر الناجمة من التغيرات في البيئة الخارجية للمنظمة متمثلة بظروف السوق أو الصناعة التي تعمل المنظمة في إطارها. (عرفة، ٢٠٠٩، ٣٦).



وتتم مقارنة عائدات رأس المال البشري عبر التعليم والديمغرافيا ومجموعات الخبرة، مع تلك التي يتم الحصول عليها من الاستثمارات في الأصول المالية. التحليل يتضمن شيئين رئيسيين هما: ١. قياس الخطر الحدي المشتق من تحليل تعظيم المنفعة. ٢. مقارنة العوائد المحاسبية بالمخاطرة من الاستثمارات في رأس المال البشري. وتشير التقديرات إلى أن المكاسب من التعليم الجامعي لكل وحدة أو خطر يمكن أن يكون أكبر بنحو ٥٪ إلى أكثر من ٢٠٪ من الأصول المالية، في حين أن الخسائر من التعليم الثانوي وما هو أقل من التعليم الثانوي نسبة إلى العوائد في الاستثمارات المالية المحضوفة بالمخاطر عادة ما تكون أكبر من ١٥٪، وأقل بالنسبة للإناث من الذكور. لقد ارتبطت المخاطر بالاختلاف في معدلات العائد الموجودة عبر الجنس والمجموعات العرقية مع حصص رأس المال البشري المماثلة. التقديرات تشير إلى أن الاختلافات في العوائد قد تكون موجودة في مستويات التعليم المنخفضة. إن النتائج تعد قوية لاستخدام مقاربات مختلفة لعوائد رأس المال البشري. (Palacios,2003,948)

رابعاً: بعض النظريات والنماذج في حقل التمويل وتطبيقها على الاستثمار في رأس المال البشري :

توجد عدد من النظريات العلمية التي تناقش الاستثمار في رأس المال البشري نذكر منها (نظرية شولتز) ، لقد بلور شولتز هذه النظرية بأبحاثه، وظهر بنظريته هذه فكرة تقييم الأفراد كأصول بشرية ، وسعى إلى تحويل الانتباه من مجرد الإهتمام بالمكونات المادية لرأس المال إلى الإهتمام بتلك المكونات الأقل مادية وهي رأس المال البشري ، فقد لاحظ شولتز إهمال الباحثين للثروة البشرية، وتجنب أي تحليل منظم لهذه الثروة ، لذا فقد ركز اهتمامه للوصول إلى نظرية للاستثمار في رأس المال البشري تهدف إلى تقدير قيمة رأس المال البشري، وإدخال مفهوم الخسارة في رأس المال البشري، وتحديد الربحية لرأس المال البشري.

ومفهوم شولتز للاستثمار في رأس المال البشري قد أسهم إسهاماً كبيراً في مجال إبراز دور وأهمية رأس المال البشري في زيادة الإنتاجية وتحقيق الربحية، حيث أشار إلى ضرورة اعتبار مهارات ومعرفة الفرد شكل من أشكال رأس المال الذي يمكن الاستثمار فيه فمن وجهة نظر شولتز فإن هذا النوع من الاستثمار المال البشري يعتبر مصدراً قابلاً للتجديد وليس هناك أية حدود نظرية لمخزونه بخلاف الأنواع الأخرى لرأس المال، كما حقق معدلات أسرع للنمو في المجتمعات الغربية عما حققه الاستثمار في رأس المال المادي، ولذلك الاستثمار في رأس المال البشري يمكن أن يكون من أهم مصادر تعظيم قيمة الشركة. (المصباح، بدون؛) يعد نموذج تسعير الموجودات الرأسمالية ونظرية المحفظة ونظرية الخيارات الحقيقية من النظريات المعروفة في الأدب المالي، وهناك العديد من الدراسات التي سعت إلى تطبيق تلك النماذج والنظريات على رأس المال البشري كأحد الأصول المكونة لثروة الشركة.

١. نظرية المحفظة ورأس المال البشري

دعا العديد من الباحثين الأكاديميين للأخذ في الاعتبار رأس المال البشري عند تخصيص محفظة الاستثمار في الأصول المالية. بحيث يجب على المستثمر أن يقوم بالاستثمار في رأس المال البشري بمثل طريقة التنويع والتوازن في الاستثمار في الأصول المالية.

بالإضافة إلى حجم الاستثمار في رأس المال البشري، فإن المبادلة بين المخاطرة- العائد، علاقته بالأصول المالية الأخرى، ومرونة المعروض من العمالة المستثمرة أيضاً لها آثار كبيرة على كيف يجب على المستثمر أن يخصص الأصول المالية. (Ibbotson et.al, 2007, 44).

تقوم فكرة المحفظة على عملية التنويع في إطار المبادلة بين المخاطرة والعائد. من منظور واسع، ثروة المستثمر الكلية تتكون من جزأين، أحدهما هو الأصول المالية القابلة للتداول بسهولة، والآخر هو رأس المال البشري الغير قابل للتداول

بسهولة. إذ لا يستطيع الفرد أن يبيع تدفقاته النقدية في السوق فوراً. بل يجب أن تتحقق مع مرور الوقت. فكما يهدف المستثمر إلى تكوين محفظة الأوراق المالية من توليفة من الأسهم والسندات لتحقيق أكبر عائد على استثماره، فإن الشركة أيضاً تهدف إلى محاولة تنويع محفظة الاستثمار في رأس المال البشري من خلال توليفة متنوعة من المعارف، والمهارات، والقدرات، والإمكانات لتحقيق أقصى عائد على استثمارها في رأس المال البشري.

إن رأس المال البشري يعرف بالقيمة الحالية للدخل المستقبلي من العمالة. وإن تقدير حجم رأس المال البشري للفرد يتطلب تحديد التدفقات النقدية المتأتية من مهنة المرء مع تقدير معدل النمو. كما يتطلب من الفرد تحديد ما إذا كانت تقلبات تلك التدفقات النقدية أقرب إلى تقلبات السندات أو الأسهم. ففي حالة الأستاذ الجامعي المثبت يكون رأس المال البشري أقرب للسندات أكثر. وفي حالة مصري يعمل في الاستثمار، يكون أقرب للأسهم المتقلبة. (جونسون وآخرون، ٢٠١١، ١).

وقد دعا العديد من الباحثين الأكاديميين للأخذ في الاعتبار رأس المال البشري عند تخصيص محفظة الاستثمار في الأصول المالية. بحيث يجب على المستثمر أن يقوم بالاستثمار في رأس المال البشري مراعيًا في ذلك التنويع والتوازن عند الاستثمار في الأصول المالية. (Ibbotson et.al, 2007, 31).

أحد الطرق لتقليل مخاطر رأس المال البشري في إطار المحفظة يكون من خلال تكوين محفظة شاملة تظم إلى جانب رأس المال البشري الأنواع المناسبة من الأصول المالية.

إن توصيات تخصيص المحفظة تشير إلى أن المحافظ التي يتم تكوينها دون النظر إلى رأس المال البشري ليست مناسبة للمستثمرين الأفراد. للحد من المخاطر، الأصول المالية يجب تنويعها من خلال الأخذ في الاعتبار أصول رأس المال البشري. على سبيل المثال، عانى موظفي شركة انرون وورلد كوم من

خسائر كبيرة جراء التنوع الموجب (حساسية التنوع لا تنجح في تخفيض المخاطر الغير سوقية إذا كان الارتباط موجبا وقويا). كانت دخولهم من العمل واستثماراتهم المالية كلاهما في شركات الأسهم التي يمتلكونها. عندما انهارت شركاتهم، تأثرت بشدة كلاً من أصولهم البشرية والمالية.

هناك اعتراف متزايد بين الأكاديميين والمهنيين على أن علاقة المخاطر والعائد ينبغي أن تؤخذ في الاعتبار في إطار رأس المال البشري عند بناء المحافظ بالنسبة للمستثمرين الأفراد.

ولقد أشار (Benartzi,2001) إلى أن العديد من المستثمرين يستثمرون بشكل كبير في أسهم الشركات التي يعملون بها. وأشار Benartzi أن مثل هذا الاستثمار ليس كفاءاً لأن أسهم الشركة ليس فقط مخاطر استثمار غير متنوعة؛ بل أيضاً يرتبط بعلاقة قوية مع رأس المال البشري للأشخاص. من هنا ينبغي على المستثمرين الأفراد استثمار ثروتهم المالية في أصول لا يرتبط بعلاقة قوية برأس مالهم البشري من أجل تحقيق أقصى قدر من مزايا التنوع على المحفظة بأكملها. (Ibbotson et.al,2007,30).

٢. نظرية الخيارات الحقيقية ورأس المال البشري

تستخدم نظرية الخيارات الحقيقية للتعامل مع الأصول الحقيقية، وهذا النوع من الاستثمار استثمار طويل الأجل يتطلب وقت للحصول على العوائد وفي نفس الوقت يرتبط بتكاليف عالية، وقد تتعرض هذه الأصول لمخاطرة انخفاض القيمة مع مرور الوقت، إلا أنه في الوقت نفسه هناك احتمالية تحقق الارتفاع في قيمة هذه الأصول، وبالتالي يمكن الاستفادة من هذا الارتفاع. وتستخدم نظرية الخيارات الحقيقية في تحليل حالات عدم التأكد المرتبطة بالاستثمار في الأصول الحقيقية، وكذلك تشير إلى إمكانية استخدام الخيارات في تخفيض مخاطرة انخفاض قيمة تلك الأصول، من أجل تعظيم فرصة الحصول على العوائد المستقبلية. (Badders et. al,2007,12)

ولقد شهدت السنوات القليلة الماضية نمو في البحوث الأكاديمية التي استخدمت نظرية الخيارات الحقيقية في تقييم الأصول البشرية، حيث تعاني الموجودات البشرية من حالات عدم التأكد أيضاً، شأنها في ذلك شأن الموجودات الأخرى، إذ تكون القيمة المستقبلية للموجودات البشرية غير محددة بشكل مؤكد (مثلاً انخفاض مستوى الأداء للمستخدمين بمرور الوقت)، وهذا يعني "حالات عدم التأكد من العوائد"، وقد يتغير عدد المستخدمين المطلوبين بحسب ظروف السوق، أو قد يكون هناك طلب مفاجئ على بعض المهارات التي لا يمتلكها المستخدمون، وقد أطلق الباحثون في مجال الخيارات الحقيقية على ذلك تسمية "حالات عدم التأكد المتعلقة بالحجم والدمج". (العنزي، حبيب، ٢٠٠٩، ١٠).

وفضلاً عن ذلك، فإن تكاليف الموجودات البشرية التي تأخذ شكل الأجور، والرواتب، والمنافع وغيرها، يمكن أن تكون غير مؤكدة أيضاً (مثلاً الارتفاع الكبير في تكاليف المنافع الصحية، أو التكاليف المرتفعة والثابتة إزاء التدفق النقدي المنخفض للمنظمة)، وهذا ما يطلق عليه الباحثون تسمية "حالات عدم التأكد لكلفة الاستثمار المستمر".

ولذلك يتضمن أي استثمار في الموجودات البشرية لحالات عدم التأكد المتعلقة بالعوائد المستقبلية من هذا الاستثمار، سواء أكان ذلك في توظيف المستخدمين، أو تطويرهم، أو تحفيزهم، أو الاستبقاء عليهم للعمل في المنظمة، كما يتضمن احتمال أن تكون الفائدة أقل مما هو متوقع. (العنزي، حبيب، ٢٠٠٩، ١٠).

٣. نموذج تسعير الأصول الرأسمالية CAPM ورأس المال البشري

من المنظور التقليدي لنموذج تسعير الأصول الرأسمالية، العائد المتوقع على سهم معين يتحدد بواسطة بيتا السهم بمحفظة السوق. الدراسات التجريبية التي عملت في وقت مبكر على اختبار هذه الفرضية حددت محفظة السوق اعتماداً على قاعدة عريضة من مؤشرات أسواق الأوراق المالية. مايرس (١٩٧٣) و رول (١٩٧٧) كانا من الأوائل الذين أشاروا

إلى تفسير محفظة السوق في اختباراتهم التطبيقية لنموذج تسعير الأصول الرأسمالية. بشكل محدد، مؤشرات الأصول المالية لا تحتسب العائد على رأس المال البشري، الذي يمثل جزء كبير من إجمالي الثروة. يعد فاما و شورت (١٩٧٧) من أوائل الذين ضمنوا العائد على رأس المال البشري في دراساتهم التجريبية عند قياس محفظة السوق. وأعقب هذا العمل بدراسات من قبل كامبل (١٩٩٦) وانغ وجانغثان (١٩٩٦). (Shijin et.al,2012,146).

في حين أن تفاصيل التطبيق الدقيقة تختلف، إلا أن الأساس الإستراتيجي التجريبي لإدماج رأس المال البشري في CAPM، واضح ومباشر. حيث يأخذ في الاعتبار العائد على الأصول المالية، والعائد على الأصول غير المالية (رأس المال البشري). إن العائد على محفظة السوق ببساطة عبارة عن المتوسط الموزون للعائد على الثروة (الأصول) المالية والبشرية. (Campbell and Korniotis,2008,6).

خامساً: دور رأس المال البشري في خلق القيمة :

من المنظور المالي يتمكن الأفراد من خلق القيمة بثلاثة طرق على اقل تقدير هي: (العنزي، صالح، ٢٠١١، ٥)

١. زيادة العائد: بمعنى تعزيز العائد أو الأداء المتوقع في ضوء نموذج الكفاءة أو المقدرة وذلك من خلال اختيار المنظمات لمهارات محددة (أي الاختيار بناء على مهارات محددة)، والتدريب على مهارات محددة.

٢. تقليل المخاطرة: تقليل التقلب أو التذبذب في الأداء، وعن طريق تقليل أو إزالة العوامل التي من الممكن أن تخرج الأداء من الخط المرسوم له. وتستعمل المنظمات طرائق اختيار محددة لغربلة السلوكيات غير المنتجة وانتزاعها. كما تنظم برامج لمساعدة العاملين الذين يواجهون مشكلات معينة، علاوة على قيام المنظمات بتنفيذ سياسات وإجراءات رقابية لضمان تحقيق حالة الانقياد والإذعان إلى القوانين الوظيفية.

٣. زيادة السيولة : تحسين مرونة التكيف إلى المتطلبات المتغيرة للأعمال عن طريق توفير برامج التدريب على نقل وتحويل المهارات، والاختيار على أساس المهارات العامة غير الخاصة بمهمة محددة (سلوكيات المواطنة التنظيمية)، ومن خلال اختيار الأفراد استناداً إلى قدرتهم على التكيف والتعلم.

سادساً : نماذج قياس رأس المال البشري بالاعتماد على مدخل القيمة :

تستند هذه الأساليب على مفهوم القيمة الاقتصادية لرأس المال البشري، والتي تعني القيمة الحالية للإيرادات المستقبلية المتوقعة منها في إطار عملها في المنظمة.

ومن الطرائق المستخدمة هنا ما يأتي: (سالم، ٢٠٠٨، ١١٣ - ١١٤) و (العنزي، صالح، ٨، ٢٠١١)

- طريقة التغيرات السلوكية: تعتمد هذه الطريقة على استعمال المؤشرات الاجتماعية والنفسية والتي استخدمها ليكرت في قياس قيمة الموارد البشرية. فقد يصعب استخدام هذه الطريقة في الحياة العملية لصعوبة حصر المتغيرات السلوكية أولاً، وصعوبة قياسها ثانياً.
- النموذج الاحتمالي: قدم هذا النموذج من قبل (Flamholtz) والذي استند فيه على دراسات العالم (Likert) إذ يتم قياس قيمة الفرد بالنسبة للمنظمة. ويرى النموذج بأن الفرد في المنظمة يتحرك ضمن أدوار وظيفية تسمى مراحل الخدمة، وذلك خلال مدة زمنية معينة، وفي حركته يقدم الفرد خدمات للمنظمة. لذا فإن القيمة تتحدد بعدد ونوع مراحل الخدمة التي يشغلها وقيمة الخدمات التي يقدمها. ويستخدم النموذج نظرية الاحتمال لتحديد المدة التي يبقى فيها الفرد في مرحلة خدمية معينة. فبعد تحديد قيمة الخدمات المتوقعة يتم ضربها بمعامل خصم للوصول إلى القيمة الحالية للخدمات المستقبلية المتوقعة.

- نموذج Jaggi & Lau : يختلف هذا النموذج عن سابقه بالاعتماد على المجاميع بدل الفرد الواحد. ويتم فيه استخدام سلاسل ماركوف لتحديد تحركات العاملين ضمن المنظمة واحتمالية تركهم إياها قبل سن التقاعد أو الوفاة.
 - نموذج Lev and Schwartz : قام هذان الباحثان باشتقاق نموذج لقياس القيمة الاقتصادية لرأس المال البشري يأخذ بنظر الاعتبار المفهوم الاقتصادي لرأس المال البشري في الكشوفات المالية الذي يستند إلى نظرية Fisher لرأس المال. إذ يعرفه بأنه مصدر توليد الدخل، وأن قيمته هي القيمة الحالية للدخل المستقبلي للخصم بمعدل معين بالنسبة لمالك ذلك المصدر. وتتمثل الرواتب والأجور التي يحصل عليها الفرد بتغير رياضي لتدفقات الدخل التي وردت في نظرية (Fisher). وتتم رسملة الرواتب والأجور المتوقع حصول الفرد عليها حتى سن التقاعد أو الوفاة. فقيمة الفرد هي القيمة الحالية للرواتب والأجور. ويمكن استخدام نفس الأسلوب بالنسبة للمجموعات.
 - نموذج Morse: يستند هذا النموذج على سابقاته من النماذج كأساس وتوسيع شموله لمتغيرات أخرى للوصول إلى القيمة لرأس المال البشري. وتتمثل المتغيرات الإضافية بالآتي:
 - قياس القيمة الحالية للخدمات المستقبلية المتوقعة من هذه الموارد أو الإيرادات المستقبلية لها.
 - قياس إجمالي الكلفة المتوقع أنفاقها على الموارد البشرية.
- والفرق بين قياس القيمة الحالية للخدمات المستقبلية من هذه الموارد، وبين قياس إجمالي الكلفة المتوقع أنفاقها على تلك الموارد يمثل القيمة الحالية الموارد البشرية.

الخلاصة :

من ما سبق يتبين أهمية التعامل مع موضوع رأس المال البشري ضمن المكونات الأساسية لثروة الشركة، إن عملية الاستثمار في الأصول البشرية لا تختلف عن عملية الاستثمار في الأصول المالية أو الحقيقية من ناحية توافر احتمالية تعرض تلك العملية للعديد من حالات المخاطرة، وارتفاع حجم حالات عدم التأكد المتعلقة بإمكانية تحقيق تلك الاستثمارات لعوائد توازي تحمل المخاطرة الناجمة من الاستثمار في الأصول البشرية. لذا فإن قرار الاستثمار في رأس المال البشري يمثل عملية مبادلة بين المخاطرة والعائد. الأمر الذي يحتم اعتبار الاستثمار في رأس المال البشري كأحد القرارات المهمة التي يتم اتخاذها من قبل الإدارة المالية وبما يؤدي إلى تحقيق أهم أهداف الشركة المتمثل في تعظيم قيمة الشركة. لذلك لوحظ تزايد المحاولات من قبل الباحثين لتطبيق النماذج والنظريات المستخدمة في الأدب المالي على قرارات الاستثمار في رأس المال البشري.

• التوصيات:

- من المنظور المالي يمثل قرار الاستثمار في رأس المال البشري مبادلة بين المخاطرة والعائد، الأمر الذي يستلزم الاستعانة بالنماذج والنظريات المالية في محاولة للوصول إلى قرارات تعظم قيمة الشركة.
- إن المحافظ التي يتم تكوينها دون النظر إلى رأس المال البشري ليست مناسبة للمستثمرين الأفراد. وللحد من المخاطر، ينبغي تنويع الاستثمار في الأصول المالية من خلال الأخذ في الاعتبار أصول رأس المال البشري.
- يمكن التقليل من مخاطر رأس المال البشري في إطار المحافظة من خلال تكوين محفظة شاملة تظم إلى جانب رأس المال البشري الأنواع المناسبة من الأصول المالية.

- في ظل اقتصاد المعرفة لابد من زيادة الاهتمام برأس المال البشري كاستثمار له عائد مجزي على المدى الطويل ولكي يتحقق هذا العائد يجب أن تكون هناك تكلفة تتحملها المنظمة نظير حصولها على هذا العائد.

المراجع :

أولاً: المراجع العربية:

- (١) جونسون، روبرت وآخرون، ٢٠١١، قيمة رأس المال البشري في أسواق الشرق الأوسط، جمعية المحللين الماليين المعتمدين CFA.
<http://www.alqabas.com.kw/node/14271>
- (٢) سالم، فضل كامل، ٢٠٠٨، مدى أهمية القياس والإفصاح المحاسبي عن تكلفة الموارد البشرية وأثره على اتخاذ القرارات المالية، دراسة تطبيقية على الشركات المساهمة في قطاع غزة، رسالة ماجستير، جامعة غزة.
- (٣) الصفار، احمد اسماعيل، ٢٠٠٨، تأثير رأس المال البشري في الأداء المصرفي دراسة تحليلية لآراء عينة من موظفي المصارف التجارية الأردنية، مجلة الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد، العدد ٧٠.
- (٤) عرفة، سيد سالم، ٢٠٠٩، إدارة المخاطر الاستثمارية، دار الراية للنشر والتوزيع، عمان.
- (٥) العنزي، سعد و صالح، احمد، ٢٠١١، كلفة المورد البشري بمنظور سلوكي، مجلة الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد، المجلد ١٧، العدد ٦٢.
- (٦) العنزي، سعد، حبيب، نزار، ٢٠٠٩، نظرية الخيارات الحقيقية وتطبيقاتها في إدارة الموارد البشرية الإستراتيجية، مجلة الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد، العدد ٧٩.

(٧) العيد، بن ثامر، ٢٠١١، الاستثمار في رأس المال البشري وأثره على إدارة الإبداع في المنظمات المتعلمة، أساليب وسياسات الاستثمار في رأس المال الفكري .
الملتقى الدولي الخامس حول: رأس المال الفكري في منظمات المال العربية في ظل الاقتصاديات الحدية للفترة من ١٣ - ١٤/١٢/٢٠١١، جامعة الشلف، الجزائر.

(٨) الفضل، مؤيد محمد علي، ٢٠٠٩، العلاقة بين رأس المال الفكري وخلق القيمة دراسة ميدانية على الصناعة المصرفية في دول الخليج العربي ،
مجلة القادسية للعلوم الإدارية والاقتصادية ، المجلد ١١ ، العدد ٣ .

(٩) لعور، عبد الحفيظ، ٢٠١١، أساليب وسياسات الاستثمار في رأس المال الفكري .
الملتقى الدولي الخامس حول: رأس المال الفكري في منظمات المال العربية في ظل الاقتصاديات الحدية للفترة من ١٣ - ١٤/١٢/٢٠١١، جامعة الشلف، الجزائر.

(١٠) نعمة، نغم حسين، ٢٠١٠، بناء وتطوير رأس المال البشري ودوره في تحقيق التنافسية، مجلة الغري للعلوم الاقتصادية والإدارية، جامعة الكوفة، المجلد ٣، العدد ١٦. المصباح، عماد الدين أحمد، بدون، قياس عائد الاستثمار في رأس المال البشري، جمعية العلوم الاقتصادية، سوريا،
<http://www.hrdiscussion.com/attachment.php?attachmentid=1798&d=1244915763>

(١١) وهيبة، سراج، عبد الحميد، ستي، ٢٠١١، أساليب وسياسات الاستثمار في رأس المال الفكري . الملتقى الدولي الخامس حول: رأس المال الفكري في منظمات المال العربية في ظل الاقتصاديات الحدية للفترة من ١٣ - ١٤/١٢/٢٠١١، جامعة الشلف، الجزائر.

ثانياً : المراجع الأجنبية:

- 1) A. Rashad,2003, "Self-sorting, incentive compensation and human-capital assets." European Accounting Review. 12.4 .
- 2) Abdullah,2012, The role of Islam in human capital development: Juristic analysis, Humanomics, Vol. 28 Iss:1pp. 64 – 75.
- 3) Badders, Brett and Clark, Lindsey and Wright, M.,2007, Uncertainty and Human Capital Decisions: Traditional Valuation Methods and Real Options Logic, Center for Advanced Human Resource Studies.
- 4) Campbell, D. and Korniotis, M.,2008, The Human Capital that matters: expected Returns and the Income of affluent households, Finance and Economics Discussion Series Divisions of Research & Statistics and Monetary Affairs Federal Reserve Board, Washington, D.C.
- 5) Huang, Gerald Z.D. and Roy, Matthew H. and Ahmed, Zafar U.,2012, Benchmarking the human capital strategies of MNCs in Singapore, Benchmarking: An International Journal,Vol.9 No.4.
- 6) Ibbotson, G. and Milevsky, A. and CFA, Peng,2007, lifetime financial advice: human capital asset allocation, and insurance, CFA Institute.
- 7) Palacios-Huerta,2003, An empirical analysis of the risk properties of human capital returns, The American Economic Review, Vol. 93, No. 3, pp. 948-964.
- 8) Seleim, A., Ashour,A.,2007, Human capital and organizational performance: a study of Egyptian software companies, Management Decision Vol. 45 No.4.
- 9) Shijin, Santhakumar and Gopalaswamy, Arun K. and Acharya, Debashis,2010, Dynamic risk-return relation with human capital: a study on Indian markets, International Journal of Emerging Markets, Vol. 7 No. 2.

**تعلق القبورية بشفاعة
الأولياء من الأموات
(عرض ونقد)**

الاستاذ/ غالب بن غازي الحربي



(AUST)

تعلق القبورية بشفاةة الأولياء من الأموات (عرض ونقد)

المقدمة :

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أرجو بها النجاة يوم لا ينفع مال ولا بنون ، وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان ما تعاقبت الأيام والقرون .

أما بعد : فإنه لما كانت شبهة التعلق بشفاةة الأولياء من الأموات من أكبر شبهات القبورية التي تسببت في نقض التوحيد الذي أرسل الله من أجله الرسل ، وأنزل لبيانه الكتب ، وافترق الناس فيه إلى أشقياء وسعداء آثرت دراستها عرضاً ونقداً لعل الله أن يهدي بهذه الدراسة ضالاً ، ويعلم جاهلاً ، ويرد حائراً ، ويذكر غافلاً ، والله الموفق وحده .

الدراسات السابقة :

لما لموضوع تعلق القبورية بشفاةة الأولياء من أهمية فقد كثرت المؤلفات فيه ، منها ما أفرد المسألة بالبحث ، ومنها ما ضم المسألة إلى بقية شبهات القبورية ، أو إلى مسائل عقدية أخرى ، وسأذكر هاهنا أهم الدراسات في هذه المسألة :

- ١) الواسطة بين الحق والخلق لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ٢) زيارة القبور والاستنجد بالقبور لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ٣) الرد على البكري لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ٤) كتاب الصارم المنكي في الرد على السبكي للحافظ ابن عبد الهادي .
- ٥) غاية الأمان في الرد على النبهاني للعلامة محمود شكري الألوسي .
- ٦) تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد للعلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني .
- ٧) كشف الشبهات للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب .

- ٨) السيف المسلول على عابد الرسول للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم .
- ٩) كيف نفهم التوحيد للشيخ محمد بن أحمد باشميل .
- ١٠) صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان لبشير السهسواني .
- ١١) جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية للدكتور شمس الدين الأفغاني .
- ١٢) هذه مفاهيمنا للشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ .
- ١٣) الشرك ووسائله عند أئمة الحنفية للدكتور محمد بن عبد الرحمن آلخيمس .
- ١٤) الشرك ووسائله عند علماء المالكية للدكتور محمد بن عبد الرحمن آلخيمس .
- ١٥) الشرك ووسائله عند علماء الشافعية للدكتور محمد بن عبد الرحمن آلخيمس .
- ١٦) الشرك ووسائله عند علماء الحنابلة للدكتور محمد بن عبد الرحمن آلخيمس .
- ١٧) المجموع المفيد في نقض القبورية ونصرة التوحيد للدكتور محمد بن عبد الرحمن الخيمس .
- ١٨) القبورية نشأتها . آثارها . موقف العلماء منها " اليمن نموذجاً " للباحث أحمد بن حسن المعلم .
- ١٩) موقف الإسلام من القبورية للباحث خالد بن جريد العنزي .
- ٢٠) بدع القبور . أنواعها وأحكامها للباحث صالح العصيمي .
- ٢١) الوساطة بين الله وخلقه عند أهل السنة ومخالفهم للدكتور مرابط الشنقيطي .
- ٢٢) دمعة على التوحيد (حقيقة القبورية وأثرها في واقع الأمة) من إصدارات المنتدى الإسلامي .

خطة البحث :

قسمت البحث إلى ثلاثة مباحث وستة مطالب :

المبحث الأول : المراد بالقبورية ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : القبورية في اللغة .

المطلب الثاني : القبورية في الاصطلاح .

المبحث الثاني : أنواع الشفاعة ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : الشفاعة في اللغة .

المطلب الثاني : أنواع الشفاعة .

المبحث الثالث : اختلاف الناس في الشفاعة ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : أقسام الناس في الشفاعة .

المطلب الثاني : تحرير محل النزاع بين القبورية وأهل السنة في الشفاعة .

ثم الخاتمة التي رقمت فيها أهم النتائج ثم الفهرس .

المبحث الأول : المراد بالقبورية**المطلب الأول : القبورية في اللغة :**

المتأمل في مبنى الكلمة يعلم أنها منسوبة إلى القبر .
 وكلمة (قبر) : القاف والباء والراء أصل صحيح يدل على غموض في شيء
 والقبر مصدر والقبر موضع القبر وقبرته أقبره قبراً ومقبراً .
 والمقبرة موضع القبور والقبر واحد .والإقبار أن تهى له قبراً وتنزله منزلة ذاك .
 والقبورية جمع قبوري ، وهو مصدر صناعي صيغ بإضافة اسم مجموع " قبور "
 إلى ياء النسبة المردوفة بالتاء . وقد سوغ نسبته للجمع . مع أن له واحداً
 مستعملاً من لفظه . أنه صار جارياً مجرى العلم لاختصاصه بطائفة بأعيانهم ،
 كأنصاري نسبة إلى الأنصار ، وأصولي نسبة إلى علم الأصول ، لأنه غلب على
 علم خاص حتى صار كالعلم عليه .
 وبذلك يكون إطلاق هذا اللفظ على مقدسي القبور والغلاة فيها سائغاً لأنه
 قد صار كالعلم عليه^(١) .

المطلب الثاني : القبورية في الاصطلاح

" القبورية " وصف للغلاة في تعظيم القبور وتقديسها والاعتقاد فيها ما لا يجوز
 اعتقاده إلا في الله تعالى ، وقصدها بأنواع العبادات والقربات ، ودعاء أربابها من
 دون الله تعالى^(٢) .

قال العلامة محمد بن إسماعيل الصنعاني : (... والندربالمال على الميت ونحوه
 والنحر على القبر والتوسل به وطلب الحاجات منه هو بعينه الذي كانت تفعله
 الجاهلية، وإنما كانوا يفعلونه لما يسمونه وثناً وصنماً، وفعله القبوريون لما
 يسمونه ولياً وقبراً ومشهداً، والأسماء لا أثر لها ولا تغير المعاني، ضرورة لغوية

(١) ينظر كتاب العين للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) ، دار ومكتبة الهلال ، (٥ / ١٥٧) ، معجم مقاييس اللغة
 لابن فارس (ت ٣٩٥هـ) ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، الطبعة : الثانية ، (٤٧/٥) ، القبورية نشأتها . آثارها . موقف
 العلماء منها " اليمن نموذجاً " ، أحمد بن حسن المعلم ، دار ابن الجوزي ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧هـ ، ص (٢٩) .
 (٢) القبورية نشأتها . آثارها . موقف العلماء منها " اليمن نموذجاً " ، أحمد بن حسن المعلم ، ص (٢٩) .

وعقلية وشرعية، فإن من شرب الخمر وسماها ماء، ما شرب إلا خمرا وعقابه عقاب شارب الخمر، ولعله يزيد عقابه للتدليس والكذب في التسمية (٣).

وقال العلامة محمد بن علي الشوكاني حيث قال: (... وقد توارَدَ إلينا من الأخبار ما لا يشكُّ معه أنَّ كثيراً من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم إذا توجَّهتْ عليه يمينٌ من جهةٍ خصمه حلفَ باللهِ فاجراً فإذا قيلَ له بعد ذلك احلفْ بشيخك ومعتقدك الوليِّ الفلانيِّ تلعنم وتلكأ وأبى واعترف بالحقِّ وهذا من أبين الأدلة الدالة على أنَّ شركهم قد بلغ فوق شرك من قال إنَّه تعالى ثانياً اثنتين أو ثالثاً ثلاثة فيا علماء الدين ويا ملوك المسلمين أي رزء للإسلام أشدُّ من الكفر وأي بلاء لهذا الدين أضرب عليه من عبادة غير الله وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن هذا الشرك البين واجباً ...) (٤).

فالقبورية إذن هم الغلاة في تعظيم القبور وتقديسها والاعتقاد فيها ما لا يجوز اعتقاده إلا في الله تعالى، وقصدها بأنواع العبادات والقربات، ودعاء أربابها من دون الله تعالى.

المبحث الثاني: أنواع الشفاعة

المطلب الأول: الشفاعة في اللغة

(شفع) الشين والفاء والعين أصل صحيح يدل على مقارنة الشئين. من ذلك الشفع خلاف الوتر. تقول كان فردا فشفعته. والشفعة في الدار من هذا. قال ابن دريد: سميت شفعة لأنه يشفع بها ماله. والشاة الشافع التي معها ولدها. وشفع فلان لفلان إذا جاء ثانية ملتصقا بمطلبه ومعينا له.

(٣) تطهير الاعتقاد من أدراج الإلحاد، محمد بن إسماعيل الأمير الكحلاني الصنعاني ص (١٨).

(٤) نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الجيل - بيروت -

ومن الباب ناقة شفوع وهي التي تجمع بين محلبين في حلبة واحدة^(٥). تشفع له شفع. يقال تشفع لفلان إلى فلان في الأمر، وبه إليه توسل به إليه^(٦). فيكون من معاني الشفاعة لغة: الوسيلة.

والشفاعة عرفاً: سؤال الخير للغير^(٧).

المطلب الثاني: أنواع الشفاعة

أنواع الشفاعة على سبيل الاستقصاء ثمانية أنواع، منها ما هو خاص بالنبي ﷺ ومنها ما هو مشترك بينه وبين غيره:

- الشفاعة الأولى: الشفاعة العظمى (وهي المقام المحمود) وهي أن يشفع النبي ﷺ أن يقضي الله سبحانه بين عباده بعد طول الموقف عليهم، وبعد مراجعتهم الأنبياء للقيام بها فيقوم بها نبينا ﷺ بعد إذن ربه^(٨).
- الشفاعة الثانية: شفاعته ﷺ في دخول أهل الجنة الجنة بعد الفراغ من الحساب.

- الشفاعة الثالثة: شفاعته ﷺ في عمه أبي طالب أن يخفف عنه العذاب وهذه خاصة به. لأن الله أخبر أن الكافرين لا تنفعهم شفاعة الشافعين، ونبينا أخبر أن شفاعته لأهل التوحيد خاصة. فشفاعته لعمه أبي طالب خاصة به وخاصة لأبي طالب^(٩). وهذه الأنواع الثلاثة من الشفاعة خاصة بنبينا محمد ﷺ.

- الشفاعة الرابعة: شفاعته ﷺ فيمن استحق النار من عصاة الموحدين أن لا يدخلها.

(٥) ينظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس، (٢٠١/٣).

(٦) ينظر المعجم الوسيط، (١ / ٤٨٧)

(٧) ينظر شرح العقيدة الواسطية للدكتور صالح الفوزان، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة السادسة، ١٤١٣هـ. ١٩٩٣م، ص (١٥٧)

(٨) صحيح البخاري، حديث رقم (٧٠٠٢)

(٩) صحيح البخاري، حديث رقم (٦١٩٦)

• الشفاعاة الخامسة : شفاعته ﷺ فيمن دخل النار من عصاة الموحدين أن يخرج منها .

• الشفاعاة السادسة : شفاعته ﷺ في رفع درجات بعض أهل الجنة .

• الشفاعاة السابعة : شفاعته ﷺ فيمن استوت حسناتهم وسيئاتهم أن يدخلوا الجنة وهم أهل الأعراف على قول^(١٠) .

• الشفاعاة الثامنة : شفاعته ﷺ في دخول بعض المؤمنين الجنة بلا حساب ولا عذاب^(١١) .

وهذه الأنواع الخمسة الباقية يشاركه فيها غيره من الأنبياء والملائكة والصدّيقين والشهداء^(١٢) .

وأهل السنة والجماعة يؤمنون بهذه الشفاعات كلها لثبوت أدلتها ، وأنها لا تثبت إلا بشرطين :

الأول : إذن الله للشافع أن يشفع .

الثاني : رضا الله عن المشفوع له^(١٣) .

المبحث الثالث اختلاف الناس في الشفاعاة :

المطلب الأول : أقسام الناس في الشفاعاة :

انقسم الناس في أمر الشفاعاة إلى ثلاثة أصناف :

• الصنف الأول : غلوا في إثباتها وهم النصاري والمشركون وغلاة الصوفية والقبوريون حيث جعلوا شفاعاة من يعظمونه عند الله كالشفاعاة المعروفة في الدنيا عند الملوك، فطلبوها من دون الله كما ذكر الله ذلك عن المشركين .

(١٠) جامع البيان للطبري ، دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٥ ، (١٩٠/٨)

(١١) صحيح البخاري ، حديث رقم (٥٣٧٨) .

(١٢) ينظر العقيدة الواسطية لابن تيمية مع شرحها للدكتور صالح الفوزان ، ص (١٥٦-١٥٨) .

(١٣) ينظر جامع البيان ، الطبري ، (٣٩٥ / ٥) ، (٣٠٠٠٢٩٩ / ٢١) ، (٥٢٩ / ٢٢) ، وسيأتي تفصيل أدلة ذلك في النقد إن شاء الله تعالى ، ص (١٦) .

- الصنف الثاني : وهم المعتزلة والخوارج غلوا في نفي الشفاعة فأنكروا شفاعة النبي ﷺ وشفاعة غيره في أهل الكبائر .
- الصنف الثالث : وهم أهل السنة والجماعة أثبتوا الشفاعة على وفق ما جاءت به النصوص القرآنية والأحاديث النبوية فأثبتوا الشفاعة بشروطها^(١٤) .
- وبعد بيان أقسام الناس في الشفاعة هلم ننظر إلى محل النزاع بين القبورية
- وأهل السنة في الشفاعة ، وهو ما سيتناوله المطلب التالي بالبحث .

المطلب الثاني : تحرير محل النزاع بين القبورية وأهل السنة في الشفاعة :

إن محل النزاع بين القبورية وأهل السنة في الشفاعة هو سؤال الشفاعة من الأولياء الأموات .

فالقبورية يقولون إنهم قصدوا بعض الموتى من أصحاب القبور بحجة أنهم أولياء الله ولهم منزلة رفيعة عند الله فتوجهوا إليهم بطلب الشفاعة لهم عند الله مع علمهم بأن هؤلاء الموتى لا يخلقون ولا يرزقون ولا يدبرون إنما الخالق الرازق المدبر الذي بيده ملكوت كل شيء هو الله رب العالمين .

ويضربون لذلك مثلاً بأن الناس إذا كانت لهم حوائج عند ملوك الدنيا فإنهم يصلون إلى قضائها بشفاعة الوجهاء^(١٥) .

والجواب عن هذه الشبهة من وجوه :

(١٤) ينظر شرح العقيدة الواسطية للدكتور صالح الفوزان ، ص (١٥٧ ، ١٥٩)
 (١٥) ينظر جواهر المعاني، علي حراز، (٥٧/١ - ٦٠)، ورماح حزب الرحيم على نحور حزب الرحيم، عمر بن سعيد الفتوي الطوري الكدوي، ملحق بهامش كتاب جواهر المعاني، (٢١٠/١)، وأحزاب وأوراد القطب الرباني العارف الصمداني سيدنا ومولانا أحمد التيجاني، صححه وضبطه وشرحه محمد السيد التيجاني، ص (٢ - ٨)، (١٤٤ - ١٤٥)، ومنية المريد في آداب وأوراد الطريقة التيجانية، ابن بابا الشنقيطي التيجاني، ص (١٠)، (٢٧) وبلوغ الأماني في مناقب سيدي أحمد التيجاني، ص (١٤ - ١٥)، والهداية الربانية في فقه الطريقة التيجانية محمد السيد التيجاني، ص (٣)، حقيقة القطب النبوي السيد أحمد البدوي، أ.د. جودة محمد أبو اليزيد المهدي، ص (٩١)، (٣٥٩)، (٣٦٦ - ٣٦٨)، (٣٧٢ - ٣٧٣) (٣٩٦)، السيد أحمد البدوي شيخ وطريقة، د. سعيد عبدالفتاح عاشور، ص (١٩٩ - ٢٠٣)، ودروع الحماية بأحزاب الوقاية، د. محمد علوي المالكي ص (١٠٧)، والعارف بالله سيدي أحمد البدوي، سعد القاضي، ص (٥)، آراء في حياة السيد البدوي الدنيوية وحياته البرزخية أحمد محمد حجاب، ص (١٤١)، (١٦٩ - ١٧٠).

● الوجه الأول : أن التوسع والتساهل في باب الولاية أوقع كثيراً من عامة الناس في الغلو والتعلق بالموصوفين بالولاية في حياتهم وبعد مماتهم ، مما أدى إلى سؤالهم الشفاعة بعد مماتهم ، فيجب التوقف عن وصف شخص معين بالولاية ولم يرد نص شرعي فيه بذلك ، لأن أولياء الله هم أهل الإيمان والتقوى: كما قال تعالى : ﴿الْأَيْنَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ [يونس/ ٦٢. ٦٣] . والله هو العليم الخبير بمن حقق الإيمان والتقوى.

● الوجه الثاني : أن العبد منهي عن التعلق بغير الله كائناً من كان ، ومأمور بتحقيق تقوى الله والإيمان كما قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء/ ١٣٦] . وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران/ ١٠٢] فالعبد الصادق يتقرب إلى الله بالفرائض والنوافل حتى يحبه الله فإذا أحبه أعطاه سؤاله وقضى حوائجه والحمد لله .

فلماذا يعرض العبد عن أمر ربه ومولاه ، ويرتكب ما عنه نهاه ؟!

ولماذا يترك صراط الله المستقيم ، ويتبع سبل الشيطان الرجيم ؟!

● الوجه الثالث : أنه يحرم تمثيل الله مالك الملك بملوك الدنيا في الحاجة إلى وجهاء يوصلون له مطالب الخلق ، فإن الأمر كله لله وهو عليم خبير بصير بعباده لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، فليس على العباد إلا الإيمان به والاستجابة له فإذا فعلوا ذلك أجاب دعائهم ، أما ملوك الدنيا فهم بشر ضعفاء ليس لهم من الملك إلا ما آتاهم الله ، ويخفى عليهم كثير من أحوال الرعية فيحتاجون إلى من يوصل إليهم حاجات الرعية ويطلعهم

على ما خفي عليهم منها ونحو ذلك فيقضي حاجاتهم إما رغبة وإما رهبة وإما حياء وإما مودة وإما غير ذلك^(١٦). قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة/١٨٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر/٦٠].

فقياس مالك الملك على ملوك الدنيا في اتخاذ الشفعاء قياس باطل ، بل هو أفسد قياس في العالم لأن ملوك الدنيا ليسوا مريدين لنفع الرعية والإحسان ورحمتهم إلا بمحرك يحركهم من الخارج ، فهم محتاجون من أجل ذلك إلى وسائل وشفعاء ونصحاء ينصحون ويشفعون للمظلومين والمحتاجين من الرعية ليقوموا بقضاء حوائج هؤلاء بالترغيب والنصيحة والشفاعة بخلاف رب العالمين الرؤوف الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء ، فمن ظن أن الله مثل هؤلاء الوسطاء فقد كفر .

وكذلك فإن ملوك الدنيا مضطرون إلى قبول وساطة أمرائهم ، ووزرائهم ووجهاء ممالكهم لحاجتهم إليهم في حفظ البلاد وسياسة العباد ، وكثيراً ما يقبل الملوك شفاعة الوسطاء بإذن وبدون إذن ، لمن يرضون عنه ، ولئن يسخطون عليه بخلاف مالك الملك الغني عما سواه الحي القيوم الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، فأنى لأحد أن يشفع عنده إلا بإذنه لكمال ملكه وعظمته وغناه^(١٧).

• الوجه الرابع : أن أولئك الذين يدعون ولو ثبتت ولايتهم فإنه يحرم طلب الشفاعة منهم بعد موتهم لأن الميت انقطع عمله ودخل حياة البرزخ ، وهي

(١٦) ينظر زيارة القبور والاستنجد بالمقبور لابن تيمية ، الإدارة العامة للطبع والترجمة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠ هـ . ص(٢٠١٨).

(١٧) ينظر الواسطة بين الله وخلقه عند أهل السنة ومخالفهم للدكتور مرابط الشنقيطي ، ص (٥٣٣) .

حياة غيبية تختلف أحكامها وأحوالها عن أحكام وأحوال الحياة الدنيا ، ففي حياة الأولياء في الدنيا يجوز طلب الشفاععة منهم في حضورهم بأن يدعوا لك بالخير لأن الشفاععة هي طلب الخير للغير ، ولما كان عكاشة ابن محصن رضي الله عنه في مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم وسمعه يخبر عن سبعين ألفاً من أمته يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب . قَامَ عُكَّاشَةُ رضي الله عنه فَقَالَ : « ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ » . قَالَ : « اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ مِنْهُمْ » ^(١٨) ، أما بعد موته فلم يسأله الشفاععة مع وجود المقتضي ^(١٩) ، يشهد لهذا : (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب رضي الله عنه . فقال : " اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فنتسقين وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا " قال فيستقون) ^(٢٠) .

- الوجه الخامس : أن الشفاععة ملك لله ، فمن أراد شفاععة أحد من الأموات الأولياء سواء كانوا أنبياء أو صديقين أو شهداء أو صالحين فليسألها من الله مباشرة لأنها ملك لله ، كما قال تعالى: ﴿ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أُولَئِكَ أَنْوَابٌ لَمْ يَمْلِكُوا شَيْئاً وَلَا يَعْلَمُونَ ، قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزمر/٤٣:٤٤] . فيقول سائل الشفاععة : اللهم شفّع فيّ أنبياءك . أو اللهم ارزقني شفاععة رسولك محمد صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك ، فهذا إيمان وتوحيد ، وهذه هي الشفاععة المثبتة وهي لا تكون إلا بشرطين :

^(١٨) صحيح البخاري ، حديث رقم (٥٣٧٨) .

^(١٩) ينظر الرد على البكري ، ابن تيمية ، مكتبة الغرباء ، المدينة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٧هـ ، (١ / ٢٦٠) .

^(٢٠) صحيح البخاري حديث رقم (٩٦٤) .

الأول : إذن الله للشافع أن يشفع كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة/ ٢٥٥] .

الثاني: رضا الله عن المشفوع له ^(٢١) كما في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء/ ٢٨] . وجمع بين الشرطين في قوله: وكم من ملك في السماوات لا تغني شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ﴿[النجم/ ٢٦] . والله لا يرضى عن المشفوع له إلا إذا كان من أهل التوحيد المحققين لشروط كلمة لا إله إلا الله ^(٢٢) ، يدل لهذا قول الرسول ﷺ: (أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه) ^(٢٣) .

ويحرم على العبد أن يسأل الميت الشفاعة ، كأن يقول بعد موت الرسول ﷺ : يا رسول الله اشفع لي عند الله ، أو يا رسول الله ادع لي بدخول الجنة ، ونحوها ، فهذا شرك وتنديد ، وهذه هي الشفاعة المنفية التي لا يرضى الله عن سائلها ولا يتجاسر أحد أن يشفع لهذا السائل يوم القيامة لأنه أشرك بالله العظيم حيث دعا ميتاً لا يسمع من دعاه ولو فرض جدلاً أنه يسمع فإنه لا يستجيب له ،

(٢١) ينظر جامع البيان ، الطبري ، (٣٩٥ / ٥) ، (٣٠٠٠٢٩٩ / ٢١) ، (٥٢٩ / ٢٢) .

(٢٢) ينظر مجموع الفتاوى ، ابن تيمية ، (٤١٠ / ١٤) ، والرد على البكري ، ابن تيمية ، (٢٩٦ / ١) .

(٢٣) صحيح البخاري ، حديث رقم (٦٢٠١) .

قال الله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ فِي جُزْيٍ لِأَجْلِ مَسْئَلِكُمْ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ، إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر/١٣. ١٤] والخبير هنا هو الله ، وتأمل قوله في أول الآية :

﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ ثم تأمل قوله في آخرها : ﴿بِشِرْكِكُمْ﴾ فسمى دعاء غيره من الأموات شركاً . وإنما الجائز هو دعاء الحي الحاضر القادر دون دعاء الميت أو الغائب أو العاجز ، يدل لهذا قوله تعالى في قصة موسى عليه السلام: ﴿هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ [القصص:١٥] فاستغاث الإسرائيلي موسى على القبطي وموسى عليه السلام حي وحاضر وقادر على إغاثته يدل لهذا قوله تعالى بعد ذلك ﴿فَوَكَرَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [القصص/١٥]^(٢٤).

● الوجه السادس : أن كفار قريش كانوا يقولون أن الله هو الخالق الرزاق المدبر وليس للأولياء شيء من ذلك ، كما قال تعالى: ﴿وَلَنْ سَأَلَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فإني يُؤفكون﴾ [الزخرف/٨٧] .

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يُرِزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأُمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس/٣١] .

(٢٤) ينظر جامع البيان، الطبري، (١٩/٥٣٨)، (٢٠/٤٥٣)، ومجموع الفتاوى، ابن تيمية، (١/١٠٣. ١٠٤)، وكشف الشبهات،

محمد بن عبد الوهاب، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ص (٢٨. ٢٩) .

وما كانوا يريدون من الأولياء الذين يدعونهم مع الله إلا الشفاعة: ﴿اللَّهُ الَّذِينَ خَالَصُوا وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر/٣] وتأمل كيف حكم الله عليهم بالكفر في آخر الآية مع أنهم ما أرادوا إلا الشفاعة . وقال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَّبِعُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس/١٨] وتأمل قوله في آخر الآية: ﴿يُشْرِكُونَ﴾ مع أنهم لم يريدوا ممن يدعونهم إلا الشفاعة^(٢٥) .

• الوجه السابع : أن الميت هو الذي ينتفع بدعاء الحي ، ولا يمكن للميت أن يدعو للحي لأن عمل ابن آدم ينقطع بموته ، والدليل ما حدث به الصادق المصدوق عليه السلام : (إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ انْقَطَعَ عَمَلُهُ)^(٢٦) . وعن أبي هريرة أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال : (إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ)^(٢٧) . فالمت ينتفع بدعاء الصالحين الأحياء له ، ولا يملك الأموات الصالحون الدعاء لأنفسهم فكيف يدعون لغيرهم .

فانظر كيف عكس القبوريون الأمر ، فجعلوا الباطل حقاً ، والحق باطلاً !

• الوجه الثامن : أن أفضل الخلق هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن أفضل الناس بعد الأنبياء . عليهم السلام . هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأن أفضل الصحابة

(٢٥) ينظر جامع البيان ، الطبري ، (٤٧:٤٦/١٥) ، (٨٤:٨٣ /١٥) ، (٢٥٢:٢٥١/٢١) ، (٦٥٥/٢١) ، ومعالم التنزيل البغوي دار طيبة، الطبعة الرابعة ، ١٤١٧هـ ، (١٠٨/٧) .

(٢٦) صحيح مسلم ، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب كراهة تمني الموت لضر نزل به (٢٠٦٥/٤) ، برقم ٢٦٨٢ .

(٢٧) صحيح مسلم ، حديث رقم (١٦٣١) .

هم الخلفاء الراشدون أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، ولم يثبت أن أحداً من الصحابة رضي الله عنهم وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الشفاعة بعد موته. فإذا كان أفضل الناس بعد الأنبياء لم يسألوا أفضل الخلق الشفاعة بعد موته فغيره من باب أولى.

• الوجه التاسع: أن طالب الشفاعة من الأموات قد اتخذهم آلهة مع الله .

والدليل قول الله تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُبْتُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس/١١٨].

فإن قال قبوري: إن الله قال: ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ ونحن لا نعبدهم .

يقال له: أنت تدعوهم وتسالهم الشفاعة بعد موتهم، ودعاؤك هذا عبادة لهم يشهد لهذا ما رواه النُّعْمَانُ بْنُ بَشِيرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ» ثُمَّ قَرَأَ ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر/٦٠].

فإن قال: إن كلمة: ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ في الآية الأولى تدل على أنهم لا يدعون إلا الأولياء، أما نحن فنَدْعُو اللَّهَ وَنَدْعُو اللَّهَ مَعَهُ الْأَوْلِيَاءَ .

فيقال له: إن كلمة ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ معناها: مع الله ^(٢٨) وقد قال الله تعالى في آخر آية من سورة المؤمنون: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون/١١٧]. فقال: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ وهذا هو الشرك

(٢٨) ينظر تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار طيبة، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ، ٣٥٦/٤.

دعوة غير الله مع الله^(٢٩). وتأمل كيف سماه في آخر الآية كافراً وحكم عليه بالخسران .

فإن قال : إن الله قال : ﴿إِلَهًا﴾ ونحن لا نقول إن الأولياء آلهة .

يقال له : وما معنى الإله ؟

فإن لم يعرف . يقال له : لم تحاج فيما ليس لك به علم ؟!

وإن قال : الإله هو الخالق الرزاق المدبر .

يقال له : إن كفار قريش كانوا يقولون بأن الله هو الخالق الرزاق المدبر ولكنهم

لم يقولوا لا إله إلا الله ، لأنهم علموا . وهم العرب الأقحاح . أن الإله هو المعبود

المقصود بالدعاء^(٣٠) ، فإذا قالوا لا إله إلا الله نضوا هذا الحق عن آلهتهم وتركوا

دعاءها مع الله ، وهذا الذي لا يريدون ، وهو محل النزاع ، ويدل لهذا قول الله

فيهم : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (٣٥) وَيَقُولُونَ إِنَّا لَا نُرْكِعُكَ اللَّهُ لَشَاعِرٍ

مَجْنُونٍ ﴿ [الصافات/ ٣٥، ٣٦] .

والنتيجة أن طالب الشفاعة من الأموات قد اتخذهم آلهة مع الله .

(٢٩) ينظر الأصول الثلاثة وأدلتها ، محمد بن عبد الوهاب ، مكتبة العلم ، جدة ، ص (٨) .

(٣٠) ينظر مختار الصحاح ، الرازي ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٤١٥هـ ، ص (٢٠) .

الخاتمة

يمكن إجمال أهم نتائج البحث في النقاط الآتية :

- أن القبورية هم الغلاة في تعظيم القبور ودعاء أربابها من دون الله .
- أن من أكبر شبهات القبورية : أنهم قصدوا بعض الموتى من أصحاب القبور بحجة أنهم أولياء الله ولهم منزلة رفيعة عند الله فتوجهوا إليهم بطلب الشفاعة لهم عند الله قياساً على تقرب الناس عند ملوك الدنيا بشفاعة الوجهاء .
- أن قياس ملوك الدنيا على مالك الملك في اتخاذ الشفعاء قياس باطل بل هو أفسد قياس على الإطلاق، فشتان بين الخلاق العليم بأحوال عباده الغني عن كل أحد وبين ملوك الدنيا الفقراء الجهلاء بأحوال الرعية المحتاجين إلى الشفعاء من الوجهاء الذين يعينونهم على شئون الملك ويوصلون إليهم حاجات الرعية .
- أن هذا القياس فيه تمثيل الخالق الكامل من كل وجه بالمخلوق الناقص من كل الوجوه ، وهذا كفر بالله العظيم .
- أنه يجب التوقف عن وصف شخص معين بالولاية إلا بنص شرعي لأن أولياء الله هم أهل الإيمان والتقوى ، والله أعلم بمن حقق الإيمان والتقوى .
- أن التوسع في إطلاق لفظ الولاية أدى إلى الغلو الذي أثمر التعلق بالموصفين بالولاية حتى سئلوا الشفاعة بعد موتهم .
- أنه يحرم سؤال الشفاعة من الأموات ولو بلغوا أعلى درجات الولاية كالأنبياء عليهم الصلاة والسلام .
- أن الشفاعة بالاستقصاء ثمانية أنواع أثبتها أهل السنة على ما جاءت به النصوص الشرعية .

- أن الناس في الشفاعة أقسام ثلاثة : طرفان ووسط ، غلا فيها المشركون الأوائل والنصارى وخلفهم فيها القبوريون ، وجفا فيها المعتزلة والخوارج وتمسك أهل السنة بما جاء في النصوص فيها فكانوا وسطاً .
- أن الشفاعة ملك لله فتطلب منه ولا تكون إلا بإذنه للشافع أن يشفع ورضاه عن المشفوع له ، ولا يرضى إلا عن أهل التوحيد ، ولا بأس في طلب الشفاعة من صالح حي حاضر قادر .
- أن الاعتقاد بأن الله هو الخالق الرزاق المدبر لم يدخل كفار قريش في الإسلام لأنهم أشركوا مع الله غيره في الدعاء .
- مشروعية مجادلة أهل الباطل بالتي هي أحسن .
- تحرير محل النزاع عند المجادلة ليقع الجواب في محله .
- عناية علماء السنة بإخلاص الدين لله ونفيهم عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين .
- أن الحق ظاهر على الباطل ولو كره المشركون .
- والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، لقد جاءت رسلنا بالحق وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على عبده ورسوله وخليته محمد الصادق الأمين وعلى آله وصحبه العالمين المخلصين وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

المصادر

- ١ . القرآن الكريم .
- ٢ . إبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار ، المعجم الوسيط ، دار الدعوة، تحقيق مجمع اللغة العربية .
- ٣ . ابن كثير ، إسماعيل بن عمر ، ١٤٢٠هـ ، تفسير القرآن العظيم ، دار طيبة .
- ٤ . البخاري ، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ، ١٤٠٧هـ ، الجامع الصحيح ، دار ابن كثير، بيروت .
- ٥ . البغوي ، الحسين بن مسعود ، ١٤١٧هـ ، معالم التنزيل ، دار طيبة
- ٦ . التّجاني ، محمد السيد ، أحزاب وأوراد القطب الرباني العارف الصمداني سيدنا ومولانا أحمد التّجاني، مكتبة القاهرة .
- ٧ . التّجاني ، محمد السيد التّجاني ، الهداية الربانية في فقه الطريقة التّجانية ، مكتبة القاهرة .
- ٨ . التميمي ، محمد بن عبد الوهاب ، كشف الشبهات ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .
- ٩ . التميمي ، محمد بن عبد الوهاب ، الأصول الثلاثة وأدلتها ، مكتبة العلم جدة .
- ١٠ . حجاب ، أحمد محمد ، آراء في حياة السيد البدوي الدنيوية وحياته البرزخية.
- ١١ . الحراني ، أحمد بن عبد الحلّيم بن تيمية ، مجموع الفتاوى ، جمع عبد الرحمن بن قاسم النجدي .
- ١٢ . الحراني ، أحمد بن عبد الحلّيم بن تيمية ، ١٤١٧هـ ، الرد على البكري ، ابن تيمية ، مكتبة الغرباء ، المدينة .
- ١٣ . الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، ١٤١٥هـ (١٩٩٥م) مختار الصحاح ، مكتبة لبنان ، بيروت .

١٤. الشنقيطي ، ابن بابا ، منية المرید في آداب وأوراد الطريقة التّجانية ، مكتبة القاهرة .
١٥. الشنقيطي ، د. مرابط ، الواسطة بين الله وخلقه عند أهل السنة ومخالفهم ، الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية .
١٦. الشوكاني ، محمد بن علي ، ١٩٧٣م ، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار ، دار الجيل ، بيروت .
١٧. الشيباني ، أحمد بن حنبل ، مؤسسة قرطبة ، القاهرة .
١٨. شيخ الطريقة التّجانية بواد مدني ، بلوغ الأمان في مناقب سيدي أحمد التّجاني ، مكتبة مضوي .
١٩. الطبري ، محمد بن جرير ، جامع البيان ، ١٤٠٥ هـ ، دار الفكر ، بيروت .
٢٠. عاشور ، سعيد عبدالفتاح ، السيد أحمد البدوي شيخ وطريقة .
٢١. علي حرازم ، جواهر المعاني .
٢٢. الفراهيدي ، الخليل بن أحمد ، العين ، دار ومكتبة الهلال .
٢٣. الفوزان ، صالح بن فوزان ، ١٤١٣هـ (١٩٩٣م) ، شرح العقيدة الواسطية ، مكتبة المعارف ، الرياض .
٢٤. القاضي سعد ، ٢٠٠١م ، العارف بالله سيدي أحمد البدوي ، دار غريب ، القاهرة .
٢٥. القزويني ابن فارس ، أحمد بن فارس بن زكرياء ، معجم مقاييس اللغة ، ١٤٢٠هـ ١٩٩٩م ، دار الجيل ، بيروت .
٢٦. الكحلاني ، محمد بن إسماعيل ، تطهير الاعتقاد من أدران الإلحاد .
٢٧. المالكي ، محمد علوي ، دروع الحماية بأحزاب الوقاية ، دار جوامع الكلم مصر ، القاهرة .
٢٨. المعلم ، أحمد بن حسن ، ١٤٢٧هـ ، القبورية نشأتها . آثارها . موقف العلماء منها " اليمن نموذجاً " ، دار ابن الجوزي .

٢٩. المهدي ، جودة محمد أبو اليزيد ، حقيقة القطب النبوي السيد أحمد البدوي، دار جوامع الكلم، القاهرة .
٣٠. النيسابوري، مسلم بن الحجاج بن مسلم ، صحيح مسلم ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.